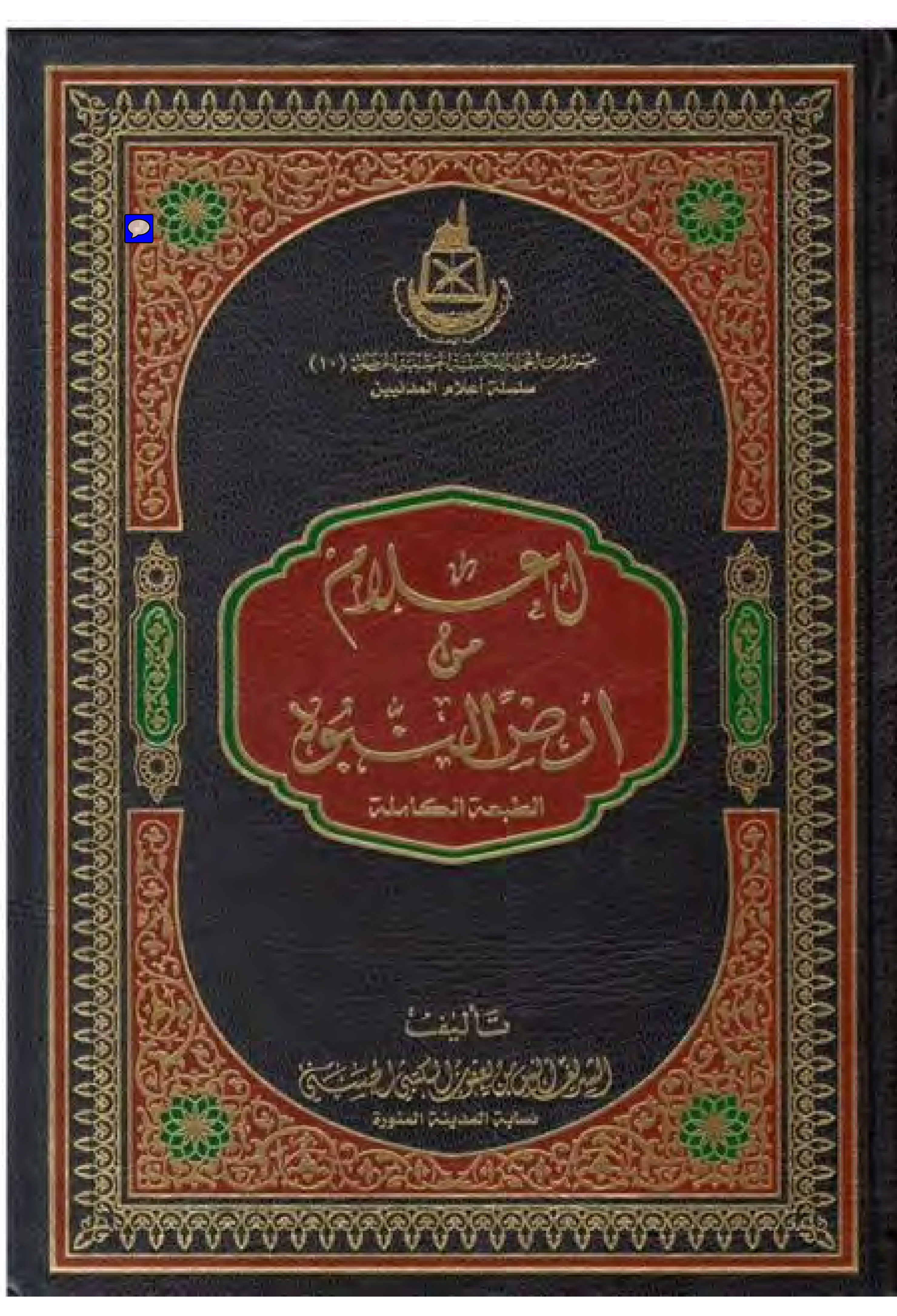
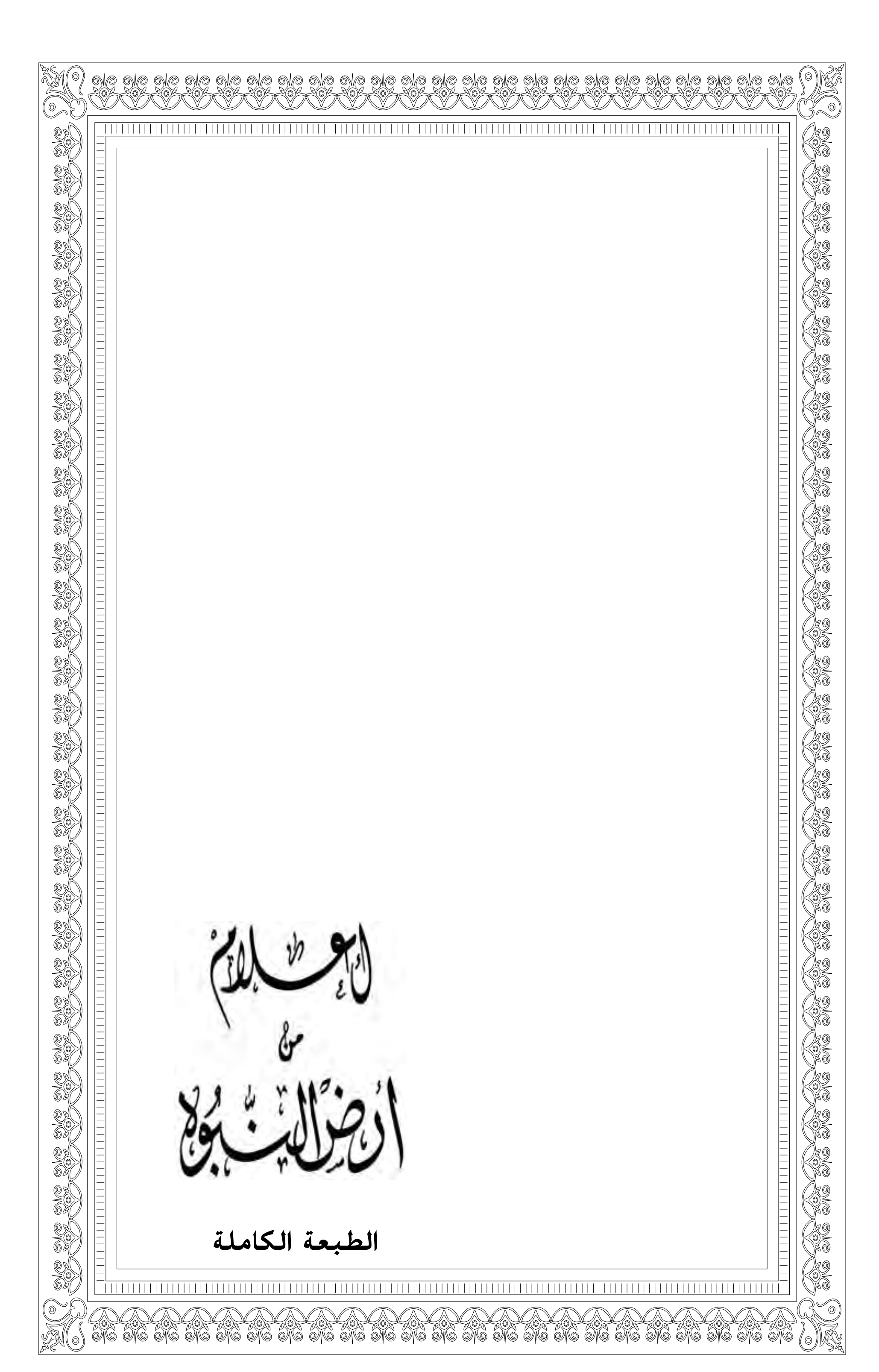

سلسلة أعلام المدنيين
الأعلام
من
أرض النبوة
الطبعة الكاملة
تأليف
الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني
نسابة المدينة المنورة



الطبعة الكاملة

هُوية الكتاب:

الكتاب: أعلام من أرض النبوة (الطبعة الكاملة)
المؤلف: الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني
الطبعة: الأولى
السنة: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة
الحجاز - المدينة المنورة - طريق الهجرة - دار المجتبى
ص. ب ٣٧٥ هاتف ٠٠٩٦٦١٤٩٣١٤٠٣٩
جوال ٠٠٩٦٦٥٠٥٣٠٣٠٣٩
البريد الإلكتروني: aalsharif2002@hotmail.com

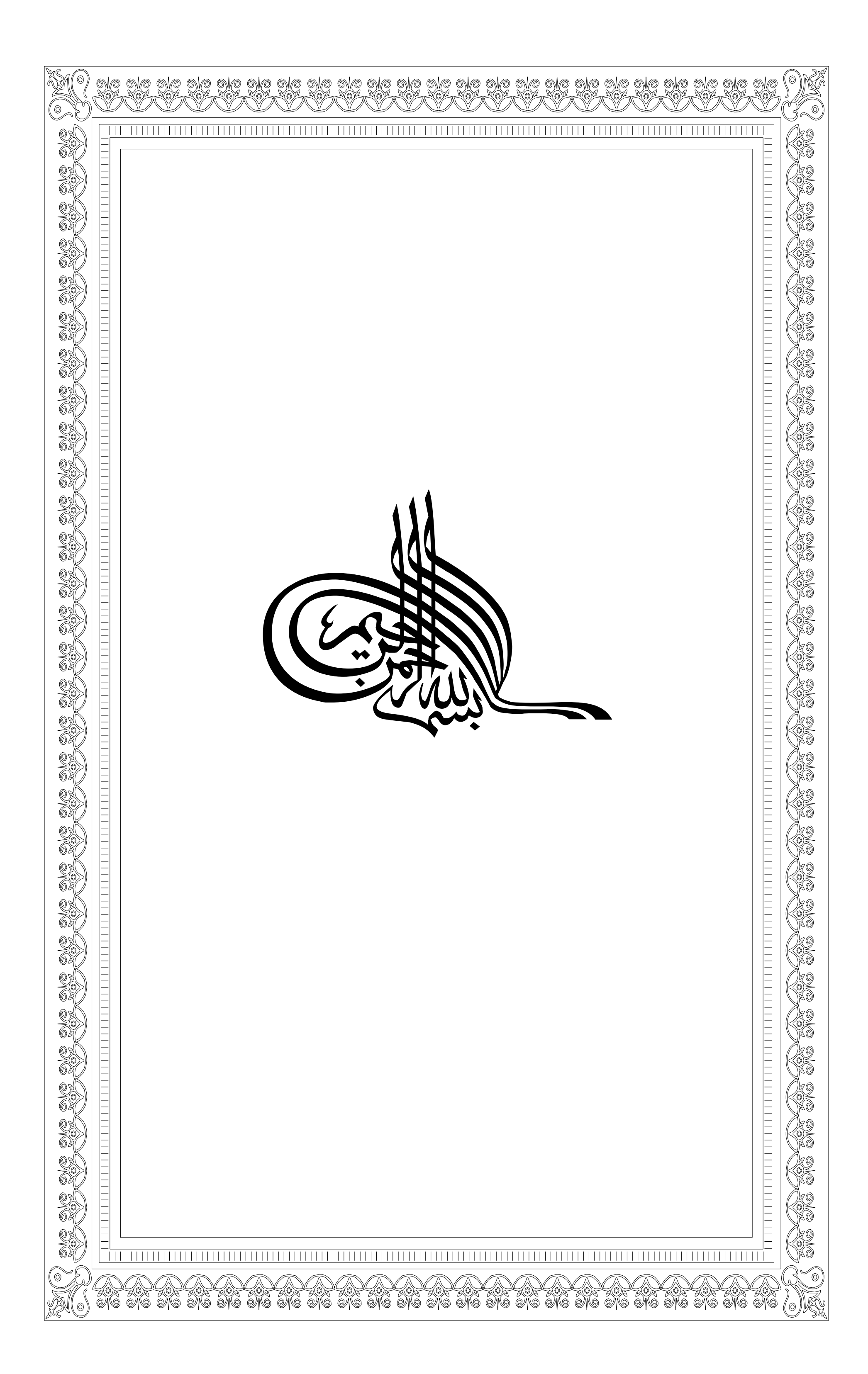
(ح) أنس يعقوب الكتبي الحسني، ١٤٣٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحسني، أنس يعقوب
أعلام أرض النبوة / أنس يعقوب الحسني المدينة المنورة ١٤٣٧هـ
ص؛ ١٧ * ٢٤ سم
ردمك: ٨-١٥٤٧-٠٢-٦٠٣-٩٧٨
١ - المدينة المنورة - تراجم ٢ - المدينة المنورة - تاريخ أ. العنوان
ديوي ٩٢٠,٠٥٣١٢٢ ٧٢٤٦ / ١٤٣٧
رقم الإيداع: ٧٢٤٦ / ١٤٣٧
ردمك: ٨-١٥٤٧-٠٢-٦٠٣-٩٧٨



أعلام من أرض النبوة

الطبعة الكاملة

تأليف
الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني
نسابة المدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله، الحميد المجيد، الذي خلق الإنسان وأكرمه وأعلى مقامه في الدنيا والآخرة، وفضله على سائر المخلوقات واستعمره في الأرض وأمده بنعم لا تعد ولا تحصى، وأرسل إليه الانبياء لهدايته وإرشاده.

الحمد لله رافع بصحيح الأعمال إلى أعلى درجاته، والحمدلله الذي رفع درجة العلماء فجعلهم ورثة الأنبياء والصلاةوالسلام على سيد أنبيائه وسيد أصفيائه سيدنا وحبيبنا محمد بن عبد الله جامع أصول المفاخر العلية ونهاية المحامد والمآثر وبعد فهذا كتابي أعلام من أرض النبوة وهو مُسْتَل من موسوعتي أعلام المدنيين «**الكتاب الكبير**» والذي يحوي تراجم علماء وأعلام وبيوتات المدينة المنورة المباركة من القرن العاشر حتى الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري، أي (من عام**٩٠٠**هـ - حتى عام **١٤٣٥**هـ)، وقد هداني ربي وأرشدني لأقوم بكتابة هذه الصفحات المشرقة من تاريخ الرجال، لتطلع عليها الأجيال تلو الأجيال ويعرفوا ماذا صنع الآباء والاجداد من أجلهم، وما الهدف إلا لإحياء ذكر ذلك الجيل الحجازي المغيب المندثر تاريخهم، الذي أصبح في حكم الماضي الغيرمشرق عند البعض، ولاحول ولاقوة إلا بالله، والحقيقة أن هذا الكتاب صدر بجزئيه الأول والثاني قبل قرابة العشرين سنة، اذ أنه كانت الفكرة بأن تكون سلسلة أجزاء متتالية ولكني توقفت لمدة سنوات عكفت فيها على كتابة الموسوعة ولا زالت لم ترى النور، فالله أسال أن يجعل في العمر بقية لإتمامها، ومع طيلة البحث والتحقيق كانت هنالك أضافات من المعلومات التي توافرت عن بعض الشخصيات التي كتبت عنها من قبل، وانكشف الكثير من تأريخهم، ولست حاطب ليل فيجمعي لهذه الروايات سواء الشفهية أو المدونة في بطون الكتب، بل تناولتها بالنقد والتحليل والتمحيص حتى تظهر روعة الاستنباط،

فكان هذا التوقف عن أصدار باقي الأجزاء، نتيجته أن الموسوعة اليوم وصل عدد تراجمها إلى حولي «**٦٥٠ ترجمة**» بين يدي، وهي تشمل أنساب وتراجم وتأريخ وأحداث، ولعلها كانت من الأسباب الضرورية التي حتمت عليّ اعادة اصدار كتاب أعلام من أرض النبوة بحلة جديدة، لأستدراك ما فاتني، حيث أن نفاذ الطبعات الأولى من الكتاب بجزئيه الأول والثاني، مطالبة الكثير من الباحثين وطلاب العلم من داخل البلاد وخارجها، ورجوع لي الكثير من الباحثين أو ابناء الأسر للتوثيق أو البحث عن معلومات تتعلق بشخصيات مدنية، وذلك بسبب عدم توافر الكتاب في المكتبات، والحاصل فسبحان الذي جعل لكل شي سبب ففي ليلة من ليالي دار المجتبى وبينما أنا امام ركام من الأوراق في خزانتي لتدوين تأريخ المدنيين من بيوتات ورجال والحقيقة أن تأريخ المدنيين العريق والذي أصبح متفرق في وثائق ومستمسكات تجاوزت أكثر من نيف وألفين ورقة فلا أعلم ايها أخذ وايها ادع نظراً لإهميتها، فصادف ذلك أن زارني أخي الحبيب الشريف باسم بن يعقوب الكتبي[(١)]، والذي أشد به عضدي، وطلب مني أن اطلعه على موسوعة أعلام المدنيين (**الكتاب الكبير**)، فأطلعته عليها وهي عبارة عن أربعة مسودات مخطوطة فطالعها لساعات طويلة فوصفها بقوله أنه موسوعة تسر الناظرين لاسيما انها في سيرة جيران سيد المرسلين ﷺ، وطلب مني على الفور أن أعيد الكتابة في الرجال في الصحف او في

(١) أبو المثنى الشريف باسم بن يعقوب بن إبراهيم الكتبي الحسني الطالبي، حجازي مدني معاصر، محقق مجتهد ونسابة بارع، ومناظر جلد صاحب حجة وبيان، مغمور، يؤثر على نفسه، استحب العزلة وكره الظهور، من آل الشريف محمد إبراهيم الكتبي الحسني، أحد فروع أشراف الحجاز الأحمديون، مولده بالمدينة المنورة في ٢/ ٤/ ١٣٨٨هـ، وبها نشأ وتعلم، حتى حصل على شهادة البكالوريس في علوم الرياضيات، لم يرغب العمل في التعليم، ورغب في العمل الأداري، وفي أواخر العقد الثالث من عمره عكف على المطالعة في علوم شتى فقرأ في علم الكلام والحديث والتأريخ والتراجم والأنساب، وكتب بحوث ورسائل عديدة في علوم شتى لم تطبع ولا زالت بخط يده، استفدت منها في مصنفاتي، منها: «رسالة في علم الحديث»، «مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» «بنو الحسن بن الحسن وإمرتهم بينبع»، «التحقيق والتدقيق في أعقاب أبي بكر الصديق»، «القول المرموق في أعقاب الفاروق»، «إعلام الخافقين بعقب عثمان ذي النورين»، «المِنْبَر في أعقاب أحمد المِسْوَر»، «التحفة السنية في خبر القاسم بن النفس الزكية» وغيرها بارك الله في جهوده ونفع الأمة باعماله.

المواقع الشبكة العالمية، وأن انشر قطع من هذه التراجم قبل ظهور الموسوعة، فقلت له: أن اليوم الخير في كثير ممن طرقوا هذا الباب، فبداياتي كانت قبل قرابة ربع قرن، وحينها كان لا يوجد مهتمين إلا القلة حيث أن المعلومة كانت صعبة امام طالب العلم وبالإخص في تراجم أهل المدينة المنورة، ولعل السبب الرئيسي في ذلك ما تعرضت له المدينة وأهلها من أحداث تأريخية، إما اليوم فبفضل الله أصبحت المعلومة سهلة الوصول، وأصبح الكثير يستفيد من مواقع التواصل الإجتماعي، والحقيقة أننا اليوم نجد أن فن كتابة التراجم تطرق له الكثير، وكثرت المصنفات فيه وبالأخص في البلدتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، فجهود هولاء الباحثين والذين فيهم الخير الكثير ان شاء الله أن يكملوا ما كان فيه النقص، ويزيدوا عليه مافيه الخير، وقد سرتني تلك الجهود من قبل الباحثين، رغم تحفظي على بعض ما دون فيها، وكنت ادعوا الله أن يوفقهم لخدمة تأريخ المدينة المنورة، وقد أوصيت كل من سألني بالدقة والتحري، والعمل بالمنهج العلمي، فالكمال لله تعالى وحده، ولكل مجتهدٍ نصيب، والحاصل لم تنتهي زيارة أخي الحبيب أبو المثنى إلا وقد أخذ مني الوعد أن أنشر مقتطفات من كتابي الكبير أعلام المدنيين، ونزولآ عند رغبته هممت بالأمر، وزودته ببعض التراجم المخطوطة فقام مشكورًا بنشرها على الشبكة العالمية، وها هو اليوم بين يدي القارئ جزء من الكتاب، وهو عبارة عن مقالات نشرت في جريدة المدينة بملحقي الاربعاء والتراث قبل أربع وعشرين عاماً، وأخرى نشرت في كتاب أعلام من أرض النبوة بجزئيه الأول والثاني، وأخرى نشرت بيد الشريف باسم على الشبكة العالمية، وتعتبر هذه الطبعة هي المعتمدة الكاملة والتي يعول عليها من كتاب أعلام من أرض النبوة، ومن خلالها يتضح للباحث المنهج العلمي الذي سلكته في كتابنا الكبير «أعلام المدنيين»، ونجعل الفرصة لمن لديه ترجمة لجده أو أبيه أو أحداً من ذويه أن يزودني بها لتكون ضمن الموسوعة الكبرى بإذن الله.

ولا يسعني هنا إلا أن أشكر الباحث الأستاذ ابو رقية تميم الشطارة أحد طلاب العلم في أروقة المسجد النبوي الشريف على حسن تعاونه معي في ضبط النصوص

وتحقيقها وصفها من الطبعتين القديمة، والذي قام بهذا العمل خدمة للعلم وأهله وحسن ظنه بي فله شكرى وتقديري على ما فعله من مساعدتي فجزاه الله خير الجزاء.

ولعلي تعمدت عدم وضع قائمة في آخر الكتاب بالمصادر والمراجع لا سيما أني قد أشرت إلى كل معلومة في مصدرها داخل صفحات الكتاب وقد اكتملت الهوامش بالإشارة إلى اسم الكتاب والصفحة وذلك لتعدد الطبعات في بعض المؤلفات والمراجع وأن الباحث في هذا الزمان قد يعتمد كثيرًا علىٰ المكتبات المدونة علىٰ الشبكات العالمية فيكتفي دون الرجوع إلىٰ الطبعة التي اعتمدنا عليها في المصدر.

أخيرًا، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي أنه سميع مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

نسابة المدينة المنورة

الشريف أنس بن يعقوب الكُتُبيّ

أبو الحسنين

حرر وجرى بمدينة خير الورى

الثلاثاء ٢٦ رجب الأصم ١٤٣٧هـ

الموافق ٣/ ٥/ ٢٠١٦م

ذكرى ليلة الإسراء والمعراج

الحجاز - دار المجتبى

«سفر برلك حدث لن ينساه أهل المدينة[1]»

ولا يزال الغربال يغربل في الذاكرة التي وهبها الله ﷻ للعبد الفقير بأخذ الأفكار والتي تناثرت بفقد الكثير ممن أدركت وهي اليوم شتات يجمعها القلم بحروف متناثرة، وليس حسب من واقع الخيال بل هي تجارب امم قد مضت ورحلت وكانت لهذه الامم، احق بالتدوين، فهو تاريخ ما اهمله التاريخ، وصفحات مطوية من تاريخ سيدة المدائن، تاريخ جله ملتقط من شهود العيان، ولعل حدث تاريخي يكمل اليوم قرن من الزمان، ادىٰ الىٰ ذهاب دول وممالك وغياب وجوه وظهور غيرها، كان مبدء انطلاقه من المدينة المنورة، وقد وجدت التضارب في تحديد التاريخ ولكن ما اجزم به انه في عام **١٣٣٤**هـ، هو أصح التواريخ، فالحديث عن «سفر برلك» كما ينعته المدنيين دون غيرهم، فمن عرفه من غير المدنيين لا ينعته إلا بحصار المدينة أو مأساة المدينة، ولا انسىٰ الجدة ملكه حمزة متروك رحمها الله[2] حينما كنت أسالها عن سنة مولدها فتقول انها ولدت في زمن فخري، أو في سفر فخري، وعتبًا علىٰ التاريخ فقد تجاهل هذا الأمر في المدينة ولم يدونه بما يستحق، ولعل الالتفاته للثورة العربية الكبرىٰ وأهتمام الانجليز لتحقيق هدفهم البعيد المدىٰ، وذلك بعدم إلتفات العالم عن ما يحدث في المدينة خوفًا من اضمحلال مخططهم لأسقاط العثمانيين وامبراطيتهم العظمىٰ، فلم نعرف مأساة المدينة إلا من خلال المعمرين الذين أدركناهم، ومن حديث المجالس من ملتطقات وروايات تكون دون دقة أو تحري انما حديث مجالس، والحق يقال ان في جعبتي الكثير من القصص المأسوية عن ما جرىٰ علىٰ المدنيين في ذلك الوقت، وان هذه القصص حري بها ان تصنع في مسلسلات تاريخية ارتبط بتاريخ

---

(١) من كتابي أعلام المدنيين.

(٢) ملكة بنت حمزة متروك ١٣٣٥هـ -١٤٠٣هـ سيدة مدنية عصامية ذات وقار وهيبة أصل سلفها من قبيلة بلي القضاعية بالحجاز.

المدينة العظيم، كيف لا وهذا الحدث حدث بجوار قبر سيد الخلق ولجيران قبر سيد الخلق وزوار مسجد سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه، والمصدر الأهم من خلال ما كتبه المؤرخين المدنيون كالزيدان في عهوده، والحافظ في فصوله، والمدني في مذكراته، والدفتردار والنقشبندي في مقالتهم، وغيرهم، وهؤلاء لم يكتبوا الا القليل الذي أدركوه في صباهم، ولكن مع قلة ما ذكروه إلا انه كان الفاتحة والنواة الاولىٰ للكتابة عن سفر برلك، لمن اراد التدوين، والجدير بالذكر أن تلك الفترة التي تعد المدينة في عزها من المنجزات العثمانية المنفقة في مجالات شتىٰ، والتي كانت علىٰ بنية تحتية، فعندما تولىٰ السلطان عبد الحميد الثاني الحكم خص المدينة بعدد من المنجزات، كمحطة الاتصالات اللاسلكية، والخط البرقي بين استانبول والمدينة، ومحطة الكهرباء العام وأعظم مشاريع القرن آنذاك الخط الحديدي الحجازي القادم من استانبول وبلاد الشام، وقد أحدث وصول القطار للمدينة تغييرًا كبيرًا فيها فقد كثر الزائرون، ونشطت الحركة التجارية، وتوافد المهاجرون من أنحاء العالم الإسلامي، حتىٰ أنه اخبرني بعض المعمّرون بارتفاع سعر المخزن السكني، حيث ان الأراضي والبيوت كانت لا تباع بالامتار كما في الوقت الحالي، انما بالمخزن وقد أدركت شيئًا من تلك التسمية في الصغر، حتىٰ أن الصكوك تحسب بالمخازن لا بالأمتار، والحاصل أن المخزن يعادل ٤٢مترًا، وبذلك عاشت المدينة عصرًا يموج بكثرة السكان ففي عقد واحد تضاعف عدد سكانها عدة أضعاف، الذي وصل إلىٰ ثمانين ألف نسمة، فسكان المدينة قبل ذلك التوسع أكثرهم من الأفندية والأعيان والاهالي واكثر من ثلاثمائة امام وخطيب، ومثلهم المؤذنين وخدام الحجرة المطهرة والحرم، كانت لهم مرتبات من خزينة الدولة وجرايات وترب، والبعض الاخر له تقرير الحجاج ويعرفوا بالأدلاء، وبما ذكرناه من توسع كان من الطبيعي ان استقلت المدينة إداريًا عن مكة وأصبحت تابعة لاستانبول مباشرة، وقد أسست فيها الجامعة الإسلامية سنة ١٣٣٠هـ، وهي موقع ثانوية طيبة الواقع بالعنبرية حتىٰ اليوم، والتي توقفت من اكمال مسيرتها بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية، ولعل بسط النفوذ العثماني واتساع الأمر في المدينة والاستقلال الاداري والاتصال المباشر بالدولة العليا في استانبول

يحتاج الىٰ وقت حتىٰ تاخذ المدينة استقلاليتها ، وما دام الشي بالشي يذكر فان للسيد أحمد اسعد ذلك الرجل المدني وهو وريث البيت الاسعدي النفوذ اذ انه كان ذا حظوة لدي السلطان عبد الحميد فكانت له الصولة والجولة كأحد المدنيين مما يجعل صوت أهل المدينة يصل الىٰ الأستانة والىٰ السرايا ، حيث ان الشريف عون يطلب من السيد احمد اسعد مصاهرته من ابنته فاطمة وتزويجها الىٰ ابنه الشريف عبد العزيز بن عون الرفيق، كما ان ازدياد عدد السكان يحتاج الىٰ إدارة حكيمة، فالمدينة لا تحتاج الىٰ حكام عسكريين، كما هو الحال في بعض المناطق الاخرىٰ من أجزاء الدولة العثمانية ، فضلًا عن قلة الاضطرابات السياسية فيها آنذاك ، إلا ان تعيين قادة عسكريين أدىٰ إلىٰ اصطدام مباشر ، فقد وقعت بذلك بعض الاحداث المتتالية التي غيرت من سكون الحياة وطمأنينتها ، ومنها الشكوىٰ التي قدمت الىٰ الباب العالي من علماء وأئمة وخطباء المدينة وأعيانها بتوقيع وختم ثمانية وأربعين شخصًا ضد شيخ الحرم النبوي ونائبه لسوء تصرفاتهم والطلب بتبديلهما ، وما دام الشي بالشي يذكر فقد وقعت عيني علىٰ تلك الوثيقة، فاحتفظت بصورة منها ، وبها اسم وختم جدي لامي السيد عمر المدني بن صالح بن عمر كاتب السلطان، وتبعتها ثورة أهل المدينة علىٰ محافظهم علي باشا مرمحين الذي اتهموه بالقسوة والغطرسة، وقد أدت هذه الثورة إلىٰ عزله وقامت ثورة أخرىٰ علىٰ المحافظ التالي عثمان باشا ، إلا ان السلطة العثمانية في هذه المرة لم تستجب لمطالب أهل المدينة بعزله بل عدت ذلك ثورة وتمردًا علىٰ الدولة العليا والقت القبض علىٰ اثنين وثمانين شخصًا من أعيان أهل المدينة وسجنوا في الطائف ثمانية عشر شهرًا ، وتتبعت الأضطرابات، وبعد ذلك الرغد والترف وجلب الخيرات والسبب في ذلك هو وصول الوابور (القطار) الذي كان أحد اسباب الازدهار الذي عاشه المدنيين، وحسبك فما لبث الامن والاستقرار وانقلب الحال الىٰ حال، وشهدت المدينة أعنف الأحداث وأكثرها ألمًا في نهاية العهد العثماني وخلال فترة الحرب العالمية الأولىٰ، وعندما ثار الاتحاديون علىٰ السلطان عبد الحميد بشعارتهم المقتبسة من الثورة الفرنسية يدعون فيها طلب الحرية بقولهم: (حريات، عدالات، مساوات) إلا انهم كان هدفهم الحقيقي هو التتريك فهي (كلمة

حق أريد بها باطل) وقد فلت الزمام من الحكومة العثمانية، وذلك بقيام الاتحاديين يطالبون بالتتريك فالحكم أصبح بلا سلطان، وأصبح القتل منتشر بين بعض افراد العوائل وتزعزع الأمن، ولابد لي هنا التصريح بالتاريخ دون التجريح، ومنه: قتل ابراهيم ملا لمالك بن حمزة مدني؛ وبيت مدني الاوزبكي المدنيين كانت لهم وجاهة وأمر وعفو في ذلك، حيث قام السيد زين العابدين مدني احد وجهاء البيت بالعفو عن قاتل اخيه مالك، واعتراك الامر بين ولد أبو الجود الحميداني وابن الحلواني، بخلاف دار بينهما أدىٰ الىٰ مقتل الحلواني وهروب أبو الجود الىٰ خيبر، فبيت الحلواني الافندية كذلك كبيت ابوالجود مدنيين، الأ ان الحلواني طلب من حليفه صالح الجدي من ولد محمد أن يأخذ الثار له من ولد أبو الجود وبالفعل قتل ولد أبو الجود، وكان الفرح الذي اقيم بعودة ولد أبو الجود اصبح ترحًا، وكاد ان يكون القتل متفشي في الحياة المدنية وذلك بسبب انتشار السلاح وان تثار البندقية إلا ان الوجاهات المدنية من قبل أعيانها من آل الداغستاني، والبرزنجي، والرفاعي، والمدني، والبري، وأسعد، والكردي، والعشقي، وجمل الليل، ودشيشة، وظافر، والقمقمجي، وإلياس وغيرهم، فالفوضىٰ بدأت تعم إلا ان المجتمع المدني العريق قد أوجد الحلول والحماية دون الاحتياج لحكم السلطان العسكري في ذلك الوقت، لاسيما بعد ان دق جرس الحرب ومع ذلك تنبه العثمانيين بعد دخولهم الحرب مع ألمانيا ضد الحلفاء، أن أمير مكة الشريف حسين وأبنائه ينوون الثورة عليهم، فأرسلوا ضابطًا حازمًا يعرف بـ «فخري باشا» لتولي إدارة المدينة ويحكمها عسكريًا، وزودوه بقوة ومعدات وذخائر كثيرة، حتى أن الفريق فخري بن بالي باشا، انتخب عددًا من العلماء لتدوين تاريخ المدينة وهم الشيخ عبد القادر شلبي والشيخ أحمد كماخي، والشيخ أبو بكر داغستاني، والشيخ نذير الكرام خاشقجي، وانضم الشريف الحسين إلىٰ الحلفاء في الثورة علىٰ الدولة العثمانية، وفي تلك الاثناء زار المدينة المنورة ثلاثة من زعماء الاتحاديين وهم الباشوات الثلاثه (أنور، وجمال، وطلعت) لتفقد حالة الحجاز تحت مظلة الحكم التركي وكان معهم فيصل بن الحسين ورغم حيطة فخري باشا استطاع ابنا الشريف الحسين: فيصل وعلي أن يستميلا بعض الأفراد وأفخاذ القبائل ويعدا للثورة

واستخلاص المدينة من العثمانيين، وفي عام ١٣٣٤هـ، وقد بدء الامر يرتبك من بين قيام الثورة والنداء في اسواق المدينة وبعض نواحي الحجاز بضرورة الجهاد في السويس، وعندما رأىٰ أن الشريف الحسين أخذ يعد العده للحصار ثم اقتحام المدينة، أمر فخري باشا بتفريغ المدينة المنورة من ساكنيها وبالفعل تم ذلك ومن هنا تبدأ نقطة الصفر، ولعل من أوائل الرجال الذين رحلهم فخري من المدينة الىٰ دمشق السيدان زين صافي الجفري، وزين العابدين بن حمزة مدني ومن الشبان السيد اسعد طرابزوني، والوجيه إبراهيم شاكر، واجد نفسي هنا اقسم مرحلة الحصار إلىٰ عدة مراحل: **المرحلة الاولىٰ**: من الناس من رفض الخروج وأجبر علىٰ ذلك وتم اركابه بالقطار بالقوة. **والثانية**: من الناس من هرب الىٰ بادية المدينة المنورة وبقي في المزارع. **والثالثة**: قله قليلة جدًا بقيت بالمدينة والبعض اختار الخروج طواعيه وهرب الىٰ أماكن بعيده تقيه شر القتال؛ وممن خرج بعيدًا عن القطار رحل السيد عباس رضوان الىٰ مصر، وبيت أبو خضير الىٰ جدة، وممن سافر الىٰ ينبع أبو طربوش والزيدان ومشرف وممن رحل الىٰ مكة الشربيني والأنصاري، وآل طاهر، وصقر، وشكري، والصفرجي، وقد أرتبط اسم القائد فخري بن بالي باشا بمسألة الحصار وسفر برلك بل انني أدركت كثير من المعمرين المدنيين ينعتون الزمن بسفر فخري، والحقيقة أن الظروف التىٰ أحاطت بفخري ذلك الرجل العثماني والذي يعتبره الكثير من طغاة الحصار أو طاغوته وفي نظري أن الظروف كانت أقوىٰ من ان تؤكد أن هذا الرجل كان ظالمًا مستبدًا أو لا بل أن موقفه كرجل عسكري يعلم علىٰ الولاء وتلقي الاوامر العلية بحماية النفوذ العثماني يجعله أقرب لذلك، ولا شك أن الإجراء كان ظالمًا وكانه عقابًا لأهل مدينة الرسول الذين عرفوا بسلمهم، ولم ينادوا بوحدة الحجاز ومناصرة الثورة العربية إلا القلة القليلة من غير الأعيان والاهالي، ورغم أن الظروف كانت أقوىٰ من فهم ما كان يريده فخري وما كان لابد ان يفعله من جانب قيادة عسكرية فظل فخري خائفًا يترقب ماذا سيحدث علىٰ أهل المدينة خوفًا من أن يهلكوا من الجوع والعطش بسبب الحصار من جانب، وهذا الامر سيحدث امر قلق طارىٰء ينتهي بالموت والمجاعة والجوع وفتح جبهة هو في غنىٰ عنها، فان وجود

مدنيين من رجال ونساء واطفال وعجزه أثناء الحصار سيكلفه الكثير من التنازلات، فأمر بجعل المدينة ثكنة عسكرية خالصه من الحياة المدنية، فأمر بإبعاد العوائل والأسر، وتم الترحيل إلىٰ دمشق، وفلسطين، واستنبول بالقطار بعدما وصلت قضبانه الىٰ باب السلام أي الىٰ وسط المدينة، وكل ذلك حدث استعدادًا وتفرغٍ للحرب والتخطيط لمواجهة قوات الشريف الحسين، وبالفعل نجح فخري وبذل جهودًا في المقاومة والصمود، ومواجهة الحصار، والاستعداد لأي هجوم محتمل ودحره، فالامكانيات التي تتوفر لفخري تؤهله بالعمل بكل حرفية عسكرية، للوقوف امام الجبهة الاخرىٰ، والتي لا تفوق القوة العثمانية باي شكل من الاشكال وهي تنتظر انضمام ثوار مؤيدين يتزايدون بما يرون من مسرح العمليات العسكرية وتقدمه، وهذا امر كان يسير بسير السلحفاء في اندلاع ثورة كان الاصل فيها الكيد للمنطقة، علىٰ كل حال فأن فخري أُرسل للمدينة بعدما تأكد الاتراك إمكانية هذا الرجل من السيطرة علىٰ الوضع وبالفعل فأن الرجل تحرك بتكيتك عسكري فقام ببناء مراكز مراقبة عسكرية فوق الجبال والتلال واستغل بعض القلاع الموجودة كقلعة قباء الشهيرة، وقلعة جبل سلع، واستخدم قصر عروة بن الزبير في محلة عروة الشهيرة وغيره لعدة امور عسكرية وهذا اختصارًا للوقت، فقد وجه فخري انذار لسكان العوالي، والعالية، والعليا، وقربان، وقباء، وآبار علي، عندما علم بأتصالات بعض الأشراف وكبار بني علي وبني عمرو في وادي الريان وأبو ضباع والفرع بالشريف الحسين بمكة للقيام بضرب المدينة، وبعد ذلك قام فخري باخراج الجنود الىٰ القرىٰ بنواحي المدينة ابتداءٍ بالعالية، وكان هناك جنوده في بداية الامر بأهل العوالي فكانت في وقعت العوالي هتكة كبيرة بأهلها والحريق الذي عم الكثير من مزارع العوالي وشرد بني علي وبعض الاشراف وبعض أهل المدينة الىٰ ما بعد منطقة العوالي، ولم تنتهي وقعت العوالي، إلا ونشبت وقعت العليا بقربان، وقد قتل فيها جنود الأتراك الكثير من الرجال وممن قتل الفارس المدني الشيخ يحي بن منصور عباس من بيت العبابيس، وممن قتل فيها أيضًا احد وجوه المدينة الشيخ ابو البركات الانصاري والذي دافع عن نفسه وعن أهله وولده في مزرعته الناعمة، حيث كان لهذان الرجلان الصولة في الدفاع عن المقعدين من الرجال

والنساء والاطفال، حتىٰ ان القبائل في ابيار علي بقيادة أحمد بن جميعان كذلك اصطدموا مع جنود فخري فقتل الكثير من الرجال، وبذلك قرر فخري ان لا يثق في أي قبلي بعدما ظن انهم اسهل لمحالفته من الأهالي، وقرر فخري إلقاء القبض علىٰ من له اتصال او ميول لمناصرة الثورة، ففر من فر والقي القبض عليهم جماعات جماعات وقد وقعت علىٰ بعض اسماء المقبوض عليهم الشيخ عمر كردي الكوراني، والشيخ مأمون البري، والسيد عبد المحسن اسعد، والشيخ طاهر سنبل، ومحمد حمودة، وابراهيم حمودة، وسعد الحيدري، والسيد أحمد الفيض ابادي، واخوه محمود أحمد، والسيد عبد الله كندواني، وداود عرب، وحسين عرب، وعلي كابلي، وصادق كابلي، ومحمود كعكي، وعبد القادر كردي، وغيرهم، ورحلّهم الىٰ دمشق ومثلوا امام جمال باشا (قائد الفيلق الرابع الهمايوني) والذي كان يريد الفتك بهم لولا تعليمات أنور باشا باجلائهم متفرقين الىٰ ولايات الاناضول والروملي شرع في تسفير الأهالي الىٰ دمشق وحمص وحماة وحلب واضنة ومرسين، وكان ممن هجر إلىٰ الشام وورد أسمه لدينا الشيخ عابدين بن عمر السندي، لقد كان فخري قائدًا مهيبًا ومحبًا للبقاء في المدينة مهما كلف الامر، حتىٰ انه لقب بـ «المدافع عن المدينة» وكان يخرج في كل يوم بسيارته في جولات مع فرقة من الجنود المسلحين، وقد أحيطت المدينة بخطوط دفاعية قوية ومد شبكة هاتفية لاسلكية بينها، وكانت هناك دوريات امنية منظمة، وشدد علىٰ ضبط الأمن بحزم شديد داخل المدينة خوفًا من السطو، وعمل علىٰ تخزين المواد الغذائية الحبوب، كما استفاد من موسم التمر فأمر جنوده بجمعه وضغطه في قوالب صغيرة لتقاوم التسوس، ولتخفيف الضغط علىٰ المدينة وزيادة قدرة المقاومين فيها علىٰ الصمود بدأ فخري بنقل الذخائر للمسجد النبوي وتخزينها بمساجد المدينة وقام بنقل موجودات الحجرة النبوية الشريفة، وبعض السجلات الهامة وبعض مقتنيات المكتبات الموقوفة كمكتبة عارف حكمت، والمحمودية إلىٰ استنبول خوفًا عليها من الضرر في اشتداد الازمة، وفي اثناء ذلك هاجم الموالون للهاشميين بقيادة الأميرين فيصل وعلي ابني الحسين مراكز الجيش العثماني في أطراف المدينة، ولكن قوات فخري كانت مستعدة لهم فحصدت منهم العشرات وفشل

ذلك الهجوم ولم يتقدم الهاشميون خطوة واحده بل ان ذلك الهجوم تكرر منهم مرتين ولكن دون جدوىٰ، فكان الفشل حليفهم ولعل ذلك امر طبيعي فالقيادة العثمانية لها الصولة والجولة في رد ما هو أكبر من ذلك، قرر فخري الخروج بجنوده لمطاردة القوات الهاشمية فانسحب فيصل برجاله حتىٰ وصل إلىٰ ينبع النخل وحوصر فيها، وكاد العثمانيون أن يقضوا عليه، ولكن بعض القبائل المجاورة أنجدتهم وهاجمت قوة فخري، كما أن البوارج الإنكليزية قصفت من قرب الشواطئ القوات العثمانية فانسحب فخري بجيشه عائدًا إلىٰ المدينة خشية أن تحتلها بعض القبائل من الحلفاء، وأعاد تحصينها ووزع جيشه الكبير في أطرافها، وترك فيصل القتال حول المدينة لأخيه علي وسافر مع القوات المتجهة إلىٰ الشام، ورابط الأمير علي بن الحسين مع قواته في القرىٰ القريبة لحصار المدينة من بعيد، ومن أهم اثار الثورة هو تعطيل سكة حديد الحجاز حيث قام فيصل بن الحسين وجيشه بمعاونة الضباط الانجليز بنسف بعض الجسور التي يمر عليها ودمروا مسافات من الخطوط الحديدية وجاء عبد الله بن الحسين بقوات إضافية وعسكر في منطقة العيص فاكتمل الحصار حول المدينة، لم تستطع قوات الهاشميين التي تحاصر المدينة أن تقتحمها، ولم تقم أية معركة كبيرة مع قوات فخري المستعدة للمواجهة ولكن الحصار أثر علىٰ الباقين من أهل المدينة، وجاعت المدينة وشحت المواد الغذائية وارتفعت الأسعار بشدة وفشت بعض الأمراض لنقص التغذية رغم أن المعلومات التاريخية تؤكد أن المواد المخزنة كانت تكفي للمعيشة لمدة عشر سنوات، حيث ان هذه المستودعات استفاد الناس منها بعد انتهاء الحصار وحال عودتهم للمدينة فكان العيش المجفف (القنيطة) والتمر المرقد في التنك هو ايضًا لم يخرب، وتذكر الروايات الشفهية ان الناس اكلت ما بقي من الماشية الهزيلة، وجلود الحيوانات حتىٰ القطط والكلاب اكلت لحومها وقيل ان لحوم الاموات من البشر اكلت والله اعلم، فقر وجوع ومجاعة ووباء أصاب المدينة وأصاب جيران الرسول ﷺ، وذكر لي بعض المعمرين ان الكلاب كانت في وقت من الاوقات تتجول في المسجد وقد تعطلت الحياة في أشد ظروفها، ولكن التخطيط العسكري المتعنت كان رافضًا لذلك تحسبًا لطول فترة الحصار، ولم يؤثر هذا علىٰ

موقف فخري وضباطه وجنوده،واستمروا في المقاومة وشجعوا من بقي من أهل المدينة علىٰ الرحيل ومرت بالمدينة ثلاث سنوات شديدة القسوة عانىٰ فيها أهلها من الجوع والمرض والفقر أو الهجرة في الآفاق وكان الترحيل اختياريًا أول الأمر ثم صار إجباريًا وشتت العائلات وتحول الكثيرون إلىٰ مهاجرين في الشام أو استنبول ومن لم يسافر انتقل إلىٰ مناطق أخرىٰ في الحجاز كينبع ومكة المكرمة وجدة والطائف وبعضٌ من بواح المدينة، ونجد ان من سافر الىٰ مكة كان حظه اوفر ممن سافر الىٰ الشام فقد كانت الارزاق والاقوات متوافرة غير ان الشريف الحسين اجرىٰ عليهم مرتبات وإعاشة مدة بقائهم، وان كانت الدولة في سوريا والاناضول اجرت اعاشات لمن هاجر، ونجد ان قلة قليلة ارتحلوا الىٰ شرق المدينة، فنجد ان الحناكية رحل اليها بعض العوائل كالخيمي وأبو هجرس ولبيت أبو هجرس املاك لا زالت حتىٰ يومنا هذا، ومنهم من هاجر الىٰ نجد حيث كانت لهم تجارة مع اهل تلك المنطقة والمعروف ان القطار كان يصل الىٰ المدينة فياتي الجنود في الازقة والأسواق بالقاء القبض علىٰ الناس واركابهم في عربات القطار دون سابق انذار، وفي ذلك قصص يتداولها كبار المدنيين والذين ادركنا منهم اناس كانوا اطفال في زمن الحصار ومنها شاهد العيان الجدة ملكة متروك فكان لوالدتها الجدة هاجر بنت خالد الاسكندراني واخوتها خروج متفرق من المدينة فالعمدة طاهر المدني والذي كان من عمد مكه المكرمة ولمدنيته عرف بطاهر المدني، وقد حدثني سيدي الوالد شهامته في حل القضايا واصلاح ذات البين، واخيه صلاح والذي كان بين جدة ومكه هو ايضًا خرج من المدينة في اثناء ذلك، ومعهما أخيهم الاصغر الذي ادركته وجالسته في الصغر وكان شيخ الفرانه بالمدينة الشيخ محمد خالد ولا يعرف الا محمد صلاح نسبةٍ لاخيه الاكبر صلاح الذي رباه، وقد كان الشيخ محمد صلاح من الرجال العصاميين كما عرفت وسمعت من حديثه، وكان للجدة الكبرىٰ هاجر من اسمها نصيب فقد هُجرت الىٰ بلاد الشام وتركت الجدة ملكة ابنتها وعمرها سنتان في المدينة وتكفل برعايتها جدتها لأمها، ومن العلماء الذين بقوا في المدينة متخفين الشيخ عبد القادر الشلبي، والشيخ مسعود المجددي، والشيخ ملا سفر الكولابي والذي طلب منه فخري بالقاء

دروس للوعظ لجنود الحصار وقد توفي الشيخ ملا سفر في اثناء الحصار فصلىٰ عليه القائد فخري وجنوده ودفن في موكب عسكري، ومن القصص أن بعض العلماء بقوا يعملون في رفع الانقاض بشارع العينية ليوفروا قوت يومهم فلا زرع ولا ضرع الا ان يكون العمل شريفًا، واجره رغيفين من الخبز الاسود، وكذلك ان الشيخ المحدث الفا هاشم زعيم التكارنة طلب من فخري باشا عدم تهجير التكارنة وكانوا كثر بالمدينة وبالفعل لم يرحلهم وجندهم في الجيش فاذا منهم ضباط كبار في جيش فخري، وبعد جلاء فخري اصبحوا من ضمن جيش الشريف علي بن الحسين، كما اننا نجد ان طائفة النخاولة المدنيين، النخالوة علىٰ الصحيح لم يهجر منهم احد فقد بقوا في مزارعهم وحوشهم الذي كان قريبًا من المسجد النبوي من ناحية الجنوب، ونجد ان القبائل المحيطة بالمدينة لم يهجر منها احد لوجودهم خارج السور، ومن القصص المؤلمة كان هناك من اجبرته الظروف هو وزوجته ان يعملا في طريق قباء وكان لهما ثلاث اطفال فاذا خرجا للعمل يتركان لاطفالهما بعض الخبز والماء ويقفلان عليهما الباب ويذهبان للعمل ثم يعودان الىٰ منزلهما واطفالهما اخر النهار، فلما اشتدت الازمة أمر فخري بترحيل الناس بالقوة الجبرية فعندها وصلت عربت القطار فاجتمع الجنود علىٰ من في السوق فكان الرجل هناك فحمل ومن سوء الحظ حملت زوجته كلا منهما في عربة ولا يعلمان عن بعضهما وكل واحد منهما يصيح باولادي أولادي فلا حياة لمن تنادي وتوفيت المراة في الطريق بعيدًا عن زوجها واطفالها، ووصل الرجل الىٰ الشام والأطفال في المنزل لا يعلم احد بحالهم يتصايحون جوعًا وعطش حتىٰ ماتوا واحدًا تلو الاخر فظهرت رائحتهم بعد ايام فعلم الجيران بالرائحة ففتحوا الباب وقد وجدوهم جيف، ونهبت المدينة وبيوتها، واختلط الحابل بالنابل، وسرقت الاراضي وبيعت الاملاك بدرهم بخس لتوفير وجبة طعام، وحرقت مكتبات العلماء منها مكتبة شيخ الخطباء الشيخ يحي دفتردار، واتلفت وسرقت الكثير من المخطوطات، حتىٰ ان السيد احمد بن اسماعيل البرزنجي احد علماء المدينة ومفتي الشافعية فيها قد رحل الىٰ بلاد الشام وادركته المنية هناك وقت الحصار ودفن في سفح جبل قاسيون، وممن هجروا بطلب فخري الشيخ عبد القادر البري حيث طلب منه أن

يغادر المدينة هو وأسرته المكونة من ابنيه الشيخ إبراهيم وزوجته وأبنائه وأحفاده وكان إبعادهم إإلىٰ سوريا ومنها إإلىٰ الاناضول بتركيا حيث استقر قرارهم في بلدة اسمها الوشاق تابعة لولاية ازمير وفي شعبان ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٨م، سمحت الحكومة التركية لهؤلاء المبعدين بالعودة إلىٰ سوريا فرحلت أسرة الشيخ البري إلىٰ قونية، وبعد قضاء شهر رمضان عادوا بالقطار إلىٰ أضنة إلىٰ حلب فدمشق. وأستقر قرارهم في دمشق إلىٰ أن عاد أهل المدينة إلىٰ بلدتهم وبدمشق في أسبوع واحد توفي الشيخ عبد القادر البري وزوجة الشيخ عمر بن إبراهيم البري وهي بنت الشيخ صالح فضائلي وابنهما الصغير عبد القادر، وهُجر النساء والمقعدين والكهول من الاربطة ليلًا، وهكذا كان من مسلسل الوفيات والسلب والنهب والسطو واسوا من ذلك، فقد كان القطار يحمل الافواج يرمي بهم مرة في دمشق ومرة في حمص ومرة في حماة ومرة في عمان، والبعض إلىٰ ولايات الاناضول، ووصل عدد المهجرين بدمشق وحدها ما يربو عن خمسة الاف ما بين رجل وأمراة وطفل، وقد شكلت الدولة لهم لجنة يراسها السيد زين العابدين المدني وامين صندوقها الشيخ عبد القادر حافظ وبعضوية حسين جياد، وعرفة شطبي، ويوسف دويدار وغيرهم، حتىٰ ان بعض أفراد العوائل وصلوا الىٰ ازمير ومنهم: البرزنجي، وعبد الجواد، والياس، وجمل الليل، والدشيشة، ومشيخ، وخليفة، والخاشقجي، ومظهر، وخوج، والزيتوني، والكابلي، والكردي، ورجب وغيرهم، وقد حصلت علىٰ احصائية ان عدد المنفين في احدىٰ التقارير مائة وسبعين شخصًا وهم كالآتي:

المنفيون الىٰ قرية كليسة

زين صافي، زين بري، محسن المخرج، عارف بري، عبد الله عطاس.

المنفيون إلىٰ ويزة

يحي دفتردار، ابراهيم خربطلي، محمد رشيدي، حمزة كابلي، حمزة عبد الجواد

المنفيون الىٰ لوله بورغاز

عمركردي، ياسين كردي، صالح كردي، احمد داغستاني، طاهر سنبل.

المنفيون الىٰ بابا أسكي

السيد علي السقاف، سعود دشيشة، محمود حمودة، حسين عامر، عباس عبد الجواد.

المنفيون الىٰ بلاد بلغارية أخرىٰ

عبدالحميد موسىٰ، حسن بخيت، عثمان مراد، إسماعيل مراد، إبراهيم مراد، السيد محمود حمدي، مأمون بري مفتي المدينة، احسان براده، عبد الحفيظ بري، حسن أوليا، محمد حسن أولياء، حمزة رشيدي، سليمان كاشف، عباس عبد الجواد، مسلم بخاري، حسين الهندي العبد وابوه واخوانه وهم أربعة أشخاص، ابراهيم حمودة، عبد الله ثروت، حسن جمال الليل، محمد جمال الليل، أحمد خليفتي، سالم خليفتي، حسن دشيشة، داود عرب، ولد داود عرب، آدم عرب، طه البرزنجي، نادر البرزنجي، السيد إبراهيم البرزنجي، علي كابلي، علي بري، عبد المحسن أسعد، حمزة كعكي، عبد الرحيم كعكي، الكندواني.

وقد تضاربت الروايات في من بقىٰ في المدينة آنذاك فقيل انه في اواخر عام **١٣٣٥**هـ لم يبقىٰ في المدينة الا زهاء **١٠٠** شخص منهم القاضي وكاتبه، ومأمور بيت المال وإمام المسجد والمؤذن وأغوات الحرم وبعض الفلاحين وبعض المقربين من الباشا والمتخفين في البيوت، ورغم ذلك التدهور الذي كان يزداد يومًا بعد يوم صمدت القوات العثمانية في وجه الحصار الشريفي لمدة **٣** أعوام وحاول فخري باشا الحفاظ علىٰ تماسك جنوده ورباطة جأشه الا أن انتهاء الحرب العالمية الأولىٰ ورغم سقوط عاصمة العثمانيين، لم تسقط المدينة فقد كان فخري مستعدًا للصمود مدة أطول أو القتال، لان المخازن كانت مليئة بالسلاح والزخائر وكلها اخرجت بعد سقوط العثمانيين،بل ان وقعت من اشهر وقائع بداية العهد الهاشمي بعد سنة من تسلمهم زمام الامر حادثة كبيرة راح ضحيتها عدد من الشهداء وهي تفجير الذخائر التي خزنها الجيش العثماني في القلعة، وظلت الانفجارات تتوالىٰ ثلاثة أيام، والخلاصة عندما وقعت تركيا معاهدة الصلح مع الحلفاء أبرق وزير الدفاع إلىٰ فخري ليسلم المدينة إلىٰ الهاشميين، فرفض فخري الأمر واستمر في عناده ومقاومته، وهو يقول انا عثماني انا

محمدي انا جندي، فخاطبت استنبول بعض الضباط في قيادة فخري وأمرتهم بعزله وتسلم القيادة وتسليم المدينة والعودة لتركيا،فنفذوا الأمر حينما كان معتصمًا بالمسجد فباغتوه كبار الضباط وهو نائم فلم يبقىٰ امامه الا خيار الاستسلام له مع العهد له بسلامة الجنود وتمت المفاوضات في بير درويش حضرها من قبل علي بن الحسين العقيد صبري العزاوي وممثل بريطاني هو الكابتن غارلند والعقيد نوري الكويري، والعقيد محمد حلمي، ووقعت الاتفاقية بأن يغادر فخري باشا وكبار الضباط المدينة بعد مرور ٤٨ ساعه من تاريخ التوقيع، وان يسلموا انفسهم في مقر قيادة الامير علي في بير درويش،وبالفعل تم ذلك وقيل انه قبل المغادرة ذهب الىٰ الحجرة النبوية الشريفة وودع المدينة، وقيل انه حاول تفجير الحجرة الشريفة ولا صحة لذلك الامر بل ان الروايات تقول انه انهار امام الحجرة وظل يبكي وخرج بسيارته الىٰ جليجلة حيث استقبله الامير عبد الله وهدأ من روعه ثم غادر الىٰ موقع بير درويش حيث سلم نفسه للأمير علي ومنها نقل إلىٰ ينبع برًا وابحر به الىٰ مصر حتىٰ وصل الىٰ معسكر الأسرىٰ الاتراك، وسلمت المدينة للقوات الهاشمية في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ، ونقل الجنود إلىٰ ينبع ومنها أبحروا إلىٰ تركيا وبدأ المهاجرون من أهل المدينة يعودون إليها وبذلك انتهت المرحلة الأخيرة من العهد العثماني في المدينة المنورة، بداية مرحلة جديدة لحكم الهاشميين، وبدأ اهل المدينة يتوافدون في الىٰ العودة إليها وقد مات الكثير وفقد الكثير وغاب امر الكثير فالمعلومات التاريخية والاحصائيات تؤكد ان عدد اهل المدينة قبل التهجير كان نحو ٨٠الف نسمة، اما بعد التهجير فلم يكن سوىٰ ١٥ الف نسمه، وقيل ١١ الف نسمه، وقيل ٩ الاف نسمه، وبذلك تنتهي رحلة الزمان والمكان والتي كانت رحلة ذهاب للكثير بلا عودة للكثير غيبهم الموت واماتهم قهر الفراق وعناء التهجير رحلة من مكان الأمان والاستقرار الىٰ مكان غير المكان، حدث تاريخي لن ينساه المدنيين وسيظل التاريخ يسجل رجاله المفقودين الأحرار وتلك هي الايام تداول بين الناس ولكل زمان وقعة تختلف باختلاف الازمان ولا يختلف فيها المكان.



الشيخ إبراهيم الأسكوبي[(١)]

شاعر يثرب

هو إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب بن إبراهيم بن حسن الأسكوبي المدني الحنفي.

بيت الأسكوبي

قبل الخوض في الحديث عن شخصية الشيخ إبراهيم الأسكوبي، يجدر بنا الحديث عن بيت وعائلة الأسكوبي العريقة الفاضلة في العلم والادب، وأورد هنا نبذة عنهم عائلة مدنية هاجرت من بلدة اسكوب وهي بلدة عظيمة كانت تابعة لولاية مقدونيا في العهد العثماني في اوربا الجنوبية، وسكانها من الارناؤوط والسلاف والأتراك وهي الأن تابعة ليوغسلافيا وأكثر أهلها من المسلمين، إما رأس بيت الأسكوبي بالمدينة هو الشيخ حسين بن رجب بن إبراهيم بن حسن الأرنؤوطي الأسكوبي قدم المدينة المنورة

(١) مخطوط نشر المآثر ورقة ٣١، فيض الملك المتعالي ١/ ٦٨ ترجمة ٣٤، المنهل مجلد ٢٩ صفر سنة ١٣٦٨هـ، حلية البشر ٢/ ٧٨١، الأعلام ١/ ٣٦، الموسوعة الادبية ١/ ٦، طيبة وذكريات الأحبة ٢/ ٢٥.

عام ١٢٣٠هـ مصطحبًا إبنه حسن والذي كان يبلغ من العمر سبع سنوات، ويشير الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمة كتبه لجد إمه الشيخ الأفندي[١] حسن بن حسين الأسكوبي أن أسرتهم تعود من القسم الأرناؤودي وذكر أن جد هذه الأسرة يقال أنه هو سنان باشا الالباني كبير المعماريين الرسميين في الدولة العثمانية والله أعلم.

أقول وصل الشيخ حسين إلىٰ المدينة وطاب له المقام فيها مجاورًا وقد ترك مكانته في بلاده، وقد جلب معه مبلغًا كبيرًا من العملة الذهبية العثمانية وأبتاع كثيرًا من العقارات التي أوقفها إبنه فيما بعد علىٰ ذريته بعد وفاته بحجة شرعية مسجلة في يوم التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٦هـ، علىٰ يد قاضي الأحناف بالمدينة السيد محمد شكري بن الحاج يوسف، ولا يزال الوقف قائم اليوم محبوس عليهم وعلىٰ نسلهم حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها بارك الله في ذراريهم، وجد الشيخ حسين الأسكوبي هو الشاعر إبراهيم بن حسن الأرنؤوطي الأسكوبي المعروف بإبراهيم الأول شاعر من أكبر شعراء عصره وله ديوان شعر موجود في مكتبة شيخ الأسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة غير أنه باللغة التركية[٢]، وبيت الأسكوبي اليوم من بيوت المدينة العريقة في العلم والفضل وكلهم من عقب الشيخ حسن بن حسين الذي أعقب بنتين وأربعة أولاد هم: الشيخ إبراهيم المترجم له، ومحمد علي بن حسن، ومحمد، وحسن.

إما الشيخ إبراهيم بن حسن المترجم له: عقبه من ولده حسن الذي كان قاضيًا بملايو وعقبه من ولده عمر.

إما محمد علي بن حسن: أعقب بنتًا وولدين هما عصام، وماجد.

إما محمد بن حسن: أعقب بنتين وثلاثة أولاد: أبو السعود الذي توفي شابًا، وعباس، وحسين.

إما عباس بن محمد: فله عقب من محمد، وفيصل وفاروق.

---

(١) كلمة «أفندي» هي كلمة ذات أصل يوناني انتقلت إلىٰ اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، ومعناها السيد المطلق أو القائد المطلق هو لقب شرفي يمنح للوجهاء والأعيان من قبل السلطنة العثمانية.

(٢) ذكر ذلك الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمته.

إماحسين بن محمد: فله عقب من، وإبراهيم، ومحمد وصالح وقد أدركت العم صالح كان رجلًا فاضلًا له من أسمه نصيب وقد زرته في بيته في باب الكومة وله إبن أسمه خالد.

إما حسن بن حسن بن حسين: فقد سمي باسم إبيه لانه ولد بعد وفاته وهو مئناث لم يعقب سوىٰ بنات.

قبل الدخول إلىٰ ترجمة شاعر يثرب الشيخ إبراهيم يجدر بنا الحديث عن والده:

الشيخ العلامة الفلكي حسن بن حسين الأسكوبي[١]

ولد رحمه الله في سنة ١٢٢٣هـ في بلدة أسكوب[٢]، وهاجر مع والده وعمره سبع سنوات إلىٰ المدينة المنورة، وصفه الدفتردار بقوله فيما نقله عن والدته أنه أبيض اللون ذهبي الشعر له عينان تشبهان السماء زرقه نحيل الجسم ممشوق القامة اهـ.

وفي المدينة حفظ القرآن الكريم ودرس علىٰ جهابذة مسجدها العظيم وكان من مشايخه والدُه الشيخ حسين الأسكوبي، فقد درس عليه فن الهندسة والعلوم الرياضية وكان أكثر اهتمامه بعلم الفلك وقد برع فيه، وعندما بلغ من العلم ما بلغ، تصدّر رحمه الله للتدريس في المسجد النبوي الشريف، وكانت حلقته من أكبر الحلقات، وصوته يدوي في المسجد، ولم تكد تمضي فترة طويلة حتىٰ أمرت السلطة العثمانية بتعيين الشيخ حسن الأسكوبي إماما وخطيبا للمسجد النبوي الشريف علىٰ المذهب الحنفي، ومن آثاره تلاميذه منهم: ولده الشيخ إبراهيم أسكوبي، الشيخ عثمان داغستاني، والشيخ طاهر سنبل، والشيوخ عبد القادر ومأمون وعارف بري، والشيخ يحي دفتردار، والشيخ عبد الجليل برادة، والشيخ زاهد محمد زاهد، والشيخ عمر زاهد وغير هؤلاء، وإضافة إلىٰ دروسه بالمسجد النبوي فقد كان رحمه الله يلقي دروسا في ديوان منزله بزقاق الكبريت.

الأسكوبي صاحب أول مرصد فلكي في المدينة

ويبدو أن الشيخ من هؤلاء الذين وهبهم الله الذكاء والنباهة، فقد تعمق في علم الفلك، فسافر إلىٰ أوربا وجلب معه مرصدا فلكيّا ومناظير وأسطرلابات[٣] وزوايا،

---

(١) جريدة المدينة ترجمة بقلم الشيخ محمد سعيد دفتردار ١٢/ ٥/ ١٣٧٩هـ، الأعلام ٢/ ١٨٦.

(٢) من بلدان (يوغسلافيا). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٣٥).

(٣) آلة فلكية قديمة أطلق عليها العرب اسم: ذات الصفائح، وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يظهر كيف تكون السماء في مكان محدد عند وقت محدد، وكان أول إسطرلاب في الإسلام صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري المتوفىٰ نحو (١٨٠هـ) في دولة أبي جعفر المنصور المتوفىٰ (١٥٨هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١١٧).

وأقام مرصدا فلكيا علىٰ سطح بيته يزاول فيه رصد الأفلاك ويقدر سيرها ومنازلها، وقد برع وانهمك في هذا العلم حتىٰ أنه كان يسهر الليالي في مراقبة النجوم السيارة وبذلك يعد صاحب أول مرصد فلكي في المدينة.

ولكن علماء المدينة لم يناسبهم ما فعله شيخنا فثاروا عليه وأنزلوا ما علىٰ سطحه من مناظر وأسطرلابات وزوايا، ورموه بالتشبه بالنصارىٰ وقاطعوه وهجروه، وقال فيه تلميذه الشيخ عبد الجليل برادة أرجوزة شعرية اقتطفت منها ما يأتي:

ما قولكم في شيخنا الأسكوبي ... يبيت طول الليل في الراقوب

يقول إن البدر في المحاق ... المشتري في حلبة السباق

وقال:

وزحل الجانح للغروب ... والشمس عند المحمل الربيب

يا شيخنا دع النجوم سائرة ... وعد إلىٰ درس علوم الآخرة

سبحانه في ملكه الكبير ... حلّ عن الشبيه والنظير

ذات البروج علمها للباري ... جلت علىٰ الآلات والمنظار

ويبدو أن القصيدة طويلة جدا، كما وصفها الدفتردار في ترجمته، ومن الواضح أن الأسكوبي إلىٰ جانب علمه في الدين والفلك فقد كان شاعرًا أيضا، وفي شعره جمعٌ بين الأصالة والحقيقة، فقد ردّ علىٰ تلميذه عبد الجليل بقوله:

نسيت أن الله قد دعانا ... في قوله ألم يروا مولانا

ولا ينافي الدين بحث ونظر ... في ملكوت الله جل من فطر

بل حثنا للفكر في الوجود ... وما برا من عالم الشهود

ففي الوجود آية الكمال ... لقدرة الإله ذي الإجلال

يمسكها مشرقة وغاربة ... يعلمها خايبة وثاقبة

إلىٰ أن يقول:

علمي بها يزيدني يقينا ... ورَشَدا أنفي به الظنونا

وردُّ الشيخ الأسكوبي يدلّ علىٰ إيمانه القوي وارتباطه مع الله ﷻ وتأثره بحلمه، ولقد أصيب الأسكوبي بصدمة نفسية إثر الذين قاموا عليه، فاعتزل الناس وبقي في بيته يدرس خواص طلابه، ثم مرض في آخر حياته إلىٰ أن توفي.

ومن آثاره في هذا المجال مزولة[(١)] كانت بالمسجد النبوي، وله مؤلفات في «علم الهيئة» و«الميقات» و«طريقة استعمال آلات المراصد الفلكية»، وقد خلف مكتبة عامرة في هذا العلم، وبيعت جميع تلك المكتبة والآلات في تركة ابنه الشيخ إبراهيم أسكوبي الآتي ترجمته، وقد انتقل الشيخ حسن بن حسين الأسكوبي إلىٰ رحمة الله تعالىٰ في ١٢ رمضان سنة ١٣٠١هـ وصُلّي عليه بالمسجد النبوي الشريف، ودفن في بقيع الغرقد، وبوفاته فقدت المدينة المنورة أحد علمائها الفطاحلة رحمه الله وأحسن إليه[(٢)].

نكتفي بهذا القدر ونواصل الحديث عن شاعر يثرب إبراهيم الأسكوبي:

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٢٦٤هـ في عائلة مشهورة بالعلم والفضل.

كان رحمه الله نحيف الجسم، أبيض اللون، مستطيل الوجه، واسع الجبهة خفيف اللحية، أقنىٰ الأنف، واسع الفم، أسود العينين، يرتدي الثياب الواسعة، ويضع علىٰ رأسه جبة[(٣)]، قصيرة، وهو زي العلماء في ذلك العصر.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد كان رحمه الله واسع الاطلاع، مرح النفس، فيه هيبة العلماء ووقارهم؛ متواضع شهرته ذاعت في العالم الإسلامي بأكمله، لا تأخذه في الحق لومة لائم.

قال الدهلوي في الفيض[(٤)]: الإمام الخطيب بالمسجد النبوي، الحنفي، العالم الفاضل، صاحب الكمالات الظاهرة، والعبارات المتواترة، والإشارات الباهرة، صاحب مكارم أخلاق وكرم.

---

(١) المزولة: الساعة الشمسية التي يعيّن بها الوقت، بظل الشاخص الذي يثبت عليها، جمعها مزاول.

(٢) انظر مصدر سابق ترجمة بقلم الشيخ محمد سعيد دفتردار في جريدة المدينة.

(٣) طاقية يغطىٰ بها الرأس معروفة في الحجاز يلف حولها العمامة.

(٤) مصدر سابق.

تعليمه:

عندما بلغ الشيخ إبراهيم سن التعلّم أدخله والده كتّاب الشيخ الحافظ حمد بن قاسم المغربي، فحفظ القرآن الكريم مع حفظه لبعض القراءات.

ثم أخذ بعد ذلك يتعلم فنّ الخطوط العربية الجميلة وأنواعها علىٰ الأستاذ حمدي أفندي البرسي، ثم طاف بعد ذلك بحلقات المسجد النبوي الشريف فدرس أولا علىٰ يد والده علم الفلك وبعض العلوم الأخرىٰ ثم تلقىٰ النحو والصرف واللغة العربية والبلاغة والمنطق علىٰ يد الشيخ العلامة عبد القادر الطرابلسي الأدهمي، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة الشهير أديب الحجاز عبد الجليل برادة(١) في الروضة الشريفة فدرس عليه العروض والقوافي ومقامات الحريري وأدب الكاتب لابن قتيبة وأمثال الميداني ومقصورة ابن دريد، ويتيمة الدهر للثعالبي، وديوان أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة الشيخ غلام النقشبندي الهندي، ودرس عليه علم التوحيد والفرائض والحساب واللغة الفارسية والحديث.

ثم التحق بعد ذلك مرة ثانية بحلقة والده الشيخ حسن الأسكوبي ودرس عليه علوم التفسير والحديث والفقه الحنبلي والأصول والفلك، ثم درس بعد ذلك علىٰ يد الشيخ حبيب الرحمن الهندي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدرسا للعلوم السائدة في عصره من فقه وتفسير وحديث وفرائض ونحو وصرف وغير ذلك.

وبعد أخذه للعلوم الدينية والأدبية، أجازه علماؤه بالتدريس، وعرف في مجتمعه بميوله الأدبية البحتة، فقد حفظ كثيرا من شعر العرب القدامىٰ، وحفظ تراجمهم واحدًا واحدًا، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجيد غير لغته العربية لغات إسلامية أخرىٰ: هي الفارسية والتركية والأوردية، مما جعل نطاق معارفه واسعا واطلاعه أوسع، وقد نبغ في العلوم الدينية نبوغا هائلا، وفي العلوم الأدبية لا يدانيه أحد في ذلك، فقد شهدت المدينة بأكملها له بذلك ودان له جميع شعرائها.

---

(١) انظر ترجمته في موضوعها من هذا الكتاب.

دروسه بالمسجد النبوي:

لقد انصرف الشيخ إبراهيم يتزود في العلوم هو يافع السن، فعلم شيوخه به وقربوه إليهم وآثروه علىٰ غيره، ثم أذنوا له بالتدريس وهو صغير السن، ففي بداية القرن الرابع عشر الهجري(١) تصدر الشيخ إبراهيم الأسكوبي للتدريس في المسجد النبوي وأضاف اسمه إلىٰ قائمة علماء الحرمين الشريفين، يدرّس في الروضة النبوية صحيح الإمام البخاري، فما لبث حتىٰ عُيّن خطيبًا علىٰ منبر سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكانت حلقته رَحِمَهُ اللهُ تكتظ بطلاب العلم لتمَكُّنه من العلوم، فقد درّس الفقه والحديث والتفسير وعلم الأدب، فأسلوبه حسن وعلمه واسع.

قال البشير الإبراهيمي في آثاره: «**وأخذت أيام مجاورتي بالمدينة علم التفسير عن الشيخ الجليل إبراهيم الأسكوبي وكان ممن يشار إليه في هذا العلم مع تورّع وتصاون هو فيهما نسيج وحده . .**»(٢).

الأسكوبي شاعر يثرب

حينما نود أن نتحدث عن شاعرية الشيخ الأسكوبي نرىٰ أنه قد عاش في فترة زمنية تعد من الفترات المتأخرة، ولا يوجد بها ذلك التقدم، ولكن مع ذلك استطاع الشيخ الأسكوبي الظهور وإظهار شاعريته العظيمة، ولم يكن الأسكوبي وحده في المدينة النبوية والحجاز، فقد كان معه في ميدان الأدب الحجازي علماء وشعراء مكيين ومدنيين أمثال الشيخ: عبد الرحمن الجوهري الأشرم المكي، والشيخ محمد العمري المدني، والشيخ عبد الجليل برادة والشيخ عمر كردني الكوراني، وغيرهم ممن لا يمكن حصرهم.

فقد طرق شاعرنا الأسكوبي جميع أبواب الشعر العربي التقليدية من مديح ورثاء ووصف وهجاء وغيرها.

---

(١) انظر الموسوعة الأدبية لعبد السلام الساسي ١/ ١.

(٢) آثار البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٧٦).

يقول الدكتور الخطراوي[١]: وبالرغم من إعجاب الأسكوبي بأحمد شوقي والإقرار له بالشاعرية واعتبار الإجتماع به أمنية، وبرغم اعجابه أيضا بسليمان البستاني معرب الإلياذة وامتداحه علىٰ ما قام به من جهد في هذا التعريب، فإن شعره لم يتأثر بشعر شوقي ولا بأسلوب معرب الإلياذة ولا بغيرهما من قريب أو بعيد، ولعل ذلك راجع إلىٰ عدم توافر الوقت لديه لتمثل ما يحتك به من ثقافات أو إلىٰ وفائه للسائد القديم[٢].

أقول: إن شعر الأسكوبي يدل علىٰ أصالة جمعت بين القديم وشيء من التجديد، ولم يكن إعجاب الأسكوبي بشوقي والبستاني هو تقليدهم وعدم استطاعته لذلك، بل إنه جدير بذلك وأكثر ولكنه كان معتزا بقديمه ولا يرغب في تغييره.

وفي نظري أنه بالرغم من أن الأسكوبي قرأ العلوم الدينية وبرع فيها إلا أن ميوله الأدبية والشعرية طغت عليه، فبالرغم من أنه كان مدرسا في الحرم النبوي الشريف للفقه والحديث والتفسير والأدب وغير ذلك إلا أنه في الشعر اشتهر بين أقرانه، فلعله نظم الشعر في سن مبكرة من العمر ولكن لم نجد له ما يوحي بذلك والله أعلم.

وقد قال فيه صاحب الموسوعة إنه من أبرز شعراء المدينة المنورة[٣]، ويقول فيه عبد الله عبد الجبار: لم يكن الأسكوبي خطيب المسجد النبوي رجل دين يعنىٰ بالثقافة الدينية فحسْب، وإنما كان إلىٰ ذلك أديبا يعنىٰ بالثقافة الأدبية وبتزويد عقله بأنواع المعارف والثقافات، فقد كان طُلعة يقرأ الكتب الأصيلة في العربية أو المعربة إليها.

ويعده الأستاذ محمد سعيد العامودي علىٰ رأس شعرائنا الحجازيين في أواخر العصر العثماني[٤].

(١) محمد العيد بن فرج بن محمد الخطراوي (١٣٥٣-١٤٣٣هـ) الدكتور الأكاديمي من منسوبي جامعة طيبة، أحد اغصان اسرة الوادي المبارك وآخرهم أديب وشاعر ومؤرخ مدني عني بتراث الشعراء المدنيين، أدركته وكان من فحول شعراء عصره في التحقيق، وله أسهامات كبيره في تاريخ المدينة المنورة وبالأخص في تاريخ الادب والتعليم بالمدينة المنورة.

(٢) مقدمة الديوان ص (١٤-١٥) للدكتور الخطراوي.

(٣) الموسوعة الأدبية لعبد السلام الساسي ١/١.

(٤) مصدر سابق ٦/١.

ونحمد الله ﷻ أن ديوان الأسكوبي لم يُفقد كغيره من دواوين الشعراء المدنيين، والذي فُقد من الديوان شيءٌ يسيرٌ لا يعد، ولعلي هنا أورد بعض نماذج من أشعاره والأغراض الشعرية التي تناولها الشاعر:

فأولها المديح: وهو الغرض الغالب علىٰ طبيعة الديوان وهو موجه إلىٰ الشريف علي بن عبد الله أمير مكة، كما أنه مدح أستاذه عبد الجليل بقصيدة، ومدح أستاذه حبيب الرحمن الكاظمي، وأحمد شوقي، وسليمان البستاني، والخديوي عباس حاكم مصر وغيرهم.

فمن شعره في المديح: قال في طرخان باشا علىٰ لسان بعض الناس وقد سأله مدحه حين ولي نظارة الأوقاف سنة **١٣٢٢**هـ:

لسلطاننا الشهم عبد الحميد ... عظيم مزايا بما لا مزيد
وأنظار لطف إذا لاحظت ... من الناس شخصا دعي بالسعيد
هنيئا «لطرخان باشا» الهما ... م سمير المعالي الوزير الوحيد
بأنظار دولة سلطاننا ... عليه بمنصب خير جديد
فلله درك من عاقل ... يدير الأمور برأي سديد
ويسمو إلىٰ المجد فيهمة ... وخلْق رحيم وعزْم شديد
لأوقاف أمة خير الورىٰ ... توفقت يا خير فرد رشيد
فأضحت نظارتها في الهناء ... ترىٰ يوم وُلّيتها يوم عيد
فعش طيب النفس فيما تحب ... مُعانًا بعون الحميد المجيد
ودم في عناية سلطاننا ... بذكر جميل ووصف حميد

٢- الغزل: وكان أرقَّه ما كتبه في سنة **١٣٢٧**هـ في ممرضة حسناء اسمها دعد، قامت علىٰ تمريضه في أثناء العملية التي أجريت له في لبنان بسبب فتاق قديم كان أصابه وأقض مضجعه عدة سنوات، فتغزل فيها بقصيدة نقتطف منها الأبيات التالية:

يا ربة الحسن يا دعد فديتك لي ... والناس أجمعهم عندي فدىٰ وعد

ما كنت أحسب دار الخلد أدخلها قبل الممات بلا ريب ولا حمد
حتىٰ وصلت إلىٰ بيروت معتمدا رتق فتقي بالمولىٰ العلي الفرد
فقابلتني برحب الصدر غانية عذراء حورية فرت من الخلد
شفيت أول يوم قد نظرت لها من السرور الذي استولىٰ علىٰ كبدي

٣- **الرثاء**: لقد كان الشيخ الأسكوبي شخصًا اجتماعيًّا معروفًا في الحجاز كله، وعن أصدقائه فحدث ولا حرج، فقد رثىٰ بعض أصدقائه ومعارفه، وأطول رثاءٍ له في الشريف عون الرفيق، وله قصيدة رثائية مؤثرة في أخيه محمد، ونقتطف هنا من قصيدته المرثية التي قالها في الشريف عون الرفيق بعد وفاته في سنة **١٣٢٣**هـ:

إلىٰ الله مرجعنا والمرد وليس سوىٰ الله يبقىٰ أحد
ولا بد لشيء من غاية إليها المصير وللعمر حد
وكل زمان له دولة فسبحان من بالبقاء انفرد
فلله من غوث أمن ثوىٰ ومن غيث جود وجدوىٰ فقد
فمن شام قبلك بذرا سرىٰ نهارًا لبرج من الترب مد
سأبكي عليك مدىٰ الدهر ما غمام أصاب ورعد رعد
وأرثيك شكر لا بد لها علىٰ أياد علت كل يد
لقد طبت حيا فطب ميتا فما مثلك اليوم ميت أحد

٤- **الإخوانيات**: من ابداء شوق لغائب أو عتاب صديق عزيز، أو مفاكهة، أو تهنئة بمولود أو ما يمكننا أن نسميه بالرسائل الشعرية أو نحو ذلك.

٥- **الوصف**: وقد تميز رَحِمَهُ الله بالدقة في هذا الأسلوب، فقد وصف القمر ووصف مدنية دمشق وقلعة بعلبك، ووصف شرب الشاي والقهوة العربية وغير ذلك، وأهم قصيدة في ذلك وصفه للقطار والسفن البخارية في أسلوب مفاخرة أو مناظرة أجراها بين الإثنين تحت عنوان «المفاخرة بين وابور البحر ووابور البر» والقصيدة طويلة جدًا نقتطف منها بعض الأبيات:

المفاخرة بين وابور البحر ووابور البر

حمدًا لذي المنة والإحسان منطق الإنسان باللسان
لأن يبين ما علىٰ الجَنان من نعمة أفاضها ذو الشان
وحكمة تبقىٰ مدىٰ الأزمان
ثم أصلي وأسلم علىٰ محمد خير نبي أرسلا
وآله، من أدركوا أقصىٰ العلا وصحبه نجوم هديه الألىٰ
به أضاؤوا سبل الإيمان
وبعد فاسمع هذه المفاخرة وما بها من أدب المناظرة
ما بين وابور يعدّ باخرة وآخرٌ في البر، كيف صادره؟
كلاهما كفرسي رهان
فيا لها من قصة لطيفة عجيبة غريبة ظريفة
في حسنها ووصفها وصيفة من فكرةٍ نيّرة حصيفة
أتت بها في أحسن البيان
حتىٰ غدت بينة التصوير واضحة البيان والتعبير
جلّت عن المثيل والنظير كالشمس أو كالقمر المنير
ذات جمال باهر البرهان
تغني اللبيب عن سماع العود وعن تعاطيه ابنة العنقود
في منطق كاللؤلؤ المنضود وحكمة أو مثلٍ شرود
يربي علىٰ الياقوت والمرجان
يُعجب حسنها الذي لا يَعجب إذا سمعتها لعمري تطرب
فما الفُنُغراف لديها يُحسب ولا الفُتُغراف العجيب أعجب
منها لدىٰ التصوير والبيان

لـو نـظـمـت مـن لـفـظـهـا الـعـقـود   لـمـا تـحـلـت بـسـواه الـخـود
بـهـا الـبـخـيـل دائـمـا مـحـمـود   إذ أَرْخـصـت فـي مـثـلـهـا الـنـقـود
فهْي سكاب نخبة الزمان

فـاسـمـع مـمـا أدته مـمـا قـد جـرىٰ   علىٰ لسـان الحال ما بـيـن الـورىٰ
ونَـسَـبـتْ لـلـسـلـك هـذا الـخـبـرا   مـحـرَّرا مـسـطَّـرا كـمـا تـرىٰ
من غير ما زيد ولا نقصان

فـي الـبـحـر وابـور كـبـيـر الـقـدر   ضخم الجهات وعظيم الصدر
يـخـتـال فـي تـيـهٍ لـه وكِـبْـر   ولا يـرىٰ مـثـيـلـه فـي فَـخْـر
من عُجْبه وشدة الطغيان

ويمضي الأسكوبي قائلا في آخر المفاخرة هذه الأبيات الجميلة:

فـشـكـرا الـتـفـاتـه الـجـلـيـلا   وسـعـيـه وصُـنـعَـه الـجـمـيـلا
وبَـرَّ كـلٌّ مـنـهـمـا الـقـبـيـلا   يـراه قـد صـار لـه خـلـيـلا
وختما بالشكر للمنان

❀ ❀ ❀

مـا أحـسـن الأشـيـاء يـومًـا إن أتـت   عـن أهـلـهـا لأهـلـهـا وصـادفـت
مـحـلُّـهـا كـمـا لـديـك قـد ثَـبَـت   فـي هـذه الـبـديـعـة الـتـي وفـت
بكل بيت جيّد العمران

مـن صُـنـع إبـراهـيـم الأسـكـوبـي   خطيب (دار الهجرة) المنسوب
لـخـدمـة الـعـلـم بـهـا الـمـحـسـوب   علىٰ الشفيع الهاشمي المحبوب
(طه) البشير سيد الإنسان

وأخـتـم الـمـقـصـد مـن كـلامـي   بـأفـضـل الـصـلاة والـسـلام

علىٰ النبي أشرف الأنام وآله وصحبه الكرام

ما تُليت علىٰ مدىٰ الأزمان

٦-**الشعر السياسي**: ويتمثّل في قصيدته يا آل عثمان والتي سنتحدث عنها في جانب آخر من هذه الترجمة.

٧- **التعريب عن التزكية**: فقد قام بتعريب قصيدة في وصف مسكن وأخرىٰ غزلية كما عرّب مقطوعة في الشكوىٰ ثم حاول أن يحتذيها في مقطوعة أخرىٰ، وليته أكثر من هذا المجال بالذات، وهناك أغراضٌ أخرىٰ ألمّ بها إلماما قليلا كالشكوىٰ والأحاجي والألغاز.

ومن أبياته الجميلة:

ساعات عُمْر خَلَتْ عن سيء الفكر عمي بها الدهر لم تُحسبْ من العُمُر

مرّت بإخوان صدق ساقهم قدرٌ إلىٰ اجتماع بروضٍ طيب عطر

زاكي النسيم، أنيق الشكل حفّ به ألوان زهر زهت في أحسن الصور

وردٌ وفلٌّ ونسرين زكا أرجا وياسمينٌ وأشكال من الزّهر

ومنها أيضا:

إني أرىٰ الفضة البيضاء قد رخصت وكل يوم لها في سعرها نقص

والكل كان بها من قبل مفتتنًا وكل شخص بها في نفسه حرص

أخشىٰ علىٰ أنها من بعدُ لو تركت من غير حفظ لها لاستهزأ اللص

فهل إذا أصبحت مثل النحاس لنا اسـ تعمالها جائز إذ ذلّها الرّخص

وفي الدماء وحدٌّ والديات كذا يبقىٰ لها الحكم في التقدير والنصُّ

أريد منكم جوابا شافيا فعسىٰ حبرٌ يجيب له في بحثه فحص

وبعد عرض هذه المختارات، وبعد أن طال بنا نفس القول في شعر الأسكوبي، ولكن القصد في دراسة هذا الشعر هو تصوير شخصية الترجمة ما أمكن، فإذا كان المترجم له عالما أو شاعرًا وجب أن نقدم صورة لإنتاجه لتكون أصدق أداءً وأوفىٰ

تعبيرًا، وإني أقول مخلصًا إني لم أوفِّ الشيخ حقه فهو من أولئك العباقرة الذين لا يمكن أن نوفيهم حقهم، ومن يرد الاستزادة من شعره فعليه بديوانه المطبوع الذي حققه حضرة الدكتور الفاضل محمد العيد الخطرواي ﷺ وجزاه خير الجزاء.

الأسكوبي والسجن السياسي

يعد الشيخ أول من فتح باب الشعر السياسي بين شعراء جيله لا سيما في الحجاز، وقد رجح المؤرخون أن أول قصيدة سياسية في الشعر الحجازي الحديث، هي القصيدة السياسية العصماء التي نظمها الشاعر الأسكوبي ينصح بها الحكام العثمانيين من غوائل الغرب وحكوماته، يوجهها بطريق صيحة وارشاد وتنبيه، ويثبت فيها أنه شاعر مسلم، ويظهر في كل بيت أنه مخلص كل الإخلاص لدولته العثمانية، وقد نظمها الشيخ الأسكوبي في أواخر العهد العثماني، وقبيل الحرب العالمية الأولىٰ، ولعل السبب يعود في نظمها للصدمة التي منيت بها الشعوب العثمانية حين احتلت إيطاليا ولاية ليبيا وتخاذل العثمانيون إزاء ذلك الغزو الإستعماري، وحال ظهور القصيدة العظيمة والتي اختير لها اسم «الأسكوبية المدوية» ثم قامت الصحف بإذاعتها والتعليق عليها، ولم يقصد الأسكوبي بهذه القصيدة الانفصال عن الترك كما كان كثيرون من رجالات العرب يؤمنون بهذه الفكرة في ذلك الحين، فكان يخاطب الدولة العثمانية علىٰ أنه عثماني كما يخاطبها أي رجل عثماني.

إنّ «**الأسكوبية المدوية**» كان لها الأثر الكبير في نفوس الشعوب، فقد كانت خارجة عن إحساس عميق خوفا علىٰ تفكك الأمة الإسلامية، والخطر الذي يهدد الأمة وهذا ما جعل الناس يلتفون وينتبهون، فطُلِب الشيخ الأسكوبي إلىٰ إسطانبول من قبل أولي الأمر الاتحاديين وحاكموه علىٰ قصديته، وهذا هو مصير المصلحين في كل مكان، ووجهوا له التُّهم المختلفة، ولكن الأسكوبي ذلك العالم والشاعر المدني، الإمام والخطيب والمدرس بالمسجد النبوي، استطاع أن يجيبهم بما يقنعهم، حتىٰ نجا من حبائل الشر، وفي نفس الوقت أخذ يناصره بعض رجال الدولة، وعندما اقتنعوا من براءته عُرِض عليه منصب كبير في وزارة المعارف، ولكنه رفض وعاد إلىٰ المدينة المنورة معززًا مكرمًا.

هذه تضحية عظيمة من الشيخ الأسكوبي، ولكن الله كان معه حتىٰ خرج من هذه المحنة بكل شرف؛ والقصيدة تعد من ستين بيتا تقريبا، وها نحن نعرضها كلها، ونتمتع بقراءتها ونفخر بها ونترحم علىٰ قائلها:

يا آل عثمانَ فالمغرورُ من غُرّا ... بأهلِ أوربةٍ، أو عهْدِهم طُرّا

أتأمنون لمَوْتورين ديْدَنُهم ... أن لا يَرَوْا منكمُ فوق الثرىٰ حُرّا؟

تمالؤوا، فخُذوا حِذْرًا فإنهمُ ... يرَوْن إبقاءَكم بين الورىٰ ضُرّا

فهذه دولةُ الطليان حين رأتْ ... أسطولَكم ليس يُغني، فاجأت غدرا

وشقَّتِ البحرَ بالأسطول معجبةً ... تختالُ تِيهًا به، مغرورةً سكْرىٰ

وأنزلت بطرابلْسٍ عساكِرَها ... فهل «أرُبَّةُ» كفَّتْ عنكمُ الشَّرّا

فما علىٰ مَنْ رأىٰ لحمًا علىٰ وَضَمٍ ... يجترُّه غيرُه، لومًا إذا اجْتَرَّا

أتركنون لمن دبَّ الضِّراءَ لكم ... ومَدَّ عُنْقًا يُغادي سرحَكم عقْرا

دون الدنيئةِ إيثارُ المنيَّةِ في ... قومٍ من البغض ودُّوا محْوَكم مكْرَا

لاتحسَبوا أنهم ناسون ما فعلتْ ... أسلافُكم بهمُ في سالفٍ مرَّا

أو يجهلون التواريخ التي سُطِرَتْ ... ومنكمُ همْ بما في كُتْبكم أقْرَا

أوْ ما دَرَوْا ما الذي التنزيلُ أنزلَه ... من الجهاد وهذي صفحةٌ تُقْرا

هي التي أنتمُ فيها منازلُهم ... غصبتموها عليهمْ فاعلمُوا قهْرا

من يجحدِ الشمسَ يجْحدْ أنها لهمُ ... كانتْ فجَعْجَعْتمُ مَلْئًا لها جبرا

أيقظتموهمْ بضربِ السهم فانتبَهوا ... من نومهم ورقدْتم أنتمُ الدهرا

فليتكم ما خطَوْتم نحوَهم قُدُمًا ... وما أغَرْتم علىٰ أملاكهم شِبْرا

نبَّهتُموهم فشدُّوا نحوكم حنَقًا ... كأنكم قد أقَلْتُم منهم العَثْرا

فجدَّدوا عُددًا للحرب فاتكةً ... بَرًّا وبحرًا، فجازوا البرَّ والبحرا

والله أرسل طه رحمةً وهدًىٰ ... لكلِّ ما نفعتْ أنوارُه نشْرا

فعمَّتِ الخلقَ نفعًا بالعلوم فمِن ... كسَّاب دنيا أو الدنيا مع الأخرىٰ

فقامتِ العُرْب قبل الناس أجمعهم ... دنيا ودينًا وشدُّوا عزْمَكم أزرا

فجدَّ جدُّهمُ جهدًا بما شرعتْ ... شرائعُ الدين حتىٰ وطَّدوا الأمرا

وأهل أوربةٍ والغربُ أجمعُه ... في ظلمةِ الجهل تستاقونَهم أسرىٰ

فتَحْتُمو بكتاب الله أرضَهُمُ ... فأصبحتْ بكمُ من رجسهم طُهْرا

ثم اجْترأتمْ علىٰ الدين القويم بما ... يسوءهُ بِدَعًا كادت تُرَىٰ كفرا

فحينما انتبهت أعداؤُكم لكمُ ... مسلَّحين يدكُّون الدّنا زأْرا

رجعتمُ القَهْقرىٰ عنهم مداهنةً ... فزادَ طغيانُهم من بعدها كِبْرا

فمَن كمصرَ وأرضِ الهندِ نام لهم ... أرَوْه كيف يُرَىٰ نجمُ السُّهَىٰ ظُهرا

ومن تنبَّه «كالجابون» ردَّهَمُ ... مثلَ النعاجِ علىٰ أعقابهم قسْرا

فما بقي غرضٌ للقوم عن كثبٍ ... يُرَمىٰ سواكمْ وطيرًا يقبل الزجرا

وأنتمُ تحسبون الدهر مالَ بكم ... ضعفًا ووَهْنًا وألقاكم لهم جَزْرا

عجزتمُ فاستوتْ آراؤكم عجبًا ... في الداء هذا الذي أعيا بأن يَبْرا

حتىٰ قربتم علىٰ أن تيأسوا أملًا ... من الشفاء ولم تستدركوا العُمْرا

فأقبلتْ حكماءُ السوءِ عامدةً ... تسمُّكم كي تموتوا موتةً كبرىٰ

سلوا الحَشايا التي ملَّتكمُ تَرَفًا ... هل قبلُ كانت لأجدادٍ لكم تُطْرىٰ هل

أو الأسرَّةَ تعلو فوقها كِلَلٌ ... تعبر البحر إن رُمتم بها عَبْرا

بئستْ بها راحةٌ أفضت إلىٰ تعبٍ ... عمَّ البلاد وأعمىٰ دارَكم فقرا

هل من خبيرٍ بداءٍ في قلوبكم ... أعمىٰ البصيرةَ حتىٰ أغلق الفِكْرا

عقائدٌ فسدتْ فيكم فأفسدتِ الْـ ... ـمُلْكَ العظيمَ، وأفشت فيكم الذُّعرا

ظننتم أن دين الله أخّركم ... عنهم وهم حمِدُوا كفرا به المسرىٰ

لا تظلموا رحمة للعالمين أتت ... أهدت إلىٰ حِكم عظمىٰ جرَتْ نهرا
فلو عملتم بها ما فاتكم أحد ... سبْقا ولا أحد يوما بكم أزرىٰ
تذكروا كم خطيئات لكم سلفت ... بها تأخرتم عنهم أبت حصرا
تا الله تا الله إن لم تتبعوا الذكرا ... مالوا عليكم فلم يبقوا لكم ذكرا
نعم الشفاء بقرآن الإله إذا ... قبِلْتموه وإلا فاسكنوا القبرا
إن تنصروا الله ينصركم فكم فئة ... قليلةٍ غلبت أمثاها كُثرا
يا للرجال ثقوا أن ليس ينفعكم ... إلا ثباتُكم كي تركبوا الوعرا
وأن تخوضوا غمار الموت منزعةً ... من كل أغلَبَ من ليث الشّرىٰ أَجْرا
مسلحين بما أوفىٰ العدو به ... من السلاح وأن توفوا له صبرا
فهذه العُرْب والأتراك قاطبة ... ما عندهم منه ما يكفيهم قدرا
فرخصوا لجميع المسلمين به ... بل اكشفوا لهم عن صنعه السترا
فيصنعوه بأيديهم فيغتنموا ... حياتهم ويَفُوا مولاهمُ بِرّا
فليس عندهم علما بصنعته ... ولا تركتم لهم في أرضهم حذرا
قطعتم فاتقوا المولىٰ عزائمهم ... حتىٰ غدوا نَعَما تستنظر النحرا
فلا لكم قوة في دفع أوربةٍ ... ولا تسبَّبْتمُ أن يأخذوا حِذْرا
فالله يسألكم عنهم وعن بدع ... جهلا رضيتم بها في دينكم تُجرىٰ
عليكم وزرهم أن أصبحوا هدفا ... يُرْمىٰ، وليتكمُ استعظتُم الوِزْرا
لو ألف عام طلبتم علم أوربة ... وحالكم هذه لم تبلغوا العُشرا
لم يكف ما طار من صيتٍ لهم خَبَرا ... حتىٰ يطيروا فطاروا فوقكم خُبْرا
مكاتبٌ كخيال الظل هل أحدٌ ... سما بها فضله أو طالب أثرىٰ
إن كان مبلغكم في العلم ذلك فالـ ... ـالجهل البسيط بكم من غيره أحرىٰ

فاليوم أنفع علم في البنادق وال — بيض الصوارم تنفي العار والعرا
فنبهوا من بقي من أهل ملتكم — ولا تُبقّوا لهم يوم الوغىٰ عذرا
ودربوهم علىٰ تعليم صنعة ما — يغنيهموا واطلبوا المولىٰ بذا الأمرا
وألقموا حجرا من قال إنهم — إذا شكوه حملتم أنتم العسرا
وفارقوا أربعا كانت تذلّلهم — فلم يبقّوا لكم نهيا ولا أمرا
ليخسأ الخاسر الملعون غشكم — فهل بنا هو مِن ربِّ السماء أدرىٰ . . ؟
والله يأمرنا أن نستعد لمن — عاداه كي لا تولُّوا في الوغىٰ دُبْرا
فإن فرضنا بأن شق العصا رجل — لا بد آخر يسقيه الردىٰ مرا
وإن به فئة قامت مسلحة — بغيا عليكم به قامت لها أخرىٰ
كان السلاح سلاح المثل قبل بلا — ريب وكانت ملوك تُرْعب القُطرا
يكفي من الغش ما ضاع الزمان به — فما بقي ما سوىٰ أن يلعقوا الصّبْرا
وتتبعوا الشرع في نيل العَلاء وفي — نصر الإله إذا ما رمتم النصرا
وأن تكونوا من الدين الحنيف علىٰ — أقوىٰ اتساقٍ وأن لا تظلموا العَصْرا
نصيحةٌ حقها النصر المبين لكم — عسىٰ عسىٰ بعدها أن تنفع الذكرىٰ
والله أرسل طه رحمة وهدىٰ — بالعدل والأمن لا تعصوا له أمرا
والله أرجو بطه العفو في زمن — وأن يبدِّلنا من عسرنا يسرا
وبالصلاة أخصُّ المصطفىٰ شرفا — والآل مع صحبِه والعترة الغَرّا

والحقيقة أن القارئ للقصيدة والمتبحر في معانيها يعجب بما فيها من ألفاظ ورجاء، ودعاء كما أن الشيخ الأسكوبي كان يتنبأ لأنه لو استمر الحال علىٰ ما هو عليه فسوف تنهار الدولة بما فيها، وقد كان نظم القصيدة سنة ١٣٣١هـ وهي سنة وفاته، ومضت خمس سنوات علىٰ القصيدة وانهارت الدولة العثمانية فسبحان الله العظيم.

الأسكوبي وأمراء مكة

وقد لقي الشيخ الأسكوبي حظّا كبيرًا لدىٰ أمراء مكة من الأشراف، وعلىٰ الأخص الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون، ففي سنة **١٣١٩**هـ اتصل بالشريف عون فأحبه وأجزل له العطاء وأغراه بالانتقال معه إلىٰ مكة فترة من الزمن، ومن بعده لقي حظا عند الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون ابن أخي الشريف عون الرفيق، وقد خصهما بأكثر مدائحه، وبخاصة الأمير علي، فلا تكاد تأتي مناسبة إلا ومدحه فيها، وقد قابل الأشراف ذلك المديح بالكرم علىٰ الشاعر ورعايته وقضاء حوائجه في جميع شؤونه في حله وترحاله وفي مرضه وعافيته، فقد سافر وشوفي علىٰ حسابهم وبإشراف نوابهم، وكل ذلك مسجل في شعره، وممن عاصرهم من حكام المدينة عثمان باشا، وبصري باشا رحمهما الله جميعا.

رحلات الأسكوبي

لقد كانت نفس الأسكوبي تتطلع دائما إلىٰ الخروج عن المحيط الذي حوله فقد قام برحلات عديدة، فرحل أكثر من مرة إلىٰ كل من تركيا والشام ونجد واليمن ومصر والهند، وكانت لهذه الرحلات مجموعة شعرية يتحدث فيها عن كل مكان يزوره.

وفاة شاعر يثرب

بعد المحاكمة التي جرت له في استانبول عاد الشيخ إبراهيم الأسكوبي إلىٰ المدينة المنورة مسقط رأسه ليواصل مجده الشعري ويعاود حلقته التي تمتلئ بطلاب العلم، وما لبث أن بقي عدة شهور حتىٰ وافته المنية فانتقل إلىٰ رحمة الله بعد حياة حافلة بالجهاد والبيان في سبيل الله وقول الحق، وكانت وفاته في غرة جمادىٰ الآخرة سنة **١٣٣١**هـ رحم الله الأسكوبي وغفر له فلقد كان من أعلام العلماء والشعراء، ليس في المدينة المنورة والحجاز فحسْب وإنما في العالم الإسلامي بأكمله.



الشيخ إبراهيم الخُتني[(١)]

هو محمد ابراهيم بن سعد الله بن عبد الرحيم بن عبد العليم الفضلي الختني المدني الحنفي، ولد الشيخ الختني عام ١٣١٤هـ في بلدة خُتن[(٢)] من مدن تركستان الشرقية[(٣)] وفي بلدة قرة قاش[(٤)].

وقد نشأ رحمه الله في أسرة عرفت بالعلم والدين والفضل أبا عن جد في تركستان فكانت بيئته دينية ومثقفة ولعلي أستطيع أن أصف الشيخ من خلال من عرفوه فقد كان غزير الشعر واسع العينين، أقنىٰ الأنف، قمحي اللون، خفيف الشارب كث اللحية، مربوع

---

(١) محمد سعيد دفتردار المنهل صفر ١٣٩١هـ، تشنيف الأسماع ٢/ ١٢٨ ترجمة ٢٠٤، الكواكب الدراري ١١٣، طيبة وذكريات الأحبة ١/ ٧٧.

(٢) بضم أوله وفتح ثانيه وآخره نون، وبعضهم يقوله بتشديد التاء: انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٣٤٧).

(٣) تركستان الشرقية التي استولىٰ عليها الصينيون وسموها بـ(سينكيانج) في أقصىٰ التركستان التي كانت دولة كبرىٰ قبل ما يزيد عن سبعين سنة، وهي شرقية وغربية، فاستولىٰ الروس علىٰ غربيِّها، وهي الآن تمثِّل أوزبكستان وطاجكستان وتركمانستان وغيرها من الجمهوريات الممزَّعة، وكانت عاصمتها (بخارىٰ).

(٤) وهي في إقليم سَروج، فعول بفتح أوله من السرج وهو من أبنية المبالغة وهي بلدة قريبة من حران ديار مضر. انظر: معجم البلدان لياقوت (٣/ ٢١٦)، نهر الذهب في تاريخ حلب للغزي (١/ ٤٣٢).

القامة، متوسط الطول، يرتدي الجبة والعمة وهو زي العلماء في ذلك العصر.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد عُرف عنه الزهد في دنياه والتقشف في ملابسه، أديب، راجح العقل، محافظ علىٰ قرءة القرآن، مواطب علىٰ أداء الصلوات الخمس، ملازم للمسجد النبوي، في وقار العلماء وهيبتهم، محبوب لكل من عرفوه.

وبعد هذه المقدمات عن الشيخ الخُتني لنشرع في الحديث عن حياته وأعماله.

تعليمه

بدأ الشيخ محمد ابراهيم الخُتني حياته الدراسية كأقرانه في ذلك العصر، بحفظ القرآن الكريم علىٰ والده أولا ثم علىٰ يد أستاذه وابن عمه الملا محمد روزي الاندجاني حتىٰ أتم حفظه ثم أحكم تجويده، وقرأ علىٰ والده مبادئ العلوم وعلىٰ ابن عمته الشيخ العلامة الحبر محمد شريف ثم علىٰ ابن عمه القاضي الفاضل النزيه محمد عيسىٰ الفضلي الخُتني، ولقد تفرس فيه أهله وأقاربه الذكاء والإقبال علىٰ الدراسة، فخصوه بشيء من العناية، ولما ظهرت مخايل النجابة عليه وبدت ملكته أراد أن يرحل ليتلقىٰ العلم عن أكابر علماء العالم الإسلامي فأراد السفر إلىٰ بلدة (لكنو)[1] بالهند ليدرس علىٰ يد علماء هذه المدينة المشهورة بالعلماء والمحدثين[2]، كما أراد الذهاب إلىٰ بلاد العالم الإسلامي الأخرىٰ مثل العراق والشام وتركيا وغير ذلك، ولكن مشايخه حببوا إليه السفر إلىٰ البلدان المجاورة له فأشاروا عليه بالسفر إلىٰ مدينة (كاشغر)[3] وهي مدينة قريبة من بلدة خُتن فعزم علىٰ السفر إليها، في ذي القَعدة من سنة **١٣٣١**هـ، وأقام بها ما يقارب ثمانية أشهر فأول ما نزل في مدرسة (تاج حاكم بيك)، إحدىٰ المدارس الكبيرة في تركستان ودرس وقرأ علىٰ مدرسها العلامة الشيخ

---

(١) ويقال: (لكناو) و(لكنهو) (lucknow) من مدن الهند، تقع علىٰ ضفتي نهر جومتىٰ، وهي عاصمة للولاية الشمالية (uttarapardesh) وفي عهد الاستعمار الانجليزي كانت عاصمة لبلدة أوده. «انظر: الإمام عبد الحي اللكنوي علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء» (٦٠) تأليف: ولي الله الندوي.

(٢) انظر ما كتبناه عن هذه البلدة في ترجمة الشيخ محمد عبد الباقي من هذا الكتاب.

(٣) مدينة تقوم في قلب جبال (تيان شان)، من بلاد تركستان الصينية، ويقال (قاشغر) أو (كشغر)، والنسبة إليها (قشقري).

محمد يعقوب وعلىٰ يد الشيخ العالم الفاضل محمد بن عبد الباقي الارتوجي، وكان في بلدة (كاشغر) عالم مشهور من طرابلس الشام وهو الشيخ المفتي محد سعيد العسلي[١]، والذي نفاه الكفار الروس فيما بعد إلىٰ خوارزم، فدرس عليه الشيخ الخُتني بعض كتب الحديث النبوي الشريف قم قرأ علي يد الشيخ محمد بن عبد الباقي الارتوجي[٢] (تلخيص المفتاح)[٣] مرة ثانية، وذكرتُ آنفا أنه بقي هناك ثمانية أشهر درس فيها واستفاد من علمائها وطالع من زملائه من طلاب العلم العلوم واستكمالا لطلب العلم ارتحل من (كاشغر) إلىٰ بلدة (سمرقند)[٤] عن طريق بلدتي (خوقند)[٥] و(ترمذ)[٦]، فعندما وصل إليها نزل في مدرسة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ وكان ذلك في شعبان من سنة **١٣٣٢**هـ، وكانت الرحلات في ذلك الوقت متعبة وشاقة ولكن هانت علىٰ الشيخ ابتغاء التفقه في العلم والدين والدعوة إلىٰ توحيد كلمة الله العليا ونصر هذا الدين العظيم، فأقام عند إمام مسجد المدرسة الشيخ هادي بن فضل وكان رجلا كريما فأكرمه واستفاد منه في بعض المعلومات ثم رحل إلىٰ (بخارىٰ)[٧] وتلقىٰ العلم علىٰ جملة من العلماء منهم عمدة الفتوىٰ الشيخ محمد

---

(١) الشيخ محمد سعيد بن محمد بن علي العسلي الطرابلسي، هكذا سماه الشيخ الختني.

(٢) وهي في بلاد يغما غلبت عليها الأفاعي ففر أهلها منها. انظر: حدود العالم من المشرق إلىٰ المغرب (٩٦).

(٣) لجلال الدين القزويني (٧٣٩ه) لخص فيه كتاب (مفتاح العلوم) في علم البيان لأبي يعقوب يوسف السَّكَّاكي (٦٢٦ه)، ثم جاء العلامة عبد الرحمن الأخضري (٩٨٣ه) في نظم «الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون» ولخص كتاب (تلخيص المفتاح) كما ذَكَر في المقدمة.

(٤) مدينة في أوزبكستان سكانها معظمهم طاجيك (يتحدثون الفارسية لا الطاجيكية). تشتهر بتخريج علماء الدين، ويفصل بينها وبين بخُارىٰ (١٥٠) ميلًا. انظر: عجائب البلدان لابن الوردي (٨٦١ هـ) (الحاشية١ ص ٧٨).

(٥) لم أجد من عرّف بهذه البلدة والسبب في ذلك ما ذكره صاحب كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) (٥٣٠-٥٣١) أنه لم يصل شيء «عن جميع هذه المدن، وكلها مثل: كاشغار وخُتن وباركند وغيرها من المدن التي علىٰ حدود الصين لم تذكرها مراجعنا إلا لَمَما ودون أن تنطوي علىٰ فائدة جغرافية ذات بال».

(٦) بكسر التاء أو ضمها أو فتحها، والكسر هو المشهور ولا تزال معروفة باسمها، إلىٰ الشمال من مزار شريف علىٰ نقطة الحدود الأفغانية الأوزبكستانية، وهي تابعة لأوزبكستان، وتكتب في الجرائد (ترميز).

(٧) خامس أكبر مدن أوزبكستان، عاصمة ولاية بخارىٰ. فتحها المسلمون عام ٨٩هـ علىٰ يد قتيبة بن مسلم الباهلي =

إكرام وقرأ الجزرية علىٰ الشيخ القارئ المجود برهان الدين ثم الشاطبية في علم القراءات.

وفي عام **١٣٣٩**هـ رحل إلىٰ (انديجان)[(١)] وقرأ بها القرآن الكريم مرة أخرىٰ علىٰ شيخه المقرئ الحافظ محمد روزي المذكور آنفا، وأخذ عليه الشاطبية مع شرحها وأجازه في القراءات إجازة عامة، ثم رحل إلىٰ (نمنكان)[(٢)] وقرأ فيها بعض كتب الحديث وعلومه علىٰ الشيخ محمد ثابت[(٣)]، ولما انتهىٰ من التحصيل العلمي نال إجازات مشايخه، وأخذ عنهم مروياتهم التي كان غالبهم يرويها عن علامة المدينة المنورة ومحدثها الأستاذ الناسك الثبت السيد علي بن ظاهر الوتري المدني المولود بالمدينة المنورة في عام **١٢٦١**هـ، وهو علامة جليل أمضىٰ حياته كلها في طلب العلم إلىٰ أن توفي في **٢٩** جمادىٰ الأولىٰ سنة **١٣٢٢**هـ.

هجرته إلى الحرمين

في عام **١٣٤٨**هـ رحل الشيخ محمد ابراهيم الخُتني من بلاده حاجا فمر بـ(طشقند الشاش)[(٤)] ومنها إلىٰ الآستانة عن طريق (بالوباطوم) إلىٰ (استانبول) ومنها إلىٰ (بور سعيد) (فالسويس) وكان قد فاته الحج لوصوله مكةَ المكرمة يوم **١٣** من ذي الحجة عام **١٣٤٨**هـ، فذهب إلىٰ المدينة بقصد الاستيطان فوصل إليها وأدىٰ حجة

= غالب سكانها طاجيك يتحدثون الفارسية، ينسب إليها إمام أهل الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح انظر: عجائب البلدان لابن الوردي (٨٦١ ه) (الحاشية١ ص ٧٧).

(١) ويقال (انديكان) رابع أكبر مدن أوزبكستان، تقع علىٰ الحدود مع جمهورية قيرغيزستان. انظر: بلدان الخلافة الشرقية (٥٢١).

(٢) أو (نمنكن) في وادي فرغانة من جمهورية أوزبكستان، وكانت فرغانة تشتمل (علىٰ بلاد كثيرة بعد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك. أهلها من أتم الناس أمانة وديانة علىٰ مذهب أبي حنيفة، وأحسن الناس صورة). انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (**٩٣**) للقزويني.

(٣) سماه الشيخ الختني كما في إجازاته: شيخ الإسلام بفرغانة السيد ثابت بن شيخ الإسلام فيضي خالد.

(٤) وكان يقال لها إقليم الشاش، والنسبة إليها الشاشي، وتؤلف هذه المنطقة اليوم (تركستان الروسية) وتضم ولايات (كازاغستان، كيركيزيستان، أوزبكستان، تادجيكستان، وتركمنستان)، تمييزا لها عن تركستان الصينية الحالية المسماة (سينكيانج)، وطشقند اليوم في أوزبكستان.

الإسلام عام ١٣٤٩هـ، وبالمدينة تعرف علىٰ العلامة الفهامة المتبحر في العلوم محمد عبد الباقي اللكنوي المدني، والذي ترجمت له في مؤلفي هذا، وتلقىٰ عنه مجموعة من العلوم العقلية والنقلية، فلما رأىٰ فيه مخايل النجابة أجازه في العلوم ولازمه هو وعلماءَ كثيرين منهم: العلامة الفقيه الأصولي عبد القادر الشلبي المتوفىٰ سنة ١٣٦٩هـ واستجاز جماعة آخرين من علماء الحرمين منهم محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان المحرسي المتوفىٰ سنة ١٣٦٨هـ والشيخ محمد الخضر الشنقيطي المتوفىٰ سنة ١٣٥٣هـ والشيخ علي بن حسين المالكي سيبويه عصره المتوفىٰ بالمدينة ١٣٦٨هـ والشيخ أحمد الفيض أبادي مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المتوفىٰ سنة ١٣٥٨هـ والمفتي عمر باجنيد والسيد عيدروس بن سالم البار وغيرهم من أهل الفضل.

أعماله في المدينة المنورة

وعندما استقر الشيخ الخُتني في المدينة وبدأ يُعرف بين أهلها، عيّنه الشيخ محمد عبد الباقي اللكنوي عنده بالمدرسة النظامية مدرسا، وكان ذلك في عام ١٣٥١هـ ومكث يدرس بها حتىٰ عام ١٣٥٤هـ إلىٰ أن أغلقت المدرسة بسبب مرض الشيخ اللكنوي، فانتقل مدرسا بمدرسة (ثورة قل التركستاني) وعندما علم الشيخ أحمد الفيض أبادي رحمه الله مؤسس ومدير مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة بمكانة الشيخ في العلم طلبه ليكون مدرسا بالقسم العالي(١) مع جماعة من العلماء لتعليم بعض العلوم الدينية والعربية، ومكث بالمدرسة ما يزيد عن خمس سنوات.

وفي عام ١٣٨٢هـ انتقل إلىٰ وظيفة حكومية في المكتبة المحمودية(٢) التابعة للمسجد النبوي الشريف معرِّفا وخبيرا بالمخطوطات النادرة ومترجما لبعض اللغات التي كان يجيدها مثل التركية والأوردية والفارسية والأوزبكية، ثم عين مشرفا أيضا علىٰ المكتبة العامة التابعة للأوقاف العامة التي أسست سنة ١٣٨٠هـ وقد أنشئ المبنىٰ ليضم جميع مكاتب المدينة والمدارس والأربطة وغيرها.

---

(١) انظر ما كتبناه عن القسم العالي في ترجمة الشيخ أحمد بساطي من هذا الكتاب.

(٢) أسسها السلطان محمود العثماني سنة ١٢٧٢هـ وهي الآن في مكتبة الملك عبد العزيز الكبرىٰ.

ومن أعماله أنه كان يلقي في بعض المدارس الصغيرة بالمدينة المنورة بعض الحصص مثل مدرسة (خوش بيكي) ودروسا أخرىٰ في مكتبة الشيخ عبد القادر الشلبي وفي مدرسته أيضا وغير تلك الدروس التي كان يلقيها في داربه وفي الأربطة لبعض الطلاب.

دروسه بالمسجد النبوي الشريف

ورغم الأعمال التي تحملها شيخنا فقد كان يدرس بالمسجد النبوي الشريف حيث تصدر للتدريس وعقد سوقا رائجة للعلم يدرس أفضل العلوم، ومن الكتب التي درسها (موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني) ودرس أيضا في النحو كتاب ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك، والكواكب الدرية المتممة وشرح القصر وتفسير الجلالين وربما درس مشكاة المصابيح وغيرها من العلوم النافعة، فقد كانت حلقته تمتلئ بكثر من طلاب العلم ومريديه، فقد أجاز كثيرا من العلماء، فكان يفيد الكثير، واستمر مدرسا بالمسجد النبوي الشريف حتىٰ آخر حياته، ويعتبر أكر طلابه من المجاورين من الأقطار الإسلامية وبعض من اهل الحرمين الشريفين، فالرجل كان لا يحب الشهرة وإنما يريد الأجر والثواب من عند الله تعالىٰ.

رحلاته واتصاله بالعلماء

رحل الشيخ الخُتني إلىٰ بلان شتىٰ لأسباب علمية، وحصل علىٰ فوائد عديدة ونال مزايا فريدة، وقابل أئمة أعلاما يشد لهم في أقطارها، وكان مفيدا مستفيدا، لا يتعب من الاطلاع والأخذ عن المشايخ والتدريس، فكان كثير العناية بالعلماء الواردين إلىٰ الحرمين، فاجتمع بجملة منهم واستجازهم، ومنهم الشيخ الفاضل عبد الحي الكتاني المغربي صاحب كتاب فهرس الفهارس، والسيد المفتي علوي بن طاهر الحداد والشيخ محمد بن عوض التريمي ومفتي زنجبار عمر بن سميط وغيرهم، وكانت رحلاته في طلب العلم كثيرة، فقد ارتحل إلىٰ البلاد العربية كمصر وسورية ولبنان والعراق والأردن وتركيا وفي هذه البلاد اتصل بعلمائها مثل الشيخ محمد زاهد الكوثري والشيخ مصطفىٰ صبري والشيخ مصطفىٰ الحماصي والشيخ محمد جميل بن

عمر الشطي مفتي الحنابلة وخلائق كثيرين وهذا يدل علىٰ بالغ عنايته واستفادته من وقته في رحلاته المتعددة.

وأما عن رحلاته في آخر حياته فقد ارتحل عن طريق البر إلىٰ الأردن وسورية ولبنان والعراق والكويت ونجد ومنها عاد إلىٰ المدينة المنورة.

رحلته إلى سوريا

في عام **١٣٧٩**هـ زار دمشق ونزل ضيفا علىٰ الشيخ أبي الخير الميداني رئيس رابطة العلماء واحتفل به علماء الشام وأكرموه وتلقو عنه العلم ورواياته في الحديث النبوي.

لقد عاش الشيخ الخُتني جل حياته يبحث عن العلم ويطرق أبوابه في كل مكان، فقد كان العالم المعلم، وكان ﵀ محبا للحج، فقد حج ما يقرب من أربعين حجة، فلم تفته سنة إلا وحج فيها، وكان الحج آنذاك مشيا علىٰ الأقدام أو علىٰ دابة إن وجدت.

أصدقاؤه

عرف الشيخ بطيب القلب والتواضع وحبه للغير، يصحب الأفاضل من الرجال ويساعد الفقراء والضعفاء وهذا ما جعل الناس يلتفون حوله فكان له أصدقاء كثيرون.

شيوخ الشيخ الخُتني

شيوخ العلامة المسند الشيخ محمد ابراهيم الختني أزيد من **١٥٠** شيخًا، بين مدرس ومجيز، من جميع انحاء العالم الإسلامي.

تلاميذ الشيخ الخُتني

كان عطوفا علىٰ الطلاب يشجعهم ويحثهم علىٰ التزود بالعلوم ويساعدهم بوقته النفيس وأحيانا يعير كتبه لطلابه وإذا رأىٰ نبوغا في طالب قرّبه ووجّهه حتىٰ يصبح عالما فكم من الأفذاذ تخرجوا علىٰ يده ولكني لم أجد أسماء كثيرة لطلاب الشيخ، فمن اللذين استفادوا منه: الشيخ محمد سعيد دفتردار والشيخ ياسين الفاداني والشيخ

حامد مرزا خان الفرغاني والشيخ الحافظ محمد يحي وهو ابنه واعرف منهم حضرة العلامة المحدث الشيخ عمر محمد فلاته المدرس في المسجد النبوي الشريف، (وممن أجازهم: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ عبد القادر كرامة الله البخاري، والشيخ محمد عبد القادر ملا وهو من أحفاد الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبد الله أبو بكر الملا الاحسائي، وعبد المجيد الجبرتي، والشيخ عبد السلام بن سودة، ومحمد مطيع الحافظ، والشيخ وهبي غاوجي الألباني وشيخنا محمد رياض المالح الدمشقي ومحمد سعيد بن هاني الكحيل الحمصي)[١].

مؤلفات الخُتني

ليس غريبا علىٰ هذا العالم الجليل أن يؤلف فقد صنف كتبا كثيرة وألف وهو دون العشرين من العمر.

وعلىٰ حسب بحثي -والله اعلم- فإنها لم تطبع ولا أعلم هل هي موجودة أم فقدت، لذلك أرىٰ من يعرف عنها شيئا أن يقوم بتقديمها إلىٰ بعض المحسنين لطبعها حتىٰ ترىٰ النور.

فمن مؤلفاته:

١- كتاب ذكر فيه نفائس المخطوطات التي اطلع عليها، وقد بحثت عن هذا المؤلف في مكتبته الخاصة ولم أجد عنه شيئا.

٢- تنقيح النحو.

٣- مجموعة الفتاوىٰ (جمع فيه فتاوىٰ شيوخه).

٤- تحفة المستجيزين بأسانيد أعلام المجيزين.

٥- الرسالة الفضلية في ثبوت الطوافين للقارن بالأدلة القطعية.

٦- فتح الرؤوف ذي المنن في تراجم علماء خُتن.

---

(١) مصدر سابق.

٧- كتاب في الكفاءة بين الزوجين.
٨- مسائل الجمعة والعيدين والجنازة باللغة التركية.
٩- ضرورة الحجاج في المناسك.
١٠- ترجمة خلاصة الكيداني[1].
١١- رسالة الاعلالات الياركيدية علىٰ الرسالة المعزية.

مكتبته العلمية

عرف الشيخ بحب مطالعة الكتب فكان مولعا بجمعها حتىٰ جمع مكتبة ضخمة تزخر بكثير من المصنفات القيمة والمخطوطات النادرة المنسوخة بخطه الجميل.

وقد اطلعت علىٰ المكتبة وعلىٰ فهارسها الخاصة وهي تحتوي علىٰ **(٤٣٥)** كتابا و**(٥٢)** مخطوطة وهي موجودة باسمه في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ضمن المكتبات الخاصة.

وفاة الخُتني

وفي عام **١٣٨٩هـ** مرض الشيخ محمد إبراهيم الخُتني مرضا دام ستة أشهر، فتوفي في يوم الأربعاء السادس من شهر رجب من نفس السنة المذكورة، فكانت لوفاته رنة حزن في المدينة المنورة وقد صُلّي عليه بالمسجد النبوي الشريف وشُيّعت جنازته في جمع كثير من الناس ودفن في بقيع الغرقد، ﷺ وأسكنه فسيح جناته.

(١) لطف الله النسفي الشهير بالفاضل الكيداني، والكتاب في الفقه الحنفي. انظر: معجم المؤلفين (٨/ ١٥٦) قال في كشف الظنون (٢/ ١٨٠٢): «وقد اشتهرت فيما وراء النهر اشتهار الشمس في رابعة النهار، وذكر أنه من مهرة الناظرين عندهم»



الشريف ابراهيم العياشي(١)

مؤرخ الآثار المدني

هو إبراهيم بن علي بن هاشم العلوي الشهير بـ«العياشي».

أسرة العياشي

ينتمي المترجم له إلي أسرة كريمة الحسب، ثابتة النسب، وهم بيت صغير العدد قدم جدهم من بلاد المغرب وينتهي نسبهم إلىٰ السادة الأشراف المدغرية، وهم فرع من فروع الأشراف العلويين الذين نزحوا من مدينة ينبع، والمنتهي نسبهم إلىٰ أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن المجتبىٰ بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ونسبتهم بالعياشي إلىٰ أولاد عياش من نواحي مكناس تافيلالت، وهم غير قبيلة العيايشة(٢) الينبعية المنتهي نسبهم إلىٰ إبراهيم

(١) ترجمة زودني بها ابناءه الأفاضل، طيبة وذكريات الأحبة ٣/ ٤٤.

(٢) طلب مني في وقتنا بعض ابناء هذه القبيلة لحسن ظنهم بالنظر والتحقيق في نسبهم فاستعنت الله بتحقيق نسبهم وأستخراج قرار نسب لهم برقم ٤٢٢/م في١١ ربيع الأخر ١٤٣٥هـ، وضبط فروعهم بعد مراجعتهم لنا.

بن إسماعيل بن القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن المجتبىٰ بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وبالمدينة المنورة قديمًا بيت كان يعرف ببيت العياشي نسبة للقطب محمد العياشي المغربي قدم المدينة المنورة سنة **١١٣٤**هـ[١]، وقد تتبعت أمرهم فثبت ليَّ أنقراضهم في منتصف القرن الثالث عشر[٢]، وإنما ذكرناهم للتفريق بينهم وبين أسرة المترجم له وقبيلة العيايشة الينبعية.

ولد الشريف في دار والده بالمدينة المنورة عام **١٣٢٩**هـ.

نشاته

كان منذ صغره محبا للاطلاع، والتعرف إلىٰ الأمور العلمية، وبعد أن بلغ من العمر ما يؤهله للدراسة ذهب إلىٰ «الكتّاب» كأقرانه، درس علىٰ العلامة الطيب التنبكتي، وتتلمذ علىٰ الشيخ سعيد بن صديق الفوتي فطلب عليه علم النحو، ولعل المراحل التعليمية الاولىٰ كشفت كثيرًا عما في داخل العياشي من علم، فقد ولع منذ صغره بحب القراءة والاطلاع حيث أحب التاريخ ومعرفة الكثير عن هذا العلم، والبحث فيه، أهتم بالسيرة النبوية والمنازل وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، ولوجود صعوبة في المعيشة في ذلك الوقت بدأ بالكفاح في هذه الحياة من أجل العلم ولقمة العيش.

حياته العملية

عمل في بداية حياته بالعمل في شرطة المدينة المنورة، حيث عمل فيها لمدة سنوات، وفي عام **١٣٦٢**هـ انتقل للعمل في مدينة الخرج بوزارة المالية للإشراف علىٰ مزارعها، وكان وزيرها في ذاك الوقت هو الشيخ عبد الله السليمان الحمدان، وكان من المرافقين لوزير المالية كل من الشيخ محمد سرور الصبان، والشيخ ابراهيم إسلام، والشيخ أحمد لاري رحمة الله عليهم جميعا ورئيس القسم السيار المرحوم الأستاذ الأديب الكبير محمد حسين زيدان، وسكرتيره والدي الشريف يعقوب

(١) تحفة المحبين٣٦٧.

(٢) مختصر القرمية٦١.

الكتبي، إلىٰ أن شكلت وزارة المالية بالخرج من وكيل وزارة المعارف محمد سرور الصبان رحمهم الله جميعًا.

العياشي مربي الأجيال

وفي عام١٣٦٣هـ انتقل إلىٰ ينبع حيث عمل مديرًا هناك المدرسة السعودية، واستمر مديرًا بها فترة طويلة من الزمن، وتخرج علىٰ يده كثير من الأجيال.

عودته إلىٰ مسقط رآسه

وعندما أراد العياشي العودة إلىٰ موطنه وأرضه التي ولد فيها ونشأ بين حاراتها الجميلة في صغره، وجد نفسه يعين مديرًا للمدرسة الفيصلية عندما كان موقعها في باب العوالي، واستمر فترة طويلة مديرًا لها.

العياشي خبير الأثار المدني

ونظرا لكفاءته عين في إدارة التعليم بالمدينة المنورة في عهد مديرها الفاضل الأستاذ عبد العزيز الربيع رحمة الله خبيرا لآثار المدينة المنورة وما حولها.

فقد قضىٰ رحلة طويلة استقر العياشي بالمدينة المنورة، وبدأ يعمل في مجال هوايته المتمثلة في التنقيب عن الآثار بطيبة الطيبة، حيث وضع لنفسه نظامًا يوميًا خاصًا بذلك يتمثل في استيقاظه في الصباح الباكر، حيث يذهب بعد صلاة الفجر مشيًا علىٰ الأقدام إلىٰ خارج المدينة المنورة لمعرفة حدودها، ومواقع الآثار ومواقع الغزوات، واستمر علىٰ هذه الحال فترة طويلة من الزمن، حتىٰ وقف علىٰ جميع معالمها وتحقق منها، وفي أثناء تلك الفترة قام بتأليف كتابه الأول المشهور برحلته هذه بإصداره هذا الكتاب، والذي تحدث فيه عن المدينة المنورة في العهد الماضي؛ أي الغزوات والمواقع التاريخية، والحاضر من الجديد فيها.

وفي تلكم الأثناء بدأت ثمرات عمل العياشي تؤتي أكلهان فقد قام بعمل أول خريطة للمدينة المنورة، وحدد فيها حدود المدينة والمسجد النبوي الشريف، وعن المواقع التاريخية والأثرية، وقد استمر في عمل هذه الخريطة لمدة عشر سنوات يقوم فيها بهذا العمل العظيم، وقد حدثني سيدي الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جهود العياشي فالعلاقة بين

سيدي الوالد والمؤرخ العياشي صداقة عمر فالوالد رجل مكي الأصل والعياشي رجل مدني الأصل إلا أن الاقدار جمعتهم في عملهما بمدينة الخرج في بداية أمرهم، وشات الظروف أن تفرقا وذهب كل واحدًا منهما في حاله لطلب العيش حتىٰ نقل الوالد إلىٰ شرطة المدينة، واذا بصديقه العياشي يعمل بشرطة المدينة المنورة، وتجدد الذكرىٰ الصداقة والعمل التي كانت بمدينة الخرج، بل أن تلك الصلة أمتدت بالجوار حيث أنهما كان سكنهما في محلة قباء بعمارة الأنصاري، ومن ذلك كان والدي يحدثني عن مكانة العياشي التأريخية فلا أنسىٰ قوله: العياشي عالم مؤرخ متمكن تكبد الكثير من الصعاب في التنقيب عن الآثار.

وقد قدر الأستاذ عبد العزيز الربيع الجهود التي بذلها العياشي في خدمة إحياء التراث، فقد وفر له سيارة يومية تأتي له، ويذهب بها خارج المدينة المنورة لمعرفة الأماكن التاريخية.

قال عنه الجنرال الباكستاني أكرم[١]: وقد أصطحبت معي كدليل خير الادلاء العلامة الشيخ إبراهيم بن علي العياشي، وهو اديب مؤرخ ذو شهرة، ومعرفته بالتاريخ الإسلامي القديم والجغرافية تدعو إلىٰ الأعجاب.

مؤلفاته

ولعل وجود العياشي بالمدينة المنورة ساعده علىٰ التفرغ للكتابة والتأليف في المجالات المتعددة، وخاصة في مجاله الذي برز فيه فقد ألف ﵀ كتبا عديدة، وسأدرجها كي أوضح عمله، وجهده الكبير:

١- المدينة بين الماضي والحاضر.

٢- الحجرة النبوية الشريفة (مخطوطة).

٣- غزوة بدر.

٤- مبضع الجراح.

---

(١) كتاب سيف الله خالد بن الوليد ١٣.

هذا ما تم طبعه من كتب، أما الذي لم يطبع من كتبه، وهو موجود لدىٰ أبنائه فهو:

١- غزوة احد.

٢- الرافعة الخافضة.

٣- غزوة الخندق.

٤- كتاب الهجرة

٥- غزوة تبوك.

جهوده الإعلامية

ولقد عرف العياشي بعلمه التاريخي، فقد كان مؤرخًا كبيرًا، فقد كان يقدم العياشي حلقات تلفزيونية يتحدث فيها عن تاريخ المدينة المنورة.

كما كان من أعضاء النادي الأدبي فيها، وكان يلقي محاضرات في النادي بصفة مستديمة، ولقد عرف العياشي بأنه مؤرخ المدينة وليس مؤرخا عاديًا، فقد أثبت بجهوده المخلصة كثيرًا من معالم مدينة المصطفىٰ الحبيبة.

أما عن مكتبة العياشي، فكانت مكتبته تحتوي علىٰ كتب قيمة علىٰ الرغم من قلتها، وهي حوالي مائتي كتاب، وأغلبها تشمل كتب التاريخ.

وبعد حياة مليئة بالنجاح، وعناء البحث وتتبع الآثار ودعت المدينة المنورة عالم آثارها وخبيرها، فاضت روحه إلىٰ بآرئها يوم السبت الثامن من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ وخلف من وراءه سيرة عطرة وأعقب من أربعة من البنين، وأربعة من البنات فرحمة الله عليه.



الشيخ أبو السعود ديولي[(١)]

الريس صاحب الصوت الداودي

أبو السعود بن حمزة بن محمد سعيد بن محمد صالح بن سليمان ديولي.

بيت الديولي

أسرة مدنية عريقة في رفع صوت الحق في مسجد سيد المرسلين، ثابتة القدم بتوارثها مهنة الآذان، ورغم قدمها إلا أن الانصاري في قرميته، وتبعه الحجار في مختصره بتغييب حالهم وعدم ذكرهم، ولا شك عندي أنهم كانوا ممن عاش في المدينة المنورة منذ زمن تدوين صاحب القرمية، والدّواولة -بتشديد الدال- كم ينعتهم المدنيين، من حاضرة المدينة الذين كان لهم حلف مع بادية المدينة من السهلية من عوف، وفي ذلك الحلف ينعتهم البادية بـ«ديوه لي»[(٢)]، ولم يكن ذلك الحلف إلا تجديد لحلفهم معهم القديم، وهذا دليل واضح علىٰ قدمهم، وعرفت هذا العائلة بين

(١) ترجمة خطية من إبناء الفقيد بقلم الأستاذ طلعت بن أبو السعود ديولي.

(٢) وثيقة تحالف بين قبيلة أبو ربعة من عوف وبين أسرة آل الديولي بتاريخ ١٣٣١/٨/١هـ، انظر كتاب التنظيمات الادارية١/ ٣٠٩.

المدنيين بفرعيها قسم منها أشتهر بمهنة شرف الآذان والذين منهم مترجمنا، والقسم الآخر ممن أشتهروا بمهنة الفلاحة والزراعة تلك المهنة المدنية الأصيلة، فالشيخ مصطفىٰ بن أحمد ديولي كان بمثابة شيخًا للفلاحين في زمانه، وتبعه إبنه الشيخ درويش، وقد أدركته وقد تصدر شيخًا رسميًا للمزارعين، وهم بيت ليس بالقليل العدد وفروعهم منتشرة وكل ديولي بالمدينة منهم ولا يوجد أسرة تشابههم في اللقب، أدركت منهم الشيخ ناصر بن بكر بن صديق بن أحمد ديولي كان من وجهاء وأعيان المدينة رَحِمَهُ اللَّهُ، وله أبناء كرام، ومنهم أيضًا الدكتور سامي بن محمد بن حسن ديولي وارث البيت في الاذان بالمسجد النبوي، وأخيه حبيبنا الأستاذ خالد ديولي أحد رجال التعليم وغيرهم بارك الله فيهم وفي ذراريهم.

مولده

ولد الريس ابو السعود في المدينة المنورة عام **١٣٣٣**هـ

نشأته وتعليمه

نشأ وترعرع في بيت أسرته التي توارثت الآذان، فجده الشيخ محمد سعيد كان مؤذنًا في الحرم، ومسجد الغمامة، ووالده الشيخ حمزه[١] وعمه الشيخ حسن كانا إيضًا من مؤذنين الحرم، حفظ القرآن الكريم علىٰ يد شيخ القراء العلامة المقرئ الشيخ حسن الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ، وبعد أتمامه لكتاب الله وتجويده، طاف بحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف لينهل من منابعها الصافية ومن مشايخه الشيخ أحمد بساطي.

طائفة المؤذنين بالمدينة المنورة

الأذان في المدينة علىٰ العهود السابقة تكليف لا يكون إلا بفرمان سلطاني، ومن دون ذلك فيكون تشريف من قبل الآهالي، والمؤذنين بالمسجد النبوي الشريف، ويطلق عليهم الرؤساء نسبة الىٰ المنارة الرئيسة «الرئيسية» وكل من أذن فيها ولو مرة واحدة يستحق من ريع وقف الرؤساء (ومفردها ريس بدون همز)، والاذان قديمًا يُرفع من المآذن الاربع بدءًا من مؤذن المنارة الرئيسية وهي التي يعتليها شيخ المؤذنين

(١) توفي بالمدينة المنورة ١٣٣٧هـ

ويعرف بالريس، بل أن كل من أعتلها من المؤذنين يطلق عليه بالريس، وكان الأذان قديمًا يصعد الريس إلىٰ المنارة الرئيسية يتبعه المؤذنون الباقون بالترتيب من المنارة الرئيسية ثم السليمانية ثم المجيدية وأخيرًا منارة باب السلام، حيث يبدأ مؤذن الرئيسية(١) بقوله: «الله اكبر الله اكبر ثم يتوقف ليردد باقي المؤذنين هذا التكبير»، وهكذا حتىٰ نهاية الاذان، ومن خلال هذا الاسلوب المتبع في الاذان نجد اسلوب المنافسة ينحصر بين اداء المؤذنين الأربعة خاصة في اذان الفجر، وقد حدثني ممن أدركتهم من المعَّمرون ان صوت المؤذنين كان يسمع من آبار علي قبل المايكروفون، وقيل أنه يصل إلىٰ منطقة المفرحات في اوقات الشتاء، وكان للمشايخ صولات فالريس عبد الستار بخاري كان أشهرهم عندما يرفع الاذان بنغم الداودي ويشاركه في هذا بعض المؤذنين اصحاب الاصوات الحادة مثل مترجمنا الشيخ ابو السعود ديولي، والشيخ عبد الرزاق نجدي، وغيرهم. ثم يصعد الريس صاحب النوبة المكبرية لاقامة الصلاة من حين قيام الامام من مجلسه متجهًا إلىٰ المحراب ومن ثم يتابعه في جميع تكبيرات الصلاة حتىٰ التسليم، كما أنه يعلن الصلاة علىٰ الأموات حيث يراهم من المكبرية حين نقلهم من مكان الانتظار الىٰ المحراب للصلاة عليهم ويتابع الأمام في جميع التكبيرات حتىٰ السلام وهكذا في كل صلاة من الصلوات الخمس وهذا قبل وجود مكبرات الصوت، أما الآن وبعد انتشار مكبرات الصوت فقد أكتفىٰ بأن يؤذن مؤذن واحد في المكبرية ويسمع صوته من جميع المآذن وعلىٰ مسافات بعيدة ويقوم آخر من نفس المكبرية بإقامة الصلاة ومتابعة الأمام.

المجاكرة في الأذان

المجاكرة لفظ عام، ومفردها جكر كلمة يتداولها المدنيين للتعبير عن التنافس بين اثنين او اكثر، والمجاكرة من الابداع الحجازي اثناء رفع الاذان وكانت دافعًا لإبراز جمال الصوت والتحكم الجيد في النغمات مثل الحِراب - الجارك - الداودي - العشاق، وكان الشيخ محمود نعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤذن في المنارة الرئيسية ويجاكره في الاداء

---

(١) طيبة وذكريات الأحبة ١/ ٢١٣.

كل من الشيخ حسين بخاري، والريس عبد الستار بخاري من منارتي باب المجيدي.

ولا شك أن المؤذنين في الحرمين الشريفين، تاريخ له جذور، فأن مهنة شرف الاذان في مكبرية مسجد خير البرية، توارثتها بيوتات مدنية كابرًا عن كابر، وجعلت من ابناءها نموذجًا فريدًا بصوت الآذان المدني المميز.

وهذه أسماء بعض أسر الطائفة الذين كان لهم شرف رفع الأذان من منائر المسجد النبوي الشريف علىٰ سبيل الذكر لا الحصر: النجدي، الخاشقجي، البخاري، النعمان، العينوسه، اليماني، حبش، رجب، الديولي، كمال، العفيفي، حكيم، خوج، العيساوي، الكردي، الريس، الغباشي، السمان، الدرندري، القليصي، عفان، الفرضي.

الديولي مؤذنًا

بدأ الشيخ أبو السعود الديولي يؤذن بالمسجد النبوي الشريف منذ أن كان عمره ثلاث عشرة سنة في العهد الهاشمي، وقد استطاع أن يجمع بين قوة الصوت وجهورته وجماله، وكان يؤذن وقتها بدون مكبرات صوت؛ لعدم وجود كهرباء في ذلك الوقت، حيث كان رحمه الله يصعد المآذن الخمس علىٰ قدمه، وكانت عدد السلالم (١٥٠) درجة، وكان صوته يسمع في المدينة المنورة كلها، رغم عدم وجود مكبرات الصوت، فقد ورث من آبائه وأجداده تلك النغمة الحلوة في الأذان.

الديولي مؤذن الحرمين الشريفين

حظي رحمه الله من بين المؤذنين المدنيين أن تكون له الحظوة بأن أكرمه الله بالأذان في الحرمين الشريفين، فكلما ذهب إلىٰ المسجد الحرام بمكة المكرمة لأداء العمرة، طلب منه مؤذنوا البيت الحرام أن يؤذن بالمسجد الحرام، وذلك لجمال صوته وكثرة من أحبوه من المصلين، وسدنة البيت الحرام.

لقد رفع صوت الحق في الحرمين الشريفين أكثر من ستين عاما، لم يقتصر ذلك علىٰ الحرمين الشريفين فقط، بل شمل كافة مساجد المدينة المنورة، وبعضًا من مساجد مدينة جدة.

ولقد كان للشيخ الديولي معجبون كثيرون من داخل المملكة وخارجها، وفي عام ١٣٨٠هـ تم له تسجيل أول أذان له بالإذاعة في الرياض، وكان الوحيد الذي يذاع صوته من الراديو قبل البث المباشر.

الديولي صاحب الصوت الداودي

لقد كان صوت الديولي من أقوىٰ أصوات المؤذنين في الحرم النبوي الشريف، ومتميزًا بالجمال وحلو النغم التي لا ينساها أهل طيبة الطيبة، وهي نعمة كبرىٰ من الله حباها لهذه النخبة، والصفوة المختارة، ولقد خلع الناس علىٰ الديولي ألقابًا عديدة منها: الأستاذ، وصاحب الداوودي، فقد كان صوته جميلًا منذ صغره، ينعش المسلمين، ويحثهم علىٰ القيام للصلاة في المساجد، ولا يزال يذكر صوته الجميع في المجتمعات المدنية إلىٰ يومنا هذا.

وهناك قصة يذكرها السلف عن هذا الرجل الجليل، في سنة من السنين، عندما انقطع التيار الكهربائي بالحرم النبوي، وكان وقت صلاة المغرب، فانتشر المؤذنون بالمساجد فلم يسمع إلا صوته يجلجل في المدينة كلها لجماله وقوته.

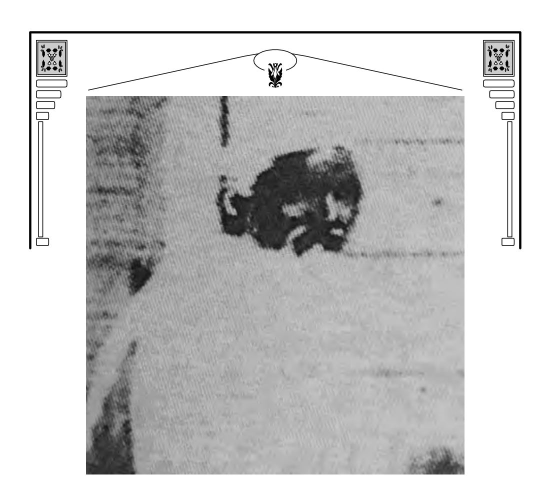
الديولي شيخًا للمؤذنين

لقد كان رحمه الله يتشرف بمهنة الأذان، ولا يريد أن يعمل بغير هذه المهنة الشريفة، ولمكانته رشح ليكون شيخًا لطائفة مؤذني المسجد النبوي الشرييف وبالفعل، ففي الثمانينات عُيِّن شيخًا للمؤذنين أكثر من خمس سنوات، وفي زمن مشيخته هو أول من اقترح كلمة (صلاة) عند أداء صلاة المشهد في العيدين فتمت الموافقة عليها، ونظرًا لظروفه الصحية تنازل عن المشيخة للشيخ عبد الرحمن خاشقجي، ولا يزال فيها حتىٰ الآن.

لقد كان رحمه الله يجيد الابتهالات الدينية والمديح، وكان يؤدي دور الخطيب والمجيب بالقصائد المعروفة، كما يجيد تلاوة القرآن الكريم، وله بعض التسجيلات.

وفاة الديولي

وبعد حياة مليئة بالخير والعطاء، رفع فيها صوت الحق لأكثر من ستين عامًا، وافته المنية يوم الأثنين الرابع عشر من جمادىٰ الأولىٰ لعام ١٤٠٨هـ، ودفن في البقيع رحمه الله.



الشيخ أحمد الفيض أبادي[١]

المؤسس الباني

هو أحمد بن حبيب الله بن بير علي الفيض أبادي المدني.

بيت الفيض آبادي

بيت الفيض آبادي من البيوتات العلمية في المدينة المنورة، نسبة إلىٰ بلدة فيض آباد التي قدموا منها من بلاد الهند، أصلهم السيد حبيب الله بن بير علي بن جهانكير بخش بن نور أشرف بن شاه مدن بن محمد بن خير الله بن صفة الله بن محب الله بن محمود بن لدهن بن قلندر بن منور بن راجو بن عبد الودود بن محمد[٢] بن نور الحق علي التاندوي[٣] ابن زيد بن أحمد بن حمزه بن أبو بكر المعروف بأبو علي بن عمر الأعلىٰ

(١) بناة العلم في الحجاز كتاب مستقل لعبدالقدوس الأنصاري ١٧، طيبة وذكريات الاحبة ١/٦١، مدرسة العلوم الشرعية كتاب مستقل لمحمد عيد الخطراوي.

(٢) مآثر شيخ الأسلام ٢٦.

(٣) مشجرات أبو الحسن النسابة ٨٩.

بن محمد ترمذي بن أحمد توخته (الترمذي)[١] إبن حسين الكعكي إبن الحسن بن محمد بن الحسن بن موسىٰ بن علي بن الحسين الاصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام[٢].

قدم المذكور المدينة سنة **١٣١٦**هـ مهاجرًا، ومعه إبناءه الخمسة صديق أحمد، وأحمد، حسين أحمد، جميل أحمد، محمود أحمد، وأستقر بهم المقام في المدينة المنورة وأتخذوها سكنًا لهم، وعرفوا بالفيض آبادي في بداية الأمر وعرف بعض بنوه بعد ذلك بالمدني لعودتهم من الحجاز إلىٰ بلاد الهند، ولا يعرفون اليوم إلا بآل حبيب نسبة لبقية البيت في المدينة السيد حبيب بن محمود أحمد بن حبيب الله الفيض آبادي وهو الفرع الوحيد الباقي منهم في المدينة المنورة وفروعهم الأخرىٰ في الهند.

قال البرادعي في درره[٣]: بيت السيد حبيب أحمد الشهير بالمدينة.

قال ابن الصديق في اسره[٤]: آل السيد حبيب[٥]: من قريش من بني هاشم معروف بالمدينة المنورة وله شهرة تفوق الوصف.

ولد رحمه الله في الهند بقرية، بانكومو «التابعة لمدينة فيض أباد الشهيرة» وكانت ولادته في الساعة السادسة من نهار يوم الثلاثاء الموافق **٢** ربيع الآخر سنة **١٢٩٣**هـ.

أما عن وصفه رحمه الله فقد كان أسمر اللون، متوسط القامة، ينم بريق عينيه عن ذكاء وقّاد، قوي العزم، اشتعل رأسه شيبًا قبل أن يبلغ المشيب، خفيف اللحية، يختلط فيها البياض بالسواد، بسيط المظهر، يرتدي ثوبا من القماش الأبيض ويعتمر قلنسوة حجازية ملتصقة برأسه، تفيض نفسه بالرغبة في الإصلاح والمحبة للناس، مشغول الفكر بمشروعه العظيم الذي نذر نفسه لتحقيقه رغم المصائب والعقبات.

---

(١) جد السادات الترمذية في الهند وباكستان.

(٢) تهذيب الأنساب **٢٤٧**، الفخري **٧٧**، الشجرة المباركة **١٦٥**، عمدة الطالب **٣٤٨**، بحر الأنساب **١٦٣**، تحفة الطالب **٩٠**، كتاب المشجر من اولاد حسين الأصغر **٢٤**.

(٣) الدرر السنية **٨٢**.

(٤) الأسر القرشية **٢٤١**.

(٥) الصحيح أنه آل الفيض آبادي ولكن المؤلف علىٰ ذكرهم بآل حبيب حيث أن السيد حبيب هو بقية البيت في المدينة المنورة، إما باقي الفروع فهي في بلاد الهند.

تعليمه

لقد نشأ الشيخ أحمد الفيض أبادي في أسرة اشتهرت بالعلم والفضل وهي أسرة حسينية هاشمية، فما لبث أن وصل إلىٰ سنّ التعليم حتىٰ التحق بمدرسة «أسكول» الحكومية في قرية «تانده» حيث كان والده مدرسا بها وتفوّق بها وتخرّج فيها ونال جائزة مالية قدرها خمس روبيات تشجيعًا له.

وفي عام **١٣٠٨**هـ التحق بجامعة «ديوبند» لتعلم العلوم الشرعية وباقي علوم العصر وتخرج فيه عام **١٣١٥**هـ وبعد عام من تخرجه هاجر والده من الهند إلىٰ المدينة المنورة بأسرته ووصلوا إلىٰ المدينة، وبقي الشيخ أحمد أربع سنوات لأن نفسه كانت متشوقة إلىٰ العلم، وفي عام **١٣٢٠**هـ عاد إلىٰ بلده الهند وهناك اتصلت أسبابه بالشيخ رشيد أحمد الكنكهوي، ولازمه مدة عامين.

وهيأت له دراسته العلم ببعض اللغات، فقد كان يتكلم اللغتين الفارسية والأردية، إلىٰ جانب اتقانه للغة العربية مع إلمامه بمبادئ اللغتين التركية والانجليزية[١].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتقن الخط والكتابة، وكتابته بقلم النسخ آية في الجمال، وأجمل منها كتابته بقلم التعليق الفارسي[٢].

نشوء فكرة المدرسة

عندما عاد الشيخ أحمد إلىٰ المدينة المنورة واستقر بها، رأىٰ أن مدينة المصطفىٰ ﷺ في أمسّ الحاجة إلىٰ بناء مدرسة ينشر عن طريقها العلم، وتخرج الأجيال المتعلمة، فلقد كانت الدروس والحلقات الدينية موجودة بالمسجد النبوي الشريف وهو يقصد مدرسة جامعة لكثير من العلوم.

ويقول المؤسس عن مشروعه ما يلي:

منذ وصلت إلىٰ المدينة المنورة مهاجرًا إليها مع الولد عام **١٣١٦** هجرية تعلق بذهني مشروع انشاء مدرسة لتعليم أبناء هذه البلدة المطهرة ما يعيد إليهم مجد

---

(١) أعلام الحجاز ٤/ ١١-٢٣.

(٢) السيد أحمد الفيض أبادي لعبد القدوس الأنصاري ص١٧-١٨.

أسلافهم في ناحيتي العلم والعمل، وظلت هذه الأمنية الغالية عالقة بذهني إلىٰ أن قدم أحد معارفنا من أثرياء الهند إلىٰ المدينة المنورة سنة **١٣٣٤**هـ فعرضت عليه تفاصيل مشروعي، فأبدىٰ استعداده للتبرع بمبلغ سبعة عشر ألف روبية للمشروع إذا شرعت فيه . . انتهىٰ

أقول إن هذه خطوة جديدة جدا، فالحلم بدأ يتحقق وبذلك تشجع المؤسس وتقدم إلىٰ الحكومة التركية العثمانية وطلب منهم السماح له بتأسيس المدرسة، وذكر لهم الوعد الذي تلقاه من الثري الهندي بالمبلغ الكبير الذي سيرصد لهذا المشروع.

وفي هذه الفترة كانت الحكومة التركية قد قررت انشاء جامعة إسلامية كبيرة في المدينة المنورة تحمل اسم القائد والمجاهد المسلم الكبير صلاح الدين الأيوبي، يلتحق بهذا الصرح المتخرجون من المدرسة الإعدادية الفريدة بالمدينة والتي تم تأسيسها عام **١٣١٨**هـ لمواصلة دراستهم العليا إلىٰ القدس والأستانة.

وبدأت الدولة العثمانية في بناء الكلية عام **١٣٣٢**هـ وتم تشييد الطابق السفلي منها بالحجارة السوداء المنحوتة والمباني، وهي الآن مدرسة طيبة الثانوية المعروفة بالمدينة المنورة.

فعندما تقدم المؤسس أحمد الفيض أبادي بطلبه الترخيص ببناء المدرسة قوبل بالرفض وطلب منه تقديم تبرع الثري الهندي إلىٰ مشروع الجامعة الإسلامية التي تبنيها الدولة العثمانية.

وبهذا الرفض صدم الشيخ أحمد الفيض أبادي وظل ينتظر ماذا ستأتي به الأيام من أحداث، ولكن أمله في المدرسة ما زال قائما.

ووقعت الحرب العالمية الأولىٰ وكان وقوعها سببا في القضاء علىٰ مشروع جامعة صلاح الدين الأيوبي، وقامت الحرب وهاجر أهل المدينة منها خوفا من الجوع والعطش وهاجر أحمد الفيض أبادي مع من هاجر، وكانت هجرته إلىٰ أدرنة في تركيا، ومكث هناك عدة سنوات، وعاد إلىٰ المدينة سنة **١٣٣٧**هـ وما زالت فكرة نشوء المدرسة في ذهنه كأنها جزء من نفسه.

وبعد سنتين من استقراره في المدينة، وفي عام **١٣٣٩**هـ قدم للحج في تلك السنة

أحد أثرياء الهند، وكانت هناك معرفة سابقة بينه وبين أحمد الفيض أبادي، فاقتنص الفرصة المناسبة ليتحدث إلىٰ هذا الثري بما يدور في عقله من إنشاء المدرسة بالمدينة المنورة، ففكر الرجل في هذا العمل الخيري ووعده خيرا، وحال عودته إلىٰ موطنه الهند بعث إلىٰ المؤسس أحمد الفيض أبادي أربعين جنيها ذهبيا كانت هي النواة الأولىٰ للبدء في هذا المشروع الذي ظل المؤسس سنوات طويلة مشغولا بكيفية إعداد العدة له.

وعندما وصل إليه المبلغ اشترىٰ قطعة أرض بجوار المسجد النبوي الشريف، وبدأ البناء فيها مستعينًا بالمبلغ الذي تلقاه من الثري الهندي وبما يصل إليه من تبرعات بعد ذلك، وكانت البداية سنة **١٣٤٠**هـ.

ولم يكن المبلغ الذي أرسله المحسن الهندي كافٍ للقيام بالعمل كاملا، ففكر الشيخ أحمد الفيض أبادي باقتراض قيمة الأرض من أحد كبار تجار مكة المكرمة وهو الشيخ عبد الجبار الدهلوي، ومن أخيه الشيخ محمود أحمد.

وفي عام **١٣٤١**هـ كمل البناء الابتدائي للمدرسة وقام أحمد الفيض أبادي باختيار المدرسين الذين سيقومون بالتعليم في هذا الصرح الكبير، ووقع اختياره علىٰ الشيخ محمد الطيب الأنصاري والذي كان من أبرز المدرسين في المسجد النبوي الشريف آنذاك وعهد إليه برئاسة المدرسين من الناحية العلمية وتولىٰ هو الجانب الإداري.

إنشاء قسم صناعي

ثم إنشاء المؤسس قسما صناعيا، يهتم هذا القسم بتعليم الطلاب بعض الحِرَف المهنية وزخرفة الأخشاب ونجارتها ونسيج السجاجيد المحلاة بالزخارف والصور، وعمل لوحات جميلة مكتوبة من الخشب المزخرف وصناعة الأدوات المنزلية ذات النقوش المتموجة، وتطور القسم حتىٰ أصبح يصنع الكراسي والمناضد والمكاتب، وقد أسهم هذا القسم في سد حاجة المدينة وغيرها من قطع المكائن التي يحتاجها المزارعون حينما قامت الحرب العالمية الثانية، وكان هذا القسم يورد إلىٰ المدرسة مواردا مالية، وقد تخرج من هذا القسم كثير من الفنيين والمهندسين الذين خدموا مدينتهم وبلدهم المعطاء، وبذلك نقول إنها فكرة جيدة من المؤسس، استطاع بها أن يسد بعض احتياجات المدرسة فجزاه الله خيرا.

وقوف الدراسة بالمدرسة وإغلاقها

يقول شيخنا المغربي في أعلامه[(١)]: كان العهد هو عهد الحكومة الهاشمية وكان الخلاف بين هذا العهد وبين المذهب الوهابي الذي تمثله دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والذي يرعاه آل سعود معروفا للكافة، ومن هذه الثغرة دخل المغرضون فاتهموا المدرسة أنها تعلم طلبتها المذهب الوهابي.

ويقول الدكتور محمد العيد الخطراوي: استغل الحاقدون هذا الوضع وأشاعوا أن مؤسس المدرسة السيد أحمد رَحِمَهُ الله وهابي وأن المدرسة إنما أسست لخدمة المذهب الوهابي، متخذين من قيام المدرسة بتدريس كتب الحديث وشروحاتها البعيدة عن الخرافة وتدريس الفقه وأصوله أصبعا تشير إلىٰ وهابيته.

أقول: كثرت الإشاعات والوشايات فعلم المسؤولون الحكوميون، فأرسلوا المفتشين علىٰ المدرسة للتأكد من الأمر، وبعد محاولات مريرة مع المؤسس والمدرسين صدر الأمر بإغلاق المدرسة، وتسريح طلابها وموظفيها، وبالفعل أغلقت المدرسة ولكن المؤسس والمدرسين انتقلوا بفصولهم إلىٰ المسجد النبوي الشريف، وأصبحوا يعلنون ذلك جهرًا ليعلم الناس ماذا يدرسون، وبهذا العمل استطاعوا أن ينفوا هذه التهمة، وعادت المدرسة إلىٰ العمل في مقرها في منصف عام **١٣٤١**هـ وتلقىٰ المؤسس الموافقة من رئاسة ديوان الإمارة بالمدينة، وبالترخيص للمدرسة، وكانت العودة في شهر شوال سنة **١٣٤١**هـ[(٢)].

نجاح العمل

تم افتتاح المدرسة في عام **١٣٤٠**هـ واستمرت المدرسة في التقدم يومًا بعد يوم رغم ما واجهت من مكائد، ولكن نجاح العمل دائما يظهر في انتاجه فقد أخرجت المدرسة

---

(١) أعلام الحجاز ٤/ ١١-٢٣.

(٢) أعلام الحجاز ٤/ ١١-٢٣.

آلاف الطلاب ولا تزال تخرج إلىٰ هذا اليوم، فنذكر من أوائل المتخرجين والذين يعدون من أعلام المدينة بالمملكة العربية السعودية ونكتفي بذكر أسمائهم، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلىٰ كتاب مدرسة العلوم الشرعية من تأليف الدكتور محمد العيد الخطراوي، وهنا نورد بعض الأسماء:

فضيلة الشيخ محمد علي الحركان، الأستاذ الأديب عبد القدوس الأنصاري، معالي الأستاذ الأديب محمد عمر توفيق، فضيلة الشيخ محمد الحافظ، الأستاذ المربي الكبير عبد العزيز الربيع، الأستاذ الشاعر محمد هاشم رشيد، الأستاذ الأديب حمزة قاسم، الأستاذ الأديب عبد الفتاح أبو مدين وغيرهم من أولي العلم والفضل.

كلمة حق

إن العمل الذي قام به المؤسس يعد من تلك الأعمال التي لا نستطيع أن نكافئه عليها، ولكننا نقول: اللهم اجعلها في ميزان حسناته، وأنا أقول أيها القارئ بل أكاد أجزم بأن مدرسة العلوم الشرعية كانت صاحبة دور كبير في إحياء العلوم في المدينة المنورة وإخراج الأجيال المتعلمة والمثقفة، وتحقق حلم ذلك الرجل الذي يعد نمطا فريدًا من الرجال، فهو يعد أحد ثلاثة رجال من أهل الحجاز استطاعوا بعلمهم وفضلهم أن ينشروا العلم فيه وغيره:

أولهم الشيخ العلامة محمد رحمة الله العثماني والذي أسس المدرسة الصولتية بمكة المحمية.

وثانيهم الشيخ الفاضل محمد علي زينل والذي أسس مدارس الفلاح في كثير من البلدان.

وثالثهم الشيخ أحمد الفيض أبادي مؤسسة دار العلوم الشرعية ليتامىٰ بلدة خير البرية.

بارك الله في أعمالهم الخيرة ورحمهم الله تعالىٰ وجزاهم خيرا وجعل جنة الخلد مسكنهم.

الفيض أبادي ومطبعة الفيحاء

كذلك هناك عمل جليل قام به الشيخ أحمد الفيض أبادي لا بد لي أن أذكره بالرغم من أن كثيرا من المؤرخين يجهلونه وهو أنه قد قام بتأسيس مطبعة طيبة الفيحاء، وقد ساهم في تأسيسها معه الشيخ عبد الحق نقشبندي رحمه الله، وقد ظلت هذه المطبعة وحدها في ميدان الطباعة بالمدينة المنورة حتىٰ عام ١٣٥٥هـ حيث جعلها الأستاذان علي وعثمان حافظ نواة لمطبعة المدينة المنورة التي طبعت فيها جريدة المدينة المنورة بعد إصدارها في عام ١٣٥٦هـ[١].

وفاة الشيخ المؤسس

وحينما قربت المنية أصيب الشيخ أحمد الفيض أبادي بالمرض ومات يشكو من ضغط الدم الذي ألزمه الفراش حتىٰ فارق الحياة عصر يوم العاشر من شوال سنة ١٣٥٨هـ عن عمر يناهز خمسًا وستين سنة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

السيد حبيب يكمل المسيرة

أدرك الشيخ أحمد الفيض أبادي قبل مرضه بوجوب وجود من ينوب عنه في هذا العمل وإدارته، وهو يعلم أن الموت حق علىٰ العباد فرأىٰ في ابن أخيه السيد حبيب محمود أحمد ملامح النجابة واستبشر فيه الخير، وكان السيد حبيب آنذاك تلميذا في المدرسة، وقد حفظ القرآن الكريم في سنة واحدة[٢].

وواصل دراسته حتىٰ تخرج من القسم العالي سنة ١٣٥٨هـ وهو ابن العشرين عاما.

وقد رأىٰ عمه المؤسس أن خير من يخلفه في إدارة المدرسة ورعايتها هو حبيب، فولاه الإنابة وأكد له ذلك بصك شرعي منحه فيه التصرف المطلق في أمورها بما يراه مناسبًا لإدراتها، وحينما تولىٰ السيد حبيب الإدارة عمل جاهدًا علىٰ تطوير هذا الصرح الشامخ وشد علىٰ نفسه وجد وكافح وعمل علىٰ إكمال المباني التي بدأها المؤسس

---

(١) نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ص (٣٠).

(٢) أعلام الحجاز ٤/ ١١-٢٣.

ونجح في ذلك، وحينما تمت توسعة المسجد النبوي أزيل المبنىٰ، فأقدم السيد حبيب علىٰ شراء أرض قريبة وقام بتعميرها، والمبنىٰ جديد وجميل وتصميمه فريد.

فالوجيه السيد حبيب[١] كان خير خلف لخير سلف، فهو رجل كريم من بيت كريم، وقد عاصرته كان من محبي العلم وأهله وهو الذي يزودني بالكثير من المعلومات عن أسرته وتأريخها بالمدينة المنورة.

وإني أجدها فرصة مناسبة في هذه الترجمة لأتحدث عن الشيخ حسين أحمد المدني والشيخ محمود أحمد رحمهما الله، أخويّ الشيخ أحمد الفيض أبادي.

---

(١) توفي في ٨ من رمضان عام (١٤٢٣هـ) - الموافق ١٣-١١-٢٠٠٢م بعد حياة عامرة بالعطاء والعلم رحمه الله تعالى.



الشيخ حسين أحمد المدني[1]

شيخ الأسلام

هو حسين أحمد بن حبيب الله بن بير علي الفيض أبادي

الشيخ العلامة الصالح الحنفي المحدث المشهور بالمدني.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في شوال سنة ١٢٩٦هـ في بانكرمو من أعمال أناوء بالهند.

ومنذ صغره كان الطالب المجتهد في طلب العلم، فتلقىٰ بعض المبادئ من العلوم ثم سافر سنة ١٣٠٩هـ إلىٰ المدرسة العربية بديوبند ومكث بها سبع سنين وأخذ علوم الحديث والفقه علىٰ يد شيخ الهند العلامة محمود حسن الديوبندي وبايع الإمام رشيد أحمد الكنكوهي.

وفي عام ١٣١٦هـ هاجر مع والده وأسرته إلىٰ المدينة المنورة علىٰ منورها أفضل الصلاة والسلام، واشتغل بأخذ العلم علىٰ بعض علمائها، ثم سافر إلىٰ مكة المكرمة

---

(١) تشنيف الأسماع ص ١٧١، الشهاب الثاقب: وجمع بعض تلاميذه دروسه لسنن الترمذي، وهي مطبوعة لم تتم. (تاريخ جامعة دارالعلوم/ ديوبند ٢/ ٨٢-٨٤؛ نزهة الخواطر ٨/ ١٢٦-١٣٢. ط: لكناؤ ١٩٩٣م.

والتقىٰ بالشيخ العلامة امداد الله الكنكوهي واستفاد منه كثيرا وصحبه، ثم رجع إلىٰ بلده الهند باستدعاء من شيخه الكنكوهي سنة ١٣١٨هـ وبقي بها سنتين ورجع إلىٰ المدينة المنورة سنة ١٣٢٠هـ.

وقد تصدر للتدريس بالمسجد النبوي الشريف وكان من أشهر مدرسيه وأعلمهم وحلقاته لا تحصىٰ، وتلاميذه كثر، وكان يدرس التفسير والحديث والفقه، وفي عام ١٣٣٣هـ أحضر شيخه محمود حسن للحج.

ومن أشهر تلاميذه الشيخ عبد الحفيظ كردي الكوراني قاضي المستعجلة بالمدينة المنورة، والشيخ أحمد البساطي[(١)] والشيخ محمود عبد الجواد، والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ الطيب العقبي.

والشيخ حسين أحمد هو الذي نصح الشيخ ابن باديس بالعودة إلىٰ بلده وتبعه فيها الشيخ الإبراهيمي والعقبي قائلا ما معناه:

إن بقاءكم بالمدينة لن يفيد الجزائر بشيء ولكن عودوا إلىٰ بلادكم وابدؤوا بتعليم القرآن الكريم في كل مكان يتيسر لكم ذلك، إن الفرنسيين لن يستطيعوا الأمر بمنع تعليم أطفال الجزائر القرآن الكريم[(٢)].

وإني أقول إن الشيخ حسين أحمد ظل مقيما بالمدينة ولكنه أراد كذلك أن يطبق علىٰ نفسه الكلام الذي قاله لتلاميذه من الجزائر، فعاد إلىٰ الهند ليشارك في العمل علىٰ إخراج الانجليز من الهند فكان واحدا من أبرز الرجال الذين عملوا لاستقلال الهند، وقد قضىٰ العمر المديد من حياته في السجون في سبيل إظهار الحق ونصرة هذا الدين العظيم.

---

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

(٢) قال الشيخ ابن باديس: (أذكر أني لما زرتُ المدينة المنورة، واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان الونيسي، المهاجر الجزائري، وشيخي حسين أحمد الهندي، أشار عليّ الأول بالهجرة إلىٰ المدينة المنورة، وقطع كل علاقة لي بالوطن، وأشار عليّ الثاني، وكان عالمًا حكيمًا، بالعودة إلىٰ الوطن وخدمة الإسلام فيه والعربية بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني، ورجعنا إلىٰ الوطن بقصد خدمته . . .). انظر: الشهاب جـ٨ م١٣ ص (٣٥٥) عدد أكتوبر سنة ١٩٣٧م. (مقال في الاحتفال بافتتاح دار الحديث بتلمسان). وانظر: ذكريات العهود الثلاثة ص (٣٦).

وبعد هذا الاستطراد نعود ونقول إن الشيخ حسين أحمد ظل مدرسا بالمسجد النبوي الشريف من عام **١٣٢٠**هـ إلىٰ أن نشبت الحرب العالمية الأولىٰ فسافر إلىٰ مكة المكرمة والطائف، وبعد أن قامت الثورة علىٰ الحكومة العثمانية طلب منه أن يفتي بوجوب الخروج علىٰ الدولة، ولم يكن يرىٰ ذلك فامتنع، فنفي إلىٰ جزيرة مالطة، وبقي بها إلىٰ أن انتهت الحرب العالمية وأطلق سراحه فعاد إلىٰ الهند سنة **١٣٣٨**هـ ودعا إلىٰ نصرة الدين الحنيف وكان من المحاربين لفكرة انفصال الباكستان عن الهند، ويرىٰ أنها من الخبث السياسي الإنجليزي(١).

ولما اعتزل العلامة محمد أنور شاه الكشميري التدريس وقع الاختيار عليه خلَفًا للشيخ محمد أنور شاه، فانتقل إلىٰ جامعة (ديوبند) مدرسا وشغل منصب مشيخة علم الحديث النبوي، كما عمل نائبا لرئيس جمعية العلماء في دهلي(٢).

قال الشيخ البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ في الشيخين العالمين الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي: «. . . **فهما -والحق يقال- عالمان محققان واسعا أفق الإدراك في علوم الحديث وفقه السنّة** . .» إلىٰ أن قال فيهما: «. . . **وأشهد أني لم أَرَ لهذين الشيخين نظيرًا من علماء الإسلام إلىٰ الآن، وقد علا سني، واستحكمت التجربة، وتكاملت الملكة في بعض العلوم، ولقيت من المشايخ ما شاء اللّه أن ألقىٰ، ولكنني لم أَرَ مثل الشيخين في فصاحة التعبير ودقة الملاحظة والغوص علىٰ المعاني واستنارة الفكر، والتوضيح للغوامض، والتقريب للمعاني القصية. ولقد كنت لكثرة مطالعتي لكتب التراجم والطبقات قد كوّنت صورة للعالم المبرز في العلوم الإسلامية، منتزعة مما يصف به كتاب التراجم بعض مترجميهم، وكنت أعتقد أن تلك الصورة الذهنية لم تتحقق في الوجود الخارجي منذ أزمان، ولكنني وجدتها محقّقة في هذين العالمين الجليلين** . . .»(٣).

وفي آخر حياته كان كثير التردد علىٰ الحجاز وفي عام **١٣٥٨**هـ قدم إلىٰ المدينة

(١) تشنيف الأسماع ص (١٧١).
(٢) أعلام الحجاز- الجزء الرابع- ص (٥).
(٣) آثار البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٧٥).

المنورة زائرًا وألقىٰ محاضرة قيمة في مدرسة العلوم الشرعية التي أسسها أخوه السيد أحمد وكانت محاضرة قيمة ارتجلها باللغة العربية الفصحىٰ، وقد نشرت هذه المحاضرة في مجلة المنهل في أعداد مسلسلة[١].

له تصانيف قليلة منها:

- الشهاب الثاقب.
- رحلة مالطة.
- نقش حياة (مجلدين).
- رسائل جمعت في ثلاث مجلدات.

وبعد حياة مليئة بالجهاد والبيان في سبيل الله وافاه الأجل المحتوم في سنة **١٣٧٧**هـ وصلىٰ عليه شيخ المحدثين من بعده العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ودفن بجوار أستاذه محمود حسين الديوبندي رحمه الله وأثابه وأرضاه.

(١) أعلام الحجاز- الجزء الرابع. ص (٥).



الشيخ محمود أحمد[(١)]

هو محمود أحمد بن حبيب الله بن بير علي الفيض أبادي المدني.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٣٠٨هـ بالهند وقدم مع والده إلىٰ المدينة المنورة وهو في الثامنة من العمر، وتعلم بالمدرسة الإعدادية بالمدينة في العهد العثماني وتخرج فيها سنة ١٣٢٥هـ وتابع دراسته في المسجد النبوي الشريف في حلقات الدروس علىٰ العلماء الذين كانت حلقاتهم تملأ رحاب المسجد النبوي الشريف[(٢)].

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يجيد العربية والأردية والفارسية والإنجليزية.

وفي العهد العثماني عمل كاتبًا بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة.

وفي العهد الهاشمي رقي بأمر شريفي إلىٰ وظيفة رئيس كتاب فيها.

وعندما حل الحكم السعودي استمر في وظيفته رئيسا للكتاب بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة حتىٰ عام ١٣٤٩هـ حيث عين قاضيًا بمدينة جدة ولكن صحته توعكت فاستقال من وظيفة القضاء، وعاد إلىٰ المدينة المنورة بعد عامين قضاهما في جدة.

---

(١) الجواهر الحسان ٢/ ٧٠٩ ترجمة رقم ٣٢٢.

(٢) أعلام الحجاز ٤/ ٢١٥-٢١٧.

وبعد عودته للمدينة المنورة عُين كاتبا للعدل فيها وعاصر من القضاة الشيخ السيد زكي برزنجي والشيخ الشريف محمد نور الكتبي الحسني.

وفي عام **١٣٦٤**هـ عُين عضوا في رئاسة القضاء بأمر ملكي[١].

ثم عُين عضوا بالمجلس الإداري.

ثم عُين رئيسا لمجلس الأوقاف بالمدينة المنورة.

ثم عُين رئيس المجلس البلدي.

وللشيخ محمود أحمد خدمات جليلة لا بد لنا أن نذكرها، فبما أن المدينة المنورة بلدٌ زراعيٌ فقد قام الشيخ محمود أحمد باستيراد (طلمبات سحب المياه) المزودة بمكائن رش وجرىٰ تركيب أولىٰ المكائن في المدينة المنورة، فأحدث هذا العهد ثورة في طرق الري التي كانت مستخدمة، وكان هذا العمل تقدما عظيما استحدثه الشيخ رحمه الله[٢].

ومن أعماله الجليلة أيضا أنه استورد أول مصنع ثلج في المدينة المنورة[٣].

وفي عام **١٣٦٩**هـ وعندما كان الشيخ أحمد يتولىٰ رئاسة مجلس الأوقاف في المدينة، رأىٰ أن المكائن الكهربائية التي تضيء المسجد النبوي الشريف في حاجة إلىٰ تقوية، فاستأذن الملك عبد العزيز يرحمه الله أن يسمح له باستيراد مكنة كهربائية بقوة مائتي كيلووات مع كافة مستلزماتها من تمديدات وكوابل، واستورد معها مائتي مروح هوائية ومصابيح الفلوراسنت[٤] وتم تركيب هذه المكنة، كما تم تركيب المراوح والمصابيح الفلوراسنت لتقوية الإضاءة بالمسجد النبوي الشريف[٥].

---

(١) قرار تعين صادر من رئاسة القضاء برقم **٤٧١٩** في **٢٢/ ١١/ ١٣٦٤**هـ.

(٢) أعلام الحجاز ٤/ ٢١٥-٢١٧.

(٣) أعلام الحجاز- مصدر سابق.

(٤) (fluorescent lamp) هو المصباح الذي يعمل ببخار الزئبق عندما يمر به تيار كهربي يطلق اشعة فوق بنفسجية تصطدم بالمادة الفلورية التي تغطي السطح الداخلي للمصباح فيضيئ بلون أبيض ويختلف عن مصباح النيون.

(٥) ظهرت الكهرباء في مسجد رسول الله ﷺ علىٰ يد السلطان عبد المجيد الثاني العثماني. الذي أرسل محركًا كهربائيًا إنجليزي الصنع، يدار بغاز الفحم، مع كافة اللوازم للإضاءة، وبعد إكمال التمديدات والتجهيزات أضيء المسجد النبوي الشريف بالكهرباء لأول مرة في **٢٥** شعبان **١٣٢٦**هـ، ثم أرسل السلطان محركًا آخر فصار =

ومنذ ذلك العام استمرت هذه المكائن بالعمل حتىٰ عام **١٣٧٤**هـ حيث قامت الدولة بإنشاء محطة خاصة لإضاءة المسجد النبوي الشريف[(١)].

جزىٰ الله الشيخ محمود أحمد خير الجزاء وجعل هذا العمل في ميزان حسناته يوم القيامة إنه سميع مجيب.

وفاة الشيخ محمود أحمد

وبعد حياة مليئة بالأعمال النافعة الصالحة صعدت روح الشيخ محمود أحمد إلىٰ بارئها في يوم **٢٤** ربيع الآخر سنة **١٣٩٢**هـ وصلي عليه بالمسجد النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله وأحسن إليه.

= المحركان يتناوبان علىٰ العمل؛ وفي عام **١٣٥٣**هـ أهدىٰ الحاج الشاوي الجزائري، أو ابشاري الجزائري -كما يسميه البعض- للمسجد النبوي محركًا جديدًا لإضاءته؛ كما أهدىٰ الوزير المصري الأسبق أحمد حمزة محركًا آخر قويًا.

(١) أعلام الحجاز ٤/ ٢١٥-٢١٧.

السيد أحمد بن محمد أسعد

نجم مدني سطع في سرايا يلدز

رجل من رجال المدينة المنورة وأعيانها يعد من أعمدة الدولة العثمانية في وقته، وهو أحد أربعة من الرجال الذين اقترن اسمهم بالأستانة والدولة العليا في زمن السلطان عبد الحميد فكان يستمع لهم ولا يستانس إلا بمشورتهم ويتبعهم في المسلك والمشرب الصوفي.

هو أحمد[١] بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أسعد.

بيت أسعد وتاريخ الأسرة الأسعدية

بيت من البيوتات العريقة في الحسب والشهيرة بالنسب بيت أسعد الاسكداري، رفاعي الفرع حسيني الاصل، اسكداري المهجر، والشهرة اسعد، ولا يعرفهم المدنينن الا بيت أسعد وينعتوهم بالأسعدية، والحقيقة اننا لا نستطيع أن نتكلم عن هذا البيت كبيت من بيوتات المدينة بأنهم بيت مدني عريق فقط بل أن دورهم الديني والسياسي، كان يصدرهم في أوائل مجالس الدولة العلية أهل فضل وتقوىٰ، وعلم وعبادة وفتوىٰ، وقد دام فيهم إفتاء المدينة المنورة ما يقارب القرن من الزمان، ورأس هذا البيت وأصله السيد أبي بكر حلمي الأفندي الأسكداري بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أيوب بن زين العابدين القيسراني بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الكبير بن محمود بن علي بن هاشم الأحمدي بن أبي السعود سعد بن سلامة بن أحمد عبيد بن عبد الله المدني بن علي الحازم بن أحمد بن علي بن الحسن الأصغر رفاعة بن علي بن محمد المهدي بن الحسن الأكبر بن القاسم بن الحسين بن أحمد الأكبر بن موسىٰ أبي سبحة بن إبراهيم المرتضىٰ الأصغر بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام[٢].

---

(١) حلية البشر ١/ ٢١٠، فيض الملك١/ ١٩٤ترجمة ٥٢، ذكريات العهود الثلاثة ٧٣-٧٥.

(٢) حلية البشر ١/ ٢١٠، انظر ما كتبناه عن السادة الرفاعية في كتابنا الأصول ص١٠٥-١٠٩.

ذكرهم صاحب التحفة الأنصاري[١]، **وتبعه الحجار في مختصره**[٢] بالتأكيد علىٰ وجود البيت، ولعل الأنصاري والحجار استعرضوا وجود هذا البيت من حيث مكانتهم وعراقتهم، ولم يستعرضوا التسلسل الزمني لتاريخ هذه الأسرة من الجانب النسبي مع ذكرهما بشرافة البيت وسيادته فقد أنحدر من صلب هذا الرجل شخصيات كان لهم المضمار في مجالات شتىٰ من العلم والقضاء والفتوىٰ وكان لهم الدور السياسي والثقافي في المجتمع المدني خاصة وفي العالم الإسلامي عامةٍ.

قال الأنصاري في تحفته[٣]: بيت السيد أسعد أفندي أصلهم أبو بكر أفندي بن أحمد بن عبد الله الاسكداري المجاور بالمدينة المنورة في حدود سنة **١٠٤٠**هـ، قدمها علىٰ قدم التجريد والعبادة فنال بذلك الحسنىٰ وزيادة.

أقول: وفي المدينة عدة بيوت ينسبون لاسكدار ويعرفون بالاسكداري وليس هم بيت واحد، واليك التفصيل:

البيت الاول: بيت أسعد اليوم وهم من نسطر تأريخهم في هذه الترجمة.

البيت الثاني: بيت العلامة محمود أفندي الرومي الأسكداري المدرس قدم المدينة المنورة علىٰ قدم التجريد سنة ١١٠٠، وكان رجلًا فاضلًا عالمًا عاملًا[٤].

البيت الثالث: هم بيت الشيخ اسماعيل بن عبد الله الاسكداري الحنفي نزيل المدينة المنورة شيخ الطائفة النقشبندية بالمدينة النبوية[٥]، وقد تتبعت أمر هذا البيتان الاخيرين فلم أجد عنهما خبر وقد صرح صاحب التحفة بوجود البيت الثاني ولم يثبت أنقراضهم وتبعه في ذكرهم صاحب المختصر وأكد ان بقيتهم في رجل واحد كان فران في زمانه ولم يذكر له عقب، أما البيت الثالث فلم يذكرهم لا الانصاري في التحفة ولا الحجار في المختصر انما وقع نظرنا عليهم في بعض الوثائق وأثبتنا وجودهم في

---

(١) تحفة المحبين ٣٥-٣٨.

(٢) مختصر القرمية ص ١٥.

(٣) تحفة المحبين ٣٥-٣٨.

(٤) تحفة المحبين ٤٦، مختصر القرمية ١٧.

(٥) سلك الدرر ١/ ٢٥٥، وهدية العارفين ٥/ ٢٢١، تراجم أعيان المدينة ٦١ ترجمة ٣٦، الأعلام ١/ ٣١٨.

القرن الثاني عشر الهجري ولم أقف علىٰ خبرهم والحاصل ان البيتان الثاني والثالث الله أعلم بحالهم فلم نقف علىٰ أثرهم من بين البقاء او الأنقراض والله العالم.

فكان علينا ان ندون ذلك لما تستدعيه أمانة التاريخ وظواهر السنين، وكم ترك الأول للآخر، وبالله التوفيق.

قال الحجار في مختصره:[(١)] بيت أسعد أفندي زاده: أصلهم أبو بكر أفندي ابن محمد بن عبد الله الأُسْكداري، المجاور بالمدينة المنورة في حدود ألف وأربعين، وأولاده السيد أسعد وأخوه السيد أحمد، وقد أدركت من أصل هذا البيت السيد أسعد، وله من الأولاد: محمد، وعبد الله، وعثمان؛ وأيضا أخوه، وله من الأولاد إبراهيم، وأبو السعود، وعلي ومحسن.

أقول: أما السيد أبو بكر بن أحمد الأسكداري، وقد ثبت لدينا أن أسمه حلمي وكنيته أبو بكر، ونجد أن الأنصاري ومن تبعه كالحجار وغيرهم لم يذكروا اسمه فذكرا كنيته، وهذا ما نثبته هنا.

وتذكر المراجع النسبية التي وقعنا عليها من مخطوطات ومستمسكات وما تتبعناه من مصادر تدوين تاريخ هذا الفرع من النسب الرفاعي الحسيني وقد دونها مطابقة لما هو مسجل في دفاترنا وسجلاتنا النسبية خروج الحسن الأصغر المكي بن علي بن محمد المهدي بن الحسن الأكبر بن القاسم بن الحسين بن أحمد الأكبر بن موسىٰ أبي سبحة بن إبراهيم المرتضىٰ الأصغر بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، في القرن الرابع الهجري من الحجاز إلىٰ بلاد المغرب ببادية اشبيلية، واستقراره فيها، ووفاته سنة **٣٣١**هـ في بلدة اشبيلية، وثبوت عقبه من أربعة رجال، هم: علي (المغربي)، وسعد، وعمران، وبركات

أما سعد وعمران وبركات، فلهم عقب في بلاد المغرب.

وأما علىٰ المغربي بن الحسن الأصغر، فمولده في أشبيلية، ووفاته بها سنة

---

(١) مختصر القرمية ١٥-١٦.

٣٥٣هـ، وعقبه من خمسة رجال، هم: أحمد المرتضىٰ، ورفاعة، وكنانة، وهزاع، وغالب.

أما كنانة، ورفاعة، وغالب، وهزاع، فلهم عقب منتشر في بلاد الشام، ومصر، والعراق الىٰ يومنا هذا ومنهم بيوتات معلومة مشهورة.

وأما أحمد المرتضىٰ بن علىٰ المغربي، كان عالمًا زاهدًا ورعًا، توفي في اشبيلية سنة **٣٧٠**هـ، وأعقب ولد واحد، هو: علىٰ (الحازم).

أما علىٰ الحازم بن أحمد المرتضىٰ، فكانت وفاته في اشبيلية سنة **٣٨٥**هـ، وأعقب ثلاثة رجال، هم: ثابت (أبو الحازم)، وعبد الله (المدني)، ومحمد (عسله).

أما ثابت بن علىٰ الحازم، فعقبه كبير شهير منتشر في البلدان تولىٰ منهم النقابة في بلاد العراق، ومن عقبه الولي الصالح القطب سيدي الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله.

وأما محمد عسله بن علي الحازم، فعقبه شهير منتشر في البلدان، ومنهم آل الرفاعي في المدينة وقد فصلنا عنهم في ترجمتنا للسيد حمزة الرفاعي في كتابنا هذا.

وأما عبد الله المدني بن علي الحازم، فمولده في أشبيلة، قدم المدينة واستقربها، وتزوج من بني حسين أمراء المدينة، وأعقب أربعة رجال، هم: علي، وشعيب، وموسىٰ، وأحمد (عبيد).

أما علي، وشعيب، وموسىٰ، فلهم أعقاب.

وأما أحمد عبيد بن عبد الله المدني، فمن عقبه: زين العابدين القيسراني بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الكبير بن بن محمود بن علي بن هاشم الأحمدي بن أبي السعود سعد بن سلامة بن أحمد عبيد.

أما زين العابدين القيسراني، فدخل بلدة قيسارية، وهي بلدة عظيمة في بلاد الروم، علىٰ مقربة من مدينة سيواس، يقال: أنه حبس فيها محمد (بن الحنفية) بن علي بن أبي طالب، علىٰ ما ذكره ياقوت في معجمة، وأعقب في مدينة قيساريه، وعلا أمره فيها، وله فيها منزلة عالية، وعمر له ملكها رواق، ولما توفي عمر له الناس بجانب قبره رباطًا، وأعقب من ولده أيوب، وله عقب في بلدة أسكدار، وهي محلة عظيمة

عامرة آهلة شرق قسطنطينة، ومن عقب أيوب بن زين العابدين القيسراني: السيد أبي بكر حلمي أفندي الأسكداري بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أيوب المذكور.

قدم السيد أبو بكر حلمي[١] بن أحمد الأسكداري، إلىٰ المدينة في حدود سنة ١٠٤٠هـ، مهاجرًا، وكان رجلًا صالحًا ناسكًا، اتخذ من رباط «قره باش» سكنًا وخلوة له حتىٰ صار شيخًا علىٰ الرباط المذكور وأجرىٰ شرط واقفه المسطور في جميع الأمور.

وأعقب بالمدينة رجلين، هما: إبراهيم، وأسعد.

وأما إبراهيم بن أبي بكر حلمي، مات سنة ١١١٥هـ، ولم يعقب.

أما أسعد بن أبي بكر حلمي، (وهو بقية البيت وإليه النسبة).

السيد أسعد أفندي بن أبي بكر حلمي الأسكداري[٢]

السيد أسعد أفندي بن أبي بكر حلمي الأسكداري عالم المدينة وصاحب الفتوي فيها ولد بالمدينة المنورة سنة ١٠٥٠هـ، ونشأ بهاواشتغل بأخذ العلم ولازم الشيخ مكي أفندىٰ قاضي المدينة المنورة انذاك ودرس عليه الفقه وطاف بحلقات العلماء فحصل له المرام، فأصبح أحد الأعلام المشهورين فتصدرللتدريس بالمسجد الشريف النبوي، وتولىٰ افتاء الحنفية.

الفتاوي الأسعدية

تتعبر الفتاوي الأسعدية من أهم كتب الفتاوي في ذلك القرن وكانت هي عمدة أهل الحجاز المعول عليها بعد وفاته، وهذه الفتاوي تسجل الوقائع التي كانت تحدث من النزاعات وقضايا الأرث والأوقاف وغير ذلك،وقد جمعت في مجلد ضخم بالفتاوي

(١) سلك الدرر ١/ ٣٠٠.

(٢) سلك الدرر ١/ ٢٢٢، تراجم أعيان المدينة ٤٠ ترجمة ١٧، هدية العارفين ٥/ ٢٠٥، معجم المطبوعات ٤٣٤، الأعلام ٢/ ٤٢٢، وترجمة له بقلم حفيده ولي الدين الاسعد، في جريدة المدينة المنورة ٨ و١٥ ربيع الاول ١٣٨٠ وأورد في ولادته سنة ١٠٥٧ ه، والصحيح ما أثبتناه.

الأسعدية، وهي تؤرخ لأحداث النزاعات في ذلك العصر وقد أعتمد عليها لسهولة أسلوبها وإدراك واسع للفقه الحنفي مقارنة مع المذاهب الأخرىٰ وذلك لتضلعه في الفقه مع الإحالة لبعض أمهات الكتب، وقد جمعت الفتاوي بعد وفاته علىٰ يد تلميذه الشيخ محمد بن مصطفىٰ قنوي زاده خليفة، وقد نسخة بعدة نسخ محفوظة في مكتابات المدينة كمكتبة الحرم النبوي والمحمودية وشيخ الإسلام عارف حكمت وفي مكتبة آل اسعد، وقد طبعة مؤخرًا محققة بطبعة انيقة.

وللسيد أسعد تحريرات كثيرة كان يكتبها علىٰ هوامش الكتب ولتلامذته علىٰ الكتب المقروءة عليه معزوة إليه، منها كتابه المسمىٰ (مسلسل العلامة الأوحد السيد أسعد)، ولم يزل علىٰ أحسن حال حتىٰ اتىٰ امر الله فكانت وفاته ١١١٦هـ، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالىٰ.

وأعقب ثلاثة رجال، هم: إبراهيم، ومحمد، وعبد الله.

السيد إبراهيم بن أسعد[(١)]

ولد بالمدينة سنة ١١٠٠هـ وبها نشأ وطلب العلم، هو وأخوته في اروقة المسجد النبوي الشريف،الا انه عزف عن المناصب ولم يتقلدها كان رجلًا صالحًا ورعًا، ولم يزل علىٰ زهده حتىٰ ادركته المنية سنة ١١٨٠هـ، وقد أعقب ولدين، لم يعقبا، فدرج.

السيد محمد بن أسعد الاسكداري[(٢)]

عالم وطبيب المدينة

عالم من علماء المدينة تصدر للافتاء فيها، وبرز في الطب فجمع شتىٰ العلوم، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٠٨٨هـ، وبها نشأ وتعلم بها وقرأ علىٰ والده وأخذ عن أفاضلها، كان فاضلًا عالمًا متضلعًا في كثير من العلوم وله اليد الطولىٰ بين المدنيين في الطب والجراحة مستحضرًا ما يلزمه من الأدوية والمراهم والعلاجات ينتفع به الناس ابتغاء وجه الله تعالىٰ، ويبذل الأموال الجزيلة في وجوه الخير وإذا أظلم الليل

(١) تراجم أعيان المدينة ٤٣ ترجمة ٢٠.

(٢) سلك الدرر ٤/ ٣٤-٣٥.

خرج بما يحتاج إلىٰ المرضىٰ فيغسل لهم جراحاتهم ويعللهم بالأدوية، ويطعمهم الطعام، الف رسالة في تحرير النصاب الشرعي من الدنانير والدراهم وغيرها ولم يزل علىٰ حاله ينتفع به إلىٰ أن أدركته المنية وكانت وفاته بالمدينة المنورة شهيدًا مقتولًا ليلة المعراج سنة **١١٤٣**هـ ودفن بالبقيع.

وأعقب ولدًا، هو: عبد المحسن.

السيد عبد المحسن بن محمد بن أسعد(١)

ولد بالمدينة سنة **١١٢٨**هـ، ونشأ بها وطلب العلم فأخذ عن الشيخ محمد حياه السندي والعلامة محمد بن الطيب المغربي الفاسي والشيخ محمد أفندي أبي الخير الشرواني والشيخ علي أفندي الخطاط وغيرهم وأخذ أيضًا عن الشيخ زين الدين مصطفىٰ بن محمد الأيوبي الرحمتي، برز بين أقرانه فكان يجيد الفتوىٰ، ويشاركها ويحررها مع عمه السيد عبد الله مفتي المدينة انذاك، وعندما توفي عمه، ارتقىٰ المحراب الحنفي وتولىٰ افتاء المدينة المنورة واستمر فيها نحو ثلاثين سنة، وكان عالمًا فاضلًا وجيهًا ذا عقل مقدم في قومه، مع ما أصدره من الفتاوىٰ وما قيده من مسائل علمية ودينية في سفر كبير، لا يزال مخطوطا في كتب آل أسعد بالمدينة حلت به محنة فسجن في مكة ثم أطلق وعاد إلىٰ الافتاء وكانت وفاته بالمدينة المنورة في **٢٩** محرم **١١٨٣**هـ رحمه الله تعالىٰ.

وأعقب ولدين هما: سعدالدين، ومحمد.

أما سعد الدين بن عبد المحسن، فمولده بالمدينة **١١٥٢**هـ، كان علىٰ صلاح وتقوىٰ ولم يزل علىٰ حاله حتىٰ ادركته المنية في ربيع الاخر سنة **١١٩٤**هـ، ولم يعقب.

وأما محمد بن عبد المحسن، فمولده بالمدينة **١١٦٦**هـ، مات في مقتبل العمرفي شهر محرم سنة **١١٩٦**هـ، عن بنت واحدة فكان مئناث.

---

(١) سلك الدرر ٣/ ١٣٥، ولي الدين أسعد في جريدة المدينة المنورة ٢/ ٤/ ١٣٨٠، الأعلام ٨/ ٤٠٧.

السيد عبد الله بن أسعد بن أبو بكر حلمي(١)

علم من أعلام العلماء وأعيان الأدب في مدينة سيد العرب والعجم، مولده بالمدينة المنورة سنة ١٠٩٥هـ، ونشأ بها وأخذ عن جملة من أفاضلها منهم والده السيد أسعد، والشهاب أحمد المدرس والشيخ سليمان بن أحمد الأشبولي الذي يروىٰ عن الشيخ علي الشبراملسي والبرهان إبراهيم اللقاني، والشيخ عبد الرحمن اليمني والشهاب أحمد السبكي والشيخ النور علي الأجهوري بأسانيدهم المعلومة ثم تصدر بعد ذلك للتدريس وعقد حلقته في المسجد النبوي الشريف فدرس وافاد وانتفع به العباد، تولىٰ افتاء المدينة المنورة ونيابة القضاء بعد وفاة أخيه السيد محمد، كان فاضلًا عالمًا ذا جاه ووجاهة، له شعر منظوم توفي بالمدينة المنورة شهيدًا بالبطن وكانت وفاته عقب وصوله من الحج والحجاج إذ ذاك بالمدينة في ٤/ محرم سنة ١١٥٤هـ، ودفن بالبقيع في مشهد حافل رحمه الله تعالىٰ، وأعقب رجلين، هما: محمد، وعبد الله.

وأما عبد الله بن عبد الله بن أسعد، مات سنة ١١٧٥هـ، ولم يذكر له عقب، والله العالم.

السيد محمد(٢) بن عبد الله بن أسعد

ويعرف بمحمد اسعد الصغير

أحد أعيان البيت الأسعدي، الإمام الخطيب القاضي مفتي الحنفية بمدينة خير البرية، ولد بالمدينة المنورة سنة ١١٤٤هـ، وتعلم علىٰ يد والده في بداية الامر ثم توفي والده وعمره عشر سنوات، فتولت والدته تربيته وتكفل أعمامه واخواله بتعليمه فحفظ القرآن الكريم وجوده اضافة إلىٰ تعلمه شتىٰ العلوم ومن أبرز اساتذة الشيخ مير ملا الأزبكي في الفقه وأصول الحديث ودرس علىٰ يد الشيخ ابراهيم السندي النحو وعلوم اللغة العربية ومن أساتذته محمد مولاي المغربي حتىٰ أجيز من العلماء فتصدر

(١) سلك الدرر ٣/٨٣، تراجم أعيان المدينة ٤٢ ترجمة ١٩.

(٢) تراجم أعيان المدينة ٤٥ ترجمة ٢٢.

للتدريس وعقد حلقته في الروضة النبوية، وبرز بين علماء قرنه، وعندما ادركت الوفاة عمه السيد عبد المحسن مفتي الحنفية في عام ١١٨٦هـ، عينه الشريف سرور في وظيفة عمه ثم عيِّن نائبًا لقضاء المدينة بجانب تدريسه في الحرم النبوي الشريف، وقد تخرج علىٰ يده العديد من العلماء الاعلام، وقد توفي ﷺ في ذي الحجة عام ١١٩٩هـ.

واعقب من ثلاثة رجال: أحمد (شيخ الخطباء)، وعبد الله، وإبراهيم.

وأما إبراهيم بن محمد (الصغير)، فكان مئناث، وأعقب بنت.

السيد عبد الله[1] بن محمد بن عبد الله أسعد

مولده المدينة المنورة، وبها نشأ وتعلم علىٰ يدي والده، وعلىٰ علماء المسجد النبوي الشريف، من ادباء المدينة في القرن الثالث عشر الهجري، له مساجلات شعرية، له نظم شعري ذكره صاحب الحلية.

وأعقب عبد الله بن محمد (الصغير)، من ولده: محمد مصطفىٰ المتوفي بمكة سنة ١٢٤١هـ.

وأما محمد مصطفىٰ بن عبد الله بن محمد (الصغير)، فأعقب بنت فدرج.

السيد أحمد بن محمد بن عبد الله أسعد

شيخ الخطباء بالمدينة

والعقب من أحمد بن محمد (الصغير) من ولده: محمد المتوفىٰ بمكة سنة ١٢٤٦هـ.

وأما محمد بن أحمد بن محمد (الصغير) وهو الجد الجامع لهذا البيت في زماننا هذا، فأعقب رجلين، هما: أحمد، وأسعد، ومن عقبهما أسرة السادة آل أسعد الموجودين في المدينة وجدة والرياض اليوم، وقد أنتشرت فروعهم قديمًا بالحجاز ومصر واستنابول، ومنهم السيد ولي الدين بن علي أسعد رجل من اصحاب القلم له مشاركات ادبية كان يقيم بمصر حدثني عنه شيخنا مؤرخ الحجاز الشيخ محمد علي

---

(١) حلية البشر ١٠١٨/٢.

مغربي رحمه الله، وله ذرية تسكن جده اليوم، واعرف منهم السيد طريف بن ولي الدين بن علي بن أحمد أسعد وهو حفيد المترجم له رجل ذو خلق ووجاهة وأدب جم كأسلافه، وقد أدركت من الأسرة الأسعدية بالمدينة المنورة السيد عبد العزيز أسعد رحمه الله رجل طيب الذكر وقور من رجالات المدينة الكرام، ومن رجال هذا البيت السيد عارف بن عثمان أسعد حدثني سيدي الوالد عنه بأنه من الشخصيات المدنية الكريمة في السمت والخلق وطيب السمعة، وأعرف منهم اليوم السيد عصام عارف أسعد صنو أبيه عرفته حسن الخلق طيب المعشر محبوبًا في المجتمع المدني وهو بقية البيت في المدينة في زماننا ومقدمهم في مجلسهم الأسعدية الذي يرتاده رجالات المدينة، بارك الله في هذه الاسرة الأسعدية المدنية وفي ذريتهم.

السيد أسعد[1] بن أحمد بن محمد بن عبد الله أسعد

صاحب النفحات الرفاعية واحد رجالها المقصودين في مدينة خير البرية

الإمام والخطيب بالمسجد النبوي، ولد سنة ١٢٠٠هـ، ونشا نشاة صالحة في بيت آباءه وعلىٰ نهج أجداده، واشتغل بطلب العلم، فقرأ علىٰ جملة مشايخ منهم: الشيخ عابد السندي المسند المدني الشهير، وفي سنة ١٢٥٤هـ، قدم إلىٰ المدينة العارف بالله السيد محمد عثمان المرغني، فتوجه لزيارته بعد قراءة درسه المعتاد علىٰ شيخه عابد المذكور، فحصل له بلقاءه البركة ولازمه حتىٰ حصل له المراد بأخذ الطريقة المرغنية القادرية.

وزاره الرواس وقال عنه بوارقه[2]: وأما السيد أسعد فيؤول الىٰ القطب السيد هاشم الأحمدي العبدلي رضي الله عنه.

وفي سنة ١٢٥٥هـ، توجه إلىٰ الآستانة، وهناك وصل وحصل له بها القبول من النفحات الآلهية، فاشير إليه بالبنان ووقع عليه الإختيار فصدر الفرمان السلطاني بتعيينه وكيلًا لفراشة والدة السلطان عبد المجيد خان، فكان ذلك القوي الامين فرتبت له

---

(١) نزهة الفكر ١/ ٢٠٥ ترجمة ٧٧، فيض الملك ١/ ١٩٥ ترجمة ١٩٥.

(٢) بوارق الحقائق ٢٦٨ وما بعدها.

المرتبات الجزيلة، وأمرت له بإعطاء دار له بالمدينة المنورة، والذي كان له من الفضل الباهر والمجد الظاهر ما يحكىٰ به القوم، وكان السيد أسعد علىٰ تقوىٰ وصلاح، يقصده المريدين، ويزوره أهل الله العارفين، وما زال في عز وتمكين يقصده، إلىٰ أن توفي بها سنة ١٢٧٨هـ، ودفن بالبقيع فرحمة الله عليه.

نواصل الحديث عن علمنا المدني وتاريخ من سجله الحافل.

مولده

ولد في المدينة المنورة، سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين من هجرة سيد المرسلين، وبعد ولادته بعام توفي والده فقام بتربيته أخوه الأكبر وشقيقه الأوحد السيد أسعد، فأفرغ جهده في تأديبه، وحسن تربيته وتدريبه، فقرأ القرآن وأتقنه، ثم حفظه وجوده حتىٰ أتم تجويده وأحسنه، فعندها أخذ في طلب العلم علىٰ السادة الأفاضل كالشيخ يوسف الصاوي، وأحمد الطنطاوي، وعبد الغني الدمياطي، وعبد القادر المغربي، وحبيب المغربي، والشيخ عبد الكريم البخاري وغيرهم من اعلام مدينة خير البرية.

السيد أحمد أسعد ونظرة الصالحين

ذكر الامام العارف بالله الشيخ محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس حين زيارته للمدينة المنورة والذي التقىٰ فيها بالاقطاب والاولياء والعارفين من اهل المدينة كالشيخ محمد بن عمر بالي مفتي الحنفية في مدينة خير البرية، والسيد أحمد الرفاعي شيخ الحرم، والسيد أسعد أخو المترجم له، وقد اشار بواقعة عظيمة في كتابه بوارق الحقائق وهي التي تؤكد لنا أن لله رجال لهم من الفراسة ما ينظرون به بنور الله، يذكر الشيخ انه قد دعاه السيد أسعد شقيق مترجمنا في أول ليلة من رمضان لتناول طعام العشاء، وانه التقىٰ في ذلك المنزل بأخ السيد أسعد وكان هذا الاخ دون العشرين وقد قام هذا الشاب بقبض يدي الشيخ حينما اراد الخروج بلهفة واخلاص وطلب من الشيخ الدعاء يقول الشيخ فلما استحضرت امر الدعاء له رأيته بكشفي نائما واليد الأحمدية ترفع به إلىٰ أرائك المعالي وهو لا يشعر فوكزته بعد التبحبح بظهوره

فاستيقظ من سنته ورجع الىٰ سُنَّته وإني لأرجو فيه بروز شأن طرازي من سابقة المدد يكون المقصود[١]. انتهىٰ كلامه.

أقول: أتدرون من هو الذي يتكلم عنه الشيخ أنه مترجمنا السيد أحمد أسعد وأنها فراسة الرجال الصالحين وبركة اهل الله العارفين فقد علا شأنه بأمر الله وقدرته وعطاءه كما رائه الشيخ حينما دعا له بقلب صادق وساعة مستجابة.

أسعد مفتي المدينة النبوية وشيخ خطباء مسجد خير البرية

لقد برز السيد أحمد من بين أقرانه فكان وريث الامامة والخطابة عن اجداده نزيل الافتاء عن ابائه الكرام، حيث أصبح مفتي المدينة النبوية حتىٰ ارتقىٰ وتولىٰ مشيخة الأئمة والخطباء في مسجد خير البرية.

أسعد وفراشة السلاطين

لقد حظي السيد أحمد بوكالة فراشة الحجرة الشريفة النبوية، وهذا المنصب لا يحدث الا لرجل يحمل ثقة الدولة العلية ومقدم لدي سلاطينها، فيكون من اولي الاحترام عندهم، وفي سنة أربع وثمانين تشرف بخدمة وكالة الفراشة عن مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد العزيز خان أسكن الله روحه فراديس الجنان، وغب انتقاله إلىٰ الآخرة، والدار الباقية الفاخرة، تشرف بوكالة الفراشة عن مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان، أدام الله حياته علىٰ مدىٰ الأزمان.

أسعد من رجال السلطان عبد الحميد

و كان قد قرب إليه ثلاثة من كبار المتصوفة في ذلك العصر وكان لهم مقام سام في السلطنة يومئذ مع نفوذ في جميع الدوائر وهم: الشيخ محمد ظافر المدني الشاذلي، والشيخ السيد أبو الهدىٰ الصيادي، والشيخ السيد أحمد أسعد المدني والذي كان أول الرجال بالنسبة الىٰ ما يفعل بالحجاز وكان السيد احمد طيلة حياته التي عاشها مكلفًا بما ينبغي للحجاز أو بما يريده السلطان، فلكل زمان دولة ورجال.

---

(١) بوارق الحقائق ٢٦٨ وما بعدها.

أسعد واستقراره بالأستانة وثقة السلطان

وفد السيد أحمد علي الآستانة مقر الخلافة الإسلامية بضع مرات في حل قضايا تتعلق بالعرب، وهنا يعيد السيد أحمد وريث البيت الاسعدي العريق مجده في المدينة بصولاته، ويبسط نفوذه في الحجاز كله بجولاته، لقد كان له الصنيع الكبير للشريف عون، بل إن نفوذه قد استحوذت علىٰ الخديوي إسماعيل، وبذلك ادرك السلطان ان العرب جميعهم لايعصون له امرًا ومن هنا نال الحظوة عند السلطان عبد الحميد وصارت له دائرة خاصة في المابين ويطلقون عليه اسم سيد افندي وله الحق في الدخول علي السلطان بلا استئذان ولجلالة السلطان به ثقه

أسعد المبعوث المتحدث بأسم السلطان

كان السلطان يرىٰ في شخصية السيد أحمد الدهاء الذي يمكنه من اقناع الأطراف الاخرىٰ لا سيما تميزه بقوة علاقاته وشخصيته المحبوبة بين كثير من طبقات المجتمع فهو رجل حجازي له الكثير من النفوذ داخل الحجاز وبالاخص في المدينة المنورة وصلته الوطيدة بين العربان وكانت له سيطرة في اقناع العربان في المفاوضات بينهم وبين الدولة العليا والحد من قطع الطريق علىٰ حجاج بيت الله الحرام.

وفقد اختاره السلطان في المهمات السياسية ومنها ما أرسله الي سفير أنكلترا في الآستانه في قضية واستطاع السيد أحمد بانهاء الأمر وأجاب السفير الأنجليزي طلبه، وحينما قامت ثورة عرابي في مصر قام السلطان بإرساله إلىٰ مصر هو ومعه درويش باشا كي يسديا النصيحة لعرابي بعدم مقوامة الإنجليز، إلا انهما لما يوفقا في إقناع عرابي الذي اصر علىٰ المقاومة، وليس المجال هنا لتوضيح الأسباب.

أسعد شاعر اصالة

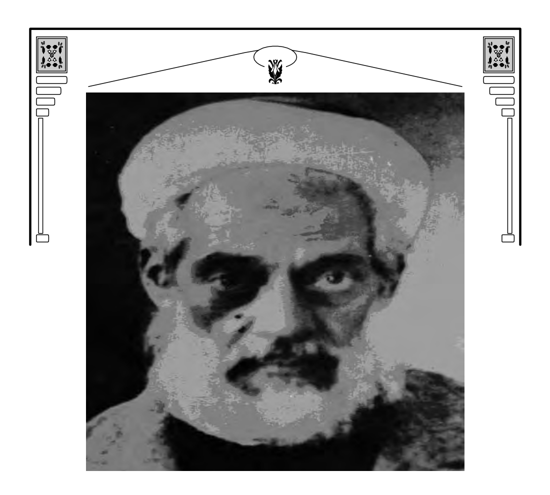
يعد السيد أحمد أسعد من الشعراء إلا انه شاعر تقليدي مقل ويندرج شعره في خانة الشعراء العلماء أو الفقهاء، رغم نظمه المتميز ولعلنا نجد أن شعره ينطوي في شعر الشوق والحنين والمناجات، الذي يجمع بين حسن الالفاظ وجزالة العبارات.

أسعد يكرم بالأوسمة والنياشين

وفي سنة تسع وتسعين وجه عليه باية استانبول، وبعد أيام قليلة أحسن إليه ببابة أناطول، مع النيشان البرنجي المجيدي وبعده بالوسام البرنجي العثماني، ثم بنيشان الصداقة، ثم ببابة قاضي عسكر روميلي التي هي نهاية المراتب، ونال هو وأولاده أرفع رتب الدولة وأوسمتها.

وفاته

ولم يزل مقيمًا في رحاب السرايا مع التبجيل والأحترام، متشرفًا بخدمة جناب السلطان والدولة العليا مرفوع القدر، نافذ الكلمة في كل أمر ونهي، ملجأً لكل العباد، حتىٰ أتىٰ أمر الله واذنت روحه بالصعود الىٰ بارئها في يوم ٧ رمضان ١٣١٤هـ، وأعلنت الآستانة العلية وفاته وفقدت السرايا أحد رجالها المخلصين الذين خدموا الدين والدولة ودفن في باستانبول بمشهد حافل فرحمة الله عليه.



الشيخ أحمد بساطي[١]

هو أحمد بن مصطفىٰ بن محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن يحي بن حمزة بن عبد الغني بن عبد الباسط[٢] الشهير بالبساطي.

بيت البساطي

أسرة مدنية عريقة ثابتة القدم ومن بيوتاتها الشهيرة بالعلم والفضل والإمامة والخطابة، ورأس هذا البيت هو الشيخ عبد الباسط العطار الذي قدم المدينة من الديار المصرية سنة ١٠٠٠هجرية، وكان صاحب ثروة من التجار له محل يبيع فيه العطارة بمحلة باب السلام بجوار المسجد النبوي الشريف أقام بالمدينة واعقب بها وعرفة ذريته ببيت البساطي ولا لزالوا يعرفون بذلك وتنسب إليهم محلة البساطية التي كانت من املاكهم واوقافهم بنواحي شمال المسجد النبوي الشريف، وقد ادركتها وهي اليوم

(١) البحر العميق ١/، الجواهر الحسان ٢/٦٦٧ ترجمة ٣٠٠.

(٢) تحفة المحبين ص٩٥، مختصر القرمية ص٢٣.

أرض بيضاء دخلت ضمن التوسعة الخاصة بعمارة المسجد النبوي الشريف.

قال علي موسىٰ في وصفه[١]: ومن شرقي الجادة بلاد المرحوم أحمد بساطي والمصانع[٢].

وقال إيضًا: فاذا تجاوزت البساطية والداودية والزكي صرت في مناخ الحج الشامي.

قال الأنصاري في تحفته[٣]: بيت البساطي نسبة إلىٰ بساط قرية مشهورة بالديار المصرية، أصلهم الشيخ عبد الباسط العطار بباب السلام، وكان صاحب ثروة، وكان قدومه إلىٰ المدينة المنورة في حدود سنة **١٠٠٠**هـ، وأقام بها إلىٰ أن توفي، وأعقب من الأولاد: عبد الغني.

وتبعه الحجار في مختصره[٤] **بقوله**: بيت البساطي نسبة إلىٰ بساط: قرية مشهورة بالديار المصرية، اول من ورد منهم الشيخ عبد الباسط العطار بباب السلام، في حدود عام ألف.

أقول: أعقب الشيخ عبد الباسط العطار من ولده: عبد الغني البساطي الذي أعقب من ولديه: عبد الكريم، وحمزة.

إما عبد الكريم بن عبد الغني: فمن عقبه محمد الملقب بـ «الفداوي»[٥]، ولا يعرف له عقب.

إما حمزة بن عبد الغني: وهو المتوفي سنة **١١١٧**هـ، وقد أعقب من ولديه يحي، ومحمد.

إما محمد بن حمزة: فأعقب ولده إبراهيم.

إما يحي بن حمزة: فهو بقية العقب وكل آل البساطي اليوم من نسله.

---

(١) رسائل في تاريخ المدينة ٤٨.

(٢) حي المصانع منطقة من نواحي المسجد النبوي.

(٣) تحفة المحبين ٩٥.

(٤) مختصر القرمية ٢٣.

(٥) تحفة المحبين ٩٦.

الشيخ يحي بن حمزة بن عبد الغني البساطي

ولد بالمدينة المنورة وبها نشأ وطلب العلم، أخذ عن مشائخ عصره من الشافعية، وحاز المطلب الأعلىٰ من تمييز المنطوق من المفهوم، قرأ علىٰ الشيخ الملا إبراهيم الكوراني، والشيخ محمد رسول البرزنجي، والشيخ عبد الباقي بن الشيخ ياسين الذي كان امامًا عن الشافعية، عين الشيخ يحي نائب الائمة الشافعية حتىٰ صار امامًا فيه الىٰ أن توفي سنة ١١١٤هـ.

وأعقب من ولده: عمر وحده.

الشيخ عمر بن يحي بن حمزة بن عبد الغني البساطي

الامام والخطيب

ولد بالمدينة المنورة سنة ١١٠٣هـ، ونشأ بها وطلب العلوم، درس بالمسجد النبوي علىٰ والده وحصل علىٰ الإجازات العامة، وصارت له وظيفة خطابة أصالة محددة له وتقلد المنبر سنة ١١٥٧هـ، وكان الناظر علىٰ أوقاف اجداده فأحسن ادارتها واستبدل الحديقة الشهيرة بمعيقل بجزع العالية، بدار كبرىٰ في حوش خير الله وعمر الدور وأحسن بناءها، ولا زال علىٰ ذلك حتىٰ توفي سنة ١١٧٨هـ.

وأعقب من الاولاد: أحمد، وعائشة، وخديجة، وحفصة.

الشيخ أحمد بن عمر بن يحي بن حمزة البساطي

الخطيب الامام بمسجد سيد الانام

ولد بالمدينة سنة ١١٥١هـ وسلك طريقه في طلب العلم، وصعد المنبر وآلت إليه وظيفة الامامة والخطابة بعد أبيه، سافر إلىٰ بلاد الروم وحاز علىٰ العطايا من الفرمانات السلطانية من السرايا العلية، ورجع إلىٰ المدينة وتوفي بها.

وأعقب من ولده: الأفندي عمر المولود سنة ١١٨٧هـ جد البيت الجامع:

وقد أعقب من ابنيه: محمد، وأحمد.

الخطيب الأفندي أحمد بن عمر بن أحمد البساطي[(١)]

أحد أعيان المدينة وشعراءها الافذاذ

علم من أعلام المدينة، الخطيب المدني والشاعر الحجازي ولد بالمدينة المنورة وبها نشأ وتعلم تصدر للتدريس في المسجد النبوي، وعقد حلقته لطلاب العلم، صعد المحراب وعين اماما وخطيبا بمسجد سيد المرسلين.

قال الداغستاني في اللآلئ[(٢)]: جليل قدر نبتت في عراص مجده نبعات المحامد، وفسيح مفاخر لها الوصف الكريم حامد، ولطيف شمائل تزري بلطف الشمول، وظريف خصال تهب كنسيم القبول، ظهر في الأدب باعه، وحسن فيه انطباعه، وبدت له فيه مزايا، كمنت في زوايا خبايا، كم له من قصائد باللطائف معمورة، وأزاهر كلام بقطر البداعة ممطورة، تملأ المسامع سرورًا وجذلًا، وتهدي إلىٰ القلوب طربًا متصلًا.

فمن قوله مادحًا للشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني:

أهدي السلام لعزيز القدر	**من ساد بالفضل أهالي العصر**
أعني ابن عبد السلام من سما	**بالعلم أسمىٰ رتبة في الفخر**
سراجنا الفاضل ذا شمس الهنا	**باهي الحيا مخجلًا للبدر**
مترجم الأعيان أهل طيبة	**في تحفة الدهر ونفح الزهر**
شهمًا أديبًا راقيًا أوج العلا	**ونظمه فاق عقود الدهر**
ونثره اللؤلؤ ضاء نوره	**إذا بدا كلامه في السطر**
يظهر سره ومعناه لمن	**ينظر في ألفاظه بالفكر**
إذا تأملت ترىٰ في نظمه	**قولًا بديعًا وكذا في النثر**

(١) حلية البشر ١/ ٢٨٢، تحفة الدهر ص١٥٥، اللآلئ الثمينة ١٤٦، ورد اسمه في مخطوطتين تخص الائمة والخطباء بالمسجد النبوي الشريف محفوظة في خزانتي.

(٢) اللآلئ الثمينة ١٤٦.

لـه مـعـان واسـتـعـارات كـذا عـلـم بـيـان بـاهـر كـالـسـحـر

وهو وارث تراث آبائه من العلم والفضل، وكانت قد آلت إليه مكتبة آجداده من آل البساطي[١] والتي فيها ما يزيد عن **١٠٥٠** مخطوطة ووثيقة نادرة، يعود تاريخها لأكثر من خمسة قرون تعاقب علىٰ حفظها وصيانتها أفراد أسرته كتب عنها الكثير من المؤرخين والرحالة والمهتمين بخزائن المخطوطات في العالم.

ولم يزل علىٰ حاله حتىٰ أدركته المنية فتوفي بالمدينة المنورة سنة **١٢٩٦**هـ، وفقدت المدينة بموته علمًا من أعلامها فرحمة الله عليه.

وخلف ذرية مباركة بالمدينة المنورة منهم: عمر بن حسن بن أحمد بساطي المتوفي سنة **١٣٣٠**هـ، ومنهم اليوم بكر بن علي وبهجت بن علي وعمر بن علي وغيرهم.

الخطيب الأفندي محمد بن عمر بن أحمد البساطي

كان امامًا وخطيبًا توفي في ١٢ ربيع الأخر سنة **١٢٧٢**هـ[٢]، وأعقب من أبنه مصطفىٰ وعقب مصطفىٰ من ولديه: حمزة، وأحمد المترجم له.

الشيخ حمزة بن مصطفى بن محمد بن عمر البساطي

إما حمزة بن مصطفىٰ بن محمد بن عمر البساطي كان رجلًا عالمًا فاضلًا حفظ القران الكريم علىٰ يد الشيخ إبراهيم الطرودي، وتتلمذ علىٰ نخبة من علماء المسجد النبوي وشيوخه هم شيوخ أخيه المترجم له، اجيز بالتدريس فعقد حلقته للتدريس في المسجد النبوي تميز بحصوله علىٰ إجازات فريدة اطلعت علىٰ بعضها والمحفوظة في المكتبة العامه، وكان له تلاميذ قله عاش حياته منفردًا بعيدًا عن الظهور بين البيت والمسجد، وذكره خامل لإنقطاع نسله من حيث الذكور فقد تزوج في آخر حياته بالشريفة اسماء بنت محمد نور الكتبي الحسني قاضي المدينة المنورة ولم يعقب منها إلا بنت واحده.

---

(١) رسائل في تاريخ المدينة ٥٢.

(٢) ورد اسمه في مخطوطتين تخص الائمة والخطباء بالمسجد النبوي الشريف محفوظة في خزانتي.

نكتفي بهذا القدر عن تاريخ أسرة البساطي وعلماءها ونواصل الحديث عن المترجم الشيخ أحمد رحمه الله وأعماله.

مولده

ولد الشيخ أحمد في المدينة المنورة في دار والده الشيخ مصطفىٰ بباب السلام بالقرب من المسجد النبوي الشريف سنة **١٣٠٠**هـ من الهجرة النبوية المباركة.

وقد نشأ الشيخ البساطي وترعرع في أسرة اشتهرت بالعلم والفضل فقد ورث العلم أبا عن جد.

وكان رحمه الله قمحي اللون، طويل القامة، واسع العينين، أقنىٰ الأنف، كث اللحية، عريض الجبهة والمنكبين، يتوكأ علىٰ عكاز، يرتدي الجبة المدنية، والعمامة البيضاء ويلبس الثياب الواسعة وهو زي العلماء المدنيين.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد حدثني عنها بعض من عاصره، فقد كان هادئ الحديث، رضيَّ النفس، شديد التحفظ في حديثه، متواضعا لله، عُرف بالعفة والنزاهة والصدق، دمث الأخلاق فيه سمة أهل العلم ووقارهم، دائم الوعظ والارشاد، محبوبا لكل من عرفوه، يدعو إلىٰ الزهد والخشونة.

تعليمه

وعندما بدأت ملامح النبوغ تظهر علىٰ الشيخ أحمد أدخله والده الكتّاب كأقرانه في ذلك العصر ليحفظ القرآن الكريم، فعندما أتمّ حفظه علىٰ يد الشيخ العلامة المقرئ إبراهيم الطرودي وحفظ بعض المتون، بدأ يعكف علىٰ حلقات المسجد النبوي الذي كان يمتلئ بفطاحلة العلماء، فأخذ الشيخ يحضر الدروس، وحلقة تلو الأخرىٰ لا تفوته كلمة ولا حرف ويناقش شيوخه حتىٰ يصل إلىٰ مراده.

فبدأ بدراسة العلوم الإسلامية الأدبية والشرعية علىٰ يد والده أولا، ثم أخذ يدرس الفقه الحنفي والنحو في الآجرومية والألفية وغير ذلك من كتب القواعد علىٰ يد الشيخ الفقيه ملا سفر بن محمد الكولابي المحدث المشهور المتوفىٰ في **١٣٣٥**هـ ثم يعود الشيخ أحمد يحضر حلقة الشيخ المذكور التي كانت قبل الظهر، ويدرُس عليه الأدب

العربي والمنطق والبلاغة ثم يدرُس عليه بعد صلاة الظهر الحديث بروايتي البخاري ومسلم، ثم يدرُس عليه في حلقته التي بعد صلاة العصر الفرائض، ثم درس بعد ذلك علىٰ يد الشيخ محمد العائش القرشي المتوفىٰ سنة ١٣٦٤هـ علوما شتىٰ، كالفقه والتفسير والسنة الشريفة وأخذ شيئا من الحديث عليه.

ثم أخذ يواظب علىٰ حلقة العلامة الشهير الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي المتوفىٰ ١٣٧٧هـ ودرس عليه الفقه والحديث والتفسير، وبعد أن نال الاجازة منه أخذ يواظب علىٰ حلقة العلامة أبو اليسر فالح الظاهري المهنوي المتوفىٰ سنة ١٣٢٨هـ وقد أخذ عنه كثيرا من الأسانيد ثم أخذ يحضر حلقة الشيخ الفقيه درويش قمقمجي المدني ويدرس عليه فن المناظرة والتوحيد وغير ذلك.

لقد دَرَس الشيخ كثيرا من الكتب في مختلف العلوم كشرح الميداني[١] علىٰ مختصر القدوري و(الدر المنتقىٰ في شرح الملتقىٰ)[٢] و(الدر المختار شرح تنوير الأبصار) للعلامة علاء الدين الحصفكي وقرأ (كفاية العوام) للفضالي الشافعي مع حاشية الباجوري[٣] و(اتمام الدراية لقراء النقاية) للإمام عبد الرحمن السيوطي وبعضا من شرح ابن عقيل وسمع الحديث المسلسل بالأولية من أحد العلماء وأجيز بجميع مروياته.

ولما بلغ من العلم قسطا وافرا علىٰ المذاهب الأربعة أجَازه شيوخه إجازة عامة في بث العلم ونشره وإفادة طلاب العلم بكل ما في وسعه، فأمروه بالجلوس والتدريس بالمسجد النبوي الشريف، وهو يروي عن السيد أحمد البرزنجي والشيخ علي ظاهر الوتري والشيخ حبيب الرحمن الهندي والشيخ محمد إسحاق الكشميري والشيخ أمين رضوان وغيرهم من مشايخه.

---

(١) الشيخ عبد الغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي المتوفي سنة (١٢٨٩هـ)، وسماه: «اللباب في شرح الكتاب». (مطبوع).

(٢) شرحٌ لمحمد بن علي الحصني المعروف بالعلاء الحصفكي، علىٰ «ملتقىٰ الأبحر» لإبراهيم الحلبي (فقه حنفي) (مطبوع).

(٣) حاشيةُ الباجوري علىٰ «كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام» اسمها «تحقيق المقام علىٰ كفاية العوام» (مطبوع).

دروسه العلمية

عندما تصدر الشيخ أحمد بساطي للتدريس بالمسجد النبوي الشريف وأصبح أحد علمائه العارفين شاع صيته بين طلبة العلم فقصدوه وكانت حلقته من أكبر الحلقات وكان موعدها بعد صلاة المغرب من كل يوم وموقعها بجوار الحجرة الشريفة من جهة الروضة قريبة من خوخة سيدنا أبي بكر الصديق ﵁، فدرس وأفاد وانتفع به الطلاب.

وفي الصيف كان الشيخ ينتقل بحلقته إلىٰ جهة الحصوة فترىٰ الناس يلتفون من حوله ويستمع إليه المتعلمون وغير المتعلمين لحلاوة أسلوبه في توجيه النصائح والعلوم؛ هكذا وصفه لي المعاصرون له.

والشيخ أحمد درّس الفقه الحنفي وكان بارعا فيه، وفي بعض الأحيان يدرّس الفرائض لخواص طلابه، وقد درّس في كثير من المدارس الموجودة في المدينة في تلك الحقبة من الزمن.

البساطي إمام وخطيب

إضافة إلىٰ كون الشيخ البساطي مدرسا بالمسجد النبوي الشريف عُين بأمر من شيخ الأئمة والخطباء الشيخ العلامة المحدث يحي دفتردار إماما وخطيبا علىٰ المذهب الحنفي في عهد الدولة العثمانية وعهد حكومة الأشراف، وعندما تولّىٰ الملك عبد العزيز الحكم في الحجاز وأخذت الدولة تتماشىٰ مع أحكام كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام أُعفِي الشيخ البساطي من الإمامة لتوحيد المذاهب، فافتَصَر علىٰ التدريس بالمسجد النبوي الشريف واستمر علىٰ حاله هذا إلىٰ أن توفاه الله برحمته.

أعماله في الدولة

عمل الشيخ أحمد بساطي في كثير من المجالات العلمية، واشتغل في المحكمة وتقلب في عدة مناصب، ففي عام ١٣٤٨هـ تولىٰ كتابة العدل بالمدينة المنورة ومكث بها عدة سنوات.

وبعد ذلك عُيّن قاضيا بالمحكمة الشرعية بالأخص في المحكمة المستعجلة وبعد فترة من الزمن عين نائبا لقاضي المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة في عهد القاضي الشيخ زكي أحمد برزنجي رحمه الله حتىٰ عام ١٣٥٥هـ حيث أُحيل إلىٰ التقاعد.

ويُعدّ الشيخ البساطي من القضاة الذين تَحلّو بالنزاهة التامة والسيطرة علىٰ المواقف دون الانفعال وحل المسائل بروح عقلانية زكية مؤمنة بما يرضىٰ الله تعالىٰ، فكان رحمه الله العالم المحدث المتبحر في العلم والقاضي العادل.

وقد عمل الشيخ رحمه الله مدرسا بمدرسة العلوم الشرعية بالقسم العالي فيها، وكانت مدرسة العلوم الشرعية أكبر مدرسة في المدينة المنورة والتي أسسها الشيخ أحمد الفيض أبادي رحمه الله في عام ١٣٤٠هـ، ويعدّ العالي أهم الأقسام حيث يحتوي علىٰ أربعة صفوف، مدةُ الدراسة في الصف سنة واحدة ويوجد فرق بين الدراسة في المدرسة العادية والدراسة بالقسم. لذلك اختِير فطاحلة العلماء للتدريس بهذا القسم والطالب الذي يتخرج من هذا القسم يحوز علىٰ شهادة العلوم العربية العالمية.

لقد ضمّ القسم العالي من هذه المدرسة علماء أفاضل، كفضيلة الشيخ عبد الخبير بن الحسن البخاري، وفضيلة الشيخ عمر بري وفضيلة الشيخ أحمد بساطي وفضيلة الشيخ عبد الله بن جاسر وفضيلة الشيخ محمد إبراهيم الخُتني وفضيلة الشيخ فيروز أحمد وفضيلة الشيخ عمار عبد الله مغربي وفضيلة الشيخ عِنايةُ الله وغيرهم، فرحمة الله عليهم جميعا رحمة الأبرار الصالحين وجزىٰ الله المؤسس خير الجزاء وأسكنه -ومن تعاون معه- فسيح جناته.

ويُعدّ الشيخ البساطي من كبار المدرسين ويدرس في الصفوف الأربعة لمكانته العلمية، فكثير من الطلاب تخرجوا علىٰ يده، إن الشيخ غَرَس زرعه في المدرسة وفي المسجد النبوي وأنتج حينما أعطىٰ كثيرا من العلوم وأجاز كثيرا من الطلاب؛ لقد كان فقيها علىٰ المذاهب الأربعة يفتيك في أي شيء أردتَه، فجزاه الله خيرا علىٰ عمله الصالح.

دروسه الخاصة في منزله

عرف الشيخ بين تلاميذه بطيب القلب فقد كانت داره تزدحم بطلاب العلم بعد صلاة العصر من كل يوم يأتون إليها من كل مكان يريدون أن يتزودوا علىٰ يد هذا العلامة الفاضل، إضافة إلىٰ حلقته في المسجد النبوي التي كانت تعقد بعد المغرب، وكان الشيخ بعد الانتهاء من صلاة العشاء يظل جالسا ومعه خواص طلابه يشرح لهم بعض الأمور المتعسرة عليهم.

البساطي لا يبارح المدينة

لم يخرج الشيخ أحمد من المدينة المنورة أبدا إلا في الحج أو العمرة، فكان يفضل البقاء بها فقد كان من المحبين لها.

أقول ومَن منّا يريد أن يترك هذه البقعة الطاهرة التي بها مسجد وقبر سيدِ المرسلين نبيِ الرحمة صلوات الله وسلامه عليه، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، فهنيئا لشيخنا علىٰ حبه المدينة المنورة.

وكان الشيخ مولعا بالتنزه في بساتين المدينة المنورة ويجعل فُسحته كلها في الأماكن الزراعية الخضراء في منطقتي (قباء)[1] و(العوالي)[2] ويلازمه كثير من العاملين معه وبعضٌ من طلابه.

---

(١) ضاحية من ضواحي المدينة المنورة، تقع في الجهة الجنوبية الغربية الموالية لمكة المكرمة، علىٰ طريقها المسمىٰ طريق الهجرة، وهو الطريق الذي سلكه النبي ﷺ عندما خرج من مكة، واتجه صوب المدينة مهاجرًا إليها وبرفقته أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ وهي منطقة مشهورة ببساتينها ونخيلها وحدائقها الغناء، وكانت تبعد قرابة ٥ كم وقد شملها البنيان وفيها المسجد المشهور، وسميت بقُباء بالبئر التي في دار توبة بن الحسين بن السائب بن أبي لبابة انظر: تاريخ المساجد الشهيرة (٥٦-٥٧) والروض المعطار في خبر الأقطار (٤٥٣).

(٢) والعالية ما كان من الحوائط والقرىٰ والعمارات من جهة المدينة العليا مما يلي نجد أو السافلة من الجهة الأخرىٰ مما يلي تهامة قال القاضي وأدنىٰ العالية ثلاثة أميال وأبعدها ثمانية من المدينة، وفيها تمر العجوة الذي أوصىٰ به النبي عليه الصلاة والسلام. انظر: المنهاج للنووي علىٰ مسلم (٣/ ١٤) ومعجم البلدان (٤/ ١٦٦).

تلاميذ البساطي

كان الشيخ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يمتاز في دروسه وأحاديثه بالتأثير في نفوس السامعين وسواء كان ذلك في الحلقات التي يعقدها بالمسجد النبوي الشريف أو التي يلقيها علىٰ تلاميذه وطلابه في مدرسة العلوم الشرعية أو في منزله، وعرف عنه الرحمة بالطلاب فكان له منهم الكثيرون، ويسرني أن أذكر ما استطعت أن أحصيه، فمنهم: السيد صالح المصوغي والشيخ محمد سالم الحجيلي والشيخ عبد الله أركوبي والشيخ حسن ملا والشيخ محمد زين الشنقيطي والسيد حبيب محمود أحمد والشيخ علي كماخي وابنه الشيخ محمود بساطي وغيرهم من أولي الفضل والعلم.

شخصية محبوبة

ولأن الشيخ أحمد بساطي من الرجال الأجلاء ومن ذوي الأخلاق الفاضلة، فإنه كان ينتقي أصدقاءه من بين الناس الطيبين والأخيار، فله صلة بمن هم في عصره من المعروفين في شتىٰ مجالات الحياة في المجتمع المدني آنذاك، فنذكر من أصدقائه علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ علي كماخي، كاتب العدل بالمحكمة الشرعية.
- الشيخ عمر بري شاعر المدينة وأحد علماء المسجد النبوي.
- السيد حمزة رفاعي شيخ الحرم.
- الشيخ محمود أحمد، كاتب العدل بالمدينة النبوية.
- الشيخ الشريف محمد نور الكتبي الحسني، رئيس المحكمة الشرعية والمدرس بالمسجد النبوي
الشريف.
- الشيخ عيسىٰ مظهر.
- الشيخ عمر خشيم.
- الشيخ علىٰ بري.

مكتبة البساطي

كان الشيخ البساطي محبا للقراءة ويستمر فيها، إلىٰ وقت متأخر من الليل في حجرته علىٰ فانوس صغير، فقد جمع مكتبة كبيرة تحتوي علىٰ كثير من الكتب الدينية النادرة وتوجد بها مخطوطات قيمة.

وقال الشيخ أحمد الغماري في بحره(١) أثناء زيارته لها: ورأيت عنده مكتبة قيمة فيها من نفائس المخطوطات ما لا يوجد عند غيرها، ومن ذلك تذكرة الصلاح الصفدي في عدة مجلدات بخط الصفدي، ومصحف كريم في رق الغزال مكتوب في القرن الرابع. ولم يصنف الشيخ كتبا لكنه ترك سيرة لا تنسىٰ، وفي آخر حياته عكف في بيته علىٰ نسخ الكتب وتجليدها إلىٰ أن توفي.

مرجعا في فقه الأحناف(٢)

كان الشيخ أحمد البساطي علامة ولد بالمدينة المنورة، ودرس فيها علىٰ علماء المسجد النبوي الشريف، منهم الشيخ حسين أحمد، والشيخ درويش قمقمجي، وغيرهم من كبار العلماء بالمدينة المنورة، وقد لازم الشيخ البساطي المدينة المنورة ملازمة تامة، حيث لم يخرج منها كليا ما عدا سفره للحج فقط، وكان ملازما للمطالعة والقراءة بصفة تامة، وقد درّس كتب الحديث والفقه في المسجد النبوي الشريف، ثم تولىٰ العمل أيضا في محكمة المدينة وأخيرا انتقل للتدريس في القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية، ويعتر مرجعا في فقه الأحناف، وكان يدرس الكتب الكبيرة ويجيد تدريسها والتحقيق في البحوث العلمية.

والشيخ البساطي مطلع علىٰ الأدب وكانت له مجموعات ومختارات من شعراء أهل المدينة كما أن لديه مكتبة مخطوطة.

---

(١) البحر العميق ١/ ٢٢٧.

(٢) جريدة البلاد العدد ٧٨٠١ الموافق ٢٤ صفر ١٤٠٥هـ.

وهو رجل وقور متزن ولا يتبسط إلا نادرا مع بعض تلاميذه إلا عندما يكون في نزهة أحد البساتين مع بعض الأصدقاء والطلاب، فهو مثال للعلماء مسلكا ومنهجا رحمة الله عليه.

الشيخ محمد حافظ الموسىٰ رحمه الله[١]

أحد قضاء المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة سابقا.

البساطي من وجهاء المدينة المنورة[٢]

الشيخ أحمد بساطي عالم فاضل من أهل العلم ونائب قاضي للمدينة المنورة في العهد السعودي، وتولىٰ كتابة العدل بالمدينة المنورة في سنة **١٣٤٨**هـ أو **١٣٥٠**هـ وهو من خيرة أئمة المسجد النبوي الشريف، ومن العلماء والخطباء والمدرسين فيه؛ وقد أصبح أخيرا من كبار المدرسين بمدرسة العلوم الشرعية حيث توفي وهو يعمل في هذا المجال، كما يُعدّ الشيخ البساطي من وجهاء المدينة المنورة الذين يشار إليهم بالبنان، ومن المعروفين بالصلاح والتقوىٰ.

الأستاذ/ جعفر إبراهيم فقيه رحمه الله.

وفاة البساطي

وعندما أذنت حياة الشيخ أحمد بالانتهاء، فقد اشتد عليه المرض فوافته المنية في المدينة النبوية كما أراد هو قريبا من أهله وأحبابه، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء **١١** شعبان من سنة **١٣٦٩**هـ في السبعين من العمر بعد حياة حافلة كان فيها مثالا للعالِم العامِل الذي لا يرضىٰ إلا بالحق والذي يرفض المناصب العالية في إباء واعتزاز ويؤثر ما عند الله علىٰ ما عند الناس.

(١) توفي الشيخ محمد الحافظ في عام ١٤١٨هـ

(٢) جريدة البلاد العدد ٧٨٠١ الموافق ٢٤ صفر ١٤٠٥هـ.



الشيخ السيد أحمد صقر[(١)]

هو أحمد بن مصطفىٰ بن محمد بن صقر بن حسين بن صقر.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المدينة المنورة سنة ١٣٠٠هـ من الهجرة النبوية المباركة في بيت علم مشهور بالتقوىٰ والصلاح.

بيت صقر

اصلهم السيد صقر بن محمد بن شاهين بن سلمان بن سليمان بن مخدم بن بوير بن هاشم بن جماز بن القاسم بن مهنا بن الحسين الأكبر بن بن الأمير داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحي النسابة بن الحسين بن جعفر الحجة بن عبيد الله الاعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[(٢)].

واول من قدم منهم آيبًا إلىٰ المدينة المنورة سنة ١٢٩٣هـ، واستقر بها مجاورًا

(١) المدرسة الناصرية ٤٠.

(٢) الفضائل الجلية للبرادعي ١٢٨، شجرة نسب محفوظة في خزانتنا زودني بها السيد مصطفى بن أحمد صقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومقيمًا هو الشيخ السيد مصطفىٰ بن محمد بن صقر بن حسين بن صقر المذكور، ، ويعود أصل سلفه إلىٰ بيت صقر من المخادمة أحد فروع الجمامزة، وقد هاجروا الأشراف الجمامزة الىٰ مصر من المدينة المنورة بعد منتصف القرن السابع الهجرىٰ بسبب الاضطراب الذي حدث فىٰ احوال الامارة مع ابناء عمومتهم، حتىٰ وصلوا الىٰ محافظة الشرقية بكوم الاشراف ثم استقروا معظمهم في مدينة قنا بصعيد مصر وانتشروا بفروعهم فيها، ويقطنون فىٰ القرىٰ المحيطة بقنا فىٰ الشمال بقرىٰ المخادمة واولاد سرور والشيخ عيسىٰ ونجع الجزيرية والاشراف البحرية بقريتىٰ الشويخات والبطاطخة وفىٰ جنوب مدينة قنا الاشراف القبلية بقرىٰ الخربا ونجع الكوم والدغيمات والاشراف الشرقية بقرىٰ نجع الدومة ونجع حمدلله وفىٰ الاشراف الغربية الكروابن والاخصاص والنوابعة والعسلية[١].

قال صقر في جواهره[٢]: اصلهم العلامة السيد مصطفىٰ بن السيد محمد بن السيد صقر بن السيد حسين بن السيد صقر الجمازي نسبة إلىٰ الأمير جماز أمير المدينة المنورة بن الأمير قاسم بن الأمير مهنا الحسيني كما هو معلوم في شجرة النسب والقرمية المخصوصة للأشراف الجمازيين القاطنين في مدينة قنا في صعيد مصر وهي تحت يدنا.

وقال إيضًا[٣]: اول من قدم منهم السيد مصطفىٰ بن السيد محمد بن السيد صقر بن السيد حسين بن السيد صقر الجمازي الحسيني في سنة **١٢٩٣**هـ ألف ومائتين[٤] وثلاثة وتسعين.

وقال إيضًا[٥]: وقد حضر في المدينة المنورة من قنا ابن عم لوالدنا اسمه السيد صقر وقد مات في المدينة المنورة وأعقب ولدين أحدهما السيد محمد بن صقر، والثاني اسمه أحمد.

---

(١) عروبة مصر ١١٦-١١٧، ١٨٢-١٨٣، ذكريات العهود الثلاثة ١٦٥، الفضائل الجلية للبرادعي ١٢٨، الجامع لصلة الارحام ١/ ٦٩-٣/ ٥، تراجم ونسب آل البيت ١٦٧، موسوعة انساب البيت النبوي ٣/ ٨٩.

(٢) مخطوط الجواهر الثمينة صفحة ٢٠١ ورقه ١٥١.

(٣) مخطوط الجواهر الثمينة صفحة ٢٠٢ ورقه ١٥٢.

(٤) في الأصل ومايتين.

(٥) مخطوط الجواهر الثمينة صفحة ٢٠٣ ورقه ١٥٣.

وقال إيضًا[١]: وقد حضر من قنا عمنا السيد حسين صقر لقصد الحج والزيارات فمات في المدينة وعقبه بقنا وليس له عقب بالمدينة.

قال ابن صديق في أسره[٢]: آل صقر وهم اشراف معروفون وغيرهم كثيرون ولهم شهرة بالمدينة المنورة وإيضًا في مصر.

قال الزيدان في عهوده[٣]: وهم اشراف قنا حسينيون جمازيون، رحل جدهم عن المدينة يوم كان الجمازيون امراءهم واستطنوا مديرية قنا وينتمون إلىٰ هذا اللقب «المخادمة».

قال البرادعي في فضائله[٤]: بيت السادة آل صقر بالمدينة منهم السيد مصطفىٰ بن محمد بن صقر بن حسين وهو الذي قدم المدينة آيبًا الىٰ وطنه.

أقول: انتشر آل صقر في المدينة اليوم بفرعيهما ومنهما فروع في جدة، وقد أعقب السيد مصطفىٰ بالمدينة من ولديه السيد حمزة وهو ناسخ قرمية أهل المدينة وله عليها حواشي قيمة، ومات السيد حمزة وأعقب من ابنه السيد علي الذي أعقب حمزة وحسين، والسيد أحمد المترجم له، وقد ادركت منهم إبنه العم السيد مصطفىٰ بن أحمد صقر والذي كان مسؤولًا عن شركة المغربي لنقل الحجاج وكانت بيني وبينه محبة ومودة وقد توفاه الله فرحمة الله عليه وله ابناء سادة افاضل، وممن أدركتهم من ابناء المترجم له السيد عباس بن أحمد صقر كان موظفًا في المكتبة العامة وله تحقيقات علمية، ومن آل صقر بالمدينة كانوا جيران لنا بمحلة البحر من نواحي قباء ابناء السيد أحمد بن محمد بن أحمد المترجم له، وله ابناء منهم اخواننا السيد باسم وأخيه السيد وجدي والذي كان زميل لي في الصفوف الدراسية، ومن بيت صقر ايضًا في المدينة المنورة فرعًا آخر بني عمومة المترجم له وهم ذرية السيد محمد بن صقر بن بدر بن صقر من ولده السيد أديب بن محمد كان مديرًا لنقابة السيارات وله ابناء منهم الساده هشام ونزار،

(١) مخطوط الجواهر الثمينة صفحة ٢٠٣ ورقه ١٥٣.

(٢) الأسر القرشية أعيان مكة المحمية ٢٠٤.

(٣) العهود الثلاثة ١٦٥.

(٤) الفضائل الجلية ١٢٨.

ومحسن، ومحمد، واسامة، بارك الله في بيت صقر وحفظهم وبارك فيهم وفي عقبهم.

أقول: وليس كل صقر في المدينة ينتمي إلىٰ هذا البيت فهناك بيت آخر مدني يعرف ببيت صقر القصاص.

قال ابن جندان(١): قدم أحمد بن علي الصقر من بلاد الإرياف بمصر مجاورًا بالمدينة النورة وسكن بزقاق القصاص. اهـ.

قال الدفتردار(٢): وفي المدينة أسرة القصاص ويحملون لقب صقر وكان والدهم من الصالحين اسمه الشيخ مصطفىٰ صقر القصاص من الوجه البحري.

وقد ذكر ابن جندان سيادتهم وشرافتهم أنهم من ولد الحسين، وقد اطلعت علىٰ وثيقة بيدهم تؤيد ذلك، وأخبرني بعض رجال هذا البيت بأنتسابهم والله أعلم بحالهم، والظاهر عندي أن قدومهم في اواخر القرن الثالث عشر الهجري من الديار المصرية، وجدهم الشيخ مصطفىٰ صقر القصاص ولقب بالقصاص نسبة لمهنته،كان رجلًا صالحًا وشيخ من أتباع الطريقة البيومية(٣) وله ذرية اليوم بالمدينة المنورة.

وقد ذكرت ذلك مفصلًا في قرميتي أعلام المدنيين وبالله التوفيق.

السيد مصطفى بن محمد بن صقر الجمازي(٤)

رأس البيت

ولد بقنا وبها نشأ وترعرع، وقرأ القرآن الكريم، وحفظ المتون العديدة، وإلتحق بالأزهر، وأدرك فيها جماعة من الأفاضل الأعلام؛ كالمعمر الشيخ مصطفىٰ المبلط، والشيخ إبراهيم السقاء، والشيخ أحمد كبوة العدوي، وغيرهم، وقرأ عليهم وأجازوه إجازة عامة، وجلس للإفادة والتدريس مدة، فأصبح الشيخ مصطفىٰ من العلماء

---

(١) مخطوط روضة الولدان في ثبت ابن جندان ٣/ ٢٩٩.

(٢) مقال للأستاذ محمد سعيد دفتردار رَحِمَهُ اللَّهُ بجريدة المدينة، مخطوط الجواهر الثمينة صفحة ٢٠٣ ورقه ١٥٣.

(٣) تنسب الطريقة البيومية للإمام نورالدين البيوميٰ، وهي أحد طرق التصوف الإسلامي.

(٤) فيض الملك الوهاب المتعالي ٣/ ١٦٨٩ ترجمة ١٣٢١، مخطوط الجواهر الثمينة١٥٢، مقال الشيخ محمد سعيد دفتردار بجريدة المدينة.

الأعلام، وآثر الهجرة إلىٰ المدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام فوصل إليها سنة **١٢٩٣**هـ، وفي المدينة اتصل بمفتي المدينة المنورة الشيخ عثمان داغستاني وصحبه ولازم دروسه ومجالسه حتىٰ أصبح مرجعًا في المذهب الحنفي وبدأ يبث ما عنده من علم وفقه، وكان يضرب به المثل في الورع والزهد والتقوىٰ، يُدرّس بالمسجد النبوي الشريف«صحيح البخاري» ومكث علىٰ هذه الطريقة القويمة **٢٧** عامًا حتىٰ وافاه الأجل المحتوم سنة **١٣٣٣**هـ، بعد أن انتفع بعلمه كثيرٌ من الطلاب وتخرج علىٰ يده مجموعة من العلماء، وللشيخ كتب منها:

(**المجموع الفائق والمشحون الرائق**) المسمىٰ بنجاة الموحدين في أصول فروع الدين بهامشه كتاب (**تحفة الإخوان والأقران بتفسير آية الإسراء وآيات النجم من القرآن**) الطبعة الأولىٰ بمطبعة محمد أفندي مصطفىٰ ١٣١٧هـ، وكتاب (**شفاء السقيم في الرحمن الرحيم**) وكتاب (**النجاة الأدبية في الأقوال والسير المحمدية**).

السيد محمد بن صقر بن بدر بن صقر[1]

عالم جليل وأستاذ جيل من العلماء والادباء

محمد بن صقر بن بدر بن صقر بن حسين بن صقر المدرس بالمسجد النبوي والامام بمقام المالكية بمدينة خير البرية.

ولد سنة **١٢٨٥**هـ، وتعلم علومه الأولىٰ فحفظ القران وآتمه، ثم إلتحق بكتاب الشيخ إبراهيم الطرودي ثم بحلقات الدروس بالمسجد النبوي الشريف، ودرس علىٰ يدي علماءه ومنهم الشيخ العزيز بن الوزير التونسي[2]، وكان من زملائه الشيخ البشير الإبراهيمي، ثم أصبح عريفًا لكُتاب الشيخ إبراهيم الطرودي والذي يعد أكبر كتاتيب المسجد آنذاك.

وكان الشيخ رجلًا عالمًا فاضلًا، يحمل القران الكريم والعلم الشريف لا يريد من متاع الدنيا شي ملازمًا للمسجد، حتىٰ عقد حلقته في كُتابه يدرس القران الكريم

---

(١) المدرسة الناصرية ٦٩.

(٢) العهود الثلاثة ٤٢.

والاملاء والخط، وكُتابه يعد من أشهر كتاتيب المسجد النبوي الشريف في العهود الثلاثة العثماني والهاشمي والسعودي، عرف بين اقرانه فأختير للتدريس في المدرسة الأميرية، وكان يدرس فيها القران والتجويد والفقه والنحو، ثم أنتقل إلىٰ المدرسة الزيدية والعبدلية، وأخيرًا في عام **١٣٤٥**هـ عين مدرسًا في المدرسة الناصرية والتي كانت من أكبر المدارس التعليمية ودرس فيها سنوات حتىٰ أحيل إلىٰ التقاعد سنة **١٣٧٠**هـ.

إمامته في المسجد النبوي[(١)]

كان من أئمة المالكية امام بالتكليف لا بالفرمان، وقد أمّ في صلاة التراويح في المسجد النبوي الشريف في اواخر العهد العثماني واستمر حتىٰ العهد الهاشمي.

قال عنه الشيخ محمد سعيد دفتردار[(٢)]: واذا مررت عليه في المسجد حسبته نائمًا ولو امعنت نظرك إليه لرأيت شفتيه تتحركان بتلاوة القران الكريم.

قال الزيدان في عهوده[(٣)]: وكان الشيخ زين بري إمام وخطيب المسجد النبوي يأتي بخطبة الجمعة إلىٰ الشيخ محمد صقر يقرأها عليه ويستمع له ثم يتعهدها بالصواب نحوًا وصرفًا لا فكرة.

نكتفي بهذا القدر عن تاريخ بيت صقر وعلماءها ونواصل الحديث عن المترجم الشيخ أحمد رحمه الله وأعماله.

أما عن وصف الشيخ أحمد رحمه الله[(٤)] فقد كان مربوع القامة، مستقيم الجسم، عريض الجبهة، أسمر اللون، واسع العينين، أقنىٰ الأنف كث اللحية، يرتدي العباءة العربية والعقال، وكان في شبابه يرتدي الجبة والعمة وهو زي العلماء الحجازيين في ذلك الوقت.

أما عن صفاته وأخلاقه[(٥)] فقد كان مجدًا مخلصًا في أعماله، نشيطًا، واسع

---

(١) ذكريات العهود الثلاثة ٥٥، مخطوط دفتر الائمة والخطباء بخط الخطاط جعفر هاشم.

(٢) مقال للأستاذ محمد سعيد دفتردار رحمه الله.

(٣) ذكريات العهود الثلاثة ٤٢.

(٤) مقال للأستاذ محمد سعيد دفتردار رحمه الله.

(٥) الموسوعة الأدبية (١/ ٦٠).

الاطلاع، عالي الهمة، اجتماعي المسلك، سديد الرأي، ثاقب الفكر، رضي النفس، يحب النظام في جميع أعماله، تلامذته كثر، درسوا علىٰ يده في المدارس وغيرها، وكان أديبًا وشاعرًا وخطيبًا مصقعًا مؤثرًا، وله مهابة في نفوس تلامذته إلىٰ جانب حبهم العميق له.

تعليمه

عندما بلغ الشيخ أحمد سن التعليم أدخله والده في كتاب الشيخ إبراهيم الطرودي لحفظ كتاب الله، فما لبث حتىٰ حفظه في مدة وجيزة، ثم جوَدَّه علىٰ يد والده الشيخ مصطفىٰ، ثم بدأ بدراسة العلوم العربية والدينية علىٰ يد أبيه أولًا ثم التحق بالمسجد النبوي الشريف وكانت همته قوية في طلب العلم، مجتهدًا في تحصيله فبدأ يحضر حلقاته واحدة تلو الأخرىٰ ويدرس علىٰ كبار المسجد يستمع لهم، لا تكاد تفوته كلمة حتىٰ نال من العلم حظًا وافرًا.

ولما كان يتميز به من الذكاء لم يكتف بذلك القدر الذي ناله، فالتحق بالمدرسة الرشيدية في عهد الدولة العثمانية وتلقىٰ فيها اللغة التركية والعلوم الرياضية ومكث بها عدة سنوات، ثم انتقل إلىٰ دار المعلمين ودرس العلوم الرياضية وبرع فيها، والحساب والهندسة والجبر وتعلم الرسم والجغرافيا والتاريخ وعكف علىٰ قراءة كتب الأدب حتىٰ شفىٰ غليله العلمي منهما وقد تخرّج فيها برتبة ممتاز.

دروسه بالمسجد النبوي الشريف

لقد خرج الشيخ أحمد صغيرًا في طلب العلم، فاجتهد وكان طموحًا لا يقف عند حد فتفرس فيه شيوخه النجابة والنبوغ فأنزلوه مكانة عالية، واهتموا به، وأجازوه بالإجازات الضخام، وأمروه بالجلوس والتدريس، فتصدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتدريس في المسجد النبوي الشريف، وتعد حلقته من كبار الحلقات في وقته، فعقد دروسه وأفاد وانتفع به العباد، وعقد للعلم وأهله سوقًا لا مثيل لها. إلا أنه كان لا يريح نفسه ولا يستقر في بلد، فهو يذهب إلىٰ طلاب العلم، وينشر العلم في أي مكان يذهب إليه، فطلاب العلم يبحثون عنه ويفضلونه علىٰ غيره لما لمسوا فيه من إخلاص في التعليم، لذلك لم

يستمر كثيرًا مدرسًا في رحاب المسجد النبوي الشريف.

وقد اطلعت علىٰ وثيقة كما ورد في وثيقة الائمة والخطباء بالمدينة المنورة تثبت أنه كان أحد ائمة المقام المالكي بالمسجد النبوي الشريف مؤرخة سنة **١٣٢٩**هـ(١)، ويؤكد الزيدان في ذكرياته أنها امامة تكليف لا تشريف، وهي ما جرت عليه العادة في حالة عدم وجود الفرمان السلطاني.

أعماله وتدريسه

عندما افتتح الشريف الحسين بن علي أربع مدارس بأسماء أبنائه الأربعة وهم فيصل وعلي وزيد وعبد الله بحيث أصبح أسماء المدارس: الفيصلية، والعلوية: والزيدية، والعبدلية عُين الشيخ أحمد مدرسًا بها حتىٰ أصبح مديرًا للمدرسة العبدلية.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولىٰ وهاجر أهل المدينة منها بما سمي «سفر برلك» أو «تسفير فخري» انتقل الشيخ بأسرته إلىٰ مكة المكرمة، البلد الأمين، بيت الله الكريم، وهناك عرف بين أهلها وأكرموا نزله، وطلبوه ليقوم في بعض المدارس الأهلية، فدرس هناك وأخذ إلىٰ جانب ذلك يطوف بحلقات المسجد الحرام فيدرس علىٰ بعض أعلامه الحديث والتفسير وأصولهما، وقد بقي قرابة أربع سنوات حيث عاد إلىٰ المدينة وواصل تدريسه فيها.

* كما عُين مدرسًا في المدرسة الأميرية «الناصرية» حاليًا، واستمر مدرسًا بها سنوات، وكان من أشهر مدرسيها؛ وفي العهد السعودي ونظرًا لإخلاصه وعلمه الغزير ومكانته الدينية عُين معاونًا لمدير المدرسة المذكورة الشيخ محمود الحمصي.

*وفي عام **١٣٥٠**هـ استقال المدير المذكور من إدارة المدرسة فعين الشيخ أحمد مكانه.

* كما عُين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مديرًا للمدرسة السعودية بجدة.

وفي العهد السعودي ضمت إليه إدارة التعليم بمنطقة المدينة المنورة والتي كانت

---

(١) مخطوط دفتر الائمة والخطباء بخط الخطاط جعفر هاشم ٩.

تعرف باسم «معتمدية المعارف» وظل في وظيفته هذه إلىٰ أن وافته المنية.

الشيخ صقر ضمن الوفود الحجازية

وفي سنة ١٣٦٠هـ دعا الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية وفودًا من الحجاز لزيارة الرياض وكانت الوفود من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف وينبع وغيرها، وكان الوفد يتألف من الأمير عبد الله السديري وكيل أمير المدينة رئيسًا والمشايخ: عبد العزيز الخريجي، ومحمد حسن سمان، وذياب ناصر، وإبراهيم التركي، وأحمد صقر، وحسين طه، وأمين مدني، وعبد القادر غوث، ومصطفىٰ عطار، وناصر غوث، وعلي حافظ، وذلك لمكانة الشيخ أحمد صقر في المجتمع المدني وثقافته العالية وشجاعته في قول الحق. رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأحسن إليه.

تلاميذه

والحديث عن تلاميذه الذين لا يمكن حصرهم طويل، فتلاميذه بالألوف، فقد درس رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمسجد النبوي الشريف، ومدارس المدينة الأخرىٰ، ودرس في مكة المكرمة وغيرها من المدن.

وفاة الشيخ أحمد صقر

وفي آخر حياته أصيب الشيخ أحمد بمرض الموت فتوفي بالذبحة الصدرية في أواخر عام ١٣٦٠هـ وقد بلغ الستين من عمر حافل بالعطاء، وكان لوفاته رنة حزن بالغة فقد كان بحق رائد جيل وزعيم نهضة وأستاذًا عظيمًا، وكان محبوبًا بصفة عامة من جميع طبقات المجتمع، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له وأحسن جزاءه في دار الخلد، إنه سميع مجيب.

السيد أحمد نظيف بن علي الشهير بالترجمان[١]

أحد رجالات المدينة وأعلامها

بيت الترجمان

بيت من بيوتات المجتمع المدني، وأسرة من أسره العريقة يعرفون في الماضي ببيت نظيف، وفي زمننا الحاضر لا يعرفون إلا ببيت الترجمان.

اقول: وفي المدينة اليوم بيتان يعرفان بالترجمان مؤتلفين في اللقب مختلفين في النسب، وقد فصلنا عنهما في موضعه من قرميتنا أعلام المدنيين، إلا ان التقادم لهذا البيت العريق بسيادته الحسنية في النسب وشهرته في الحسب، والحقيقة انني لم اقف علىٰ عامود نسبهم، ولكني تحققت من نسبتهم الشريفة بوثائق مدنية قديمة ومستمسكات شرعية أصيلة.

أصل هذا البيت السيد علي أفندي قدم المدينة المنورة علىٰ قدم التجريد من بلاد تركيا في منتصف القرن الثالث عشر الهجري في حدود سنة **١٢٣٨**هـ علىٰ التقريب، وكان رجلًا مباركًا، عرف بعنايته للكتب بما لا نظير له في وقته وضبطه لها وأمانته عليها، فعين بفرومان سلطاني من السلطان محمود الثاني حافظًا للمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، حتىٰ توفي سنة **١٢٧٢**هـ، وإليه ينتسب آل الترجمان اليوم، وقد سألت أهل هذا البيت عن نسبتهم فعلمت منهم أنهم من بني الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام.

أعقب السيد علي المذكور أبنه السيد أحمد نظيف الشهير بالترجمان وهو مترجمنا وعلمنا.

---

(١) وثائق آل الترجمان المحفوظة في خزانتنا، رسائل من تاريخ المدينة **٣٩-٤٠**.

وقد أعقب السيد أحمد نظيف من ولديه السيد محمد عارف، والسيد علي.

السيد محمد عارف بن أحمد نظيف الترجمان

روزنامجي الخزينة الجليلة النبوية

أما السيد محمد عارف فمولده بالمدينة المنورة كان رجلًا كاملًا، ذا هيئة حسنة، وأخلاق مستحسنة، صاحب ثروة عظيمة، حفظ القران الكريم وطلب العلم من سائر العلوم من منطوق ومفهوم، فأصبح لا نظير له في الكتابة وضبط الحساب، فأصبح كاتب بالحرم النبوي الشريف، وأصبح متولي حسابات غلال الحجرة النبوية الشريفة من العطايا، والمسئول عن الصرر وذلك لشدة ضبطه وحسابه، وقد وقفت علىٰ وثيقة جرد للحجرة النبوية الشريفة في الأرشيف العثماني تشيرإلىٰ توليه هذا المنصب، ولم يزل علىٰ ذلك حتىٰ صدر الفرمان السلطاني بتعينه روزنامجي الخزينة الجليلة النبوية ولم يزل في منصبه المبارك حتىٰ ادركته المنية غرة شعبان سنة ١٣٣٠هـ.

وقد أعقب أربع بنات: الشريفة فاطمة، والشريفة أم الهدىٰ، والشريفة عائشة، والشريفة سعيدة.

السيد علي بن أحمد نظيف الترجمان

الإمام بالمحراب النبوي

أما السيد علي فمولده بالمدينة المنورة، وبها حفظ القران الكريم وطلب العلم علىٰ يدي علماءها، وباشرالإمامة بالمحراب النبوي الشريف وحصلت له براءة سلطانية من الدولة العلية بتحديد وظيفة خطابة حسبية بمقام الحنفية،ولم يزل المذكور علىٰ أحسن حال معزوزًا الحال ملازمًا للمسجد غالب الأوقات إلىٰ ان أدركته الوفاة في جمادىٰ الاخرة سنة ١٣٢١هـ، وأعقب ولد وبنت هما: السيد أحمد، والشريفة خديجة.

السيد أحمد بن علي بن أحمد الترجمان

بقية البيت الترجماني

أما السيد أحمد بن علي بن أحمد نظيف الترجمان بن علىٰ أفندي، وهو بقية البيت وكل السادة آل الترجمان اليوم من عقبه، كان رجلًا صالحًا وهو أحد أئمة وخطباء المسجد النبوي في المقام الحنفي توفي في ٣ صفر ١٣٤٤هـ، وأعقب أربعة أولاد هم: السيد غالب، والسيد عارف، والسيد حمزة، والسيد نايف.

اما عارف بن أحمد فاعقب: هاشم، ومحمد، وصلاح، وعبد الله، ولؤي، وهاني، وخمسة بنات.

أما حمزة بن أحمد فأعقب: عبد الجليل، ويوسف، وأحمد، وعلي، وعقيل، وخمسة بنات.

أما غالب بن أحمد فأعقب: هشام، وفهد، وخالد، وأسامه، وصديقنا العزيز إبراهيم وهو الذي زودني بوثائق أسرته فله مني الشكر والتقدير، وبدر، وخمسة بنات.

أما نايف بن أحمد فأعقب: عبد العزيز، وعبد المجيد، وعبد الإله، وعبد الستار، وعبد الفتاح، وعبد الوهاب، وثلاثة بنات.

بارك الله في هذا البيت وحفظهم وبارك فيهم وفي عقبهم.

نواصل الحديث عن علمنا السيد أحمد نظيف بعد هذه الدهلزة التاريخية عن بيت الترجمان، وبالله التوفيق.

مولده ونشأته

ولد السيد أحمد بالمدينة المنورة، وحفظ القران الكريم، ثم طاف بحلقات العلم بالمسجد النبوي الشريف، وتتلمذ علىٰ كبار علمائه.

الترجمان أحد أئمة الحرم بالبراءة السلطانية

عرف السيد أحمد بعلمه وفضله فبرز بين أقرانه من العلماء، حتىٰ ان شيخ الخطباء رشحه للإمامة والخطابة بالمسجد النبوي، فأصبح أحد أئمة المقام الحنفي بالبراءة السلطانية وهي الإمامة بالأفضلية لا الوراثية حيث انه يرشح من قبل شيخ الخطباء والأئمة المباشرين.

الترجمان مدير الحرم النبوي(١)

عرف السيد أحمد بنزاهته وأمانته في أوساط أهل العلم، ورجال الدولة العلية، وحيث ان وظيفة مدير الحرم تعد من أهم الوظائف التي ترتبط بمصروفات الحرم وهي إدارة كبيرة تحتوي علىٰ مدير وعدة موظفين يقوم مدير إدارة الغلل التي تاتي من الأوقاف الخالص ريعها الىٰ المسجد النبوي بحيث يقوم الصرف من خلالها علىٰ الدروس والطلبة وكل ما يتعلق بالمكتابات والمصاحف المحفوظة في الروضة المطهرة، وقد كانت الكثير من الأوقاف في المدينة خصصت جزء من ريعها تحت تصرف مدير الحرم ايً كان بحيث تكون ميزانية ضخمة قد تاتي من داخل المدينة او أي من الاوقاف الموجودة في العالم الإسلامي، وحيث إن المدارس الملحقة بأوقاف الحرم النبوي الشريف تدخل هيٰ وجميع أوقافها بالخزينة الجليلة النبوية، ويكون المتصرف في جميع أوقافها من إيجار وقبض وتعمير وتوزيع بين المستحقين والطلبة هو مديرُ الحرم الشريف النبوي كائنًا من كان ليكون هو المتولي عليها وبذلك فهي من أهم الوظائف التشريفية والتي يتم تعين المدير من قبل السرايا السلطانية بعد ترشيح من شيخ الحرم وهي لا تكون الا لرجل ذو ديانة وامانة فكان السيد أحمد الذين تقلدوا هذه الوظيفة لسنوات طويلة حتىٰ وفاته.

(١) رسائل من تاريخ المدينة ٣٩-٤٠.

دكة الترجمان منتدى أدبي ثقافي

معلم من معالم الثقافة في المدينة المنورة بشكل عام وفي باب العنبرية بشكل خاص اسم لا يتجاهله العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء مجلس يرتاده رجال الدولة وأعيان المدينة في وقته هو ما عرف بدكة الترجمان، والحديث عن الدكة بالمسمىٰ الحجازي القديم أي المرتفع في محلة من الارض وهو مشتق من دكة الاغوات في المسجد النبوي الشريف وفي المدينة دكات كثيرة علىٰ سبيل المثال دكة الجوار، ودكة الرستمية، ودكة الترجمان وهذه الدكة والتي يتحدث عنها المدنيون في ذكرياتهم اسسها جدهم الأعلىٰ السيد احمد نظيف الترجمان والذي جعلها بجوار بيته الكبير بالعنبرية وهي تعد مجلس علمي ثقافي يرتاده المثقفون من المدينة المنورة وخارجها وقد استمر هذا المجلس سنوات الىٰ ماقبل التوسعة العمرانية الأولىٰ يحيه آل الترجمان ومنهم السيد محمد عارف رحمه الله الذي كان مهتمًا بالمجلس وإقامة الجلسات الأدبية.

الترجمان مدني أصيل

يعد هذا العلم من النماذج المدنية الأصيلة في مجتمعنا المدني التي نروي بها قصص أقوام رحلوا بأجسادهم وخلدوا ذكرهم بأعمالهم، فبعد حياة مليئة بالأعمال المتميزة من بين إمامة وخطابة وتولي الخزانة الجلية النبوية وإدارة الحرم كلها في المسجد النبوي الشريف رجلًا وهب حياته لخدمة المدينة المنورة واثر البقاء بملازمة المسجد وأفنىٰ وقته كله لذلك المكان ورفض الكثير من المناصب العلية ليكون في مدينته بين أهله وقومه لا يريد بذلك الا الستر والعمل الصالح فقد عاش طيب الذكر يصف بأمانته التي لا نظير لها وفي عهده أقام الكثير من المشروعات الإدارية داخل الحرم وهو لا يزال علىٰ حاله حتىٰ اذنت روحه الىٰ بارئها وفارق الدنيا الىٰ رحمة الله سنة ١٣٠٥هـ،رحم الله علمنا وأسكنه الفسيح من الجنان.



الشيخ السيد أحمد الخياري[١]

هو أحمد بن ياسين بن أحمد بن مصطفىٰ الخياري الحسيني

بيت الخياري

وفي المدينة اليوم عدة بيوتات تعرف ببيت الخياري أئتلفوا في اللقب وأختلفوا في النسب، والظاهر عندي أنهم جميعهم ينتسبون إلىٰ بلدة الخيارية بالديار المصرية البيت الأول وهو اقدمهم هجرة إلىٰ المدينة المنورة، أول من ورد منهم إليها في سنة **١٠٢٩**هـ العلامة الشيخ عبد الرحمن بن علي بن خضر الخياري[٢]، وهم بيت كبير وبالفضل شهير، وكانت في القرن الماضي تنسب لهم محلة بالمدينة تعرف بحوش الخياري[٣]،

(١) الاعلام قرة العين ٦٨/١. الموسوعة الأدبية، المنهل: رجب ١٣٨٠ ص ٤٥٥ و٢٧: ٩٥٤ وعلي جواد الطاهر، في مجلة العرب ٥: ١١٥٢ والرائد، بجدة ١٣٨٢/١٠/١٦.

(٢) تحفة المحبين ٢٠٤.

(٣) رسائل في تاريخ المدينة ٥٤، ٤٠.

وحديقة الخياري[١] تنسب لهم وذكر الداغستاني أن نسبتهم إلىٰ الأنصار[٢]، البيت الثاني بيت خيار ويعرفون إيضًا ببيت الخياري واول من قدم منهم السيد مصطفىٰ بن عبد العزيز بن إبراهيم الخياري في اواخر القرن الثالث عشر الهجري، وهم أسرة حسينية النسب[٣]، والبيت الثالث هي أسرة مترجمنا السيد أحمد بن ياسين الخياري، وأول من قدم منهم الشيخ ياسين بن أحمد بن مصطفىٰ الخياري الحسيني قدم إلىٰ المدينة المنورة مهاجرًا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري وهو من أسرة حسينية النسب تنتهي إلىٰ القطب العارف بالله مجاهد النبراوي بن محمد ابي ذر الحسيني (الكائن ضريحه بنبروه طلخا غربيه سابقا وحاليًا المنصوره)، ومترجمنا هو السيد أحمد بن ياسين بن أحمد بن مصطفىٰ بن عبد الله[٤] بن محمد بن علي بن مجاهد الخياري وإليه النسبة ابن عبد الوهاب بن حسين بن علي ابو النور إبن علي أبو قوطه بن مجاهد بن محمد ابي ذر بن عبد الله بن قاسم بن محمد بن عباس بن علي بن محمد بن عبد الله بن احمد بن قاسم بن عباس بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام[٥].

قال البرادعي في درره[٦]: بيت السيد الخياري . . منهم السيد أحمد ياسين خياري كان من أهل القراءت السبع رحمه الله.

مولده

ولد الشيخ أحمد في المدينة المنورة عام **١٣٢١**هـ في دار والده الشيخ ياسين.

كان رحمه الله متوسط القامة، كث اللحية، أبيض اللون، علىٰ وجهه سيمات الطهارة

(١) رسائل في تاريخ المدينة ٣٨.

(٢) اللآلئ الثمينة ٢٣١.

(٣) قرة العين ١/ ١٥٢، المواهب الجزيلة ٢/ ٤٣٠ ترجمة رقم ٧٣، تشنيف الأسماع ١٧٩-١٨٠ ترجمة ٦٥، الكواكب الدراري ١/ ١٢٧.

(٤) ذكر في كتاب الأغصان للفضيل **٣٢٢** بأسم «عبدة» بدلًا من عبد الله والصحيح ما اثبتناه

(٥) نور الآنوار، الجامع لصلة الارحام، المشجر الوافي ٣/ ٢٣، موسوعة آل البيت النبوي ٣/ ٣٨٨.

(٦) الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية ٨٢-٨٣.

والتقوىٰ، يرتدي نظارة طبية، عريض الجبهة والمنكبين، يرتدي الغترة، ويلبس الباءة العربية وهذا زي العلماء في العصر الحديث.

من خلال قراءتي عن هذه الشخصية الفذة استطعت أن أصفها فقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فيه سماحة نفس وهدوء طبع فأحبه الناس والتفوا من حوله، طموحا دمث الأخلاق طليق اللسان، حلو الحديث، لطيف المشعر، راجح العقل واسع الاطلاع فيه وقار العلماء وهيبتهم، مجتهد في طلب العلم وهبه الله الذكاء والنباهة.

قبل الخوض في الحديث عن شخصية الشيخ أحمد ياسين الخياري يجدر بنا الحديث عن والده العالم الفاضل.



الشيخ ياسين الخياري[١]

العلامة المقرئ اللوذعي شيخ القراء بالمدينة المنورة

ولد رحمه الله بمصر ببلدة المنصورة عام ١٢٨١هـ، لما بلغ سن التعليم حفظ القرآن الكريم والتحق بالكتاب آنذاك كأقرانه، ثم التحق بالجامع الأزهر وأكمل دراسته فيه عدة سنوات حتىٰ نال الاجازة الرسمية في بث ونشر العلم، ومن شيوخه: العلامة محمد البسيوني عسل، والشيخ محمد بن محمد عليش، والشيخ عبد المعطي بن حسن السقا، يتصل سنده بالرسول ﷺ، ومن شيوخه الشيخ أحمد الأبياري والشيخ حسن بن محمد بدير الجريسي، وله أجازة عامة عن السيد علي الببلاوي.

وصل الشيخ إلىٰ المدينة المنورة -علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام- في عهد الدولة العثمانية، وبدأ يُعرف بين أهلها حيث ضُمّ اسمه إلىٰ علماء المسجد النبوي الشريف، وكانت حلقته خلف حلقة الشيخ سعيد الفوتي وإلىٰ يمين حلقة الشيخ محمد الطيب الأنصاري، وإلىٰ يسار حلقة الشيخ عباس محمد رضوان، وقد تولىٰ رحمه الله

(١) ترجمة خطية زودني بها حفيده العم السيد ياسين بن أحمد الخياري رحمه الله، البحر العميق ١/ ٢٣٧.

مشيخة القراء بالمدينة المنورة، وكان يجلس في دكة الأغوات بعد صلاة المغرب من كل يوم في المسجد النبوي الشريف هو وقراء المدينة المنورة أمثال الشيخ حسن الشاعر الذي نُصب شيخا للقراء من بعده بتوصية منه، والشيخ عبد الرحيم القارئ وقد تتلمذ علىٰ يديه الكثير من العلماء منهم الشيخ الفاضل عبد الحي أبو خضير وقد أجازه، ولديّ صورة من الاجازة وتاريخها في يوم الثلاثاء الموافق لـ ٥/ ٤/ ١٣١٣هـ والشيخ عبد الرحيم القارئ والشيخ أحمد ابنه المترجم له والشيخ محمد العائش القرشي، وأحمد الصديق الغماري وغيرهم من أولي الفضل والعلم.

وفي نهاية العهد العثماني اضطر الشيخ الخياري وعائلته للسفر إلىٰ سوريا مع من سافر من أهل المدينة المنورة في سفر (برلك) ومكث هناك وعائلته أربع سنوات ومنها توجه مع عائلته إلىٰ مصر لإدخال ابنه الشيخ أحمد الجامع الأزهر، ومكثوا هناك قرابة خمس سنوات.

يقول الشيخ أحمد الصديق الغماري(١): سكن الشيخ ياسين القاهرة وكان يتردد إلىٰ منزل الشيخ طه الشعبيني، وهناك كنا نجتمع، وكان له اعتناء كبير بكتب الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي رضي الله عنه، ولا سيما الفتوحات المكية، فكان يفهمها جيدًا ويذاكر بمسائلها، فسمعت منه بعض ذلك.

وعندما تخرج إبنه الشيخ أحمد ونال الشهادة العلمية في بث العلم، غادر الشيخ ياسين ومعه ابنه العالم وعائلته مصر عائدين إلىٰ المدينة المنورة وكان ذلك في عام ١٣٤٤هـ عن طريق البحر من ميناء السويس متجهين إلىٰ مدينة ينبع والتي تعتبر هي الميناء البحري للمدينة المنورة، وعندما وصلوا إلىٰ مدينة ينبع واصلوا سفرهم برا علىٰ الجمال حتىٰ وصلوا إلىٰ قرية (المسيجيد)(٢) وهناك تعب الشيخ ياسين كثيرا من عناء السفر وكبر السن حيث وافته المنية، واستمرت العائلة في سفرها برعاية الشيخ أحمد

(١) البحر العميق ١/ ٢٣٧.

(٢) تبعد ثمانين كيلا عن المدينة في طريق بدر، وكانت تعرف بالمنصرف. انظر: (المعالم الأثيرة في السنة والسيرة) ص (٢٧٤) لمحمد محمد حسن شراب.

ابنه الوحيد، مصطحبا معها جثة الشيخ ياسين إلىٰ أن وصلت (الفريش)[1] وصادف أن كان الأمير محمد بن عبد العزيز مخيمًا بها بعد أن استقر له الحكم في المدينة المنورة وأقام وكيلا عنه، وكان وهو (بالفريش) يأخذ من أمراء القبائل البيعة للملك عبد العزيز فعلم الشيخ أحمد بوجود الأمير محمد فذهب إليه قبل صلاة المغرب وتحدث معه في كثير من أمور الدين، وأكرمه الأمير هو وعائلته، وفي اليوم الثاني ذهب الشيخ أحمد إلىٰ مجلس الأمير محمد ليأخذ منه الإذن بمواصلة سفرهم إلىٰ المدينة المنورة فطلب الأمير محمد من الشيخ أحمد دفن والده بالفريش وقد حاول الشيخ أحمد إقناع الأمير محمد بالسماح لهم بمواصلة سفرهم ومعهم جثمان الشيخ ياسين لدفنه بالمدينة المنورة، لأن الشيخ أحمد خاف من عدم توفر أدوات التجهيز بالفريش، ولكنه وافق بعد ذلك، ثم تمّ تجهيز الشيخ ياسين ودفن بالفريش بعد حياة مليئة بالأعمال الصالحة، وعن عمر يناهز الثالثة والستين عاما، فرحمة الله عليه رحمة الأبرار الصالحين.

وبعدها واصلت عائلته برفقة ابنه الشيخ أحمد سفرها حتىٰ وصلت المدينة المنورة مساءً في اليوم نفسه، لأن ما بين الفريش والمدينة مرحلتين بالجمال.

معلومة تاريخية

قدر الله لي زيارة مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة والاطلاع علىٰ فهارس بعض المخطوطات فوقع بين يدي مخطوط بعنوان «**إجازتان في القراءات السبع**» للشيخ عبد الحي أبي خضير المدني[2] من شيخه العلامة ياسين بن أحمد الخياري المدني.

نكتفي بهذا القدر ونواصل الحديث عن الشيخ أحمد رحمه الله وأعماله.

---

(١) تقع غرب المدينة المنورة حوالي ٤٠ كم علىٰ طريق المدينة المنورة ينبع. انظر: مجلة البحوث الإسلامية (العدد ٨٨ من رجب إلىٰ شوال سنة ١٤٣٠هـ).

(٢) عبد الحي أبي خضير (١٢٩٨هـ-١٣٨٠هـ) انظر ترجمته في موضعها من هذا الكتاب.

تعليم الشيخ أحمد

لقد تتلمذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ يد الكثير من علماء الحجاز والأزهر فقد حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره وتلقىٰ دراسته الأولىٰ في كُتّاب الشيخ إبراهيم الطرودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم تتلمذ علىٰ يد والده الذي كان له الأثر الأكبر عليه، ثم الشيخ المعمر حسن الشاعر، وتلقىٰ عنه علم القراءات العشر ولازمه طويلا وكان من أبرز تلاميذه، وغيرهما من العلماء الذين تلقىٰ عنهم دروسا في العلوم المختلفة النافعة مثل التاريخ والأدب ويتصل سنده بالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

دروسه بالمسجد النبوي الشريف

لقد عرف الشيخ الخياري بعلمه فكان بارزا عند مشايخه يسألهم حتىٰ يصل إلىٰ مراده، فما لبث أن استقر في المدينة المنورة حتىٰ جلس للتدريس في المسجد النبوي الشريف، فعقد للعلم وطلابه سوقا وجعل بضاعته التدريسية رابحة فكانت له حلقة كبيرة في المسجد النبوي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قراء القرآن البارزين في المدينة المنورة إذ أنه كان يملك ثروة كبيرة وهي قراءة القرآن الكريم بجميع طرقه، وقد ألف في هذا الفن الكثير من الكتب النافعة، ولم يستمر الشيخ الخياري فترة طويلة مدرسا بالمسجد النبوي وعكف علىٰ التدريس في منزله.

الخياري أول من قام بإنشاء مدرسة للقراءات

لقد كان للشيخ الخياري الفضل الكبير بعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث تقدم في عام **١٣٥٣**هـ بطلب إلىٰ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بوجوب إنشاء مدرسة أهلية خاصة بالتجويد والقراءات العشر وبعدما اطلع سموه -غفر الله له- علىٰ الطلب المقدم له أصدر أمره السامي الكريم بإنشائها، وقد التحق بها الكثير من أقطاب العلم وطلابه من العالم الإسلامي، كما زارها وأثنىٰ عليها عدد كبير من العلماء الأعلام في الأقطار الإسلامية خلال شهر الحج والزيارة، فجزاه الله خيرا علىٰ ما فعل وجعلها الله له في ميزان حسناته يوم القيامة، والجدير بالذكر أن المدرسة المذكورة كانت تعمل بصفة سرية ويقوم بالصرف عليها الشيخ أحمد حتىٰ صدر الأمر السامي.

الخياري أديب حجازي

لقد كان الشيخ الخياري موسوعة علمية وأدبية وتاريخية ومكتبة متنقلة، ففي المسائل اللغوية والبلاغية والتاريخية كان يجيب السائل علىٰ البديهة ويحفظ كثيرا من شعر العرب القدماء أمثال المتنبي والبحتري وابن الرومي وغيرهم، ويحدثك عن تراجمهم واحدا واحدا لميوله الأدبي وباعه الطويل في هذا الميدان، وكان الشيخ الخياري يكتب مقالات قيمة في صحف الحجاز، ومما تجدر الاشارة إليه أنه جمع أعداد جريدة المدينة من أول عدد لها حتىٰ وفاته.

وله مقالات في بعض المجلات العلمية مثل: (مجلة الرائد) وإني أعده أحد مؤسسي (مجلة المنهل) التي أسسها الأستاذ الأديب الفاضل عبد القدوس الأنصاري إذ أن الشيخ الخياري قام بكفالة المجلة بمبلغ ٥٠٠ جنيه دفعها إضافة إلىٰ كفالته إلىٰ صاحب المنهل للالتزام بالشروط الواردة والمتفق عليها، وقد نشر بالمجلة المذكورة الكثير من المقالات والبحوث العلمية القيمة.

وكان رحمه الله يلقي كثيرا من المحاضرات بصوته، وقد أذيعت بالإذاعة، وتميز رحمه الله بحرصه علىٰ حضور الندوات التي تعقد في بيوت الأدباء بالمدينة في ذلك الوقت، وكانت هذه الندوات تدور حول المواضيع العلمية والأدبية، والتاريخية والثفاقية والاجتماعية، وكانت داره مفتوحة للطلاب والأدباء، وقد ولع رحمه الله بالنزهة مع أصدقائه وكانوا يحبون أن يكون معهم لِما يطمعون في طُرَفه وعلمه وأدبه، وكان في نزهاته معهم يجالسهم لزمن ثم يفتعل انصرافا لحاجة مدة ساعة، حتىٰ يهيء لهم أخذ شيء من الحرية في أحوالهم الخاصة بعيدا عن جو الوقار قليلا.

أعمال الخياري في الميزان

- عين الشيخ أحمد الخياري في عدة مناصب وذلك لمكانته العلمية والعقلية الفذة.

- ففي عام **١٣٥٣**هـ عين أستاذًا في مدرسة النجاح وأمضىٰ فيها عدة سنوات وكان ينتدب للاختبارات السنوية في الشهادات.

- كان أحد أعضاء لجنة الاختبار السنوي لمدراس المدينة المنورة.

- كان نائبا لرئيس لجنة تنظيم مكتبات المدينة المنورة.

- عُين مديرا لمكتبة الحرم النبوي الشريف.

- عُين مديرا لأحد المكتبات الكبرىٰ في المدينة المنورة وهي المكتبة (المحمودية).

- عُين عضوا في جمعية مشروع الفرش والإسعاف الخيري.

- عُين عضوا في شركة المدينة للطبع والنشر.

- عُين عضوا في لجنة إصلاح طريق قباء.

- وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شخصية محببة لدىٰ الناس فحاز بالانتخاب علىٰ عضوية وسكرتارية ونيابة مشيخة القراء والحفاظ بالمدينة المنورة.

- عُين عضوا في مجلس الأوقاف بالمدينة المنورة.

- عُين في المحكمة الشرعية بطريق الانتداب للبحث في سجلات المحكمة الشرعية الكبرىٰ عن الأوقاف المغمورة العائدة نظارتها إلىٰ مديرية الأوقاف بالمدينة المنورة، وفي الحرم المكي الشريف مندوبا عن أوقاف العلماء في المدينة المنورة.

- عُين مشرفا علىٰ ترميم أبواب المسجد الشريف.

- عُين السكرتير الأمين العامل لأول نادٍ أدبي أسس في المدينة المنورة.

- عُين مديرا للمدرسة السعودية للقراءات وهي الآن معهد للقراءات.

- وقبل وفاته بعام عُين بمرسوم ملكي مديرًا للمكتبة العامة التابعة للأوقاف بالمدينة المنورة بالإضافة إلىٰ الإشراف علىٰ المكتبة المحمودية ومكتبة الحرم النبوي الشريف التي أسسها، وقد عين في العديد من المراكز الثقافية والاجتماعية.

- وكان دائما يختار لإلقاء الكلمات بمناسبة الافتتاحات، وأبرزها عندما اختير لإلقاء كلمة بمناسبة افتتاح المحكمة الشرعية والمكتبة العامة، إلا أنه كتب الكلمة ولم يستطع إلقاءها لأنه كان علىٰ فراش الموت، فألقاها عنه ابنه الأكبر حبيبنا العم الفاضل

العم السيد ياسين رحمه الله[١]، وهو أحد أدباء المدينة المنورة ومؤرخيها.

لقد كان الشيخ الخياري ذا عقل مفكر وصاحب نزاهة وحكمة في العمل ويقوم بتصريف الأمور بذكاء ونباهة، أما من حيث أسلوبه التربوي في التعليم في المدرسة فكان لا يلجأ إلىٰ العقاب إلا بعد النصح، ولكن إذا عاقب يعاقب بإخلاص.

الخياري المؤرخ

عُرف عنه رحمه الله حبه للبحث عن الآثار في المدينة المنورة منذ عهد الرسول ﷺ، وعهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وغيرها من العهود اللاحقة، وقد قام هو ومجموعة من الأدباء المدنيين في رحلة إلىٰ (الجما) وكان ذهابهم هذا، للبحث عن الآثار في التاريخ، وهذا الأثر هو أن رسولَ رسولِ الله سيدنا موسىٰ جاء للمدينة يدعو أهلها إلىٰ اتباعه فمات بها ودفن بها وقبره في (الجما)، وهناك قبر بها محاط بالحجارة كتب عليه بالخطر المسماري، هذا قبر رسول رسولِ الله موسىٰ إلىٰ أهل يثرب، والله أعلم ماذا كان قول هؤلاء الأدباء في هذا الأثر[٢].

وكان رحمه الله يُختار دائما لإلقاء المحاضرات علىٰ الوافدين إلىٰ المدينة لزيارة الآثار، ومن المحاضرات التي ألقاها علىٰ طلاب الكلية العسكرية بالرياض، عند زيارتهم للمدينة وكان قائد الكلية في ذلك الوقت معالي وزير الإعلام الأستاذ علي حسن الشاعر، فرافقهم الشيخ الخياري، وقام يشرح لهم شرحا مفصلا عن آثار المدينة النبوية والأماكن التاريخية وزادهم علما عن الغزوات التاريخية، كغزوة أحد والخندق

---

(١) السيد ياسين بن أحمد الخياري، مولده بالمدينة ١٣٥٣هـ، أديب من بيت علم وفضل أدركته وكان من منسوبي الأمارة بالمدينة عرفته رجلًا ذا سمت حسن وخلق رفيع كان جارًا لنا في محلة قباء وبيننا وبينه محبة كبيرة فكان بمثابة الاب بالنسبة لّي، استفدت منه كثيرًا في بداية رحلتي الصحفية زودني بالكثير من تراجم الدفتردار كتب كتابًا في آخر حياته يعد تحفة في تاريخ الحياة الأجتماعية بالمدينة ذكر فيه تاريخ العلماء ولمؤذنين والوجهاء وأصحاب المهن فأصبح مرجعًا لكل من اراد أن يكتب عن تاريخ المدينة من النواحي الأجتماعية بين الماضي والحاضر توفي في ١٦ من ذي الحجة عام ١٤٣٣هـ رحمه الله وأسكنه الفسيح من الجنان.

(٢) جريدة البلاد ٢٥/ ١/ ١٤٠٥هـ.

وغيرها من غزوات سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلىٰ آله وصحبه الكرام الطيبين الطاهرين.

الخياري المؤسس لمكتبة الحرم النبوي

وفي عام **١٣٥٩**هـ عمل رَحِمَهُ اللهُ علىٰ تأسيس مكتبة الحرم النبوي الشريف، والتي كانت تقع آنذاك في الغرف التي في أعلىٰ باب المجيدي فكانت الكتب الموجودة غير منظمة، ولا مفهرسة، مفرّقة في جهات متعددة من الحرم، وأول ما بدأ به الشيخ الخياري هو وضع مكتبته الخاصة، بما يقرب من **٣٠٠** نسخة في فنون شتىٰ، وكُتب والده الشيخ ياسين الخياري وطلب كُتبا من أصدقائه من العلماء والفقهاء والأدباء، لوضعها في المكتبة، وقد اشتملت علىٰ كتب المكتبات الآتية:

١- كتب الشيخ محمد أحمد العمري المغربي.

٢- كتب الشيخ مصطفىٰ خليفة.

٣- كتب شيخ المحكمة الشرعية.

٤- كتب المدرسة الصادقية.

٥- كتب شيخ الروضة الشريفة.

٦- كتب الشيخ طوسون باشا.

٧- كتب الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي.

٨- كتب ومطبوعات الملك عبد العزيز -يرحمه الله-.

٩- كتب الشيخ عبد الكريم المصري الأزهري.

١٠- كتب مكتبة الدكتور محمد حسين خان بهادر.

١١- كتب مكتبة الشيخ عبد المجيد أسعد محي الدين البخاري.

١٢- كتب كانت داخل أكياس عند شيخ الروضة.

١٣- كتب هدايا من الناس المحبين.

حتىٰ اكتملت المكتبة فكان الشيخ الخياري هو صاحب الفضل بعد الله في تأسيس مكتبة الحرم النبوي الشريف، وعين أول مدير لها، وقد أصبحت المكتبة اليوم غنية

بالكتب القيمة وتُزوّد بالحديث من المؤلفات وهي الآن موجودة داخل الحرم النبوي الشريف في علو «باب سيدنا عمر بن الخطاب» في الجهة الشمالية من الحرم النبوي الشريف[١].

أمنية الخياري تتحقق في المدينة المنورة

كانت أمنية الشيخ الخياري الغالية هي أن تجمع مكتبات المدينة المنورة في مكتبة واحدة يتولىٰ إدارتها، وقد كافح كثيرا لتحقيق هذه الأمنية، حتىٰ تحققت وجُمعت بموجب المرسوم الملكي الكريم خمس مكتبات إضافة إلىٰ جميع الكتب بالمكتبة العامة، وكان مقرها خلف المحكمة الشرعية في مواجهة المسجد النبوي الشريف من جهة القبلة، وانضمت إليها بعد ذلك عدة مكتبات بواسطة جهود المسؤولين في الدولة، وتم توسعتها وهي الآن تقع في باب الكومة وسميت بمكتبة الملك عبد العزيز.

الخياري الشاعر

يعد الشيخ من المجيدين للشعر، وشعره ينبئ عن أصالة جمعت بين جزالة اللفظ، وسمو المعنىٰ، وهو أقل من نثره، وله مؤلف في الشعر اخترنا قطعة من مختاراته (آثار المدينة المنورة في الشعر العربي قديما وحديثا).

آثار المدينة المنورة في الشعر العربي قديما وحديثا

مقدمة وتمهيد:

أيها القارئ الكريم حياك الله وبياك وأدام فضله عليك وأبقاك وأهنئك من كل قلبي من قرارة نفسي وأحثك علىٰ الاحتفال والعمل علىٰ رفعة شأن البلد الطيب، والآن يا سيدي أقدم لك آثار المدينة المنورة في الشعر العربي فإذا وصلتُ إلىٰ مائة بيت من الشعر أتوقف لأشرح لك حقيقة هذه الآثار، وأين تقع، شرحا شافيا وافيا كافيا ثم

(١) وقد تغيرت المكتبة فصارت في الجهة الجنوبية في ساحة الحرم عند باب رقم (١٢) وتم الان في زماننا إلىٰ جناح مؤقت بالجامعة الإسلامية لحين الانتهاء من مبناها الجديد.

أعود فأقدم لك مائة أخرىٰ ثم أشرحها وهكذا إن شاء الله تعالىٰ، وإليك سياق الحديث:

حاجز وزرود

١- يا مخترق الفلا علىٰ ظهر قعود لـي مـعـك كـلام ألـقـيـه إلـيـك

٢- لا تقرب حجارا ولا سفح زرود تـبـلـىٰ بـهـيـام مـا بـيـن يـديـك

زرود أيضا

٣- ياليالي زرود: هل تنجلىٰ: فيك أنوار أحد

٤- ما رئي في البرود: ألا حلىٰ: والحلا في المبرد

الجزع

٥- عللاني بذكر من سلن الجزع ولا تكتباه إلا بدمعة

٦- فاتني أن أرىٰ الديار بعيني فلعلي أرىٰ الديار بسمعة

قصر عروة بن الزبير والجماوات الثلاثة

٧- القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهىٰ إلىٰ النفس من أبواب جيرون

واد الغضا

٨- فيا عربا سادوا وشادوا وخيموا بـواد الـغضـا وهـو الـفـوائد الـمـتيـم.

رامة

٩- رويدك هل هاجتك ورقاء رامة لها في دجىٰ الأسحار نوح وأعوال

قباء والعوالي

١٠- يا للهوىٰ لسويعات مضت بقبا ولـلـعـوالـي بـقـلـبـي وخـز مـران

العقيق

١١- وأحر قلبي علىٰ وادي العقيق فكم أجـرتـه عـيـنـاي مـنـظـومـا بـعـقـيـان

السيح والنقا ووادي بطحان

١٢- لذلك السيح ساحت عبرتي وغدت ... تسقي النقا ولكم سالت ببطحان.

السيح أيضا

١٣- يا جيرة السيح أنتم للعيون جلا ... وللجراحات أنتم مَرهم وطلا.

النقا أيضا

١٤- احب لي من كل من فوق الثرىٰ ... عرب النقا روحي قد أعرب النقا.

جبل سلع وأطم فارع

١٥- أرقت لتوماض البروق اللوامع ... ونحن نشاوي بين سلع وفارع.

النخل بالعقيق

١٦- ألا حبذا بين النخيل نزول ... وظل بأكناف العقيق ظليل.

رامة أيضا

١٧- ولما تلاقينا علىٰ سفح رامة ... وجدتُ بنان العامرية أحمرا.

زرود للمرة الثالثة

١٨- أهلا بنشر من مهب زرود ... أحياء فؤاد العاشق المنجود.

العقيق أيضا

١٩- خليلي عوجا بالعقيق ويمما ... معاهد أشواق بها الوجد قد نما

سلع

٢٠- لعمرك إنني لأحب سلعا ... لرؤيته ومن أكناف سلع

٢١- تقر بترن عيني وأني ... لأخشىٰ أن يكون بريد نجعىٰ

سلع أيضا

٢٢- إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم   أوزرت سلمىٰ فسل ما الهجر في الحرم

بئر عروة بن الزبير

٢٣- ألا ليت شعري هل إلىٰ الرمل عود   وهل لي بتلك البانتين لمام

٢٤- وهل نهلة من بئر عروة عذبة   أداري بها قلبا براه أوام

الزوراء

٢٥- أرج النسيم سرىٰ من الزاراء   سحرا فأحيا ميت الأحياء

إن الفتىٰ الأنصاري واحد عصره

اشرب أخي من منهل الأنصاري   وارو الفؤاد من الزلال الجاري

وتملَّ من علم وفلسفة ومن   شعر ونثر تحط بالأوطار

وتناول الأدب الرفيع مكملا   وتغد منه دائم الادهار

وخذ الأقاصيص الجملية واروها   وانظر مراميها تفز بفخار

وتسلّ بالأخبار وهْي جديدة   فهي النعيم لصاحب الأفكار

إن الفتىٰ الانصاري واحد عصره   في كل شيء صاحب الآثار

هذي مجلته الفنية قد بدت   في حلة خلابة الأنظار

خطرت تميس بقدها وعلومها   وبإسمها وعميدها الأنصاري

فليبا دوما عابد القدوس في   عز وصون دائم الآثار

ثم الصلاة علىٰ النبي وآله   والصحب والأتباع والأنصار

هذه نماذج من شعر الشيخ أحمد الخياري ولديه الكثير من هذا بل والأفضل من هذا، ولكني أردت أن أضع هذه النماذج لأستعرض شيئا للقارئ، وإن كتب التراجم لم تعد لتحليل القصائد إنما هي تتحدث عن انجازات الشخصية المترجم لها، وأقولها

مرة أخرىٰ: إن الشيخ الخياري جمع كثيرا من العلوم وبرع واشتهر فيها، فقصائده تدل علىٰ حسن ألفاظه وجمال تعبيره رحمه الله وأحسن إليه.

المربي الحازم

لقد كان رحمه الله مربيًا في منزله ومربيًا في عمله ومربيا في جلسات الصداقة مع زملائه، إلا أنه كان يتخذ مع كل حال أسلوبا تربويا مغايرا، ففي بيته مثلا كان يميل إلىٰ الجدية والصرامة في التربية، وفي المدرسة والعمل يتعامل مع الطلاب بحسن الخلق وتلاميذه كثيرون ولا يمكن حصرهم ولكن نذكر منهم علىٰ سبيل المثال: الأستاذ علىٰ ضياء الدين، والأستاذ عيسىٰ حسن صالح، والأستاذ علي أبو الخير والأستاذ معتوق حلا وكثير لم استطع التوصل إلىٰ أسمائهم.

شخصية محبوبة

لقد ذاع صيت الشيخ الخياري في الحجاز كله، فكان رجلا معروفا ومحبوبا في نفس الوقت من جميع الطبقات الاجتماعية، فهو من شخصيات المدينة المنورة البارزة وهذا يدل علىٰ دماثة خلقه وتواضعه فنذكر من أصدقائه:

١- السيدان عبيد وأمين مدني.

٢- السيدان علي وعثمان حافظ.

٣- الشيخ جعفر فقيه.

٤- الشيخ أمين مرشد.

٥- الأستاذ الأديب حامد خجا.

٦- السيد عبد العزيز أسعد.

٧- الأستاذ عيد حجار العمري.

٨- الأستاذ الفاضل عبد القدوس الأنصاري.

وغيرهم من أهل الحجاز الأفاضل في تلك الحقبة من الزمن.

والحقيقة أنني أسمع عنه دائما سيرة حسنة فالرجل إلىٰ جانب علمه كان متواضعا.

مؤلفات الشيخ الخياري

اشتغل الشيخ أحمد الخياري بالتصنيف طوال حياته وأخرج الكثير من المؤلفات وقد تجاوزت الخمسين مؤلفا، وهي علىٰ وجه العموم تدور حول القرآن وعلومه وفن التاريخ والأدب، ومصنفاته شاهدة علىٰ أدبيته أذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

١- **تاريخ معالم المدينة قديما وحديثا**: وهو من أهم مؤلفاته وسنفرد عنه حديثًا خاصا بعد.

٢- **تحفة الشماء في تاريخ العين الزرقاء**: وهو من المؤلفات النادرة فهو جامع لتاريخ أثر جليلة من آثار المدينة وهو تاريخ العين الزرقاء.

٣- **حمامة الحمىٰ الحجازي**: وهو الرسالة الخاصة عن حمام الحمىٰ الحجازي، أصله وحكمه وسبب تسميته، حرمته وقد وثق المؤلف الرسالة بالأدلة التاريخية الصحيحة والرسالة تقع في (٢٨) صفحة من القطع المتوسطة.

٤- **الجُندية قديما وحديثا**: هو مؤلف صغير ولكنه مفيد يحتوي علىٰ (٤١) صفحة من القطع المتوسطة وهو يتحدث عم معنىٰ الجندية، والجُندي والجُند والجُنود، والحرب وما يلزم لها من الاستعدادت قبلها وبعدها ومعها وفيها، وأول حرب حدثت في العهد الآدمي، وتحدث المؤلف عن تطور الحروب وقام بالتحليل الآتي: أنه هل للحرب العالمية منافع عاما وخاصا للبشرية مادية وأدبية.

٥- فتح العلم الحكيم في تجويد القرآن العظيم.

٦- فتح العلم القدير في قراءة القرآن للإمام ابن كثير.

٧- النور الساطع في قراءة الإمام نافع.

٨- تعميم النفع بتبسيط القراءات السبع.

٩- النور الباهر في قراءة الإمام ابن عامر.

١٠- الخير الدائم في قراءة الإمام عاصم.

١١- تقريب النائي في قراءة الإمام الكسائي.

١٢- عجائب المقروءات وغرائب المسموعات.

١٣- الحكم الفصل في الفرق بين الضاد والظاء.

١٤- تاريخ المدينة المنورة في الشعر العربي حديثا وقديما.

١٥- الهجرة النبوية أسبابه وخطتها وطريقها ونتائجها.

١٦- الخير العرمرم في أصل وتاريخ زمزم.

١٧- روضة الفكر والجنان في فضائل أمهات البلدان.

١٨- دائرة المعارف القرآنية أو (تفسير القرآن الكريم).

١٩- محاضرات علوم القرآن والألفاظ العلمية والدينية والأدبية.

٢٠- السر الموصول إلىٰ آثار الرسول.

٢١- أمراء المدينة المنورة وحكمها من بعد الرسول إلىٰ الآن. أضيف إلىٰ كتاب تاريخ المدينة.

٢٢- الجواهر والدرر في تراجم أسانيد القراء الأربع عشر.

٢٣- الأجوبة المسكنة القولية والفعلية.

٢٤- الألفاظ العلمية الدينية والأدبية والفكاهية والحسابية.

٢٥- الأوائل في تاريخ المدينة المنورة.

٢٦- ديوان شعر.

كتاب «تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا»

أصدر الكتاب المذكور في عام ١٤١٠هـ ولعل الفترة تكون بعيدة عن وفاة المؤلف، إلا أن الكتاب كان مخطوطا ومفقودا أيضا لمدة إحدىٰ وعشرين عاما علىٰ ثلاث فترات كل سبع سنوات في جهة معينة وعندما وصل إلىٰ يد ابنه الأكبر حبيبنا العم الفاضل ياسين قام بإعادة النظر في صفحاته وتعديل بعض الأوراق المتآكلة وقام الأستاذ الأديب الفاضل عبيد الله محمد أمين كردي رحمه الله بمراجعته والتعليق عليه فجزاه الله خيرا علىٰ ما فعل.

ويقع الكتاب في (٣٣٩) صفحة من القطع المتوسطة، نستطيع أن نصفه بانه رائع، اسعرض المؤلف تاريخ المدينة المنورة من قبل الهجرة ومرورا بالعصور الإسلامية

حتىٰ العصر السعودي، ولم تكن مصادر المؤلف سهلة ميسورة وذلك لأن الوقت الذي عاشه لم تتوفر فيه الكتب بكميات كبيرة ومع ذلك استطاع الشيخ الخياري أن يجمع أشتات هذا التاريخ في كتاب يقرؤه القارئ في أبواب، يستعرض فيها الدول والأمراء التي حكمت المدينة والارتباطات السياسية بالمدينة المنور وهذا جهد يجزىٰ عليه المؤلف وقد قام به بمفرده.

وإني في الحقيقة أقدر قيمة الكتاب الذي أقرؤه لأنه يضيف إلي معلومات قديمة وجديدة والكتاب بالنسبة لي أكاد أجزم أنه بالنسبة لكل من يقرؤه يجده زاخرا بالمعلومات المفيدة.

إن التاريخ ينقل عن العصور والمؤرخين السابقين، وإن لم ننقل لما استطعنا أن نكتب إلا ما شهدنا.

ولعل البعض يقول إنني أبالغ في الكتاب وإني أصفه بأنه لا توجد به أخطاء! وأرد علىٰ السؤال بسؤال آخر: هل هناك كتاب يخلو من الأخطاء وجميعنا يعلم أن الكمال للقرآن الكريم.

وقد زوّد الكتاب بكثير من الصور والخرائط النادرة، فهذا يجعلنا نقرأ بكل موضوعية وندرك ونقدر قيمة ما نقرأ، وأخيرا فقد أطلت الكلام عن الكتاب وليس الحديث كالمقروء ولكني أردت أردت أن أوضح الصورة للقراء الأعزاء وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك.

وفاة الشيخ أحمد الخياري

وبعد هذه الحياة المليئة بالعطاء وخير الأعمال ودعت المدينة المنورة أحد علمائها ووجهائها وواحد من أبرز مؤرخيها وشعرائها وأدبائها العملاقة حيث توفاه الله في ليلة الاربعاء ١٧ رجب ١٣٨٠هـ عن عمر يناهز ٥٩ عاما، فشيعت جنازته في موكب حافل اشترك فيه العلماء والشخصيات والمسؤولين وكافة الطبقات فلقد كان الرجل محبوبا لدىٰ الناس بصورة عامة، وقد دفن في البقيع الغرقد رحمه الله.



الشيخ أمين الحلواني

هو أمين بن حسن بن محمد بن محمد أمين الحلواني المدني.

بيت الحلواني

لقب الحلواني بالمدينة يحمل هذا اللقب في المدينة المنورة أكثر من بيت، وأصل اللقب لمهنة صنع الحلوى، وعائلة المترجم له احدها إلا أنهم اشهرهم بالعراقة والقدم، فهم بيتٍ كبير وبالفضل شهير، لهم في العلم صولة وفي الوجاهة جولة، حصلوا على الأفندية في زمن الدولة العثمانية، ولهم مع بادية المدينة حلف مع ولد محمد[١] من حرب في فترة من الزمن، ويعد المترجم له أحد نجوم هذا البيت الكبير الذي سطع نجمه في اوائل القرن الرابع عشر فحوى مجدهم وأكمله، وما دمنا في حديث لقب الحلواني فهناك عدة أسر تحمل هذا اللقب وليس كلهم من بيت واحد، ومنهم بيت السيد صالح بن خليل الحلواني، وهم بيت صغير فيهم خير كثير، ينتهي نسبهم إلى السادة الأدارسة، وقد أدركت منهم العم المعّمر السيد سعد بن صالح الحلواني حفظه الله أحد العارفين بالتأريخ المدني وبيوتاته وهو رجل أخباري من الطراز الأول وله ذرية مباركة.

---

(١) العهود الثلاثة ٢٦

قال الأنصاري تحفته[١]: «بيت الحلواني» أصلهم الشيخ محمد أمين الهندي الكشميري الحلواني، قدم المدينة المنورة في سنة ١١٤٠هـ.

قال الحجار في مختصره[٢]: بيت الحلواني الكشميري ورد المدينة المنورة في عام ألف ومئةٍ وأربعين.

الشيخ محمد أمين الهندي الكشميري الحلواني

رأس البيت الحلواني

قدم المدينة المنورة في سنة ١١٤٠هـ، وكان رجلًا كاملًا عاقلًا صاحب ثروة، وعرف بحبه للفقراء والمساكين ويجمعهم في بيته، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل عام يقيم مولدًا عظيمًا للنبي ﷺ، وقد عمل بحديث الحبيب المصطفى ﷺ فيما روي عن عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣]، وأعقب من الأولاد: محمد صديق، وأبا بكر ومحمد، وبنت تدعى رحمة، وكلهم معقبون إلا محمد صديق الذي توفي عن غير ولد سنة ١١٩٠هـ.

الشيخ حسن بن محمد بن محمد أمين الهندي الكشميري الحلواني

مبعوث الدولة العثمانية

رجل مدني من بيت كبير ولد بالمدينة المنورة، وكان أحد شجعانها، حتى تصدر ليكون أحد أعيانها البارزين ورجالها المتكلمين، اوفده عبدالله بن عون شريف مكة سنة ١٢٧٩هـ إلى الأراضي النجدية وكان أميرها فيصب بن تركي الذي كان رافضاً لدفع الخراج المترتب عليه من قبل الدولة العثمانية، فتكلم معه ولم ينتهي من حديثه

(١) تحفة المحبين والأصحاب في ما للمدنيين من الأنساب/ عبد الرحمن الأنصاري ص٩١.

(٢) مختصر القرمية ٣٩.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٥٢) وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، ورواه ابن ماجه (٤١٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد ضعف الحديث بعض أهل العلم والله أعلم.

مع الامير حتى نجح في مهمته وعاد إلى بأمر دفع الخراج وبذلك، وبحكمته أستطاع أن يخمد فتنة كادت أن تحدث لو لم يدفع الخراج.

قال محب الدين الخطيب في مقالته[١]: إن والد الشيخ أمين كان من أعيان المدينة وأفاضلها حتى أن الشريف عبد الله بن عون أمير مكة أوفده في سنة **١٢٧٩**هـ إلى أمير نجد فيصل بن تركي لينصحه بإعادة الخراج المرتب عليه للدولة العثمانية، فنجح الشيخ حسن الحلواني في مهمته وكان موضع الإجلال والإكرام من أمير نجد رغم أن الأمير فيصل كان مترددًا في الدفع.

مولده

حينما أردت أن أكتب عن شخصية الشيخ أمين الحلواني لم أجد في المصادر التاريخية ذكر أو تحديد لتاريخ ميلاده، والظاهر أن الشيخ الحلواني ولد بالمدينة المنورة في منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

وصفه

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ متوسط القامة، أبيض اللون، عريض الجبهة، يرتدي نظارة طبية ويلبس الجبة والعمة، وهو زي العلماء المدنيين.

نشأته

لقد نشأ الشيخ الحلواني نشأة صالحة، فقد اهتم به والده منذ صغره، فجد في طلب العلم واقتناء المصنفات الجيدة لا سيما المخطوطات، وفي تلك الفترة كان المسجد النبوي الشريف مليئًا بالعلماء، فطاف الشيخ الحلواني بتلك الحلقات وأخذ العلم من أفواه العلماء، فحفظ القرآن الكريم، ثم قرأ علىٰ بعض العلماء، فبدأ بقراءة النحو والصرف والعروض والمعاني والبيان والفرائض والفقه الحنفي وصحيح البخاري علىٰ يد العلاّمة الفلكي حسن بن حسين الأسكوبي والذي انفرد بعلم الفلك في تلك الحقبة من الزمن، ثم بدأ بدراسة العلوم الأدبية فدرس الكامل للمبرد وأمثال الميداني وديوان

(١) مجلة المنهل بقلم محب الدين الخطيب شهر ١ سنة **١٣٧٢**هـ ص٥٤٦-٥٤٨.

الحماسة والمقامات الحريرية وديوان المتنبي وأبي تمام، ثم درس الحديث علىٰ يد العلاّمة الشيخ إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي مفتي الشافعية في مدينة خير البرية. وبعد ذلك تصدر الشيخ الحلواني للتدريس في المسجد النبوي الشريف.

والحقيقة أن هناك حلقات كثيرة مفقودة في تاريخ هذا العالم الجليل، لعل الأيام تظهرها لي أو لغيري من الكّتاب.

دروسه بالمسجد النبوي

وبعد أن نال الشيخ الحلواني قسطًا وافرًا من العلم وأخذ الإجازة من مشايخه في بث العلم ونشره تصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف وعقد حلقته في الروضة الشريفة[١] والتي هي روضة من رياض الجنة، وأخذ يدرس العلوم العربية والأدبية فقد كان له اهتمام بالأدب واللغة والتاريخ والفلك، كما له علم بكتب الرجال والأنساب، ومن هنا نستطيع أن نقول إن الرجل كان بارعًا متضلعًا متمكنًا في جميع العلوم، فإن المكان الذي وضعت حلقته فيه وهو الروضة الشريفة لا يتصدر فيه إلا رجل تلاميذه كثر وعلمه وفير.

الحلواني الرحالة

إن القارئ لسيرة الشيخ الحلواني يعرف فيها روح التجديد والانطلاق، فقد تميز الشيخ بحب تغيير الظروف من حوله والتطلع إلىٰ الجديد فقد خرج من المدينة وبارحها وهو ابنها، حتىٰ أن وفاته لم تكن بها، وأول رحلاته كانت إلىٰ مصر لطلب العلم وذلك سنة ١٢٧٣هـ كما وردت في الكتاب الذي اختصره «مطالع السعود» إذ أنه يقول عن الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب[٢]: «أما الشيخ عبدالرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر يدرس مذهب الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٧٤هـ وكان عالمًا فقيهًا ذا سمت حسن يظهر عليه التقوىٰ والصلاح».

---

(١) مجلة المنهل بقلم محب الدين الخطيب شهر ١ سنة ١٣٧٢هـ ص٥٤٦-٥٤٨.

(٢) نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان ٣٨.

ومن هذه العبارة أستطيع أن أقول إن الشيخ الحلواني قد ذهب إلىٰ مصر في حوالي سنة **١٢٧١**هـ والتقىٰ بالشيخ عبدالرحمن المذكور وربما يكون تتلمذ علىٰ يده في الجامع الأزهر؛ ثم إن الشيخ الحلواني عاد إلىٰ المدينة المنورة وبقي بها حتىٰ عام **١٢٩٢**هـ: كما يذكر محب الدين الخطيب في ترجمته: وأن الدافع وراء نزوح الحلواني من المدينة هو ما قيل عنه ألّف رسالة ينكر فيها صحة المخلفات النبوية التي كانت الدولة العثمانية تتقرب إلىٰ العامة بدعوىٰ الحيازة لها والاحتفال بها في مواكب دورية أو غير دورية، وعلىٰ إثر ذلك قام الحلواني برحلة إلىٰ مصر وبعض بلاد الشرق العربي، وفي مصر اتصل بالعلامة محمد محمود التركزي الشنقيطي[١] فأخذ عنه واستفاد منه.

وخالط طبقة أخرىٰ من علماء وأعيان ذلك الوقت في مصر.

ومما قاله الشيخ محب الدين أن الشيخ الحلواني لم يعرف التركزي إلا في رحلته الثانية إلىٰ مصر وأنه في رحلته الأولىٰ لم يحتك به ولم يعرفه، ويبدو أن الشيخ الحلواني كان يتردد كثيرًا علىٰ مصر واستقر بها فترة من الزمن.

وقد ذكر أنه في عام **١٢٩٩**هـ كان في المدينة المنورة، وهي التي استنسخ فيها نسخة من شعر أبي المحجن بأسره برواية أبي يوسف يعقوب السكيت، ثم أبي سعيد السكري وأبي الحسن الطوسي، حيث كتبها الحلواني في المدينة المنورة في الثالث من ذي القعدة سنة **١٢٩٩**هـ، وعلق الحلواني في نهاية هذه النسخة أنه نقلها من نسخة «بخط أديب زمانه وحيد عصره الشيخ محمد محمود التلاميد الشنقيطي وهو نقل من خط ياقوت ولفظه . .»[٢] وإنني هنا أرجح بأن الشيخ الحلواني كان علىٰ صلة بالشيخ التركزي من المدينة المنورة لأن الشيخ التركزي كان مقيمًا بها فترة من الزمن ثم نفي منها إلىٰ مصر[٣].

---

(١) مجلة المنهل/ محب الدين الخطيب مصدر سابق.

(٢) المدينة بين الأدب والتاريخ ص (٥٠-٥١).

(٣) انظر ما كتبناه في ترجمة الشيخ عبدالجليل برادة.

الحلواني يبيع المخطوطات

وفي عام ١٣٠١هـ (١٨٨٩م) رحل الشيخ أمين الحلواني إلىٰ ليدن وأمستردام لحضور مؤتمر المستشرقين[١] الذي عقد هناك وبها باع مجموعة من المخطوطات كان قد اقتناها في السنين السابقة ولهذه المخطوطات فهرس خاص وضعه المستشرقون ووضعوا فيه مفرداتها[٢].

والسؤال الذي يُطرح: ما هو الدافع الذي دعا الشيخ الحلواني إلىٰ نقل مكتبته إلىٰ المستشرقين وبيعها؟ هل هو الطمع في المال؟ أو الطمع في الشهرة؟ أو حرصًا منه علىٰ الاحتفاظ بمخطوطاته في مكتبة تقدرها وتهتم بها؟ وإني في الحقيقة أرجح القول الثالث لأن الشيخ الحلواني ومما ثبت عن سيرته لم يكن فقير الحال وأن أسرته بالمدينة معروفة بأنها متوسطة الحال، وإن يظن البعض أنه الطمع في المال فإننا نحمد الله أنها لم تبق هنا، لأن بقاءها سيجعلها مجهولة لا يعلم عنها أحد شيئًا كغيرها من المخطوطات والمؤلفات القيمة التي نعرف أسماءها وأسماء مؤلفيها ولا نعرف إلىٰ أين انتهىٰ مصيرها . . .

إن الشيخ الحلواني كان صاحب نظرة بعيدة حيث إنه وضع هذه المخطوطات في مكان يحافظ عليها ولا يمكن في يوم من الأيام جهلها. وللأسف نحن ننظر ولا نندم ولا نتضجر وبعضنا يقول: لماذا باع الحلواني المخطوطات.

وقد احتوت هذه المجموعة التي يصل عددها إلىٰ **٦٦٤** مخطوطة علىٰ مؤلفات فريدة من نوعها، وغير معروفة حتىٰ في الشرق نفسه، وقد ذكرت أسماؤها بالفهرس باللغة العربية وفي نهايته ذكر واضعه أنه انتهىٰ من عمله لي ليدن في **٢٠** سبتمبر **١٣٨٣**م.

وقد التقىٰ الحلواني وتعرف علىٰ عدد من المستشرقين المشهورين وأمثال (سنوك

---

(١) نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان للحلواني، تحقيق: مازن المطبقاني مصدر سابق.

(٢) انظر ترجمة محب الدين الخطيب مصدر سابق.

هورخرونيه) الذي كتب ترجمة هذا الشيخ الحلواني لدائرة المعارف الإسلامية، وكان من نتيجة هذا التعارف أن الشيخ الحلواني المدني بعد أن رجع من المؤتمر كتب انطباعاته عنه في جريدة «البرهان» القاهرية وقام سنوك بترجمتها إلىٰ الهولندية.

ويشير قاسم السامرائي إلىٰ العلاقة التي نشأت بين الحلواني والمستشرق الهولندي، وسَفَرِ المستشرق إلىٰ مكة المكرمة ودخولها بعد سنة من لقائهما قائلًا: من المحتمل جدًا أن أمين المدني قد أبان الطريق لـ(سنوك هورخرونيه) لدخول مكة المكرمة[(١)] وبخاصة أنه كانت هناك مراسلات بين المستشرق وعدد من المسلمين لم يكشف النقاب عنها بعد.

أقول إني أرىٰ مبالغة وتحامل علىٰ الشيخ الحلواني لأن الشيخ الحلواني ابن المدينة المنورة والمدرس في حرمها الشريف سوف يكون غيورًا علىٰ دينه وبلده المقدس، فلا يمكن أن يقوم بهذا العلم الذي ينسبه السامرائي إلا في حالة أن يكون المستشرق قد أعلن إسلامه فلا يلام الشيخ الحلواني حينئذ.

أعماله في الهند

وفي نفس السنة التي باع فيها الحلواني المخطوطات رحل إلىٰ بومباي في الهند وعكف علىٰ قراءة الأدب ونشر الكتب من تأليفه أو من تأليف غيره.

يقول الشيخ محب الدين الخطيب: «وكان الشيخ أمين الحلواني في مدة إقامته في الهند وفيًا لذلك الوطن الإسلامي العظيم كوفائه لآداب العرب وتراثها، وقد حمله ذلك علىٰ طبع كتاب «**سبحة المرجان في آثار هندستان**» للعلاّمة غلام علي آزاد الحسيني، وكان طبع الحلواني لهذا الكتاب علىٰ الحجر في بومباي الهند سنة **١٣٠٣**هـ

(١) في الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢١): «أقام في «جدة» بالحجاز سنة ١٨٨٤م سبعة أشهر، ويقول إنه دخل مكة متسميا بعبد الغفار، ومكث بها، في «سوق الليل» خمسة أشهر، واضطر إلىٰ مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحج، لانكشاف أمره بكلمات فاه بها وكيل قنصل فرنسا بجدة في بعض المجالس ...» ومن أشهر كتبه كتاب «صفحات من تاريخ مكة» في مجلدين نشره سنة **١٨٨٩**م، ونقله إلىٰ العربية: الدكتور علي عودة الشيوخ وأعاد صياغته وعلق عليه: الدكتور محمد محمود السرياني والدكتور معراج نواب مرزا؛ نشر بدارة الملك عبد العزيز **١٤١٩**هـ-**١٩٩٩**م.

وطبع كذلك غيره من الكتب القيمة»[١].

مؤلفات الحلواني

لم يكن الشيخ الحلواني من أوائل الذين يصنفون الكتب الكثيرة ولكنه كذلك يعد من المصنفين فقد ألف عدة تآليف نذكر منها:

١- «مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» للشيخ عثمان بن سند البصري ويشتمل الكتاب علىٰ تاريخ بغداد من سنة **١١٩٨**هـ حتىٰ **١٢٥٠**هـ وطبع في الهند.

٢- «نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان» طبع في الهند سنة **١٣٠٧**هـ وقد قام الأستاذ مازن مطبقاتي بتحقيقه سنة **١٤١٠**هـ.

٣- «السيول المغرقة علىٰ الصواعق المحرقة» وهو في نقد السيد أحمد أسعد الرافعي أو المدني، وقد اتخذ لنفسه فيه اسمًا مستعارًا هو «عبد الباسط المنوفي».

٤- «ارتشاف الضرب في عمود النسب» مخطوط.

٥- شروح لغوية علىٰ كتاب «لزوم مالا يلزم» طبع في بومبي بالهند.

٦- «جني النحلة في كيفية غرس النخلة» ملحق بكتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود.

وفاة الحلواني

ينسب بعض المؤرخين كالشيخ محب الدين الخطيب وفاة الشيخ الحلواني بالهند ويرىٰ الزركلي أن وفاته كانت سنة **١٣١٦**هـ وكتب الأستاذ محمود عبد الوهاب[٢]: ومن رحلات الشيخ الحلواني أيضًا رحلته إلىٰ البلاد العثمانية الواقعة في شمال أفريقيا فقد وصل إلىٰ طرابلس الغرب وهناك رآه بعض الأعراب، ونظرًا لبياض بشرته ووضعه النظارات الطبية علىٰ عينيه ظنوه أوربيًا جاء يتجسس عليهم لصالح بلاده، وبالرغم من

---

(١) محب الدين الخطيب مصدر سابق.

(٢) الرحالة أمين الحلواني -المنهل- مجلد ١٣ ربيع الأول ١٣٧٢ه.

تدخل كثير من أهل طرابلس في محاولة إقناع البدو بأنه رجل مسلم ومن المدينة المنورة إلا أن الأعراب لم يقتنعوا وقاموا بقتله وكان ذلك سنة **١٣١٦**هـ.

وسواء أكان قد توفي في الهند أو في طرابلس إلا أن تاريخ سنة الوفاة معروف والله أعلم أي الروايتين أصدق وما نستطيع أن نقوله هو: رحم الله الحلواني رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

الشيخ بركات بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري

شهيد واقعة العوالي وقربان

هو أبو البركات بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن علي العلواني بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الزرندي بن الحسن بن محمد بن محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عكرمة بن أنس بن مالك الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه.

بيت الأنصاري

بيت الأنصاري ويعرفون قديمًا ببيت الزرندي وينعتهم المدنيين اليوم بـ(بيت بركات انصاري) وليس بالانصاري بآل التعريف وهذا ما ينطق علىٰ البيوتات المدنية بدون آل التعريف وبيت الأنصاري بيت مدني أصيل يعرفه القاصي والداني ويعرفهم المدنيين عن غيرهم بما لهم من الفضل فهم أهل المدينة الاصليين وأرومتها الحقيقية كيف لا ونسبتهم إلىٰ الأنصار من ناصر النبي عليه الصلاة والسلام وآخا بينهم وبين المهاجرين، والأنصار اليوم كثر أنتشاروا في بقاع الأرض وإنما في المدينة قلة، وهم ليسوا بيت واحد بل هم بيوت قليلة في المدينة اليوم، وقد جاء في الحديث الصحيح أن الأنصار أن وجدوا في بلد فيكونوا قلة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**الناس يكثرون والأنصار يقلون حتىٰ يصيروا كالملح في الطعام**».

وهم في يومنا هذا عدة بيوت وليس كلهم إبناء رجل واحد وانما يجمعهم النسب وما دمنا في حديث المدنيين والأنصار فالشي بالشي يذكر فمن بيوتات الأنصار في المدينة كأبي الجود الحميداني[1]، والخياري[2]، والشعاب[3]،

---

(١) تبرك الصحابة ٦٤.

(٢) اللآلئ الثمينة ٢٣١.

(٣) بناء صك صادر من محكمة المدينة بتاريخ ٢٠/ ربيع الأول ١٢٢٢هـ، نشر النور والزهر ٢/ ٤٤٨ ترجمة رقم ٥١٠، فهرس الفهارس ٢/ ٥٧٨، فيض الملك المتعالي ٢/ ٨٤٧، و٣/ ١٣٧٧.

والكراني[١]، والنجار، والمطري، والايوبي، وعبد الغفار، وعبد القادر، وغيرهم ممن فصلناهم في قرميتنا.

إلا أن بيت مترجمنا هو اشهرها بالنسبة واقدمهم بالفضل، وقد اقترن اسمهم بكل بيوتات المدينة وانسابهم بقرميتهم الأصيلة التي كتبوها ودون فيها أنساب اهل مدينة خير البرية وبيت الأنصاري الذين نترجم عنهم اليوم هم من أقدم اسر المدينة ويعرفون قديمًا ببيت الزرندي، نسبة إلىٰ زرند.

قال المجد في مغانمه[٢]: زرند قرية من أعمال المدينة المنورة من جهة الشام بقرب وادي القرىٰ.

قال ياقوت في معجمه[٣]: زرند بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال مهملة باب بين أصبهان وساوه.

ورأس هذا البيت هو المحدَّث الشيخ يوسف الزرندي[٤] بن الحسن بن محمد بن محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عكرمة ابن أنس بن مالك، والذي كان عالمًا من أكابر العلماء الصالحين، حنفي المذهب،قدم المدينة علىٰ اصح الأقوال، والصحيح عندي أنه قدم من زرند من أعمال الري بفارس، ولنا في ذلك تحقيق فعرف بالزرندي ونسب إليه البيت والزقاق المعروف بزقاق الزرندي.

قال ابن فرحون في نصيحته[٥]: وسكن رباط الأصفهاني فعمره وردَّه إلىٰ أهله علىٰ شرط واقفه بعد أن كان منزلًا للنساء والفتيان، وكان شيخ الربط كلها يتفقدها ويعمرها، سكن في حجرة الرباط فما كان يعرف الرباط إلا به.

وتوفي المذكور وهو في طريقه إلىٰ العراق سنة **٧١٢**هـ وخلف بالمدينة اولاد نجباء يعرفون ببيت الزرندي تكاثروا وتناسلوا وبارك فيهم، وظهر منهم العلماء والمؤرخين ولهم ذرية صالحة إلىٰ يومنا هذا.

ومن عقب المحدث يوسف الزرندي حفيده المدني:

---

(١) النفس اليماني ٢٤٥.

(٢) المغانم المستطابة ١٧٠-١٧١.

(٣) معجم البلدان ٣/ ١٣٨.

(٤) الدرر الكامنة ٤/ ٤٥٢ ترجمة رقم ١٢٥١.

(٥) نصيحة المشاور ٩٥.

الشيخ عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن الزرندي الأنصاري[(١)]

الشاعر المفلق

عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الزرندي المذكور الأنصاري المدني الشيخ العلامة الأديب مولده بالمدينة سنة ١٠٨٥هـ وبها نشأ وطلب العلم فأخذ عن والده وعن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي والشيخ محمد الخليلي المقدسي والشيخ مسعود المغربي والشيخ محمد الزرقاني شارح المواهب والشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ عبد الله بن سالم البصري وغيرهم من العلماء وصار أحد الخطباء بالحرم الشريف النبوي، وكان يدرس بالروضة المطهرة فدرس وافاد وانتفع به العباد وألف رسائل في فنون شتىٰ وله تحريرات لطيفة كان يكتبها علىٰ هوامش كتبه وكان من أجل علماء المدينة صاحب تقوىٰ وسكينة ووقار ولم يزل علىٰ حاله وكانت وفاته بمكة المكرمة سنة اثنين وستين ومائة وألف ودفن بمعلاة مكة رحمه الله تعالىٰ.

الشيخ يوسف بن عبد الكريم بن أحمد الأنصاري[(٢)]

يوسف بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن يوسف الزرندي المذكور، أحد علماء المدينة وفقائها مولده بالمدينة المنورة سنة ١١٢١هـ، وبها نشأ وطلب العلم ودرس الأدب وأخذ علىٰ فطاحلة العلماء فأول ما أخذ عن والده ثم طاف بحلقات العلماء في المسجد النبوي فدرس علىٰ الشيخ محمد بن الطيب الفاسي والشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكوراني الكردي والشيخ أبي الطيب السندي وغيرهم فحصلت له الأجازة وتمكن من العلوم الدينية والدنيوية، وألف ونظم ونثر فمن مؤلفاته منظومة في المناسك نظم فيها المنسك الصغير للمنلا رحمة الله السندي شرحها الشيخ الزين

---

(١) سلك الدرر ٣/ ٨٠، تراجم أعيان المدينة ٥٠ ترجمة رقم ٢٧، نشر النور والزهر ١/ ٢٣٣.

(٢) سلك الدرر ٤/ ٢٧٤-٢٤٨، اللآلئ الثمينة ٥٦، تحفة الدهر ١٤٧، التراجم اعلام المدينة ٥٢ ترجمة رقم ٢٩.

مصطفىٰ الأيوبي الرحمتي شرحًا لطيفًا ونصب للأفتاء بالمدينة لكن حالة بينه وبين المباشرة لمنصبه وله أشعار كثيرة، وكانت وفاته شهيدًا بالمدينة المنورة سنة ١١٧٧هـ، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالىٰ.

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف بن عبد الكريم الأنصاري(١)

نسابة المدينة صاحب القرمية

عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني الشهير بالأنصاري، الشيخ العلامة الفاضل الأديب الباهر نسابة المدينة ومؤرخ بيوتاتها الأصيلة في عصره، ولد بالمدينة المنورة في الثاني عشر رجب سنة أربع وعشرين ومائة وألف ووبها نشأ وطلب العلم علىٰ علمائها منهم الشيخ عبد الله بن سالم البصري ومحمد أبي الطاهر بن إبراهيم الكوراني وأبي الطيب السندي ومحمد بن الطيب المغربي والشيخ المسند سعيد سنبل وكان حافظًا تولىٰ الإمامة والخطابة في حرم سيد المرسلين، كان له شغف بالتاريخ وتتبع سير الأقوام ولم يكن كغيره في هذا الباب فأول ما قام به تتبع سيرة المدنيين فألف تاريخه الفريد عن أنساب أهل المدينة، له شعر لطيف وله اثار حسنة وكان أعلم أهل زمانه في معرفة أنساب أهل المدينة ولا يرجع لغيره فيها، وكانت وفاته في سابع عشر ذي القعدة سنة ١١٩٦هـ، ودفن بالبقيع.

الانصاري وحديث عن القرمية

القرمية بضم القاف وسكون الراء وكسر الميم وتشديد الياء، كلمة اصيلة يعرفها ويرددها المدنيين كثيرًا خلافًا عن غيرهم من أهل الحجاز، وقد أدركت الكثير من المعمرين المدنيين حينما اسألهم عن اصول الانساب يقولون ذكرنا في القرمية، ومنهم من يقول القرنية وحقيقة قرمية أهل المدينة هي كتاب الانصاري وما يعرف بقرمية

---

(١) سلك الدرر ٢/٣٠٣، اللآلئ الثمينة ٦٤، تحفة الدهر ١٥١، التراجم تراجم اعلام المدينة ٥٤ ترجمة رقم ٣٠، الأعلام ٣/٣١١.

الأنصاري أي كتاب تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب، وليس كلمة القرمية اقتصرت علىٰ المدنيين فهي كلمة اصيلة في التاريخ وهي من اروطة الرجل أي اصله وقد تحرفة الىٰ قرميه أي وثيقة النسب او ما يدون فيها نسب الرجل وتحريفها من ارتجال العوام مع طول الازمان وهذا امر طبيعي والسبب اختلاط الشعوب فالأصل في اللغة الأورمة وهي أصل كل شجرة، ويذكر الزبيدي بالأرومة الأصل والأروام أصل الشجر والأرومة بالضم القبلية ويرادفها الأربية فابن منظور يقول اربية الرجل: اهل بيته وبنو عمه.

اقول ولا تكون الأربية من غير هولاء القربىٰ ومن هنا نجد الارتباط بين الأرومة والقرمية بأصل التحريف ففي رد العامي الىٰ حديثه الصحيح الفصيح، ان كلمة الارومة اصبحت تنطق في بداية الامر الأورمية وبذلك في الأصل اول بدء التحريف بإلحاق بالأروم ياء النسبة، وحذفوا الواو واسكنوا الراء بكثرة الاستعمال، فصارت أرمية فيقال أرمية العيلة أي أصل الشجرة أو النسبة فيقول البعض أرمية عائلتنا فلان أي الجد الجامع أو أصل البيت الذي تتفرع منه الاسرة، ونجد ان في السريانية «**قورما**» وهي كذلك القرمة أي اصل الشجرة وهذا ما وجدته الىٰ اليوم يقال في بلاد العراق، اما القرمية فهي كلمة انتشرت في الحجاز ومصر ولبنان وسوريا والظاهر ان الكلمة قد انتشرت في أواخر القرن التاسع الهجري وذلك بحكم اختلاط الاجناس باختلاف النطق وامتداد الحكم العثماني التركي الىٰ الكثير من البلدان ونجد ان المصريين والسوريين وغيرهم لا ينطقون القاق بنطقنا بقولنا«قال» فهم علىٰ سبيل المثال يقولون «آل» وهذه الاجناس العربية كان لها علاقة ارتباط وهجرات الىٰ منطقة الحجاز ونقل الكثير من حضارتهم الىٰ بلاد الحرمين الشريفين وبذلك اصبحت الأرومة الىٰ أرومية وعند الحجازيين وبالأخص المدنيين يقولون قرمية حديث عابر عن القرمية وأصل التسمية.

تحفة المحبين تاريخ مدني اصيل

يعد الشيخ عبد الرحمن الأنصاري نسابة المدنيين في عصره وهو من حفظ الكثير من تاريخ البيوتات المدنية الأصيلة فقد كتب كتابه تحفة المحبين في قرابة عشرين عاما

ترجم فيه الثلاثمائة وثلاث وسبعين أسرة من سكان واهل المدينة من الذين عاصرهم وكان له منهج مميز فهو يبدا بأصل الاسرة والبلاد التي هاجرت منها فيبدا بذكر رأس البيت المهاجر ثم يفصل في عقبه من الذكور والاناث معرجًا الىٰ تاريخ ولادتهم ووفاتهم، ثم يذكر من تزوج من الرجال ومع من تصاهروا، ثم يذكر المناصب والوظائف والمهن التي عملوا بها من امامة وخطابة وغير ذلك، ونجد انه يتعرض بذكر بيوتهم ومحلة سكناهم والاوقاف التي اوقفوها ومزارعهم التي يفلحونها، كما يتعرض للرحلات التي قاموا بها ومن رحل منهم ولم يعد، ولم يكتفي المؤرخ الانصاري بذلك بل انه دون وابقىٰ لنا الكثير من المسميات للشوارع والمواضع الاثرية واسماء المزارع (الحدائق)، ونجد في حديثه عن الأسر الحديث الصريح مما لها وما عليها من غير ان يحابي او يماري ولا يزال اهل المدينة ممن لم ينقرضوا يعتمدون علىٰ هذا الكتاب الىٰ يومنا هذا، بل ان كل من يكتب اليوم عن المدنيين وبيوتهم عيال علىٰ كتاب الانصاري ولأهمية هذا الكتاب اهتم المؤرخون، وبعض المدنيون بأختصار الكتاب مثلما فعل الشيخ محمد محجوب العمري الحجار فأختصر كتاب تحفة المحبين الىٰ **٢٩٦** بيتًا واسماه مختصر القرمية واضاف بعض المعلومات عندما وصل الىٰ بعض العوائل في وقت اختصاره ومن وجد من هذه البيوت، وعلىٰ حسب ما تتبعته فأن وفاة الحجار لا توافق بعض النصوص التي وردت في مختصره، ففي تصوري ان الحجار توفي بعد الألف والثلاثمائة من جانب اول، وهذا ليس ما أميل اليه، اما الراي الثاني ان هناك من عدل علىٰ بعض نصوصها الىٰ بعد ما زمن مختصرها وهذا ما اذهب إليه ولنا في ذلك تحقيق مطول في متن كتابنا اعلام المدنيين مع الإشارة للمواضع المعنية بالخلاف، ومختصر القرمية الموجود بين ايدينا وهي النسخة الوحيدة والتي تتميز بخطها الجميل والمزينه وهي محفوظة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت الحسيني، وتاريخ نسخها سنة **١٣١٣**هـ، علىٰ يد الشيخ أبراهيم بن أحمد حمدي الشهير بـ(الخربوطلي)، وهو أمين مكتبة شيخ الاسلام المتوفي سنة **١٣٧١**هـ، وما دام نحن في حديث النسخ والوراقين فأن الشيخ الخربوطلي قد استنسخ هذا الرجل الكثير من الكتب وعني بها خشية عليها من الضياع والتلف فرحمة الله عليه، ونجد أن

الخطاط جعفر هاشم قام بأستنساخ الكتاب واضافة بعض التعليقات علىٰ حواشي الكتاب بمن ائتلفت القابهم، ومن تغيرت مسمياتهم، ومن قدم الىٰ المدينة بعد تاريخ التحفة، وفي زمن الناسخ وقد وقفت علىٰ تاريخ النسخ المحدد في سنة ١٣٠٦هـ، وقد نسخت علىٰ نسخة بخط عباس بن علي الأنصاري، والمنسوخة في الخامس من محرم سنة ١١٩٧هـ، أي بعد وفاة مؤلفها بسنتين، ومن النسخ الهامة والتي يعتمد عليها نسخة السيد حمزة صقر والتي كتبت بتأريخ ١٣٥٢هـ، بأمر وأذن المؤرخ المدني السيد أحمد بن ياسين الخياري وهذه النسخة قوبلة علىٰ نسخة مكتوبة بيد إبراهيم بن منلا نور وزخوقندي المكتوبة في الثاني عشر من شوال سنة ١٣١٦هـ، وعليها تعليقات وحواشي بسيطة ولكنها هامة لا يستغني عنها باحث وطالب علم، ونسخة أخرىٰ لم يسجل عليها تاريخ نسخ وانما كتبت في زمن متأ خر عن الذي ذكرنها وهو لا يتجاوز ما دون المائة عام في تقديري، ولم يعرف خط ناسخها ولكن كتب في اخرها ما نصه (قد صار في حوزة الشيخ عبد الله القين)، ولم يحدد تاريخ علي ذلك، وهناك عدة نسخ مخطوطة للكتاب منها نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد نسخت سنة ١٣٥٦هـ، ونسخة لدي الشيخ الخيال وهي النسخة التي نقل منها الشاعر الأديب عبيد مدني، نسخة غير كاملة مخرومة موجودة في المكتبة التيمورية وتنتهي الىٰ حرف الباء، نسخة لدي الشيخ محمد سعيد دفتردار، وقد ذكرها الأستاذ عبيد مدني وذكر انه لم يطلع عليها[(١)]، وعند تتبعي للأمر اخبرني ابن الشيخ محمد سعيد دفتردار بأن هناك نسخة نفيسة لدي والده عليها تعليقات حتىٰ زمانه،والحقيقة أن كتاب الأنصاري وما فيه من الأخبار النفيسة إلا انه كغيره من الكتب التي يكتبها البشر والتي لا تخلوا من النقص الغير متعمد ولا تنجوا من الانتقاد والتمحيص، وقد تطرق المؤرخ الشاعر الأستاذ عبيد مدني في مقال مطول نفيس عن الأنصاري وكتابه تحفة المحبين في مجلة المنهل قدم فيه المحاسن والانتقادات العلمية علىٰ الأنصاري، ووجه المدني بعض الملاحظات القيمة والتي كانت قد تكون فاتت علىٰ الأنصاري، او انها كانت من المسائل التي من الأمور التي لا تعد محل نقد في زمن مؤلف القرمية، ومع ذلك فأن المؤرخ المدني

(١) مجلة المنهل مقال عبيد مدني في ١٤ رمضان ١٣٧٤هـ.

قدم لنا دراسة نقدية منهجية تحمل الكثير من ادب الطرح الذي لم يتعرض فيه للمؤرخ الأنصاري بأي لفظ لا يليق بمكانتة صاحب التحفة، وهذا هو منهج جيلنا السابق الذي تعلمناه من ادب الطرح وشجاعة النقد بدون تجريح ولا تهكم وهذا هو جيل الرواد من أهل المدينة الذين خدموا التاريخ وخلدوا اعمالهم بمداد يكتب بماءًا من الذهب فرحمة الله عليهم جميعًا.

أقول وها انا اليوم أدون قرمية لأهل المدينة في كتابي أعلام المدنيين لأضع واربط فيها، ما قد كتب بمن وجد من أصحاب التحفة واستدراك عليها ما فات، فكم ترك الاول للأخر سائلًا المولىٰ أن يوفقني لذلك أن كان في العمر بقية.

وبعد الحديث عن أصل بيت الأنصاري وبيتهم الكبير وبالحديث عن صاحب القرمية الذي بارك الله في عقبه في رجل واحد في زمانه ليبقىٰ ذكر هذا البيت علىٰ بقاء هذا الرجل وهو مترجمنا الشيخ بركات والذي كل بيت بركات الأنصاري اليوم من عقبه، وقد أدركت منهم الرجل الحجازي المهندم العم المعمر الشيخ علىٰ بركات أنصاري رجل مكافح من الرجال المدنيين الفضلاء الذين أدركناهم، توفي رحمه الله في ١٥ جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٤١٤هـ، وأخيه العم المعمر عثمان أنصاري رجل مبارك سمح الحديث، كانت له بقالة بمنطقة قباء كنت اذهب في صغري برفقة والدي إليه ونجلس عنده ويتناول هو ووالدي أطراف الحديث، وكلهم اليوم في رحمة الله، اللهم ارحمنا اذا صرنا الىٰ ما صاروا إليه.

تزوج الشيخ بركات العديد من النساء واعقب عدة أبناء منهم الشيخ أمين بن بركات عام ١٣٠٨هـ، وأم الهدىٰ بنت بركات ١٣١٠هـ امهم ملكة بنت الشيخ عبد الملك نعمان الحنبلي

ثم تزوج السيدة آمنة بنت إبراهيم بن محمد علي بالي، وولدت له: زبيدة بنت بركات عام ١٣١٢هـ.

ثم تزوج آمنة بنت إبراهيم المصري، وولدت له حمزة بن بركات عام ١٣٢٧هجرية. إما الشيخ حمزة بن بركات فأعقب من عدة رجال: عبد الكريم، وعمر ووعدة آناث، وامهم السيدة زينب بنت عرفات القدوة حفظها الله.

ثم تزوج السيدة فاطمة بنت محمد السناري، فولدت له: علي بن بركات **١٣٢٠**هـ، وعثمان بن بركات عام **١٣٣٠**هـ.

فاما الشيخ علي بن بركات ﷺ، تزوج من أسرة آل جمال المدنية المعروفة وهي السيدة الفاضلة ناجية بنت محسن بن عبد الله جمال أدركتها منذ صغري كانت من النساء الفاضلات مرحة الحديث تجد في حديثها الآصالة المدنية كان بينها وبين الوالدة والجدة ملكة متروك صداقة حميمة لاتجدها بين القربىٰ اليوم، وكلهم اليوم قد افضوا إلىٰ ماقدموا، قد توفها الله في عام **١٤٣٤**هـ، وله منها عقب من ابناءه حبيبنا الاستاذ أحمد وأخوته الكرام عبد الرحمن وسفيان واسامة وعمرو الذي كان زميلي في الصفوف الدراسية، وعدة بنات وجميعهم طيبي الذكر من اصحاب دين وخلق وعلىٰ قدر من العلم والثقافة

وأما عثمان بن بركات فأعقب محمد بركات وبنتين، ولمحمد بركات عقب.

نواصل ترجمة علمنا المدني

ولد الشيخ بركات بالمدينة المنورة عام **١٢٧٥**هـ، وأمه السيدة مريم بنت محمد خاشقجي.

ونشأ في بيت علم فطلب العلم والمعرفة والأدب، وتلقىٰ تعليمه علىٰ يدي علماء المسجد النبوي الشريف، وأصبح من ابناء المدينة الذين قدمهم علمهم وفضلهم وعراقتهم بين رجالات المدينة.

كان الأنصاري من رجال المدينة الذين تحترمهم الدولة العثمانية وأحد أعيانها،ومن اصحاب الوجاهة إذ سعىٰ في كثير من الاعمال الأصلاحيةبسبب الفساد الذي عم المدينة في فترة إنهيار الدولة العثمانية، وعندما ثار الأتحاديون علىٰ السلطان عبد الحميد كانت له مواقف ضد محاولات التتريك في المدينة والتي كان يقوم بها الأتحاديون أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومنها جهوده في الحماية للمدينة في بداية الحصار اذ انه كان من رجالات العوالي وقربان مقر سكناه صاحب قوة تشكل بحماية كاملة للاهالي، وله مواقف جليلة شجاعة مع قوات وجنود الاتراك، وحينما

أعلن شريف مكة الحسين بن علي الثورة العربية الكبرىٰ كانت الاوضاع في المدينة تشتد فكان هو في منطقته يجتمع مع الحامية من الرجال والاعيان كالشيخ سعود دشيشة وشحات بن علي وأخيه ناصر بن علي، والشيخ إبراهيم شاكر، ويحي بن منصور عباس.

نفوذه في المدينة

كان الشيخ الانصاري وجيهًا وصاحب شكيمة وصاحب ثروة كبيرة في المدينة تفرغ لأدارة شئونه الخاصة وإصلاح أمواله وقضاء حوائج الناس بل انه كان ينفق امواله من اجل الامن والاستقرار في المدينة فلا تراه إلا مزارع يفلح أراضيه،أو متصدرا مجلسه يناقش احوال المدينة.

قال عنه الجاسوس الإنجليزي الكوماندر دافيد جورج هوغارث[1]: بركات الأنصاري من المدينة. رجل غني ذو نفوذ كبير في البلدة، في حوالي الخامسة والستين.

الانصاري شهيد وقعة العوالي وقربان

وفي شهر رمضان المبارك من عام **١٣٣٤**هـ اشتدت الضغوط من قوات الاتراك وحدثت وقعة كبيرة تعدىٰ فيها الجنود علىٰ أهل العوالي وقربان وكانت الحرب شديدة مع جنود الاتراك وكان الشيخ بركات احد الرجال الذين تولوا حماية الاهالي وقتل غدرا علىٰ يدي الجنودفي مزرعته النويعمة والموجودة اليوم بيد احفاده قتل وهو يدافع عن الاهالي وبمقتله ثار المدنييون وتم القضاء علىٰ الكثير من جنود الاتراك مما جعل فخري يعلن الصلح مع رجال المدينة وزعماء منطقة العوالي وقربان، ونقل جثمانه إلىٰ المدينة، ودفن بالبقيع. رحمه الله الشيخ بركات الانصاري فقد كان رجلا من شجاعًا عاش مخلصًا لبلده مدافعًا عن اهل مدينته اولئك هم رجال المدينة الذين نسرد تاريخهم المشرف فان غيبهم الموت فأن ذكرهم وسام وقصص نقتبسه للاجيال ليعرفوا تاريخ اجدادهم المدنيين.

---

(١) كتاب الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ٣/ ١٢٣.



السيد جعفر بن حسين هاشم(١)

المؤرخ الوَرَّاق

جعفر بن حسين بن يحيىٰ هاشم

مولده

ولد في المدينة المنورة في منتصف القرن الثالث عشر الهجري سنة **١٢٥٨**هـ، من أسرة مدنية اشتهرت بالعلم، فوالده حسين بن السيد يحي كدك باشلي كاتب المحكمة ونائبها .

بيت هاشم

لقب هاشم تحمله عدة أسر مدنية ومنهم أسرة المترجم له والتي سيأتي تفصيلها في موضعه، وأسرة السيد علي هاشم المصري كاتب ديوان الحكومة المصرية بالمدينة قدم المدينة سنة **١٢٥٠**هـ وأعقب بها إبراهيم ومحمد ولمحمد بن علي هاشم عقب

---

(١) المنهل ٧/ ٤٤٢، ٣٨/ ٤٧٦، الأعلام ٢/ ١٢٤.

بالمدينة[١]، واسرة السيد هاشم مياه ابو شنب الهندي الفتني[٢] قدم المدينة من بلاد الهند وأعقب من ولديه عبد الله وصالح ولهما ذرية بالمدينة اليوم.

إما عن أسرة المترجم له ذكرت في تحفة المحبين تشتهر بلقب بكدك[٣] باشلي[٤]، وتبعه الحجار بشهرتهم بـ«باشلي» إما اليوم في زماننا فلا يعرفون إلا ببيت هاشم وهو الذي يشتهرون به.

قال الأنصاري في تحفته[٥]: «بيت هاشم» أصلهم السيد هاشم بن السيد إبراهيم الموسوي الرومي الحسائي الأصل الشهير بكدك باشا، قدم والده المزبور إلىٰ المدينة المنورة في سنة **١٠٧٠**هـ.

قال الحجار في مختصره[٦]: بيت هاشم: أصلهم السيد هاشم بن السيد إبراهيم الموسوي الرومي الحسائي الأصل الشهير بكدك باشا، قدم والده المذكور إلىٰ المدينة المنورة في عام ألف وسبعين، أدركت منهم السيد حسين بن السيد يحي باشلي كاتب المحكمة ونائبها وأولاده: عبد القادر وجعفرًا[٧].

نشاته

أما عن أديبنا فنشأ نشأة صالحة، حيث حفظ القرآن الكريم علىٰ يد أحد علماء المسجد النبوي الشريف، وقد ظهرت عليه علامات النجابة فمنذ صغره كان محبًا للإطلاع، فعندما أشتد ساعده وبلغ عنوان الشباب، قام برحلات إلىٰ خارج البلاد

---

(١) مختصر القرمية ٧٦،مخطوط تحفة المحبين بتعليقات جعفر هاشم ٢٠٣.

(٢) الجامع لصلة الأرحام في نسب السادة الكرام الأمامين الحسن والحسين ٥/ ٥٢.

(٣) كدك لفظ تركي جمعه كدكات أصل معناه امتياز أو أعفاء أو أستثناء شاع استخدامه في البلاد العربية في العهد المملوكي وفي العهد العثماني أصبح يعني السند الذي يستلم بموجبه الجندي راتبه. راجع معجم المصطلحات والإلقاب التاريخية ص٣٦٦. وبذلك يتضح أنها رتبة عسكرية في الجيش العثماني كقائد لواء أو سرية حربية.

(٤) وقع تصحيف في نسختي المطبوع من كتابي تحفة المحبين ومختصر القرمية بلفظ كدك باشا والصحيح ما اثبتناه كما ورد في أصل المخطوط.

(٥) تحفة المحبين ٤٨٧.

(٦) مختصر القرمية ٧٦.

(٧) جعفر المذكور هو المترجم له.

والإلتقاء ومجالسة الأدباء وأكثر ما رحل إليه إلىٰ بلاد تركيا، وذلك بسبب وظيفته في الدولة، التي تجبره إلىٰ السفر والترحال إلىٰ كثير من الدول في مهام رسمية من قبل الحكومة العثمانية، وكان ينتهز هذه الفرص أثناء سفره يبحث فيما يفيده في البحث العلمي، جمع بيت الحياة العسكرية والعلمية فكان صاحب رتبة عسكرية في الدولة العثمانية.

هاشم وَرَّاق مدني

تميز رَحِمَهُ اللَّهُ بجمال الخط بكل أنواعه؛ الرقعة والنسخ والكوفي وغيرها من الخطوط، فقد اهتم وكتب الكتب الكثيرة بخطه، وكان حريصًا علىٰ جمعها وعلىٰ الفوائد العلمية منها، وقد عني بنسخ كتب تاريخ المدينة المنورة، وقام بالتعليق عليها بأسلوبه الخاص، ليوضح ما لم يكن واضحًا، ومرات أخرىٰ يحلي نسخه بتعليقه الجميل، وأسلوبه الأدبي الفائق، وسأذكر بعض الكتب التي نسخها السيد جعفر، وقد اطلعت عليها في مكتبته الموجودة بدار حفيده الأستاذ هاني هاشم، وتلك الكتب هي:

١- الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، وعلق عليه.

٢- ديوان البيتي.

٣- أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، وعلق عليه.

٤- تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، وعلق عليه ولنا حديث عنه فيما يأتي.

٥- بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة المختار، علق عليه.

٦- الحدائق الغوالي في قباء والعوالي، علق عليه.

٧- صورة كتاب الوقف الشريف السلطاني، علق عليه.

وغيرها من الكتب القيمة الثمينة، وكان حين ينتهي من نسخ الكتاب يقوم بذكر اليوم، والوقت والسنة المذكورة ويضعه ضمن شرط الوقفية الشرعي الذي وضعه لمكتبته، ولاشك أن عملًا كهذا يعتبر شاقًا؛ لأن الكتب التي قام بنسخها ليست قليلة، ولكنه عمل بأسلوب الأديب الصادق، والأمين الذي أحب الأدب، وأخلص في

عمله، وتميز بدقته في التنقيح والنسخ، ووضع الصفحات في سطور جميلة محددة، وإخراج صفحات الكتاب بشكل جميل فكم من الكتب المحققة التي صدرت في عصرنا الحالي كانت بخطه والتي تعد أفضل النسخ المخطوطة.

هاشم مؤرخ مدني

شغف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحب التاريخ، وقد تخصص بجمع ونسخ تواريخ المدينة المنورة التي هي موطنه وما يحيط بها، فكان أوائل من اهتم في ذلك العصر، وعكف علىٰ البحث في مكتبات علمائها، وتتبع تواريخها، وهذا الشغف جعل انعكاس ذلك كبيرًا علىٰ شخصية أديبنا الأدبية.

حقيقة كتاب الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة

تذكر بعض المصادر أن له كتابًا في (**تاريخ المدينة مفقود**)، وبتتبعي ظهر ليّ أنه هو كتاب الأخبار الغريبة والله أعلم، وحقيقة الكتاب أنه مختصر لكتاب المؤرخ المدني الشيخ عبد الرحمن الأنصاري، حيث أنه ذكر في مقدمة الكتاب بقوله[١] «إني وقفت علىٰ مسودة تاريخ المرحوم العالم الفاضل والجهبذ الكامل الخطيب: عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ علي الأنصاري المدني . . . فوجدته مخرومًا من عدة جهات، وفيه من النوادر واللطائف والوقائع التي وقعت في المدينة المنورة مالا يوجد في غيره من المؤلفات، لكونه مدنيًا، وصاحب الدراري[٢]، فالتعويل عليه في النقل أحق من غيره وأحرىٰ فجمعت منه ما أمكنني جمعه في هذه الرسالة، واختصرت في بعض الأماكن . . . وضممت إليها بعض نقول نقلتها عن العلماء العلماء وكل نقل عزوته إلىٰ صاحبه وكتبت تحته انتهىٰ خوف الملام، ولست أنا بمؤلف، وإنما أنا جامع لما قالوه والعهدة عليهم فيما سطروه ونقلوه وسميتها «الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة» وأساله التوفيق لأوضح طريق.

أقول: وبذلك يتضح لنا أن الكتاب نُسِخَ وإظهار لكتاب الأنصاري عن فترة زمنية

(١) مقدمة المخطوط المحفوظ صورته في خزانتي الحسنية الخاصة.

(٢) في المخطوط: «الدرادرىٰ» وما أثبتناه هو الصحيح.

عاصرها المؤلف الحقيقي للكتاب وقد قام المؤرخ الوراق جعفر هاشم بأستظهاره، وتلخيصه، وهذا منهج الكثير من العلماء في العصور السابقة، ولا شك أن الكتاب يعد مرجعًا هام لاسيما لفترة زمنية وأحداث تاريخية للمدينة ولبعض الشخصيات المدنية حيث أنه علق عليها بأسلوب جميل يجعل القارئ يستمتع به، وقد تميز الكتاب بالتوثيق، كذكر مصادر من الكتب والمؤلفين الذين كتب عنهم إلىٰ جانب نشر بعض القصائد الخاصة للسيد جعفر البيتي التي صور من خلالها الفتن التي حدثت في تلك الفترة.

هاشم ومنهجه في نسخ وتذييل القرمية

ومن أهم الأعمال التي قام بها جعفر هاشم أنه قام بأستنساخ كتاب تحفة المحبين والأصحاب المعروف عند المدنيين بالقرمية، بخطه المتقن الرائع، وقد أعتمد في نسخه علىٰ نسخة بخط عباس بن علي الأنصاري، والمنسوخة في الخامس من محرم سنة ١١٩٧هـ، أي بعد وفاة مؤلفها بسنتين وقام بأضافة بعض التعليقات علىٰ حواشي في الكتاب بمن ائتلفت القابهم، ومن تغيرت مسمياتهم، ومن قدم الىٰ المدينة بعد تاريخ التحفة، وفي زمن الناسخ وقد وقفت علىٰ تاريخ النسخ المحدد في سنة ١٣٠٦هـ، والظاهر عندي أنه نسخها في بداية الأمر، وبعد ذلك في ١٣٠٧هـ، قام بالتعليقات والتذييل فقط علىٰ الأسر التي انقرضت وائتلفت في اللقب وأختلفت في النسب، ومن تغيرت القابهم مع طول الآزمان، إلا أن هنالك مآخذ علىٰ ما كتبه جعفر هاشم منها:

* لما يتحقق من وجود بعض الآسر وحكم بأنقراضها رغم وجودها.

* حكم بأنقراض بعض الأسر والتي تشابهة في اسمها مع بعضها وجعلها أسرتين مختلفتين رغم أنها أسرة واحدة، وعلىٰ سبيل المثال كأسرة بيت زاهد، لما يتحقق من بقاءها ونسب البيت إلىٰ بيتين بالرغم أن الأسرة التي قال أنها حادثة هي نفس الأسرة التي مدونة في أصل التحفة.

* طعنه في شرافة بعض الأسر والتي كانت مشتهرة بصحة أنسابها دون أثبات الحجة علىٰ الطعن.

* فصل في بعض الأسر الحادثة والتي شابهة القاب موجودة في أصل كتاب التحفة، ومنها أسرته.

* ومن الغريب أنه حينما وصل إلىٰ أسرته لم يفصل لنا عن أسرته بل أنه طعن في أسرة أخرىٰ تحمل نفس لقب أسرته، وكان منهجه في كثير من المواضع التفصيل عن الأسر فكان بالإولىٰ التفصيل في أسرته وربطها من تاريخ كتابة التحفة حتىٰ تاريخ تذييله.

وعلىٰ كل حال فالكمال لله وحده فكم ترك الأول للآخر.

ومن الأعمال التي عمل علىٰ أختصارها:

رسالة مختصرة أسماها «**تحفة المحبيين لزيارة مسجد سيد المرسلين**»، وهي تلخيص لكتاب نزهة الناظرين للسيد جعفر البرزنجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

النسخ والتعليق علىٰ بعض الكتب في فضائل الصحابة رضي الله عنهم مثل كتاب «**مناقب سيدنا حمزة**»، «**قرة عين الأحباب في مناقب سيدنا عمر**»، كما نسخ كتاب «**الجامع الصغير**».

ومن الأعمال التي ذكر بأنه قام بها رسم خارطة مكبرة للمسجد النبوي (مفقودة).

هاشم وتدوين تأريخ الأئمة والخطباء والمؤذنين

ومن الأعمال المميزة التي قام بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدوين تأريخ الائمة والخطباء الذين باشروا الخطابة والامامة بمسجد سيد المرسلين، بعد تهجير أهل المدينة المشهور بـ«سفر برلك»، فقد قام بأعداد سجل من غرة محرم **١٣٣٨**هـ، ويبدوا أن هذا التاريخ هو عودة جميع الأسر التي خرجت من المدينة، وكتب في الصفحة الآولىٰ من السجل بقوله «بأشرت الخطبة فوق المنبر الشريف النبوي يوم الجمعة **٢٧** ذي الحجة **١٣٣٧**هـ، وهي اول مباشرة لي ولله الحمد والمنة بعد أن رجعت من حلب سالمًا» اهـ. ومن هنا يظهر لنا أنه كان من ضمن من هجر اثناء الحصار فوصل إلىٰ مدينة حلب بسوريا، والحقيقة أن هذا العمل يعد عمل تأريخي لحفظ حقبة هامة من تاريخ الإمامة والخطابة والمؤذنين بالمسجد النبوي الشريف، ولم نجد عملًا كهذا الإ ما قام به الخطيب الشيخ

عبد الرحمن بن حمزة الأركوبي زاده الذي دون الكثير من الأسماء ما بين فترات مختلفة، والظاهر أن جعفر هاشم أعتمد علىٰ سجل الأركوبي بالدرجة الأولىٰ إلا أنه قام بتقسيم السجل إلىٰ قسمين الاول ما يتعلق بالائمة والخطباء والثاني فيما يتعلق بالمؤذنين، هذه الوظائف كانت في العهد العثماني علىٰ حالين الاصل فيها التكليف الفرماني السلطاني والصادر من الآستانة، وهو المتوارث وفيه إمتيزات لبعض الأسر والآخر هو الامر بالتشريف، وهذا يكون بأمر محلي أي يعين صاحبه بدون فرمان ولا يكون في الغالب متوارث من بعد وفاته، وليس كل من سجل أسمه ضمن القائمة كان من الائمة والمؤذنين الدائمين إنما ما هو متعارف عليه أنه في حالة وفاة أحد الائمة يستبدل أسمه في القائمة بشخص أخر للحصول علىٰ المخصص المعتمد من قبل السلطان، فيحدد الشخص الذي، ويرتقىٰ المنبر أو المحراب ويصلي بالناس، فقط لمرة واحدة وبذلك تتم مباشرته، وهذا ظاهر فيما كتبه جعفر هاشم وبالأخص في عبارة مباشرته التي أشرنا إليها.

مكتبته من المكتبات الهامة

جمع وامتلك رحمه الله مكتبة من أهم المكتبات الأسرية الضخمة، والتي ضمت الكثير من المخطوطات نادرة، والمكتبة موجودة عند احفاده اليوم بالمدينة المنورة.

وفاة الوَرَّاق المؤرخ المدني

وبعد حياة حافلة في طلب العلم ونسخ الكتب، وتدوين جانب هام من تأريخ المدينة، أنتقل إلىٰ جوار ربه في سنة١٣٤٠هـ فرحمة الله عليه.



السيد حامد بن عمر كاتب

هو السيد حامد بن عمر المدني بن صالح بن السيد عمر الأفندي الشهير (بكاتب السلطان) ابن السيد فيض الله خليفة الحُسَيني[١].

شاعر حجازي، من أهل المدينة مولده بها سنة **١٣١٨**هـ.

جده السيّد عمر أفندي كاتب السلطان بالحرم النبوي الشريف (كان حيًا سنة **١٢٥٤**هـ)[٢]، وإليه انتسب البيت، ذكره الحجار في مختصره هو وابنه صالح بقوله: (وأما عمر أفندي كاتب السلطان وابنه صالح فليس من أهل هذا البيت وإنما هم حادثون)[٣].

أقول: والمقصود من كلام الحجار أنهم غير بيت خليل أفندي الكاتب المذكورين في التحفة والذي صرح بانقراضهم فسبحان الحي الذي لا يموت، إلا أنه سامحه

(١) وثيقة نسب السادة آل كاتب المصدقة من نقيب أشراف المدينة وأعيان ساداتها بتاريخ ١٣٢٠/١١/٧هـ، والمحفوظة اصلها في خزانتنا.

(٢) صك دعوة وقف كيلي ناظري سنة ١٢٥٤.

(٣) الحجار مختصر القرمية، ص ٦٧.

الباري لم يذكر شرافتهم المعلومة المشهورة، وهم من السادة الأشراف الحسينيين المشهورين بالمدينة، وهذا حال الحجار رحمه الله مع كثير من الأسر المدنية الشريفة.

أقول: وفي المدينة عدة أسر تحمل لقب كاتب منهم أسرة المترجم له، وبيت كاتب الدياربكري، وبيت خضر كاتب، وبيت الشيخ عبد الصمد الكاتب المليباري الأصفري، وبيت عبد الكريم بن محمد كاتب وقد فصلنا عن كل بيت في موضعه من قرميتنا في كتابنا أعلام المدنيين.

وأعقب السيد عمر الأفندي: السيد صالح

فأما السيد صالح فقد ورد ذكره عند علي بن موسىٰ عند وصفه المدينة، بقوله: والكاتبية للسيد محمد صالح أفندي بن كاتب السلطان[١].

وأعقب السيد صالح: السيد عمر المدني.

فأما السيد عمر المدني الحسيني أحد أعيان المدينة، ورد اسمه ضمن الموقعين علىٰ الشكوىٰ المقدمة من علماء وأعيان المدينة ضد شيخ الحرم النبوي الشريف سنة ١٢٩٧هـ[٢].

وأعقب السيد عمر المدني: السيد حامد المترجم له، والشريفة نفيسة. أمهما الشريفة سعدية جمل الليل، ثم هاجر السيد عمر المدني إلىٰ جزيرة سيلان سنة ١٣٢٠هـ، حيث له عقب بها لا نعرفهم اليوم، وترك السيد حامد وأخته نفيسة بالمدينة، وهو صغير فنشأ بها وتعلم ودرس علىٰ يد علمائها، ومنهم: الشيخ إبراهيم بري، والشيخ عبد الحي أبوخضير رحمهما الله[٣].

وكان السيد حامد رحمه الله مع تضلعه في العربية يجيد اللغات الفارسية والتركية والأوردية.

وهو شاعر متصوف قادري له علم بفقه الحنفية والحديث وهو من مشاهير الصالحين بالمدينة رويت فيه القصص والحكايات، له شعر مجيد مقل غير مكثر في

---

(١) علىٰ موسىٰ المدني: رسالة في وصف المدينة ٢٧،

(٢) وثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة وقد نشر الوثيقة الدكتور سهيل صابان.

(٣) رواية أبنته الشريفة سعدية رحمها الله.

الزهد والمدائح، إلا أن شعره مفقود، وهو من المتيمين بحب النبي صلىٰ عليه وآله وسلم، وأذكر في صغري كانت في خزانة والدتي قصيدة في ورقة بخط يده ولكني لا اذكر مطلعها فهي اليوم في ذاكرتي كالضباب وقد فقدت الورقة.

وكان السيد ينادم السلاطين والملوك ومن أشهر ذلك قصيدته عن أهل المدينة في الاستصيون يوم قدوم الملك عبد العزيز إليها. وهو أحد أدلاء الحجاج بالمدينة، ومن أشهرهم كان زاهدًا صالحا فاضلا، كانت وفاته رحمه الله في يوم الاحد الموافق السادس من جمادىٰ الثاني سنة **١٣٧١**هـ، ودفن بالبقيع[١].

لطيفة

اشتهر السيد حامد بين العامة والخاصة من أهل المدينة (بالسيد تمرة)، فتساءلت عن السبب في هذه التسمية، فأُخبرت:أن السيد حامد رأىٰ يومًا عقرب في السوق فقال لها تمرة، فسمّوه العامة (**السيد تمرة**).

اقول: بين لي أخي الشريف باسم أصل هذه المقولة، حيث يسر الله له فوجدها في كتاب أبو حيان التوحيدي البديع: البصائر والذخائر، حين ذكرها أبو حيان عند ذكره لبعض النتف المسموعة بين العامة، ومنها قوله: ولا يقولون عقرب، ويزعمون أنها تعرف أسمها فتهرب، ويقولون: تمرة[٢].

وأعقب السيد حامد رجلين هما: السيّد عمر، والسيّد زين العابدين توفي صغيرًا عن غير عقب، وبنتان هما: الشريفة سعدية، والشريفة فاطمة.

وأما السيد عمر بن حامد المتوفي سنة **١٤٢٥**هـ، توارث دلالة الحجاج بعد أبيه، فأعقب من سبعة رجال: السيد حامد توفي سنة **١٤٢٧**هـ بعد وفاة ابيه ولم يعقب،وهشام، وغسان، وإيهاب، وحاتم، ووائل واحمد، وبنت واحدة.

وأما حاتم بن عمر فسافر إلىٰ بلاد الفليبين ومات وله عقب بها، ودفن بالبقيع

وأما الشريفة فاطمة بنت السيد حامد، فمتزوجة من الشريف نامي بن حامد

---

(١) رواية أبنته الشريفة سعدية وبعض المعمرين من أهل المدينة.

(٢) ابو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، **٩/٥٢**.

آل غالب ولها أولاد وهي موجودة بجدة حالًا.

وأما الشريفة سعدية بنت السيد حامد، فمولدها بالمدينة سنة **١٣٦١**هـ، كانت أمراة صالحة عابده، مقدمة في أهلها وصاحبة الرأي فيهم، درست في كُتاب المعلمة المشهورة نفسية بديري الشهيرة بـ(نفيسة نعمان)، كانت رحمها الله صاحبة مكانة وديانة، تزوجت الشريفة سعدية بالشريف يعقوب بن محمد إبراهيم الكتبي، وأعقبت منه ثلاث رجال هم: الشريف إيهاب النسابة، والشريف باسم وأنس كاتب هذه السطور،، كانت وفاتها رحمها الله في يوم الأثنين التاسع من رجب سنة **١٤٢٠**هـ،رحمها الله، وجمعنا بها في الفردوس الأعلىٰ،أنه سميعًا مجيب.



الشيخ حامد بن مرزا خان الفرغاني المدني

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام **١٣٢٠**هـ في (نمنكان)[١] وهي من مقاطعات فرغانة في بلاد ماوراء النهر المعروفة عند الناس جميعًا ببلاد بخارىٰ.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] قصير القامة مع جمال الجسم، ذا لحية بيضاء، يلبس الأبيض إلىٰ نصف الساق، وكان يعتم دومًا وهذا زي العلماء البخاريين.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد كان الرجل زاهدًا في الدنيا ورعًا بسيط القدر محبوبًا لكل من عرفه، هادئ الحديث، دمث الأخلاق فيه سمت ووقار.

تعليمه

عندما بدأت ملامح النبوغ والنجابة علىٰ الشيخ حامد اهتم به والده وأنشأه نشأة مباركة صالحة، فخالط العلماء وطلاب العلم، وتربىٰ تربية إسلامية دينية، فعكف علىٰ

(١) أو (نمنكن) في وادي فرغانة من جمهورية أوزبكستان، وكانت فرغانة تشتمل (علىٰ بلاد كثيرة بعد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك. أهلها من أتم الناس أمانة وديانة علىٰ مذهب أبي حنيفة، وأحسن الناس صورة). انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (**٩٣**) للقزويني.

(٢) مجلة المنهل/ مقالة للأستاذ ماجد رَحِمَهُ اللَّهُ مجلد ٣٧سنة ١٣٦٩هـ ص٣٩٧-٣٩٩.

تلقي العلوم الدينية المتداولة علىٰ يد علماء بلاده، وجميعُنا يعرف ماذا في بخارىٰ من مساجد ومدارس أخرجت كثيرًا من العلماء الفطاحلة الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ في نشر الدين والعلم في تلك البلاد.

وعندما بلغ شيئًا من العلوم رحل الشيخ حامد إلىٰ البلاد المجاورة للاستفادة والاستزادة فنال الإجازات من العلماء، ثم عاد إلىٰ مسقط رأسه عالمًا بعد أن تخرج منها طالب علم، ثم لازم أعلم زمانه مفتي ماوراء النهر الشيخ العلاّمة السيد ثابت أبي المعاني رحمه الله وواظب علىٰ حضور مجالسه العلمية التي كانت تكتظ بطلاب العلم فتخرج علىٰ يديه عالمًا محدثًا فقيهًا يشار إليه بالبنان.

هجرته إلى الهند

وعندما تغيرت الأحوال في بلاده وكثرت الفتن، واشتد الملحدون في طغيانهم وتتبعهم للعلماء وتحقيق غاياتهم السيئة في نشر الفساد في تلك البلاد الإسلامية المتمسكة بدينها، خرج الشيخ حامد من وطنه مهاجرًا إلىٰ الله ورسوله حتىٰ ألقىٰ عصىٰ الترحال ببلده «سهارون بور» في إقليم بومبي ببلاد الهند وكانت الرحلات في ذلك الوقت شاقة فعانىٰ الكثير ونال من المتاعب ما نال حتىٰ وصل إلىٰ البلاد المذكورة، وهناك حرص علىٰ التعليم وذلك لشغفه وحبه للعلم، فما لبث حتىٰ التحق بمدرسة «مظاهر العلوم» وكان ذلك في عام **١٣٥٥**هـ.

ويحدثنا الأستاذ الفاضل ماجد رحمت الله مدير المدرسة الصولتية بمكة المكرمة عن تلك المدرسة ويقول: «تلك المدرسة التي أخرجت أجيالًا من العلماء المرشدين والمصلحين، وتجيء رتبتها في مدارس الهند بعد دار العلوم بديوبند وندوة العلماء بلكنو».

فلازم الشيخ حامد أساتذة المدرسة ونال رضاهم وحبهم فأخذوه بالعطف والمحبة والحنان وأفاضوا له من علمهم، ونذكر من أساتذته علىٰ سبيل المثال الشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة والعلاّمة المحدث الشهير محمد زكريا الكاندهلوي شيخ الحديث بالمدرسة والمهاجر إلىٰ المدينة فيما بعد والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

والمؤلف لكتاب (أوجز المسالك علىٰ موطأ الإمام مالك) و(لامع الدراري علىٰ جامع البخاري) ومحقق (بذل المجهود شرح سنن أبي داود) وغيرها من الكتب العلمية الهامة.

ومن الأساتذة كذلك الشيخ عبد الرحمن رئيس المدرسين والشيخ منظور أحمد وغيرهم من العلماء الذين أخرجوا أجيالًا عظيمة، وقد كان الشيخ حامد ذلك الطالب المجد المجتهد في طلب العلم لا تكاد تفوته كلمة من أفواه مشايخه، فلم تمض فترة طويلة حتىٰ تخرج من المدرسة المذكورة ونال شهادتها العالية وأسانيد وإجازات علمية ضخمة من مشايخه.

هجرته إلى المدينة المنورة

وفي عام **١٣٦٥**هـ رحل الشيخ حامد من الهند متوجهًا مع قوافل الحجيج المتجهة إلىٰ الحجاز إلىٰ أن أكرمه الله بالوصول إلىٰ مكة المكرمة البلد الأمين فأدىٰ مناسك الحج وتوجه إلىٰ المدينة المنورة ليتشرف بزيارة الرسول ﷺ والسلام علىٰ صاحبيه، وفيها حفته تلك الروحانية العظيمة الموجودة بطيبة فاختار البقاء بها بعد حياة كلها ممزوجة بين اليسر والعسر، وبقي بها حتىٰ وفاته وفيها اتسع نطاق معارفه وعرف الناس خصاله وأخلاقه فأقبلوا عليه بكل محبة وصدق.

دروسه العلمية

عندما استقر الشيخ حامد بالمدينة المنورة عرف الناس وطلاب العلم بمكانته العلمية، فجلس للتدريس بالمسجد النبوي الشريف فأتىٰ بكل نفيس، وعَقَد سوقًا رائجة للعلم وأهله وزود طلابه ببضاعة رابحة فدرّس التفسير والحديث والفقه، وكان مرجعًا للعوام والخواص سواء من أهل المدينة المنورة أو من أهل بخارىٰ المهاجرين؛ ولم تكن حلقة الشيخ حامد من تلك الحلقات الكبيرة التي كانت في المسجد النبوي لكن صوته وعلمه ومكانته كانت معروفة بين الناس فأغلب دروسه كانت في بيته فقد كان بحرًا في العلم والزهد والورع.

الفرغاني يدرس بالصولتية

وفي عام ١٣٨٦هـ احتاجت المدرسة الصولتية إلىٰ عالم حنفي فوقع الاختيار علىٰ الشيخ حامد الفرغاني من المدينة المنورة فسافر إلىٰ مكة المكرمة، وقد هيأت له المدرسة سكنًا خاصًا، فشرع يدرس الفقه الحنفي وبعض المواد الأخرىٰ كتفسير الجلالين وسنن ابن ماجه وعلمي النحو والصرف وغيرهما بالمدرسة ومن أنبغ تلاميذه بالمدرسة الأستاذ الفاضل ذو الخلق الكريم والخصال النبيلة الأستاذ ماجد مسعود رحمت الله -حفظه الله- مدير المدرسة الصولتية حاليًا.

كما كان الشيخ حامد رحمه الله يؤم المصلين بمسجد المدرسة الصولتية، واستمر علىٰ التدريس والإمامة حتىٰ آخر شعبان سنة ١٣٨٩هـ حيث عاد إلىٰ المدينة المنورة مشتاقًا إليها يود نشر العلم النبوي الشريف في ديارها.

مؤلفات الفرغاني

لقد ترك الشيخ حامد -إلىٰ جانب ما خلفه من تلاميذه ومحبين يذكرونه بالخير ويدعون له- عدة مؤلفات نافعة كالعمل الصالح أو الصدقة الجارية ينتفع بها عامة الناس من بعده وتضيء المكتبة الإسلامية وتسد فراغًا بها وعلىٰ العموم فأكثرها مطبوع وهي كالآتي:

١- كتاب (الفتح الرحماني في فتاوىٰ السيد ثابت أبي المعاني) في جزأين جمع فيهما فتاوىٰ شيخه وبعض المسائل المهمة الأخرىٰ.

أ- الجزء الأول: ٣٨٩ صفحة.

ب- الجزء الثاني: ٤٤٠ صفحة.

٢- كتاب (المسائل التسع) ٦٠ صفحة (طبع).

٣- كتاب (إيقاظ المسلمين إلىٰ قيمة إصلاح الدين) (طبع).

٤- كتاب (لزوم تسوية الصفوف وإتمامها والوعيد بتركها) (طبع).

والله أعلم إن كان هناك كتب مخطوطة أو لا.

وفاته

وفي يوم الخامس من شهر ذي الحجة سنة **١٣٩٣**هـ فقدت المدينة المنورة أحد علمائها الأفاضل وهو من النمط الفريد الذي كان لا يحب الشهرة ويؤثر ما عند الله علىٰ ما عند الناس وصُلّي عليه بالمسجد النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد بمشهد عظيم.

الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي[١]

هو حبيب الرحمن بن السيد إمداد علي الكاظمي الحسيني الهندي المدني الرَّدُوْلَوِيْ المهاجر. العلاّمة الصوفي الزاهد المحدث الناسك الورع التقي[٢].

ولد رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ في بلدة رَدُوْلیٰ التي كان والده يقيم بها وقد اشتهر الشيخ حبيب الرحمن بالهندي في الحجاز، أما في الهند فرَدُوْلَوِيْ نسبة إلىٰ البلدة التي ولد بها.

صفاته وأخلاقه

كان الشيخ حبيب الرحمن صالحًا تقيًا زاهدًا في الدنيا متواضعًا لا يملك من حطام الدنيا إلا ما يستر به جسده أو يسد رقعة أو يقيم صلبه وإذا أعجب بذلك أنفقه وتصدق به وتأتيه الدنيا فلا يتمتع بها.

كان رحمه الله كثير الصلاة والسلام علىٰ الرسول ﷺ والحقيقة أن الرجل مع تقشفه في الدنيا إلا أن صيته قد بلغ الآفاق فهو عالم بارع متمكن بحق من العلوم والمعارف.

تعليمه ونشأته

نشأ الشيخ في مدينة ردُوْلیٰ وتعلم علىٰ يد علمائها الأجلاء ثم رحل منها إلىٰ المدن الشهيرة لتلقي العلم علىٰ علمائها فأخذ عن الشيخ سلام الله الدهلوي سبط العلامة المحدث الشيخ عبد الحق الدهلوي ثم أخذ عن الشيخ سلامت الله الصديقي البديواني، وكلاهما تلاميذ الشيخ الشاه عبد العزيز، وحمله شوق العلم إلىٰ القاهرة حيث مكث هناك مدة من الزمن يطلب العلم علىٰ يد علماء الجامع الأزهر فحضر دروسًا عديدة في مختلف العلوم وتعلم القراءات علىٰ المقرئ الشيخ حسن بدير الجريسي الأزهري.

---

(١) نزهة الفكر ٣٠٨/١ ترجمة ١٢١، تذكرة شعراء الحجاز أردو بترجمة الأستاذ ماجد رحمة الله ص٥٤، فيض الملك ٣١٩١/١ ترجمة ٢٣٢.

(٢) تذكرة شعراء الحجاز أردو بترجمة الأستاذ ماجد رحمة الله ص٥٤.

رحلته وإقامته في الحجاز

وبعد أن أخذ عن علماء الهند والجامع الأزهر قرر السفر إلىٰ الحجاز وأداء العمرة والحج والنهل من مناهل العلم الصافية بالحرمين الشريفين فأدىٰ فريضة الحج واختار لنفسه الإقامة في مكة وسكن في رباط الشيخ عبد الوهاب الكتبي والد العلاّمة الشيخ المسند عبد الستار الكتبي فطاف بحلقات العلم في المسجد الحرام فلازم دروس العلامة الجليل الشيخ أحمد بن زيني دحلان شيخ العلماء ومفتي الشافعية بالبلد الحرام وحصل منه في عام ١٢٨٠هـ علىٰ الإجازة العامة وهو يروي الأولية عن الشيخ عبد الغني الميداني الدمشقي ويروي عن المقرئ المحدث عبد الرحمن الأنصاري وعن الشيخ عبد الغني الدهلوي المدني وعن الشيخ جمال شيخ مفتي الحنفية.

وكان رَحِمَهُ اللهُ مطلعًا واسع الاطلاع لا يقف عند حد، فعكف علىٰ قراءة كتب الأدب والشعر قديمها حديثها واستوعبها فدانت له مفردات اللغة فنظم القصائد الضخام وأصبح يلقيها في المجالس والمحافل بالعربية والأوردية، وفي عام ١٢٨٤هـ سافر إلىٰ المدينة المنورة فنظم رحلته هذه شعرًا.

الكاظمي مدرسا بالصولتية

ولما تأسست المدرسة الصولتية بمكة المكرمة في عام ١٢٩٠هـ اختاره العلامة المؤسس الشيخ محمد رحمت الله للتدريس فاشترط عليه عدم تحديد راتب له فكان يقوم بالتدريس مجانًا إيمانًا واحتسابًا لله تعالىٰ.

وكان العلامة المؤسس يجله ويحترمه ويقربه حيث عين له خادمًا يتولىٰ خدماته كما تكفل له بطعامه واحتياجاته من داره وعلىٰ حسابه الخاص.

وحينما تأسس القسم الداخلي للمدرسة أمر له الشيخ رحمت الله بغرفة منفردة خاصة فيأتي الطلاب إليه للاستفادة والاستزادة منه ومكث علىٰ ذلك مدة.

هجرته إلى المدينة

لقد غلب علىٰ الشيخ الكاظمي الشوق لزيارة المدينة المنورة فسافر إليها واستوطنها

وهكذا كلما اشتاق لأحد المدينتين المقدستين، سافر إليها وأقام بها ولم يلبث أن يتركها وظل علىٰ اتصال بالمدرسة الصولتية فكلما قدم مكة أقام بالقسم الداخلي وأفاد الطلاب.

الكاظمي عالم الحرمين الشريفين

لقد كان الشيخ حبيب الرحمن بارعًا في العلم مجتهدًا في طلبه فانصرف يأخذ العلم والمعارف وهو صغير السن فبلغ مكانة عالية في العلم وعَلِم العلماء والطلاب بفضله فقصدوه من قريب ومن بعيد فاستجاب لطلبهم وعقد للعلم حلقة فريدة نفع بها أناسًا كثيرين فشاع ذكره بين الأقطار وكانت حلقته سواء في المدينة أو مكة المكرمة تمتلئ بمحبي العلم ومريديه، وكان رحمه الله أستاذًا للعلوم السائدة في عصره فقد كان عالمًا جيدًا فقيهًا أديبًا شاعرًا مسندًا مقرئًا بالقراءات السبع في الفقه الحنفي والأدب متمكنًا ماهرًا بارعًا بحق في العلوم.

ففي مكة المكرمة يجلس مدة من الزمن ويدرس الناس فينتفع به العباد، ثم ما يلبث فيغلبه الشوق إلىٰ المدينة المنورة فيرحل إليها ما بين يوم وليلة ويأتي إلىٰ المسجد النبوي الشريف ويعقد سوقه من العلم ويحفه الطلاب ويبقىٰ وقته كله بالمسجد لا يفارقه إلا لقضاء الحوائج.

بين مكة والمدينة

وكان الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي يرحمه الله رقيق النفس لين الجانب لا يدوم علىٰ حال ولا يستقيم علىٰ أمر يتكدر من تصرفات الناس وحركاتهم ولا تعجبه بعض أفعالهم ولذا كان يكثر التردد بين مكة والمدينة فإذا أقام بالبلد الحرام حمل زاده ومتاعه وخرج ولم يعلم عنه أحد وباتوا يبحثون عنه حتىٰ علموا عن قدومه إلىٰ الجهة الأخرىٰ.

فتعرف عليه أهل القوافل التي كانت تحمل المسافرين لكثرة أسفاره ورحلاته ولما لا يجد قافلة يسير ماشيًا بين المدينتين وقد تعرّف عليه أهل الطريق من الأعراب فلا يتعرضون له بالنهب والسلب كما كان الحال آنذاك حيث عهدوه أنه لا يحمل إلا

زادًا ومتاعًا خفيف النقل والحمل فأصبحوا له محافظين حراسًا يحرسونه من اللصوص وقطّاع الطريق.

وفي آخر حياته آثر البقاء في المدينة المنورة إلىٰ أن توفي.

الكاظمي الشاعر

لقد كان الشيخ الكاظمي من الشعراء المجيدين في الحجاز ولكن شعره مفقود والموجود منه باللغة الأوردية في مدح الرسول ﷺ.

وقد كان رحمه الله يجيد العربية والأوردية والفارسية والتركية كتابة وتكلمًا وخطابة ومطلعًا علىٰ ثقافتها وآدابها نثرًا وشعرًا فقد تعلم التركية في مدة شهرين وذلك يدل علىٰ ذكائه ونباهته وحبه للتزود وكان يحفظ قصائد تركية لشعرائها المشهورين ويترجمها إلىٰ العربية حيث أوتي ذوق الشعر من الصغر.

أما الأوردية والفارسية والعربية فيحفظ أكثر قصائدها ويترجمها إلىٰ بعضها وهذا ما جعله شاعرًا ذا مكانة خاصة حيث كان يقول في أكثر مجالسه إنه أخذ الشعر عن الشاعر ميرو وزير علي صبا اللكنوي كما كان شعراء المدينة يرجعون إليه لتطلب التصحيح والعرض والمساجلة.

وكان رحمه الله عضوًا بارزًا ونجمًا براقًا في مجالس ومنتديات المدينة سواء في الآبارية(١) أو الكردية أو الدافتردية أو الأسكوبية وهذه بعض مجالس المدينة الأدبية ذلك العصر؛ ومن أصدقائه الشعراء الشاعر المشهور والأديب المعروف مرزا أحمد علي كوكب اللكنوي.

مواقف جليلة

يقول الأستاذ ماجد رحمه الله: وقد أراني الشيخ أبو الحسن زيد ابن العلامة المصلح الشيخ أبو الخير المجددي الدهلوي مذكرات والده وذكرياته التي تشتمل علىٰ بعض

---

(١) انظر ما كتبناه عن الآبارية في ترجمة الشيخ عبد الجليل برادة.

قصائد شيخه الشيخ حبيب الرحمن وذكرياته عنه التي أنقل بعضها هنا وبعضها سمعتها من الشيخ زيد[(١)].

* **الموقف الأول**: كان الشريف عون الرفيق يكرم الشيخ حبيب الرحمن ويجله ويتعاهده ويقربه ويعرف مزاجه وفطرته وكان بينهما ود متواصل وفي ليلة من الليالي وصل الشيخ إلىٰ الشريف بعد العشاء وكان متصدرًا مجلسًا لندمائه وخاصته فأخبره الشيخ عن سبب حضوره وهو شرب الشاي الذي لا يشربه إلا بيد الشريف وإلا فذهب، فقام الشريف يصنع الشاي بنفسه وقدمه للشيخ وانشغل في مجلسه ثم انتبه إلىٰ جهة الشيخ فرآه لم يشربه، فذكّره أن الشاي سيبرد فغضب الشيخ وقال له: هل تريد أن أشرب الشاي وقام من مجلسه وخرج عائدًا إلىٰ بيته ولما كان الشريف عارفًا لفطرة الشيخ ومزاجه سكت ولم يعمل شيئًا.

* **الموقف الثاني**: قدم الشيخ إلىٰ مكة المكرمة بعد خلاف مع والده وحاول والده أن يثنيه عن عزمه وطلبه إلىٰ الهند عدة مرات التمس منه الرجوع وتوسط لدىٰ الشيخ محمد علي المقيم في مكة وكتب له القصة كاملة وعلىٰ أن يقوم بإفهامه وشرح الأوضاع له وامتناعه بالرجوع إلىٰ والده فقام الوسيط بعدة محاولات حتىٰ قال له: ليس لك ثواب الهجرة ما دام والداك غاضبين عليك بل أنت آثم ومذنب وما عليك إلا أن تذهب إليهما وتراضيهما وتطلب الصفح منهما وتستأذنهما في العودة والهجرة . . . الخ. وظل الشيخ يستمع إلىٰ هذا الوسيط ساكتًا ولم يجبه، وبحثوا عنه في اليوم الثاني فلم يجدوا له أثرًا في مكة المكرمة وعلم فيما بعد أنه رحل إلىٰ المدينة المنورة ماشيًا فور نصيحة الوسيط.

* **الموقف الثالث**: أهدىٰ إليه أحد تلاميذه صفيحة من عسل الطائف الممتاز فكان يتناوله يوميًا بعد العودة من صلاة الفجر من الحرم ومكث علىٰ ذلك أيامًا، وفي يوم من الأيام قام بتوزيع العسل علىٰ الطلاب ولم يُبق لنفسه شيئًا، فسُئل عن ذلك فأخبرهم بأنه كان يصلي الفجر في الحرم ثم يمكث طويلًا مطمئنًا وبعد استعمال العسل تحدثه نفسه بالعودة سريعًا من الحرم لتناوله فلم تَبق له تلك الطمأنينة والاستقرار طلبًا لتناوله العسل فلا بد من مجازاة النفس ومعاقبتها، ولذا لجأ إلىٰ تصريف العسل بهذه الطريقة.

---

(١) في رسالة إلىٰ المؤلف من الأستاذ ماجد رحمة الله.

* **الموقف الرابع**: كان مرة مسافرًا إلىٰ المدينة المنورة مع تلميذه الشيخ أبو الخير المجددي الفاروقي الذي كان يستفيد منه في الأدب والشعر فبدأ التلميذ بالحديث عن أسرته وأجداده ولما كان الشيخ رقيق النفس حاد الطبع غضوبًا لم يتحمل حديث التلميذ قفز من الشقدف علىٰ الأرض فاختل توازن الجمل، وسقط الشقدف بالتلميذ علىٰ نفسه وبعد محاولة خرج من داخل الشقدف، وبحث عن شيخه طويلًا فلم يجده وأصلح الشقدف وركبه وواصل رحلته إلىٰ المدينة المنورة التي وجد فيها شيخه قد سبقه إليها ماشيًا علىٰ قدميه.

* **الموقف الخامس**: وعندما كان يدرس في الجامع الأزهر كان العلامة الشيخ جمال الدين الأفغاني يلقي دروسًا هناك في الفلسفة فاستمع الشيخ إلىٰ درسه ثم حمل نعاله وهرب سريعًا من هناك مسافة طويلة حتىٰ بلغ إلىٰ دار يقيم فيها سكان الحجاز علىٰ مسافة من الأزهر ورد أنفاسه هناك فسألوه عما جرىٰ فأخبرهم عن رجل كان يدرس الفلسفة وكان تأثيره شديدًا علىٰ النفس والقلب بجانب الفصاحة والبلاغة والبيان السحري حتىٰ خاف علىٰ فساد العقيدة وهرب من هناك تاركًا الدروس والمدرس حتىٰ لا يصيب إيمانَه خلل.

مؤلفات الكاظمي

لم يهتم الشيخ حبيب الرحمن بالتأليف كثيرًا ولم يشتغل فيه وإنما ألف كتابين هما:

١- (التعليق المتقن في تفسير آيات من بعض سور القرآن الكريم) وهو باللغة العربية وقد رتبها تلميذه الشيخ محمد الأخميمي وطبعهما في المطبعة الإسلامية في تونس عام ١٣٢٤هـ.

٢- (رسالة في التصرف) لا يعلم عن تفاصيلها شيء.

٣- (ديوان شعر) وهو عبارة عن قصائده المتناثرة والمفقودة.

تلاميذه العلماء بالحرمين الشريفين

الحديث عن تلاميذه يحتاج إلىٰ الكثير، فهم كثيرون أخذوا عنه العلم رواية ودراية وتضلعًا في الأحكام.

فمن مكة المكرمة الشيخ أبو الخير المجددي الدهلوي، والشيخ عبد الحق القارئ مؤسس المدرسة الفخرية بمكة المكرمة، ومن المدينة المنورة الشيخ محمد الأخميمي الأزهري، والشيخ أحمد بساطي، والشيخ عمر كردي الكوراني، والشيخ حمزة علي محمد ملا السندي، والشيخ حمزة أركوبي، والشيخ عمر بري، والشيخ إبراهيم بري، والشيخ إبراهيم الأسكوبي، والشيخ محمد العائش القرشي، والشيخ محمود شويل، والشيخ عبد القادر الشلبي، والشيخ محمد علي ظاهر الوتري وغيرهم من أولي العلم والفضل.

شكر وتقدير

كنت طلبت من الأستاذ الفاضل الأخ العزيز ماجد سعيد رحمة الله حفظه الله مدير المدرسة الصولتية بمكة المكرمة ترجمة الشيخ حبيب الرحمن الهندي المدني فتفضل مشكورًا بإرسالها إليّ وقد نقلها من الأوردية إلىٰ العربية من كتاب باسم: «تذكرة شعراء حجاز أردو» وهو تاريخ لشعراء اللغة الأوردية الذين سكنوا الحجاز لمؤلفه المؤرخ الشيخ امداد صابري الدهلوي رحمه الله، وهو في الأصل من تأليف الأديب المؤرخ الشيخ عبد الجبار الدهلوي المكي فأخذه الشيخ امداد وزاد فيه وطبعه مرتين آخرها سنة **١٩٧٠**م في دلهي.

ويتكون الكتاب من **٤٦٠** صفحة مع الفهارس تتقدمه مقدمة طويلة عن خدمات مهاجري الهند والسند إلىٰ الحجاز وما قدموه في المجالات الفكرية والثقافية والتعليمية والطبية والمكتبية والأدبية في الحجاز.

وترجمة المترجم له الشيخ حبيب الرحمن تبدأ من نصف صفحة **١٧٨** حتىٰ **١٨٥** تحت عنوان، أترجمها هنا مع بعض الإضافات وحذف للقصائد الأوردية وبتصرف في بعض الحكايات . .

فهذه الترجمة كانت هي المرجع الوحيد لي فشكري وتقديري للأستاذ الفاضل ماجد فهو رجل كريم من عائلة كريمة فجده أحد بناة العلم في الحجاز فكان هو خير خلف لخير سلف وفقه الله وأدام في عمره ومتعه بالصحة والعافية.

وفاته

وبعد حياة مليئة بالأعمال الصالحة الجليلة في سبيل رفعة هذا الدين الحنيف توفي الشيخ عن عمر يناهز الاثنا وسبعين عامًا فقد فارق الحياة في **٢٢** محرم الحرام سنة **١٣٢٢**هـ وهو لم يتزوج حيث يسكن لوحده ولذا لم يعلم عن وفاته أحد إلا بعد أن كسروا بابه فوجدوا روحه قد انتقلت إلىٰ بارئها فصلِّيّ عليه بالمسجد النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالىٰ.



الشيخ حسن الشاعر[1]

هو حسن بن إبراهيم الشاعر.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في عام ١٢٩١هـ في أسرة فاضلة وبيت علم وفضل.

وصفه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ طويل القامة، أبيض اللون، عريض الجبهة، واسع العينين، أقنىٰ الأنف، خفيف الشارب، كث اللحية، يرتدي العمة، ويضع عليها الشال، ويلبس العباءة العربية.

أما عن صفاته وأخلاقه: فقد حدثني عنها الكثير حيث كان رَحِمَهُ اللَّهُ متواضعًا دمث الأخلاق رقيقًا سهلًا، ملازمًا للمسجد، اشتهر بالورع والزهد في الدنيا، عرف بالتقوىٰ والصلاح، تربىٰ علىٰ ثقافة دينية، مجتهدًا في طلب العلم، رحب الصدر، يجيب السائل برفق وبشاشة، لبقًا في حديثه، سديد الرأي، ثاقب الفكر، طلق اللسان، طيب القلب، سليم النية، يكره الملق والتكبر.

---

(١) ترجمة أرسلها أبن المترجم معالي الوزير الأستاذ علىٰ بن حسن الشاعر من كتاب تحفة الإخون في بيان أحكام تجويد القرآن، الجواهر الحسان ٢/ ٦٧١ ترجمة ٣٠٥، طيبة وذكريات الأحبة ص ٥٨.

نشأته وتعليمه

نشأ الشيخ الشاعر في بيت علم وفضل مما ساعده علىٰ حفظ القرآن الكريم غيبًا عن ظهر قلب وهو فتىٰ في سن التاسعة من عمره، فأصبح بارزًا بين أقرانه في هذا الجانب ولم تكن نفس الشيخ الشاعر تقف عند حد معين، فعكف علىٰ قراءة الكتب الدينية ومطالعة شتىٰ العلوم، فالتحق بالجامع الأزهر وتلقىٰ علومه وثقافته الدينية هناك، ودرس جميع علوم القرآن حيث تعلم تجويد القرآن علىٰ أيدي كبار علماء الجامع، وجد واجتهد وعمل وأصر علىٰ تلقي علوم القراءات السبع حتىٰ أصبح بارزًا في ذلك، وعندما وجد في نفسه القدرة علىٰ الاستيعاب درس القراءات العشر، ثم تعمق في الأربعة عشر، فعلم به شيوخه وقربوه إليهم لما لمسوا فيه من الفطنة والذكاء وتفرسوا فيه الخير الوفير والنفع الكبير فأمروه بالتدريس وأجازوه في ذلك، فقام هو بنشر القرآن وبرع في ذلك حتىٰ أصبح أحد قرّاء العالم الإسلامي البارزين، ويتصل سنده في القراءة بالرسول ﷺ.

ومن أشهر شيوخه الشيخ المقرئ العلامة الشيخ حسن بن محمد افندىٰ بيومىٰ الشهير بالكراك.

دروسه بالمسجد النبوي

لقد عرف الشيخ الشاعر بعلمه فكان بارزًا عند مشايخه يسألهم حتىٰ يصل إلىٰ مراده، فما لبث أن نال من العلم ما نال حتىٰ اختار مكانه للجلوس والتدريس في المسجد النبوي الشريف، وأضاف اسمه إلىٰ قائمة قرّاء وعلماء المسجد النبوي الشريف ثم أصبح عضوًا في رابطة علماء المدينة المنورة، فعقد للعلم وأهله سوقًا فريدًا وجعل بضاعته التدريسية رابحة، فكان من أهل الله لقوله ﷺ: « . . أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[١].

---

(١) (حسن) أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ٤٠٩/ ١٢٢١٩) و(١١/ ٢٠٨/ ١٣٤٧٦) والطيالسي (٢٨٣/ ٢١٢٤) والنسائي في الكبرىٰ (٥/ ١٧) وابن ماجه (١/ ٧٨/ ٢١٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٦) من حديث أنس بن مالك.

وكان له رَحِمَهُ اللَّهُ عدة حلقات، فحلقته الأولىٰ لشرح علم التجويد، وحلقته الثانية بأصول الجزرية، وحلقته الثالثة لشرح الشاطبية، واعتاد أن يقرأ العشر في القرآن الكريم قبل مغرب كل يوم.

لقد كان الشيخ الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ من قرّاء القرآن البارزين في المدينة المنورة إذ أنه كان يملك ثروة كبيرة وهي قراءة القرآن الكريم بجميع طرقه كما أنه كان حسن الصوت جميل النغمة.

جهوده مع قرّاء المدينة

وقبل قيام الحرب العالمية الأولىٰ وخروج أهل المدينة منها، كان قرّاء المدينة يجتمعون في دكة الأغوات من كل يوم يقرؤون القرآن ويفسرونه ويتدارسونه فيما بينهم فكان الشيخ الشاعر أحد أعضاء هذه الحلقة ومن الذين معه الشيخ ياسين الخياري، والشيخ أحمد التيجي، والشيخ عبد الرحيم الخوقندي، والشيخ محمد خليل.

وبعد ذلك قامت الحرب وهاجر أهل المدينة منها، وعندما استقرت الأوضاع عاد بعض أهلها إليها فكان الشيخ الشاعر من ضمن الذين عادوا إليها، والشيخ ياسين الخياري[١]، والشيخ أحمد التيجي، والشيخ عبد الرحيم الخوقندي، وعاد الشيخ محمد خليل ونصب شيخًا للقرّاء وعين الشيخ الشاعر أحد أعضاء مجلس رئاسة طائفة القرّاء والحفّاظ بالمدينة المنورة.

يقول الشيخ أمين مرشد حفظه الله[٢]: «تكونت نخبة من العلماء بما فيهم الشيخ حسن كدورية يومية يجتمعون كل يوم عند واحد منهم يتباحثون في علوم القرآن والحديث وعلوم الدين، وهذه المجموعة بالإضافة إلىٰ الشيخ حسن هم:

١- الشيخ صالح مرشد
٢- الشيخ عبد الإله مرشد
٣- الشيخ أحمد مرشد

---

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

(٢) انظر طيبة وذكريات الأحبة ص ٥٨.

٤- الشيخ أحمد عطا الله وهو من البارعين في علم الحساب والفلك.
٥- الشيخ أحمد رضوان.
٦- الشيخ محمد بن سالم.
٧- الشيخ حامد بافقيه.
٨- الشيخ عبد الله جعفر.
٩- الشيخ محمد سعيد.
وتاريخ تكوين هذه المجموعة عام ١٣٥٠هـ.

الشاعر وجهوده في نشر علوم القرآن والتجويد

أما عن رحلاته وزياراته فقد كان رحمه الله يقوم بزيارات إلىٰ خارج البلاد العربية لنشر القرآن الكريم والدعوة في سبيل الله.

ففي عام ١٣١٧هـ رحل إلىٰ الشام وبقي في دمشق، والتقىٰ بكبار علماءها وقرّائها آنذاك وأقام هناك قرابة نصف عام وهو يدرس القراءات وعلوم التجويد لمحبي العلم والمعرفة في الشام، ثم عاد إلىٰ المدينة المنورة وبقي بها حتىٰ عام ١٣٣٤هـ.

وفي نفس العام قام برحلة إلىٰ مدن بخارىٰ وسمرقند وخوقند وطشكند وقد رافقه في هذه الرحلة الشيخ عبد الرحيم الخوقندي.

كما حدثني بذلك حفيده الدكتور عبد العزيز القارئ أحد قرّاء المدينة في العصر الحديث، إلا أن الشيخ الخوقندي فضّل البقاء هناك وهذه الفترة هي فترة (سفربرلك) فالشيخ الشاعر من الذين خرجوا واستغلوا ذلك في نشر العلم، وقد مكث في هذه الرحلة مدة سنتين اجتمع خلالها مع كبار العلماء واطلع فيها علىٰ أوضاع المسلمين وشؤونهم وزودهم بإرشاداته الدينية، وخاصة عددًا كبيرًا من أئمة المساجد الذين كانوا يسألونه عن أمور الدين وكان يجيبهم بحكمة وموعظة حسنة، فقد أحبوه كثيرًا واستفادوا من علمه فأكرموه وأحسنوا نزله حتىٰ عاد إلىٰ المدينة المنورة.

وفي عام ١٣٨٤هـ زار باكستان وقضىٰ بها شهرين كاملين بين تكريم كبار العلماء وحفاوتهم به طوال مدة إقامته بها، حيث استفادوا منه الكثير والكثير فعلومه القرآنية

كانت تفيض عليهم من نبعه الذي أمده الله به فكان خير مرشد لهم في أمور الدين بغزير علمه.

والجدير بالذكر أن نجله معالي الفريق الشيخ علي الشاعر وزير الإعلام سابقا كان ملحقًا عسكريًا فيها، وتعد هذه الرحلة هي آخر رحلاته رحمه الله.

الشاعر شيخ القرّاء بالمدينة

لقد كان الشيخ الشاعر مشهورًا بعلمه القرآني فكان من أشهر قرّاء المسجد النبوي وأبرعهم، فعندما توفي الشيخ محمد خليل نُصب الشيخ حسن الشاعر مكانه شيخًا للقرّاء في المدينة المنورة.

قصص للشيخ الشاعر

حدثني الشيخ عمر عادل التركي رحمه الله وهو يعرف الشيخ الشاعر معرفة وثيقة، فقد أدركه وعاصره، وقد ذكر لي أنه كان يرىٰ الشيخ حسن الشاعر يجمع أمامه «أربعة» أو «خمسة» طلاب ويجعلهم يقرؤون في سور مختلفة من القرآن الكريم ويرد علىٰ كل واحد منهم علىٰ حدة في قراءته وهذه ميزة خاصة ونادرة تميز بها الشيخ الشاعر رحمه الله.

ويذكر المؤرخ المدني الأستاذ أحمد أمين مرشد[١] قصة عن والده[٢]: «الشيخ حسن رحمه الله من نوادر علماء المدينة، تعلمت علىٰ يده تجويد القرآن الكريم، متواضع، ذو حلم، مرح النفس، طيب القلب، ترىٰ في وجهه رحمه الله الصلاح والتقوىٰ، وبعد أن قام برحلته إلىٰ سمرقند حكىٰ لي هذه القصة. قال: «كنت أقرأ القرآن في أحد مساجد

---

(١) أحمد بن أمين بن صالح مرشد مؤرخ مدني، من بيت كريم شهير بالفضل، له سلسلة كتب عن المدينة المنورة وأهلها وأحواشها، ذكر فيها تراجم عن العلماء والأدباء والأعيان وأصحاب المهن، ودون عن تاريخ الحركة الرياضية بالمدينة المنورة، وقد زودها بصور نادرة، ولديه أرشيف من الصور والتسجيلات يعد نادر الوجود، وهو شريكنا منذ القدم في تدوين رجال المدنيين وبيننا وبينه محبة ومودة قديمة.

(٢) انظر طيبة وذكريات الأحبة ص٥٧-٥٨.

سمرقند، وإذا بشخص يقول: أين الشيخ حسن، وحيث أني لا أعرف أحدًا هناك فوجئت بذلك فعرّفته بنفسي فطلب مني الذهاب معه إلىٰ منزل سيده، غادرت المسجد وقبل الوصول إلىٰ المنزل رأيت الأرض قد فرشت بفرش جميل، وأُناسًا يستقبلونني، وبعد أن أخذت مكاني في المجلس سألت أحد المُكرِمين لي عن الأمر؛ فقال: «صاحب هذه الدار رجل مسلم وتاجر لبيع الخيول، توفي قبل قدومك بستة أشهر وقبل يومين رأت زوجته رؤيا لزوجها يوصيها برجل قدم من المدينة المنورة واسمه الشيخ حسن ليقرأ القرآن في منزله، وسيدتي «أينكة» وهذا اسمها أوصت بالبحث عنك حتىٰ وجدناك».

فحمدت الله بأن سخّر لي أناسًا دعوني طوال إقامتي في سمرقند، وخلال إقامتي درَّست القرآن وعلمته لكثير من المسلمين هناك . . . انتهىٰ.

تلاميذه بالألوف

لقد كانت حلقة الشيخ الشاعر تكتظ بالطلاب والحفظة، فقد درس وحفظ علىٰ يديه القرآن ألوف من العرب والأعاجم، كما أخذ منه القراءات عشرات المئات من كبار العلماء وأئمة المساجد العاملين اليوم في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية والعربية، فمن تلاميذه الشيخ عبد الحي أبو خضير، والشيخ أحمد الخياري، والشيخ عبد القادر الجزائري، والشيخ عبد العزيز بن صالح، والشيخ أمين صالح مرشد والشيخ عبد المجيد الأبادي، والشيخ أبو السعود ديولي، والشيخ عبد السلام عسيلان، والشيخ إبراهيم الأخضر القيم، وابنه معالي الوزير علي الشاعر وغيرهم من أولي العلم والفضل.

مؤلفات الشيخ الشاعر

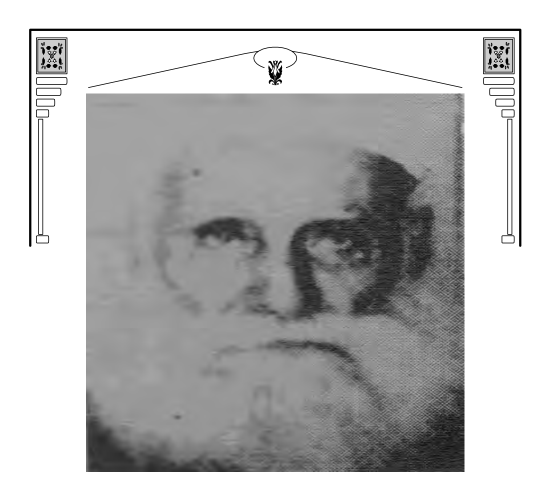
أما عن نشاطه رَحِمَهُ اللَّهُ في تأليف الكتب فقد قام الشيخ الجليل بتأليف كتاب واحد أسماه «تحفة الإخون في بيان أحكام تجويد القرآن» قام فيه بشرح وافٍ مفصل كاف

لأحكام التجويد وشرح القراءات وتراجم بعض القرّاء المختصرة، ويعد الكتاب نافعًا وهامًا جدًا في القراءة والتجويد وعلومهما . . . ويحتوي الكتاب علىٰ (٥٥) صفحة من القطع الصغير.

وفاته

وبعد حياة مليئة ببركة القرآن الكريم انتقل الشيخ حسن الشاعر إلىٰ جوار ربه ليلقاه بخير الأعمال وأجلها، وكانت وفاته في العشرين من شهر ذي القعدة لعام **١٤٠٠**هـ وقد عمّر فوق المائة بتسع سنوات وصلي عليه في المسجد النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



السيد حسين جمل الليل

حبيس القلعة

هو حسين بن هاشم بن صالح بن سالم بن محمد بن علوي باحسن جمل الليل.

بيت جمل الليل

السادة آل جمل الليل أسرة حجازية قرشية، لها انتشار في الإقطار الأسلامية ففي مكة المحمية لهم صولة، وفي المدينة النبوية لهم جولة، إما في العالم الأسلامي فحدث ولا حرج، ولايعرفون في كل مكان يحلون به إلا بجمل الليل، بيت كبير وبالفضل شهير، أهل كياسة ورياسة لهم من العراقة والوجاهة مالايخفىٰ علىٰ القاصي والداني، وينعتون جمل الليل ورآيتهم في بعض الصكوك الشرعية يكتبون بـ «جمال الليل»، وجدهم الجامع هو السيد محمد (جمل الليل) بن حسن المعلم بن محمد اسدالله بن حسن الترابي بن علي بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي، وهم من اشهر البيوت العلوية التي ينتهي نسبها إلىٰ القبيلة العلوية الشهيرة السادة آل باعلوي، وعند البعض بني

علوي المنتهي نسبها إلىٰ: السيد علوي بن عبيد الله بن احمد المهاجر بن عيسىٰ بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

قال الأنصاري في تحفته(١): بيت جمل الليل باعلوي ومن آل باعلوي السيد علوي باحسن جمل الليل باعلوي قدم المدينة المنورة علىٰ قدم التجريد سنة **١١٦٥**.

قال عنهم الحجار في المختصر(٢): منهم السيد علوي باحسن جمل الليل باعلوي، ورد المدينة عام **١١٩٢**هـ، أدركت منهم أناسًا كثيرين، ومنهم: البيتي، ومنهم بيت بافقيه، وبيت العطاس، وبيت بكريه، وبيت الحِبشي، وبيت الجفري، وبيت السقاف، وللجميع نسل بالمدينة المنورة، كثر الله نسلهم، وأبقاهم الله، ونفع بهم، آمين.

وقد حدثني النسابة الأجل في عصرنا السيد يوسف بن عبد الله جمل الليل عن فروع هذا البيت الكبير، وخروجهم وانتشارهم إلىٰ حضرموت، والشيشان والداغستان، وجزر القمر، والهند، وماليزيا، واندنوسيا، ولاانسىٰ حديث الجدة السيدة ملكة حمزة متروك، والوالدة الشريفة سعدية حامد كاتب الحسيني رحمهما الله، حينما كانتا تصفان لي قرابة الجد السيد حامد كاتب الحسيني من خؤولته آل جمل الليل والذين كانوا يسكنون في بلاد سيلان، فهذا الحديث اتذكره في الطفولة، وكأني اراه اليوم رأي العين، فكانتا تحدثاني عن بيوتات المدينة العريقة، ويحدثاني عن هؤلاء السادة آل جمل الليل حينما كانوا يزرونهم من بلاد سيلان، ويتناولون عندهم طعام الغداء أو العشاء، فكانوا يضعون في كل طبق عند انتهائهم من الطعام الريال المجيدي الفضة، وحدثتاني انهم كانوا رجالًا ونساءًا أصحاب فضل وجاه، وعزة وشموخ، لم تنتهي عربيتهم الأصيلة وهاشميتهم القحة بهجرتهم إلىٰ بلاد العجم.

ومن ذلك حديث الوالد عن صديق عمره والتي كانت تربطهما صلة حميمة العم

(١) تحفة المحبين ١٢١.

(٢) مختصر القرمية ص٢٨.

السيد رضا بن هاشم جمل الليل، والذي كان مديرًا لشرطة جدة فرحمة الله علىٰ الجميع فاليوم كلهم في ذمةالله، ذكريات حفظت في ذاكرتي، ولم تمحىٰ رغم طول الزمان، فالحديث بالحديث يذكر والفضل أحق ان يذكر قليلة فضلًا علىٰ أن لاينسىٰ كثيرة.

اقول: أصل هذا البيت هو: السيد محمد بن علوي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله (باحسن) بن سالم بن محمد المغروم بن سالم بن احمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد جمل الليل.

قدم السيد محمد إلىٰ مكة بأبنه سالم في أوائل القرن الثاني عشر واستقر بها، وأعقب ثلاثة رجال،هم: سالم، وعلوي، وحسين.

اما حسين بن محمد بن علوي، ولد بمكة سنة ١١٤٤هـ، فكان أحد علمائها، وأعقب ابن واحد، هو: صالح الذي كانت وفاته سنة ١٢٦٩هـ، وأعقب صالح، رجلين هما: حسين، وهاشم.

السيد علوي بن محمد بن علوي جمل الليل[1]

رأس البيت المدني

ولد السيد علوي بمكة المكرمة في سنة ١١٤٠هـ، وبها نشأ نشأة صالحة وطلب العلم الشريف، قدم المدينة في حدود سنة ١١٦٥هـ، وتوفي بمدينة حماة راجعًا من الروم في رمضان سنة ١١٨٦هـ، وأعقب رجلين، هما: أحمد،وزين العابدين.

---

(١) تحفة المحبين ١٢١، محمد سعيد دفتر دار، في جريدة المدينة المنورة ١٣٨٠/٨/٢٤ وفهرس الفهارس ١: ٨٢، الأعلام ١/ ١٧٠.

السيد أحمد بن علوي بن محمد جمل الليل[١]

العالم المسند

مولده سنة ١١٧٠هـ، قرأ في المدينة المنورة وأخذ عن علمائها، وحضر دروس أعيانها وفضلائها، كالشيخ محمد بن عبد الله المغربي السجلماسي الفاسي، والعلامة الشيخ عبد الله الجوهري، والشهاب أحمد الدردير، وتصدر في المدينة المنورة لإفادة العلوم الشرعية.

قال الداغستاني في اللآلئ[٢]: سيد شريف ذو قدر منيف، ومجد ظله وريف، وفخر غيثه وكيف، وفضل كالبدر سناء، والثريا علاء، ونبل وبديهة، وفكرة عن الخلل نزيهة.

وقال إيضًا في تحفته[٣]:وله نثر كالزهر ونظم يلوح كالنجم هبت منه نسمات الإحسان وحلا من عين الإبداع محل الإنسان.

قال البيطار في حليته[٤]: السيد المفضال، المتحلي بملابس الحسن والجمال، فلا ريب أنه غيث رياض الجود، وغوث الملتجئ المنجود، والحبر المسكي الأرج، فحدث عن البحر ولا حرج

يقول الشعر ويعد من اعيان شعراء المدينة وله قصائد.

له تصانيف منها (ذخيرة الكيس، فيما سأل عنه الشيخ عمر باجبير ومحمد باقيس) في مسائل حديثية وفقهية، وله ثبت،كان عالمًا مسندًا. توفي سنة ١٢٦١هـ.

---

(١) حلية البشر١/ ٢٢١.

(٢) اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة١٥٦.

(٣) مخطوط تحفة الدهر ونفحة الزهر٦٣.

(٤) حلية البشر٢/ ٣٣

السيد زين العابدين بن علوي بن محمد جمل الليل(١)

مفتي المدينة ومسندها

ابو عبد الرحمن الحسيني المدني، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها، وأخذ عن والده وتكمل علىٰ يديه، وقرأ علىٰ علىٰ افاضل زمانه، منهم الشيخ محمد بن سليمان، ورحل إلىٰ مصر، وزبيد لأخذ الرواية عن كل فاضل مفيد، ولما دخل الوهابية الحرمين الشريفين، فرد ودخل العراقين، فروىٰ عنه أجلة علماء بغداد، رغبة منهم بعلو الإسناد، وقرأ صحيح البخاري، في وكان له من الطاعة والتقوىٰ والعبادة والزهد ما جعله معدودًا من الأوائل، مات رضي الله عنه سنة إحدىٰ عشرة ومائتين وألف، ودفن في المدينة المنورة، ومن جملة مؤلفاته كتاب في المشتهر والمفترق، وله مختصر المنهج لشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري الشافعي، وقد شرحه أيضًا شرحًا مفيدًا، وله كتب كثيرة ورسائل شهيرة.

قال الداغستاني في اللآلئ(٢): ذو بديهة وروية، وسليقة مرضية، كأنها السحاب الرجاف، والغيث الوكاف، ارتدىٰ من المكارم بحلل، وحظي من المحامد بجمل، فغرته كالهلال إضاءة وإشراقًا، ومحياه كالزهر بشاشة والزهر ائتلافًا، وكلامه كالعسجد طلاوة، والشهد حلاوة، والقطر جزالة، ترتشف الأسماع زلاله.

وقال إيضًا في تحفته(٣): وله نثر أحسن من مبتسم الأزهار في الأسحار ونظم أبهج من در الغمام علىٰ ثغر الكمام.

قال الأنصاري في حدائقه(٤): سيد جميل السجايا، كم له لطلاب لطائفه من عوائد وعطايا، أشرقت شموس فضله في فلك السيادة وأضاءت بأنوار علومه الأيام فكملت

---

(١) فهرس الفهارس ١: ٣٤٥ ومطالع السعود ٦٣ ودفتر دار، في جريدة المدينة المنورة ٢٤/ ٨/ ١٣٨٠، الاعلام ٣/ ٦٥.

(٢) اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة ١٥٨.

(٣) مخطوط تحفة الدهر ونفحة الزهر ٦٦.

(٤) حديقة الأفراح لإزاحة الأتراح ٢٠٢.

لها السعادة، قد تشرف بوجوده هذا العصر، ولا غرو، فأنه الفاضل الذي جلت مناقبه عن الحد والحصر.

قال البيطار في حليته[(١)]: المحدث الفقيه، والمتفنن النبيه، صاحب الشهرة العالية، والسيرة الحسنة النامية، والمآثر اللطيفة، والمحامد الشريفة، فخر العلاء، وصدر الفضلاء.

يقول الشعر ويعد من اعيان شعراء المدينة وله قصائد.

له تصانيف منها (راحة الارواح) في الحديث، و(مشتبه النسبة) و(اختصار المنهج للقاضي زكرياء) في فقه الشافعية، و(شرحه) و(ثبت) كبير.

توفىٰ سنة **١٢٣٥**هـ وأعقب رجلين، هما: عبد الرحمن، ومحمد.

أما عبد الرحمن بن زين العابدين بن علوي، فأعقب ولد واحد، هو: زين العابدين.

وأما زين العابدين بن عبد الرحمن بن زين العابدين، فأعقب ثلاثة رجال، هم: أحمد، ومحمد، وعلي.

أما أحمد بن زين العابدين بن عبد الرحمن، فأعقب رجلين، هما: حمزة، وإبراهيم.

وأما محمد بن زين العابدين بن عبد الرحمن، فأعقب ثلاثة رجال، هم: عبد القادر، ورضا، وجعفر.

أما علي بن زين العابدين بن عبد الرحمن، فأعقب ولد واحد، هو: عباس.

وأما محمد بن زين العابدين بن علوي، تولىٰ نقابة الأشراف بالمدينة، وقتل سنة **١٢٨٥**هـ، وكان مئناث، وأعقب بنتًا واحدة، وسيأتي الكلام عنه لاحقًا.

وأما سالم وهو الأكبر كان أحمد علماء البلد الحرام، وأعقب، صالح الذي تولىٰ الإمامة والخطابة في المسجد الحرام، ثم أنتقل في عام **١٢٣٠**هـ، إلىٰ المدينة، وتولىٰ الإمامة والخطابة في المسجد النبوي الشريف، وتوفىٰ بها سنة **١٢٧٣**هـ، وأعقب أربعة

(١) حلية البشر ٢/ ٣٣.

رجال، هم: حسين، هاشم، وعقيل، وعبد الرحمن.

أما حسين بن صالح بن سالم، ولد بمكة في حدود سنة ١٢١٦هـ، وأخذ العلم علىٰ علمائها، ثم تولىٰ مشيخة الخطباء والأئمة بمكة سنة ١٢٩٩هـ، وكان وفاته بمكة سنة ١٣٠٥هـ، وأعقب خمسة رجال، هم: زيني، وصالح، وسالم، وعلوي، وشرف.

وأما عقيل بن صالح بن سالم، فقدم مع والده وأخيه هاشم إلىٰ المدينة، وأعقب عقيل هذا، ابن واحد هو: عبد الله.

وأما عبد الله بن عقيل توفي في المدينة سنة ١٣٥٨هـ، وأعقب خمسة رجال،هم: عقيل توفي صغيرًا عن غير عقب، وأبو بكر، وعقيل، وصالح، ويوسف النسابة.

وأما هاشم بن صالح بن سالم، فكان من الشجعان المعدودين في المدينة، وتوفىٰ سنة ١٣١٢هـ، وأعقب ثلاثة رجال، هم: حسين المترجم له، وحسن، وهاشم.

مولده

ولد السيد حسين سنة ١٣٠٨هـ، من أبوين كريمين، فأبوه السيد هاشم بن صالح جمل الليل من الفرع المكي، وأمه عائشة بنت السيد محمد جمل الليل من الفرع المدني، والدها:

السيد محمد بن زين العابدين بن علوي جمل الليل

نقيب الأشراف في المدينة[١]

وأحد رجالاتها وأعيانها، بل لاأبالغ إن قلت أنه أعين أعيانها في عصره، فجده السيد علوي شيخ السادة، وأحد علماء المدينة وفقائها؛ صال السيد علوي وجال في بلاد العالم، وكان صاحب ثروة، فاشترىٰ الأراضي والأملاك والمزارع، وعمر الدار الشهيرة الكائنة في مقعد بني حسين، والتي يذكرها المؤرخون بفخامتها، وأنها أحد قصور المدينة في وقتها، ويشبهونها بالقلعة فلا يوازيها في المدينة انذاك إلا بيت السادة آل حمزة رفاعي[٢]، وقد أطلعت علىٰ حجج شرعية قديمة تثبت هذه الدور له، ومن أملاكه مزرعة سوالة بجزع قربان، والتي وصلت إليه، وهي في الأصل علىٰ ما يذكر المؤرخ الزيدان[٣] انها من أملاك الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، والحقيقة انني أطلعت علىٰ صك شرعي محفوظ صورة منه في خزانتي صادر من محكمة المدينة سنة ٩٨٨هـ، يذكر تلك المزرعة من ضمن أوقاف نقيب الأشراف السيد أحمد بن سعد الحسيني والذي انقرض عقبه، وقد آلت فيما بعد إلىٰ آل جمل الليل بالشراء الشرعي، وقد آلت ملكيتها اليوم في ملك الغير.

قال الدهلوي في الفيض[٤]: رئيس من رؤساء أهل المدينة المنورة، ونقيب الأشراف بها، كان يشار إليه بالبنان، صاحب رقة ولطافة ومكارم أخلاق ودولة وصولة، انتهت إليه رئاسة المدينة الشريفة.

ومن خلال بحثي توصلت ان السيد محمد كان بمثابة أمير المدينة، وقد تولاها في بعض الأزمنة، وقصة مقتله قصة شهيرة يؤسف عليها، فقد صعد إلىٰ مزرعته الشهيرة

---

(١) فيض الملك ٣/ ١٤٢٤ ترجمة ١١٩٩

(٢) ذكريات العهود الثلاثة ٦٩-٧٠.

(٣) ذكريات العهود الثلاثة ١٥٧.

(٤) رسائل من تاريخ لمدينة ٤٣، فيض الملك ٣/ ١٤٢٤.

سوالة، وكان علىٰ العادة يجتمعون الناس إليه، إلا أنه في أحد الأيام كان منفردًا، فدخل ثلاثة أشخاص من البدوان العربان من أهل ذلك الوادي يقال لهم: السكانية، فقطعوه بعد أن ذبحوه ظلمًا ومثّلوا به، وكان منفردًا، فركب جملة من أهل المدينة المنورة وفزعوا بالسلاح وجملة من العساكر فلم يظفروا بهم، وكان ذلك سنة **١٢٨٥**هـ،فمات مؤسفًا عليه، وحزنت المدينة لمقتله ورثاه المدنيوين، وغيرهم.

نعود ونواصل الحديث عن السيد حسين المترجم له.

نشأته

ولما كانت نشأته في هذه الأسرة النسبية المحافظة، تشرب منذ نعومة أظفاره الأخلاق الإسلامية القديمة، فحفظ كتاب الله، ودرس العلوم العربية، والدينية، فظهرت عليه آثار النجابة والفضل، حتىٰ رقىٰ إلىٰ المحراب، كعادة ابناء المدنيين، وسجل اسمه ضمن الأئمة والخطباء في المسجد النبوي الشريف.

صفاته

كان رحمه يمتاز بحس صادق، وفراسة ملهمة، وملكة اجتماعية، جمع بين الوجاهة والهيبة، ووجه طلق، ولسان ذؤب، فقد كان طويل القامة، ابيض اللون، كث اللحية،لايعرفه المعمرون إلا يتؤك علىٰ عصا اعتاد علىٰ حملها.

جمل الليل من أعيان المدينة منذ صغره

لقد كان لهذا الرجل منذ صغره البروز، فمع تلك الصفات التي جعلته يتخطىٰ لذاته إلىٰ المجتمعات العالية، والتعرف والأتصال بكبار رجال الدولة العثمانية آنذاك، فمنذ كان عمره ستة عشر عام، كان أحد أعيان المدينة الذين شاركوا في التوقيع ضد عثمان باشا في عهد علي باشا مرمحين محافظ المدينة آنذاك اثناء حدوث الفتنة الشهيرة التي حدثت، مما أوصل الأمر إلىٰ الدولة العلية، وابرق أهل المدينة وعددهم **(٤٥)** شخص، يطالبون السلطان عبد الحميد في استانبول بعزل عثمان باشا، وكان السيد حسين أصغر الموقعين، وهذه الفتنة المشهورة والتي سجن فيها أعيان المدينة لمدة

ثلاثة سنوات، وأطلق سراحهم، وقد تكلمنا عن هذه الفتنة بتفصيل في ترجمة الشيخ يحي دفتردار رَحِمَهُ ٱللَّهُ من صفحات كتابنا.

جمل الليل ضمن الوفود

لقد كان السيد حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجل مخضرم، وجدير بما أسند إليه من مهام الدفاع عن المدينة المنورة، فقد عاصر ثلاث حكومات، وكان في مقدمة من يؤخذ برأيهم من المحافظين، والأمراء، مما اكسبه الخبرة والحصافة والدقة والأمانة، فكان من ضمن الوفود الرسمية لأعيان المدينة في أستقبال الضيوف، والمطالبة بالحقوق، وكان محل الأحترام والتقدير، فقد عين عضوًا في هيئة إدارة الحرم النبوي الشريف.

(السيد حسين رجل ولا كل الرجال)

لقد عرف السيد حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمواقفه الشجاعة، فكان رجلًا يقوم علىٰ نصرة المظلوم، وأغاثة الملهوف، وسخر حياته لخدمة الناس، فكم من فقير قام علىٰ أمره، وكم من أمراة أو أرملة عنىٰ بشأنها، ولقد كان لهو الدور الكبير في أجراء الكثير من الأتصالات لتسهيل خروج اهل المدينة وسفرهم بالقطار إلىٰ سوريا وتركيا، وغيرها اثناء الحصار المشهور بـ(سفر برلك)، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريب من جميع طبقات المجتمع، فقد حدثني أخي الشريف باسم أنه سأل أحد الأشخاص من العامة عن السيد حسين، فأجابه الرجل بقوله: (السيد حسين رجل ولا كل الرجال).

وفاته

لقد عاش السيد حسين طيلة حياته يعمل علىٰ خدمة المدينة وأهلها، فكان من ابنائها البررة، يعمل علىٰ نصرة المظلوم، ورد الحقوق لأهلها، فأخبرني من سألتهم عن خبر وفاته، أنه كان يقود السيارة بنفسه، وفي آخر حياته حدث له حادث انقلبت السيارة به وهو يقودها، فبقىٰ بعدها في منزله، حتىٰ أدركته المدينة في يوم الأربعاء الموافق **١٣**شعبان سنة **١٣٨٧**هـ، ودفن في البقيع وشهد جنازته موكب كبير حضره العلماء والأعيان والوجهاء، وودعت المدينة يومها رجلًا من رجالها المخلصين الأحرار.

وقد أعقب السيد حسين، ولد واحد: هو السيد عبد الوهاب، له عقب في المدينة اليوم، وبنتين بارك الله فيهم.

رحم الله السيد حسين جمل الليل رحمة واسعة واسكنه الفردوس الأعلىٰ.



السيد حمزة بن أبو الحسن الرفاعي(١)

وجيه المدنيين

هو السيد حمزة بن أبو الحسن بن أحمد بن منصور بن إبراهيم بن قاسم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الرفاعي.

بيت الرفاعي

بيت السادة آل الرفاعي بيت كبير وبالفضل شهير، أهل خلوة وجلوة، ولا ينعتهم المدنيين بآل التعريف فيقولون فلان رفاعي، والسادة الرفاعية من بيوتات المدينة العريقة في الحسب والنسب، بيت متقادم ارتبط اسمهم بمشيخة الحرم، فكانت لهم فيها صولة، وفي الطريقة الرفاعية جولة، لهم في الشرافة استفاضة، فنسبتهم هاشمية وعشيرتهم رفاعية.

أقول: وأصل هذا البيت شيخ الحرم النبوي الشريف: السيد أحمد الرفاعي بن محمد بن أحمد بن شرف الدين بن عبد القادر بن سراج الدين عمر بن عبد الرحيم بن

(١) ترجمة الشيخ محمد سعيد دفتردار مجلة المنهل ٥/ مجلد ٢٨ ص٥٢١، طيبة وذكريات الآحبة ٢/ ٢٦.

عبد الله المطيع بن منصور أبو الصفا بن أحمد نجم الدين الأخضر بن علىٰ مهذب الدولة بن سيف الدين عثمان بن حسن بن محمد عسلة بن علي الحازم بن أحمد بن علي المغربي بن السيد الحسن الأصغر رفاعة بن علي بن محمد المهدي بن الحسن الأكبر بن القاسم بن الحسين بن أحمد الأكبر بن موسىٰ أبي سبحة بن إبراهيم المرتضىٰ الأصغر بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام[1].

قال الأنصاري في تحفته[2]: أصلهم الشيخ إبراهيم المصري الفيخراني الرفاعي طريقة، قدم المدينة المنورة في حدود سنة ١٠٠٠ هـ، وكان رجلًا صالحًا مباركًا من الأخيار، وصنعته الفخار.

وقال في الحجار في مختصره[3]: أدركت منهم السيد أحمد وأولاده، ولم أقف علىٰ شرفهم، لأن المؤلف الأنصاري ماذكرها، وهم يقولون إنهم سادة، وإنهم من أولاد سيدي أحمد الرفاعي، والمؤمنون مؤتمنون علىٰ أنسابهم.

أقول: أختلط أمر هذا البيت علىٰ الأنصاري صاحب التحفة وتبعه الحجار، فغابت عليهما شرافتهم، وتوهما في تاريخ قدومهم سامحهم الباري، فالأنصاري جعل أصلهم الشيخ إبراهيم المصري الفيخراني الرفاعي طريقة، وقال: قدم المدينة المنورة في حدود سنة ١٠٠٠هـ؛ وتبعه الحجار في وهمه بالتعجل والتسرع دون تحقق وتثبت، وغيبا شرفهم الظاهر، فكم من أسر غاب شرفها علىٰ الأنصاري وكذا الحجار بسبب عدم التثبت والتدقيق، فما فات علىٰ الأنصاري، كان علىٰ الحجار تمحيصه ولا يكون كحاطب الليل، وكان عليه عدم الركون لقول الأنصاري وحده، فالبيت كبير وذكره شهير.

وقد تتبعت الأمر لأن في قول الأنصاري والحجار ما لا يوافق ما وقفنا عليه من مخطوطات ووثائق ومستمسكات تخص تاريخ المدنيين منذ مئات السنين، ولعل قرمية الأنصاري قد غيبت الكثير ممن كان في المدينة وذلك ليس تقصيرًا من كاتبها بل اننا

(١) انظر ما كتبناه في كتابنا الأصول عن السادة الرفاعية ص١٠٥-١٠٩.

(٢) تحفة المحبين ٢٤٩-٢٥١.

(٣) مختصر القرمية ٥٦.

نقول ان الكمال لله وحده، فكم ترك الاول للآخر.

أقول: مستعيناً بالله بأن تاريخ السادة آل الرفاعي ليس كما ذكر الأنصاري فكيف يكون تاريخ قدوم الشيخ ابراهيم المصري (الفيخراني) الرفاعي سنة **١٠٠٠**هـ، علىٰ ما ذكر الأنصاري، والثابت أن والده السيد أحمد الرفاعي كان شيخ للحرم النبوي أيام تجديد بناء سور المدينة المؤرخ في حدود سنة **٩٣٩**هـ، كما ذكر ذلك المؤرخ المدني محمد خضر الرومي الحنفي وهو من أعلام القرن العاشر الهجري في كتابه التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة[١]، وما دام الشي بالشي يذكر فالمؤرخ الرومي هو شقيق جد آل الياس المدنيين البيت الكبير المتقادم المشهور بالفتوىٰ، وهو الذي نعت السيد أحمد الرفاعي والد إبراهيم في كتابه بالسيادة والمشيخة للحرم، إلا أن الأنصاري وهو من أعلام القرن الثاني عشر أهمله، واهمل خبره فنسب البيت لابنه إبراهيم (الفيخراني) الرفاعي، ونسب البيت الىٰ مهنة الإبن وجعل الرفاعي طريقة، وفي ذلك اشتباه وإختلاط ظاهر، وبتتبع كلام الحجار والذي دل علىٰ شهرت السيد أحمد المذكور بالسيادة، وشرفهم عند المدنيين مستفيض معلوم؛ وقد بينا شهرتهم بالسيادة قبل كتاب الأنصاري بقرنين من الزمان، والله العالم.

أقول: ولهذا البيت هجرة إلىٰ بلاد المغرب العربي، وبالتحديد إلىٰ القطر الجزائري كما علمناه، ولعلهم حطوا رحالهم بأرض مصر في طريق عودتهم إلىٰ الحجاز كما ذكر الانصاري، والله العالم.

والصحيح عندي كما بينا أن أصل هذا البيت ورأسه هو السيد أحمد بن محمد الرفاعي، الذي أعقب من ابنه: إبراهيم (الفيخراني) الرفاعي.

قال ابن الصديق في أسره[٢]: **آل الرفاعي** وهم من سكان المدينة المنورة ولهم شهرة واسعة وبيتهم بيت فضل وأدب وهناك قوم يحملون هذا الاسم يقطنون في اليمن وغيره من البلدان لكنهم لا يمتون اليهم بصلة وهذه الاسرة الكريمة من قريش من بني هاشم ومنهم الآن بالمدينة المنورة السيد ابراهيم الرفاعي والسيد حاتم كاظم الرفاعي وغيرهما.

---

(١) رسائل في تاريخ المدينة ١٩٥.

(٢) الاسر القرشية ٢٠٣.



السيد إبراهيم بن أحمد بن محمد الرفاعي الشهير بالفيخراني[1]

فكان رجلًا صالحًا مباركًا علىٰ نهج آباءه في المسلك يقيم الذكر علىٰ الطريقة الرفاعية في زاويته بالحوش الكبير المعروف باب السلام والفاخور الذي بجنبه وقد أوقفه علىٰ اولاده.

وعقبه من رجلين، هما: محمد، وعلي.

وأما علي بن إبراهيم الرفاعي، فأعقب رجل واحد، هو: محمد.

أما محمد بن علي بن إبراهيم الرفاعي، كان رجلًا مباركًا، وأعقب من ابنه بركات (الأسطىٰ الحريري).

وأما بركات الأسطىٰ بن محمد، فأعقب رجلين، هما: محمد علي، وحمزة، ولانعرف لهم عقب اليوم، وخبرهم غائب عنا ولا نعلم عن أمرهم شي اليوم.

أما محمد بن إبراهيم الرفاعي، فأعقب من ابنه قاسم وحده.

وأما قاسم بن محمد بن إبراهيم الرفاعي، فأعقب رجلين هما: إبراهيم، وقاسم؛ وسبعة إناث، هن: طاهرة، ووهبة، وخديجة، وصالحة، وأم هاني، وسلمىٰ، وفاطمة.

أما قاسم بن قاسم بن محمد بن إبراهيم الرفاعي، توفي سنة ١١٤٥هـ، وأعقب بنتًا واحدة، فأنقرض عقبه.

وأما إبراهيم بن قاسم بن محمد بن إبراهيم الرفاعي، كان من أصحاب الأموال وكانت له دار كبرىٰ يسكنها في واجهة حوش قرة باش.

وأعقب ثلاثة رجال، وهم: علي، ومحمود، ومنصور.

أما علي بن إبراهيم بن قاسم، فأعقب بنتًا واحدة، فأنقرض عقبه.

وأما محمود بن إبراهيم بن قاسم، فلانعرف له عقب اليوم، والله العالم.

أما منصور بن إبراهيم بن قاسم، فاعقب من ابنه أحمد وحده.

---

(١) تحفة المحبين ٢٤٩-٢٥١.

السيد أحمد بن منصور بن إبراهيم الرفاعي

وأما أحمد بن منصور بن إبراهيم، فكان أحد ارباب مشايخ الطرق في الحجاز صاحب مسلك ومشرب، وسلك الطريقة الشاذلية الدرقاوية، وأعقب ثلاثة رجال، هم: محمد، وأبو الحسن، وإبراهيم.

قال الرواس في بوارقه(١): وعجبت لرجلين في المدينة الأول اسمه أحمد هو من بني الرفاعي وفيه شمت من شمات الفتح، وحال عجيب من حال الحب، وداعيةإلىٰ الله تعالىٰ فأنه مع أشتغاله بطريقة آبائه الأعلام تشذل أي اعنىٰ أنتسب للطريقة الشاذلية ولم يعلم أنها فرع من فروع طريقة جده والإناء واحد والمائدة واحدة

وقال في موضع آخر(٢): إما السيد أحمد فيؤول إلىٰ القطب السيد منصور أبي الصفا الرفاعي رضي الله عنه.

---

(١) بوارق الحقائق ٢٦٨.

(٢) بوارق الحقائق ٢٧٠.

السيد محمد بن أحمد بن منصور الرفاعي

احد أعلام البيت الرفاعي ونخبتهم

ولد ليلة الثامن من ذي الحجة سنة ١٢٤٦هـ بالمدينة، ونشا علىٰ طريقة اباءه الكرام، فأدرك المشايخ العظام، وترعرع في العلم والأدب، وسلك من الطريق ما كان عليه الاباء، له قصائد غرر وجواهر درر، منها البديعية المنسوبة إليه، والمولد النبوي الشريف.

قال الدهلوي في الفيض[1]: الفاضل الكامل الأديب، نخبة آل البيت الطاهر، وأعجوبة هذا العصر الفاخر.

ولم يزل علىٰ حالة مرضية إلىٰ أن توفي بالمدينة المنورة سنة ١٢٩٤هـ، ولانعرف له عقب، والله العالم.

وأما إبراهيم بن أحمد بن منصور كان حي سنة ١٣٢٦هـ، وتولىٰ نظارة وقف خضر جلبي.

أما أبو الحسن بن أحمد بن منصور، فأعقب من ابنه حمزة وحده، وهو صاحب الترجمة.

نعود للحديث عن مترجمنا بعدما فصلنا في تاريخ بيت السادة آل الرفاعي.

مولده

ولد المترجم له السيد حمزة سنة ١٢٨٢هـ بالمدينة المنورة، في دار والده السيد أبو الحسن الرفاعي، لأبوين كريمين، فأمه الشريفة فاطمة بنت السيد احمد السمهودي وقد اعتنيٰ بتربيته فربايابها تربية صالحة، وقد باركا الله لهما فيه فأصبح علىٰ المامؤل أحد رجالات المدينة وأعيانها.

وصفه

كان رَحِمَهُ اللهُ أبيض البشرة، خفيف العارضين، له عينان جميلتان بين الزرقة والخضرة،

---

(١) فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي ٣/ ١٨٥ ترجمة ١٢٧٦.

لا هو بالطويل ولا بالقصير ربعة، حلو الحديث، متكلمًا، خفيف الصوت، يرتدي الجبة الانقورية، وفي بعض الاحيان العباءات، من تحتها الشاية، يتحزم عليها بالسليمي وهو زي شيخ الحرم في العادة قديمًا.

تعليمه

حفظ القران الكريم في اروقة المسجد النبوي الشريف وأتمه، ثم بدا ينهل من مناهل الدروس بالحرم، والجلوس في حلقات كبار علماء المسجد يتلقىٰ عنهم العلوم، وبالأخص المذهب الشافعي فدرس الفقه وعرف أحكامه حتىٰ أجازه العلماء فاصبح أحد علماء المدينة الذين اقتصر دورهم علىٰ الجلوس من بين البيت والمسجد يقضىٰ للناس حوائجهم.

مشيخة الطريقة الرفاعية

وقد انتهت إليه بعد وفاة ابيه مشيخة الطريقة الرفاعية بالمدينة، فكان يزوه مريدي الطريقة من انحاء العالم الإسلامي في زوايته الشهيرة بزقاق البدور شرقي المسجد النبوي الشريف والتي تعرف بزاوية الرفاعي، ويتولىٰ هو بما اتاه الله من الصلاح والبركة بإقامة الذكر بالمنهج القويم علىٰ ما ورد من الكتاب والسنة بالاستغفار والدعاء والصلاة علىٰ النبي.

مكانته ووجاهته المدنية

عرف السيد حمزة بصفته أحد وجهاء المدينة وأعيانها بين طبقات المجتمع فكانت له كلمة مسموعة يثق فيه الحكام فكان قد رحل الىٰ الاستنانة بدعوة من حكامها فقلىٰ الحفاوة والتكريم، وقد كان مجلسه لا يخلو من مساعدة الناس ومن يقصده من طلاب العلم، وعلاقته بالقضاة فكثيرًا من المشاكل بين الاسر والأصدقاء والشركاء إذا اختلفوا، ارتضوه حكمًا بينهم آتاه الله هيبة ووقار بين الناس، ولم يكن ذلك علىٰ مستوىٰ المدينة والحجاز فحسب بل ان كثيرًا من أهل الاقطار الاسلامية يقدرونه فلا يكاد يزور المدينة عالم او مسئول من رجالات الدول إلا وقد تعمد زيارته والإلتقاء به، وله في ذلك مواقف كثيرة، ومما اطلعت عليه: أن العالم الجزائري القطب محمد

بن يوسف أطفيش حينما زار المدينة حاجًا في عام **١٣٠٣**هـ، رغب في إلقاء الدروس بالمسجد النبوي، فتوسط السيد حمزة لدي الشيخ محمد بالي الحنفي مفتي المدينة المنورة آنذاك، فوافق المفتي علىٰ طلب السيد حمزة بأن يقيم القطب أطفيش دروسه في الروضة الشريفة بالمدينة المنورة في تفسير خواتم سورة البقرة ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ إلىٰ ختام السورة لمدة ثلاثة أيام أمام جمع من علماء المدينة المنورة.

الرفاعي من مشاهير أدلاء المدينة

وكعادة المدنيين وبما أكرمهم الله بجوار سيد المرسلين وخدمة زوار سيد الخلق فقد كان له تقرير دلالة حجاج بلاد الجزائر العربي، ويعرف هناك بمرشد الميزابيين ودليلهم في المدينة.

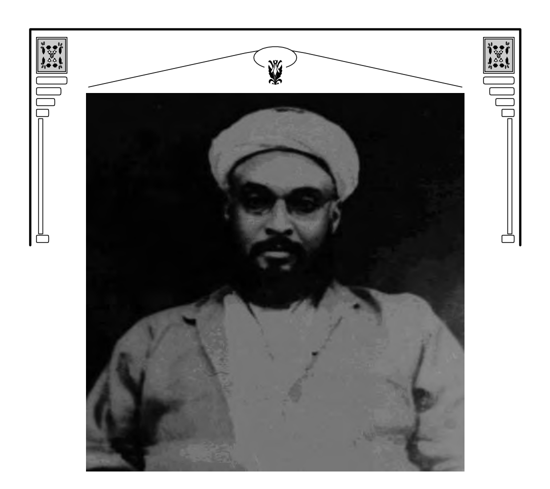
وفاته

عاش السيد حمزة حياته بين البيت والمسجد فلا يعرفه الناس الا في المسجد لا يفارق مصلاه وفي البيت يخدمه أبناءه، أو تراه في مزرعته الشهيرة بقرب مسجد قباء والمسمىٰ بـ(الجزع) يتجول بين نخيلها وسواقيها، وهي عادة المدنيين منذ عهد النبوة لما بارك الله لهم في أرضها ونخيلها، هذه هي حياة أعلامنا من المدنيين، وماكان لهم من الدور في بناء المجتمع فرحم الله السيد حمزة الرفاعي فقد كان من رجالنا ووجهائنا الذين رحلوا وبقية سيرتهم العطرة، فقد أدركته المنية يوم الأربعاء الموافق **١٤** من شهر رجب سنة **١٣٦٦**هـ.

وإليه ينتهي السادة آل الرفاعي الموجودين في المدينة اليوم، وأعقب تسعة رجال، هم: أحمد عميد البيت الرفاعي بالمدينة، وهو وارث البيت في مشيخة الحرم[١] وهو آخر من تقلد هذه الوظيفة ممن إدركناهم في الصغر وسمعنا ذكرهم، وعبد الله، وأبو الصفا، وأبو الهدىٰ، وحسن، وكاظم، ومحمد، ومنصور، وإبراهيم، ، وعدة بنات، ولهم ذرية بارك الله فيهم.

---

(١) الجواهر الحسان ٢/ ٦٦٧-٦٦٨ ترجمة ٣٠١، التراويح اكثر من الف عام ٩٦، تاريخ معالم المَدَينة المنورة قديمًا وحديثًا ١٧٧.



الشيخ حمزة الأركوبي[١]

هو حمزة بن خضر بن عبد الرحمن الأركوبي.

بيت الأركوبي

أسرة مدنية فاضلة عرفت بطيب الذكر وحسن السمعة، أصلهم الأفندي الشيخ عبد الرحمن الأركوبي زاده كان امامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي الشريف، توفي بالمدينة المنورة سنة **١٢٧١**هـ وأعقب ذرية مباركة كانوا من الائمة والخطباء، وبيت الأركوبي، منتشرون اليوم في المدينة المنورة وجدة والرياض منهم الاطباء والأستاذة الجامعيين وموظفي الدولة وقد أدركت منهم الأستاذ حمزة بن عبد الكريم أركوبي والشيخ أسيد بن عبد الرحمن بن خضر أركوبي، الشيخ عبد الغني بن عبد الرحمن أركوبي، وغيرهم بارك الله فيهم وفي ذراريهم ومتعهم بالصحة والعافية.

---

(١) ترجمة زودني بها الأستاذ حمزة عبد الكريم أركوبي مدير شؤون الموظفين بمطار المدينة المنورة، فله شكري وتقديري علىٰ حسن تعاونه معي، طيبة وذكريات الأحبة ٢/ ١٨٣.

الأفندي عبد الرحمن بن خضر الأركوبي

جامع تاريخ الائمة والخطباء

العلاّمة الإمام الخطيب الحنفي عبد الرحمن بن خضر بن عبد الرحمن الأركوبي أحد خطباء المسجد النبوي الشريف والمدرس فيه باشر الإمامة في **١٣٠١**هـ، وقد قام الشيخ عبد الرحمن بعمل نفيس سجل فيه وحفظ تأريخ الائمة والخطباء، فكتب سجل باسماء الائمة والخطباء ومن باشر الإمامة والخطابة توفي **١٣١٠**هـ رحمه الله تعالىٰ.

الأفندي خضر بن عبد الرحمن الأركوبي

العلاّمة الإمام الخطيب الحنفي خضر بن عبد الرحمن الأركوبي أحد خطباء المسجد النبوي الشريف والمدرس فيه رحمه الله تعالىٰ توفي **١٣٣٣**هـ.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل الأركوبي ونعود ونواصل الحديث عن الشيخ حمزه.

مولده

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمدينة المنورة سنة **١٣٠٠**هـ من الهجرة النبوية المباركة في عهد الدولة العثمانية، ونشأ وترعرع في بيتهم الشهير والفضل.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبيض اللون، متوسط القامة، واسع العينين، أقنىٰ الأنف، عريض الجبهة والمنكبين، كث اللحية، يرتدي نظارة طبية، يلبس الجبة والعمامة البيضاء، وهذا زي العلماء المدنيين في ذلك العصر.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ متواضعًا لا يحب الشهرة، هادئ النفس، عرف بالعفة والنزاهة، عليه مهابة العلماء ووقارهم، داعيةً في سبيل الله، متضلعًا في المذاهب الأربعة.

تعليمه

عندما بدأت ملامح النجابة والنبوغ تظهر علىٰ الشيخ حمزة ألحقه والده كأقرانه بالكُتّاب في ذلك العصر لحفظ القرآن الكريم في كتاب الشيخ الفاضل إبراهيم الطرودي فحفظ كتاب الله في مدة وجيزة وأتم بعض القراءات مع حفظه لبعض المتون.

وبعد ذلك عكف الشيخ الأركوبي علىٰ حلقات المسجد النبوي الشريف والتي كانت تمتلئ بجهابذة العلماء، فبدأ الشيخ الأركوبي بحضورها حلقة تلو الأخرىٰ وأخذ العلم من مناهله العذبة الصافية؛ فدرس أولًا علىٰ يد والده الذي كان مدرسًا في المسجد النبوي، ثم التحق بحلقة العلامة الجليل الأديب الأريب عبد الجليل برادة[١] ودرس عليه نفائس كتب الأدب مثل الكامل للمبرد وديوان الحماسة وأدب الكاتب لابن قتيبة وديوان المتنبي وآداب القالي وغير ذلك، وقرأ عليه شيئًا من الفقه الحنفي، ثم درس علىٰ يد الشيخ المحدث حبيب الرحمن الكاظمي وكان أستاذا للعلوم السائدة في عصره، ثم درس علىٰ يد العلامة الفاضل علي بن ظاهر الوتري صحيح البخاري ومسلم، ومشكاة المصابيح. ثم درس علىٰ يد العلامة المجاهد الزعيم الكبير حسين أحمد بعضًا من كتب الفقه وشيئًا من التفسير، ثم التحق بحلقة العلامة الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي[٢] مفتي الشافعية في مدينة خير البرية، ثم التحق بعد ذلك بحلقة الشيخ إبراهيم الأسكوبي ودرس عليه الفقه والتفسير، وبعد ذلك التحق بحلقة العلامة الشيخ درويش قمقمجي ودرس علىٰ يديه فن المناظرة والتوحيد، وفي تلك الفترة حضر إلىٰ الحجاز العلامة الجليل ألفا هاشم الفوتي[٣] فدرس علىٰ يد الشيخ دروسًا في الحديث والتراجم والتفسير، كما درس في حلقة العلامة المعمر فالح الظاهري المهنوي وقد أخذ عنه كثيرًا من الأسانيد، وحضر دروس العلامة الشيخ ملاّ سفر الكولابي وغيرهم.

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.
(٢) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.
(٣) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

لقد درس الشيخ الأركوبي كثيرًا من العلوم كشرح الميداني علىٰ شرح القدوري، وقرأ كفاية العوام للفضالي الشافعي مع حاشيتها، وسمع الأحاديث المسلسلة ونال إجازات فيها، ثم قرأ في الفقه الحنفي وتبحر فيه، وقرأ أيضًا في كتب الشافعية والمالكية والحنابلة إضافة إلىٰ مذهبه.

دروسه بالمسجد النبوي

لقد انصرف الشيخ الأركوبي يطلب العلم وهو يافع السن فقرأ في العلوم ما قرأ، وكان لا يريح نفسه ابتغاءً للتفقه في هذا الدين، فلمح فيه شيوخه الجدّ والمواظبة، فأجازوه إجازة عامة في بث العلم ونشره، فأفاد الطلاب بالجلوس والتدريس والتعليم بالمسجد النبوي الشريف وهو لا يزال صغير السن، وعقد للعلم حلقة يفيض فيها من علمه الواسع، وهرع إليه الطلاب ليستفيدوا ويستزيدوا من علمه، ولم تكن حلقته من تلك الحلقات الكبيرة ولكني أعتقد أن صوته كان مسموعًا يدوي في رحاب المسجد النبوي الشريف، وكانت مجمل دروسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفقه الحنفي.

الأركوبي إمام وخطيب

وبالرغم من أن الشيخ حمزة كان مدرسًا بالمسجد النبوي الشريف إلا أنه عُين إمامًا وخطيبًا به بأمر من شيخ الأئمة والخطباء بالمسجد النبوي الشريف الشيخ العلامة يحيىٰ دفتردار[١]، وكان ذلك في أواخر الحكم العثماني، واستمر مدة حكم الأشراف[٢] وبداية العهد السعودي حيث اقتصرت الحكومة السعودية علىٰ إمام واحد يؤم المصلين جميعهم وأعفي الشيخ الأركوبي من الإمامة والخطابة، فاقتصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ التدريس بالمسجد النبوي الشريف.

أما عن خطبه فقد ذكرها المؤرخون كثيرًا، ومن الذين ذكروها وتحدثوا عنها الأستاذ الأديب الكبير محمد حسين زيدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد كان الإمام والخطيب المصقع بالحرم النبوي، وكان كلما خطب علىٰ المنبر النبوي الشريف يجلجل صوته ويحرك

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

(٢) ذكريات العهود الثلاثة ٤٢.

القلوب المتحجرة، ويجعل أعين المصلين تفيض من الدمع من خشية الله، فهو يجمع بين القوة والرقة والصدق رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

خروجه من المدينة

وفي أثناء قيام الحرب العالمية الأولىٰ وخروج أهل المدينة منها المعروف (بسفربرلك) أو (تسفير فخري) كان الشيخ حمزة الأركوبي من ضمن من خرج هو وعائلته إلىٰ الشام ومكث هنالك قرابة ثلاث سنوات وهي مدة الحرب، وفي بلاد الشام علم طلاب العلم بمكانته الدينية والعلمية، فقصدوه وأخذوا عنه، وأفاد هو بكل ما في وسعه، والحقيقة أن أغلب علماء المدينة خرجوا إلىٰ الشام، ففي نظري أن بلاد الشام تأثرت بالعلم المدني فكأنما نقلت تلك الحلقات إلىٰ هناك بسبب ظروف الحرب؛ وعندما انتهت الحرب عاد الشيخ وعائلته إلىٰ المدينة المنورة، وواصل حياته كما هي في السابق، وعادت حلقته العلمية تعطي ثمارها يانعة لطلاب العلم.

الأركوبي داعية مدني

وتميز هذا العالم المدني بحب السياحة الدينية فقد كان مولعًا بالسفر إلىٰ البلاد الإسلامية، والبقاء في تلك البلاد فترات طويلة يعلِّم فيها أبناء المسلمين العقائد الصحيحة، فهو ابن الحرمين الشريفين وأهلهما بعيدون كل البعد عن البدع والخرافات، ومحاربين لها في أناة وحكمة، وكان محبوبًا في البلاد التي يقصدها، وقد أفاد وانتفع به العباد.

ولم تكن تلك الرحلات في ذلك الوقت سهلة وميسورة لا، بل العكس كانت مشيًا علىٰ الأقدام أو علىٰ الدواب إن وجدت، ولكن الشيخ الأركوبي كان يدعو إلىٰ العمل الصالح ويطلب الأجر والثواب من عند الله ولا يألو في ذلك جهدًا ولا يشكو من نصب.

مكتبته وآثاره

لقد كان الشيخ الأركوبي مطلعًا واسع المعرفة، وقد جمع مكتبة تحتوي علىٰ نفائس الكتب، وعندما سألت حفيده الأستاذ حمزة أركوبي عن المكتبة قال لي إنه لا يعلم عنها شيئًا وإنه قد جهل مصيرها.

كذلك لم أتوصل إلىٰ أسماء تلاميذه وذلك لبعد الفترة الزمنية، كذلك فإن الرجل لم يؤلف من مؤلفات ولكنه خلف سيرة عطرة، وكان رحمه الله يسكن في حارة الأغوات بحي ذروان وقد أنجب رحمه الله ثلاثة أبناء هم: محمد وعبد الكريم ومحمود واثنتين من الإناث رحمهم الله جميعًا.

وفاة الأركوبي

وبعد هذه الحياة المليئة بالأعمال الصالحة النافعة توفي الشيخ حمزة الأركوبي غريبًا عن وطنه بعيدًا عن أهله وأحبابه في بلدة «بورما» في مدينة «رانجون» سنة ١٣٥٥هـ رحمه الله تعالىٰ رحمة الأبرار كفاء ما قدّم لأمته من جلائل الأعمال وأخلدها.



الشيخ حميدة الطيب(١)

هو حميدة بن الطيب بن علال التواتي الإبراهيمي الحسني المالكي المدني، ولد رحمه الله بالجزائر سنة ١٢٨٨ من الهجرة النبوية المباركة ببلدة عين بسام(٢)، ونشأ الشيخ حميدة نشأة صالحة فهو من أسرة عرفت بدفاعها عن الدين الإسلامي الحنيف أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر وقد عرفت هذه العائلة الفاضلة بكثرة العلماء والمحدثين فيها وكان أفرادها ينشرون دعوتهم سرًا لمقاومة الاحتلال الفرنسي الغاشم علىٰ الجزائر وقد لقوا الكثير من ألوان التعنت والاضطهاد.

كان الشيخ رحمه الله متوسط الطول، أبيض اللون، واسع العينين، عريض الجبهة، تزين وجهه لحية بيضاء، يرتدي العمة ويضع فوقها الغترة، ويلبس الجبة، يتسم بنظرة رقيقة حانية.

---

(١) تنظر ترجمته في جريدة المدينة المنورة (١١-٠١-١٣٧٩هـ) بقلم الشيخ محمد دفتردار، ، الأعلام للزركلي (٢-٢٨٣-٢٨٤) المدينة المنورة في التاريخ، عبد السلام هاشم حافظ (ص ١٧٢)، الجواهر الحسان ٢/ ٦٧٣ ترجمة ٣٠٦، قضاة المدينة ١/ ٦٢.

(٢) من كبرىٰ بلديات البويرة الجزائرية تبعد عن الجزائر العاصمة حوالي ١٢٠ كلم، من ناحية الشرق تحيط بها عدة مدن صغيرة كالهاشمية وعين العلوي والخبوزية والروراوة وسوق الخميس وبئر غبالو.

أما عن صفاته وما اشتهر به بين الناس فكان متواضعًا، دمث الأخلاق، من العلماء الأعلام، واسع الاطلاع، هادئ الحديث، يكره الملق والتكبر، راجح العقل، اشتهر بالعفة والنزاهة.

تعليم الشيخ حميدة

عندما بلغ شيخنا سن التعليم بدأ بحفظ القرآن الكريم حتىٰ أتمه علىٰ روايتي ورش وحفص وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره[١]، ثم بدأ بالدراسة في معهد إسلامي مشهور بالجزائر يعرف بـ«زاوية الهامل»[٢] ويعد هذا المعهد من أكبر المعاهد حيث يصل عدد طلابه في تلك الفترة حوالي الألف طالب، وقد تعرضت هذه الزاوية عدة مرات للإغلاق ولكن المجاهدين أبو ذلك.

عندما دخل شيخنا المعهد شرح الله صدره للعلم وانكب عليه فبدأ يتلقىٰ مبادئ العلوم في بعض العقائد والنحو والصرف والفقه ودروسًا في التجويد أداء وقراءة في نظم الجزرية مع حفظه لبعض المتون، ثم لازم العلامة عبد الحميد ابن باديس[٣] فنال عنده حظًا وافرًا ومكانة عالية فأخذ يقرأ مختصر العلامة خليل في فقه المالكية بشرح الدردير والرسالة البيانة له وسيرة ابن هشام وقطعًا من أشعار الصحابة وديوان النابغة والمعلقات السبع وسنن أبي داود وقرأ تفسير الجلالين وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل ودروسًا في سلم الأخضري في المنطق ودروسًا في السعد البياني وحصل من بعض الشيوخ علىٰ قسم من موطأ الإمام مالك بشرح الزرقاني وشيء من مختصر العلامة خليل في الفقه وبعض من ألفية ابن مالك بشرح الأشموني ثم قرأ القطبي علىٰ الشمسية، وبعد ذلك بدأ بدراسة بعض العلوم مرة ثانية مثل النحو والبيان والفقه

---

(١) عن شيخ اسمه المختار.

(٢) تقع علىٰ مسافة ١٠ كلم عن بوسعادة بالجزائر أسسها الشيخ محمد بلقاسم الهاملي سنة ١٨٤٩م. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي (٣/ ٢١٨-٢٢٣).

(٣) هو الإمام عبد الحميد ابن باديس المتوفىٰ سنة ١٣٥٨ه من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين درَس في جامعة الزيتونة، ونال منها الشهادة العالمية، ثم داعية إسلاميا ومجاهدا ضد الاستعمار الفرنسي.

والحديث والتفسير والفرائض والصرف والتاريخ الإسلامي وختم كتبًا كبيرة مثل موطأ الإمام مالك وصحيح مسلم وسيرة ابن هشام وختم مطالعة كثيرًا من الكتب الكبيرة والصغيرة منها فتح الباري شرح صحيح البخاري كله للحافظ ابن حجر والإصابة والدرر الكامنة ولسان الميزان والاستيعاب لابن عبد البر وأسد الغابة في تراجم الصحابة والكامل في التاريخ لابن الأثير وتاريخ ابن جرير وكثيرًا من التفاسير وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن الوردي وابن الفداء وتاريخ ابن خلدون بمقدمته وتذكرة الحفاظ للذهبي وطبقات الفقهاء الشافعية لابن رجب وطبقات المالكية لابن فرحون وغير ذلك من العلوم الفقهية وقرأ أيضًا عقود الجمان، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي وغير ذلك من العلوم، وبعد هذا الجهاد في العلم حصل علىٰ الإجازة من المعهد بالتدريس ونشره في المدن والقرىٰ والبوادي الجزائرية.

هجرته إلى الحجاز

ولما اشتد الفرنسيون في طغيانهم قرر الشيخ حميدة وهو في سن مبكرة من عمره ترك جميع أملاكه وأهله وأقاربه هربًا من وجه الفرنسيين الطغاة لأنه لم يخضع لأحكامهم الجائرة وغاياتهم السيئة في نشر الفساد في تلك البلاد الإسلامية المتمسكة بدينها، وأخذ الشيخ بنشر دعوته سرية لمقاومة الاستعمار بنشرها بين مواطنيه الأحرار فيستجيبون لدعوته فيشعر الفرنسيون بمبادئ الحركة فيقبضون علىٰ الزعماء ويلقونهم في السجون أو يقتلونهم فعندما أحس بتوجه الأنظار إليه فر تحت اسم حميدة التواتي نسبه لجده علال التواتي متوجهًا إلىٰ الحجاز من أجل الله ورسوله ﷺ وكانت الرحلات ذلك الوقت شاقة، فعانىٰ الكثير ونال من المشقة ما نال إلىٰ أن أكرمه الله بالوصول إلىٰ مكة المكرمة البلد الأمين فأدىٰ مناسك الحج وتوجه إلىٰ المدينة المنورة ليزور الرسول ﷺ ويسلم علىٰ صاحبيه حاملًا معه كل أدوات العلم والمعرفة وليزيد علمه ممن عاصرهم من أجلاء العلم والفقهاء والأدباء فتألقت معه القلوب واتسع نطاق معارفه بين الناس وبدأ يشتهر بعلمه بين أهل المدينة المنورة وعلمائها وطلاب العلم فيها.

دروسه في المسجد النبوي الشريف

ولم تمض فترة طويلة حتىٰ أضيف اسم الشيخ حميدة إلىٰ قائمة علماء المسجد النبوي الشريف فتصدر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتدريس فجعل المسجد مأواه طوال يومه وبعض ليله يدرس العلوم الدينية والعربية فتعرف عليه طلاب العلم والتفوا حوله وآثروه علىٰ غيره لما لمسوا لديه من علم غزير وبيان منير وأفاد وانتفع به الكثير وكان يقضي طوال يومه في التدريس والعبادة وله ثلاث حلقات يومية يصلي الفجر ويلتف الطلاب من حوله فيعقد حلقته الأولىٰ ويدرس بها الفقه فإذا ختم الدرس أخذ يدرس النحو الآجرومية مرة والألفية مرة وغيرهما.

وبعد صلاة العصر يلتف الطلاب من حوله وتمتلئ حلقته بطلاب العلم وكان وقتًا مناسبًا حيث يسود الهدوء المسجد النبوي الشريف فلا يوجد به إلا طلبة العلم وقليل من الصالحين وكان يدرس فيها كتب القواعد.

أما عن حلقته الثالثة وهي بعد صلاة المغرب وكانت أكبر حلقاته يحضرها طلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، وفي هذا الوقت كانت ساحات المسجد النبوي كخلية النحل لا تجد موقعًا في المسجد إلا وهناك شيخ ومن حوله طلابه لأن المسجد النبوي كان وما زال المدرسة الأولىٰ أو الجامعة الإسلامية الكبرىٰ إن صح هذا التعبير.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولىٰ والحرب العثمانية المعروفة في عهد فخري باشا[1] بدأ الناس يرحلون إلىٰ الدول المجاورة فكان الشيخ حميدة أحد الذين رحلوا إلىٰ الشام مكرمًا معززًا مع عدد من طلبته وأهله وهناك التقىٰ بعلماء الشام وبدأ يشتهر بين أهلها وأصبحت له حلقة كبيرة هناك وطلاب كثيرون، رغم أن الفترة لم تكن طويلة والتقىٰ الشيخ بالعالم الجليل شيخ أئمة المسجد النبوي الشريف يحيىٰ دفتردار رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكانت بينهما صلة حميمة.

وعندما استقرت الأوضاع في الحجاز وانتشر الأمن والأمان عاد أهل المدينة الذين

(١) انظر ما كتبناه عن الحرب والحصار في ترجمة الشيخ عمر حمدان.

رحلوا عنها وهو من جملة العوائل التي عادت واستأنف الشيخ التدريس ثانية في المسجد الشريف، وعادت حلقات العلم الخاصة به إلىٰ سابق عهدها ثلاث حلقات يوميًا كما ذكرت آنفًا.

وكان الطلاب يفدون علىٰ بيته ليسألوه في مسائل شتىٰ فيستقبلهم بصدر رحب ويحنو عليهم حنو الأب علىٰ أبنائه ويقدم الطالب النبيه منهم ويأخذ بيده ليحتل المقام الأول بين العلماء ويصبح عالمًا كبيرًا فرحمة الله عليه كان لا يقصر في إعطاء العلم وهو مثالٌ للعلماء الأعلام.

الشيخ حميدة قاضيًا

وعندما حل العهد السعودي في عصر المؤسس الأول الملك عبد العزيز آل سعود عين الشيخ حميدة قاضيًا في المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة مع الشيخ إبراهيم بري رحمه الله تعالىٰ، ولكنه لم يستمر في سلك القضاء طويلًا فقدم استقالته وقبلت وذلك ليتفرغ للتدريس ونشر العلم، لأن الشيخ كان من العلماء الذين يفضلون نشر العلم بين الناس ولا يريد أن يشغله شاغل عن ذلك.

حميدة الطيب الشاعر

يعد الشيخ حميدة إلىٰ جانب علمه الديني رائدًا من رواد الأدب فقد كان رحمه الله يحفظ كثيرًا من الشعر في كثير من العصور الأدبية، وكانت له الملكة في تحليل الشعر تحليلًا أدبيًا فنيًا ومع ذلك يرويه لا يكاد يجارىٰ يقول الشعر ويرتجله ارتجالًا وكان يجيد الحفظ ويحب المذاكرة والمطارحة في العلوم والآداب، وهذه بعض الأبيات ارتجلها في بعض ثورات فلسطين.

الله أكبر إن الدين منتصر ... بالله ثم بجند الله والعمل
إن اليهود علىٰ ما جمعوه لنا ... باءت سياستهم بالعار والفشل
كونوا يدا في سبيل الله عاملة ... علىٰ جلائهم في السهل والجبل
أقول هذا وقد قال العليم لنا ... إن تنصروا الله ينصركم علىٰ عجل

أبيات جميلة تبعث الحماس في النفوس وتقوي عزائم الجنود وتدل علىٰ عظمة الدين الإسلامي وأنه منتصر بالله أولًا ثم بالمسلمين وعلينا أن ندافع عنه ونقف أمام اليهود ونكون مع الله ﷻ ليكون الله معنا، وها هو حال المسلمين اليوم من سيء إلىٰ أسوأ وبالنظر إلىٰ القرآن الذي كله حكم ومواعظ استدل الشيخ حميدة بالآية الكريمة «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» صدق الله العظيم.

وكان الشيخ مطلعًا علىٰ المذاهب الأربعة اطلاعًا واسعًا، ويدل علىٰ ذلك فتاواه التي يشرح فيها آراء المذاهب ويقارن بينهما ويورد أدلتها ثم يستخلص حكمه الصحيح علىٰ روح هذه الطريقة مع أنه مالكي المذهب يميل إلىٰ مذهب أهل الحديث.

تلاميذه

لقد درّس الشيخ حميدة بالمسجد النبوي الشريف قرابة أربعين عامًا ولم تكن حلقة الشيخ من الحلقات العادية بل كانت ضمن الطبقات الأساسية وأعني أنه كانت هناك حلقات لشيوخ المسجد النبوي أساسية يعقد كل شيخ عدد حلقاته علىٰ مختلف الأوقات فكان الشيخ حميدة من هؤلاء المشايخ فقد درّس في المسجد النبوي بين سواريه العظيمة وقد ذكر لي الأستاذ والمربي القدير عمر عادل التركي مؤسس مدرسة النجاح بالمدينة المنورة أنه كان يحضر حلقات الشيخ حميدة فيقول عجبًا لأسلوبه في التدريس يؤثر فيك حديثه الجميل وهدوؤه الجم يدخل كلامه إلىٰ القلوب ويجعلها تقشعر من خشية الله ﷻ.

وقد تخرج علىٰ يده العديد من العلماء من بينهم من تولىٰ القضاء ومحاكم المدينة أو غيرها ومنهم من تخصص في التاريخ والأدب كالمرحوم -بمشيئة الله- الأستاذ محمد حسين زيدان والشيخ جعفر فقيه؛ وفي شهر رمضان كان يأتيه أربعة علماء أجلاء من مكة المكرمة هم الشيخ علوي مالكي والشيخ محمد أمين كتبي والشيخ محمد نور سيف والشيخ حسن المشاط يقرؤون عليه السيرة النبوية لابن هشام(١) وله من التلاميذ الكثير والذين لا يمكن حصرهم.

---

(١) أفادني بذلك الأستاذ محمد حميدة رحمه الله ابن الشيخ الوحيد.

بين الشيخين حميدة والعمري

عاصر الشيخ حميدة الكثير من العلماء الجهابذة في الحرمين الشريفين ففي تلك الفترة التي عاشها في منتصف القرن الرابع عشر الهجري عرف المسجد النبوي والمدينة المنورة أزهىٰ عصور الأدب فكانت تقوم بينه وبين الشيخ محمد العمري مساجلات في الأدب ولم تكن هذه المنافسة تحمل الحقد في قلب واحد من الطرفين بل كانت منافسة شريفة غرضها واحد هو نشر الوعي الثقافي؛ والشيخ العمري كان صديقًا حميمًا لشيخنا فهو عالم ديني وهو في نفس الوقت شاعر مشهور عميق الشاعرية وأعتقد أن هذه المساجلات موجودة لدىٰ ابن الشيخ حميدة في أوراق والده الخاصة، ولعله يعمل علىٰ إخراج هذه التحفة الأدبية القيمة، وقد حدثني العم محمد أنه يعمل الآن علىٰ إكمال هذه التحفة.

مؤلفات الشيخ حميدة

للشيخ حميدة مؤلفات قيمة تحتاج إلىٰ الحديث عنها، فقد صنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة مؤلفات غير ما هو يحتاج إلىٰ جمع من أوراق متناثرة كانت موجودة لدىٰ ابنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي كالآتي:

١- **الثمر الداني في التوحيد الرباني**: والكتاب في العقدية السلفية تحدث فيه الشيخ عن حبائل الشيطان التي يقع فيها بعض الجهال والتي ربما تؤدي بهم إلىٰ الشرك.

٢- **التمكين في الوصول لطريق سيد المرسلين**: مؤلف قيم يعتمد فيه المؤلف علىٰ الإرشادات والمواعظ والتوجيه والحث بطريقة جيدة.

٣- **المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك**: مؤلف شرح فيه ألفية النحو شرحًا جمع بين طريقة الإمام ابن مالك والأشموني بأسلوب سلس مفيد وقد أدركته المنية قبل أن ينهيه فقد شرح ثمانمائة بيت من الألفية.

٤- **الآثار في بلدة المختار**: كتاب تاريخي تخطيطي عن جميع الأماكن الأثرية في المدينة المنورة وعن الاتجاهات العلمية في عهود الحكومات التي تداولت علىٰ المدينة.

٥- **آراء في أحوال أهالي طيبة ودمشق الفيحاء**: سجل فيه رحلته في الحرب العالمية الأولىٰ إلىٰ دمشق وقيد انطباعاته من أهالي دمشق ومعاملتهم لأهالي المدينة المهاجرين إليهم.

مكتبة الشيخ حميدة

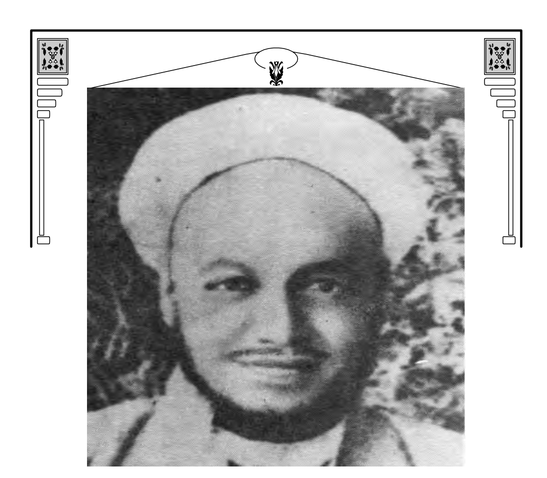
للشيخ حميدة مكتبة قيمة يزيد عدد كتبها عن الألف مجلد تجمع أشتات العلوم، فقد كان الشيخ مطلعًا ينكب علىٰ القراءة لا يملها وقد حلىٰ كتبه التي يقرؤها بتعليقات جانبية والمكتبة موجودة لدىٰ ابنه العم الفاضل محمد حميدة وهو رجل مثقف ذو نفس نزيهة وسيرة حسنة لم يفرط بالمكتبة بل حافظ عليها خير محافظة وأجدها فرصة مناسبة لأقدم شكري وتقديري لحبيبنا العم الفاضل السيد محمد[١] لمساعدته لي في كثير من المعلومات فله شكري وتقديري.

وفاة الشيخ حميدة الطيب

وبعد هذه السيرة الحسنة انتقل ذلك الرجل العابد الصالح إلىٰ جوار ربه في يوم الجمعة المبارك غرة جمادىٰ الثانية من سنة **١٣٦٢**هـ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين وكان يرفض المناصب العليا ولا يريدها رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) السيد محمد بن حميدة الطيب من رجال المدينة الكرام صاحب خلق وديانة ادركته وكانت بيني وبينه محبة ومودة الاب والأبن توفي ﷺ في ١٠/٨/١٤٢٩هـ، وله ابناء سادة كرام بارك الله فيهم وفي ذراريهم.



الشيخ زاهد عمر زاهد[١]

هو محمد زاهد بن عمر بن زاهد بن إسماعيل بن إدريس بن محمد بن عبد الله زاهد.

بيت زاهد

بيت من البيوتات المدنية عرف بالعلم والفضل، وتعرف ذلك في نسبتهم فلقبهم زاهد وأصلهم الأوزبكي، بيت متقادم متعدد الهجر، لم نعرفهم إلا بطيب الذكر ولم يذكرهم المعمرين إلا بذلك، منهم العلماء والخطباء والوجهاء وهم بيت ثابت الوجود الىٰ يومنا هذا، وإليهم كانت تنسب محلة الزاهدية المشهورة اليوم، وليس كل زاهد في المدينة اليوم ينتهي إليهم فهناك بيت صغير مدني يعرف ببيت زاهد وينعتهم المدنيين بيت زاهد الكظلية أو الكظلي من بلاد كازاخستان.

قال الانصاري في تحفته[٢]: بيت زاهد أصلهم الفقيه زاهد البلخي الأزبكي، قدم المدينة المنورة سنة ١٠٨٠هـ.

---

(١) مجلة المنهل سنة ١٣٧٩هـ من صفحة (٣١-٣٢)،طيبة وذكريات الأحبة ١/ ٥١.

(٢) تحفة المحبين ٢٦٦.

أقول: وهو راس البيت، وإليه انتسب بيت زاهد اليوم، كان عالمًا فقيهًا، عرف بصلاحه وتقواه، زاهدًا في عيشه هاجر من أجل الله ورسوله، فاستوطن المدينة، وعقد حلقته لتعليم الصبيان القرآن واتخذ المؤخرة من شمال المسجد الشريف، فأشتهر أمره فدرس عليه ابناء الأعيان من المدنيين، وكان له عليهم فتح عظيم لزهده وصلاحه وحسن عبادته إلىٰ ان توفاه الله، ولم يعقب الا ولدًا واحدًا اسماه محمد، وبنت تسمىٰ فاطمة.

فأما محمد فهو صنو أبيه في العلم والفضل والصلاح، تولىٰ تعليم الصبيان بعد أبيه، وكان له طلبة منهم صاحب التحفة الشيخ عبد الرحمن الأنصاري، ولم يزل بين البيت والمسجد يعلم القران حتىٰ ادركته المنية سنة **١١٤٥**هـ، ولا عقب له الا من ولده عبد الله، وهو بقية البيت في زمانه، فعرف ببركته بين الناس، وتوفي سنة **١١٧٨**هـ ولا عقب له إلا من ابنه مجدد نسبة البيت الزاهدي محمد زاهد كان رجلا حامدًا زاهدًا له من اسمه نصيب سلم المسلمون من لسانه ويده، عمل في صناعة السبح ومنها قوت يومه لا يعرف الا بين دكانه والمسجد وهو علىٰ حاله حتىٰ أدركته المنية سنة **١١٨٦**هـ، وأعقب من ابنه إدريس الذي سكن بلاد الروم فغاب أمر البيت الزاهدي في المدينة بغيابه، وكان عالمًا فاضلًا، اشتغل بطلب العلم، فحصل له المرام من نيل الاجازات ودقة الإسناد، وكانت وفاته غريبًا عن المدينة في بلاد الروم ببلدة آيد نجكلي سنة **١٢١١**هـ.

أقول: وقد وهم الحجار في مختصره عند ذكره بيت زاهد فعدهم من منقرضي التحفة[١]، وتبعه الخطاط جعفر هاشم في تعليقاته[٢]، وقد وفقني الله لتتبع خبرهم والتيقن من أمرهم والتحقق من صحة نسبتهم، وربطهم بأصل ما جاء في التحفة بعد فضل الله والبحث والتحقيق وتقصي خبرهم من أهل البيت نفسه الذين هم أعلم بحالهم والحمد لله.

وأعقب إدريس بن محمد زاهد المذكور من ابنه: إسماعيل «عالم البيت الزاهدي»،

---

(١) مختصر القرمية ٥٩.

(٢) مخطوط تحفة المحبين نسخ الخطاط جعفر هاشم ورقة ١١٢.

الشيخ إسماعيل بن إدريس بن محمد زاهد[1]

رأس البيت الزاهدي وعالمهم

هو إسماعيل بن إدريس بن محمدزاهد بن عبد الله بن محمد بن زاهد

ولد الشيخ إسماعيل في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وحفظ القرآن وجوّده، ثم درس علىٰ يدي والده، وأجازه الكثير من العلماء فحصلت له الأجازة من علماء الشام ومصر، وفي الشام عقد دروسه لطلاب العلم فأفاد وانتفع به العباد.

هجرته

وفي عام ١٢٤٧هـ قرر العودة الىٰ المدينة المنورة، التىٰ بها تاريخ بيته وأسرته، وعندما وصل الىٰ المدينة، التقىٰ بعلماء المدينة ومكة فعرفوه وقدموه، وأجازهم واستجازوه، كالشيخ يوسف الغزي المدني ومحمد العزب المدني وعبد الكريم البخاري ثم المدني والسيد إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي المدني.

دروسه بالمدينة

وصل الشيخ الىٰ المدينة تصدر للتدريس بالمسجد النبوي الشريف، وما لبث حتىٰ طلب للتدريس في مدرسة بشير آغا، واستمر يدرس بالمدينة حتىٰ توفي رحمه الله.

تلاميذه

وكان الشيخ يدرس الطلاب ويلتفون حوله لما له من الاسانيد العالية التي حصل عليها فمن اشهر تلامذته: ابنه زاهد، والشيخ أبي سعيد الدهلوي المجددي العمري، وأجاز ابنه الشيخ عبد الغني إجازة عامة مكاتبة، وأسند له المسلسلات بالمصافحة والمشابكة وغيرها، وقد جمعت أسانيده ومسلسلاته في مجموعته المسمىٰ (أدل الخيرات في الصلاة والسلام علىٰ سيد السادات).

---

(١) فيض الملك ١/ ١٠٩٢، فهرس الفهارس ١/ ١٦٣.

وفاته

عاش الشيخ اسماعيل طوال حياته طالب للعلم محب له، وأصبح مقصدًا لطلبة العلم، تتلمذ علىٰ يده الكثير من علماء المدينة المنورة وقصده الكثير من طلاب العلم من خارجها، فأدركته الوفاة سنة **١٢٥٣**هـ ودفن في بقيع الغرقد رَحِمَهُ اللهُ واسكنه فسيح جناته، وهو أول من رجع الىٰ المدينة بعد هجرة والده منها، وتزوج به، وأعقب ثلاثة أولاد، هم: محمد زاهد الآتي ترجمته، وأحمد، ومحمد.

أما محمد بن إسماعيل: فأنقرض عقبه.

وأما أحمد بن إسماعيل: فمات عن غير عقب.

الأفندي محمد زاهد بن إسماعيل بن إدريس بن محمد زاهد بقية البيت الزاهدي

أما الأفندي محمد زاهد بن إسماعيل فقد لحق هو أخوته بوالدهم من الشام سنة ١٢٥٠هـ، وكان عالمًا فاضلًا حسن الخلق طيب الذكر، تولىٰ التدريس بعد وفاة والده بمدرسة بشيرآغا، ثم صار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد النبوي الشريف، وتوفي بالمدينة في **٩**رمضان سنة **١٢٨٨**هـ، وكل آل زاهد اليوم ينتسبون له وهو الجد الجامع لهم، وأعقب من الاولاد: آمنه، عمر، وأحمد.

أما آمنه فتزوجت ملا علىٰ بن الشيخ عبد الرحمن محمود وعرفت بثرائها وتوفيت سنة **١٣٢٠**هـ.

وأما الأفندي أحمد بن محمد زاهد كان إمامًا وخطيبًا توفي **١٣٢٥**هـ وله عقب من ولديه حسن، ومحمد الىٰ يومنا هذا.

الشيخ عمر بن زاهد بن إسماعيل بن إدريس بن محمد بن عبد الله زاهد[١]
الأفندي نائب السلطان بعرفات

مولده بالمدينة سنة **١٢٦٣**هـ، كان إمامًا وخطيبًا، توفي في **١٧** شوال سنة **١٣١٨**هـ، كان نائب للسلطان بعرفات، وهو صاحب الحديقة الزاهدية بالمغيسلة بنواحي قباء والعنبرية،

قال علي موسىٰ في وصفه[٢]: حديقة للأفندي عمر زاهد، وتعرف بالمغيسلة ماؤها عذب، وفيها بناء محكم، وغرس طيب وكروم وآبارهما غير طويلة.

وأعقب من الأولاد: عبد الحميد، ومحمد المترجم له، وإبراهيم، وعدة بنات.

أما عبد الحميد بن عمر زاهد، فكانت وفاته سنة **١٣٦٢**هـ، ولا عقب له إلا من ولده عمر.

وأما محمد (زاهد) بن عمر زاهد: المترجم له، فله اولاد أدركت منهم في الصغر جارنا في محلة قباء العم مصطفىٰ زاهد، كنا نجله لوقاره وهيبته وله أبناء أذكر منهم الأستاذ هشام والعم زاهد ولعلي أجدها كلمة حق ووفاء ان أدعوا للعم زاهد بالرحمه والرضوان والذي كان له الفضل بعد الله في كثير من المعلومات عن جده وبعض الوثائق الخاصة بأسرته وقد تفضل وأهداني مخطوط قيم احتفظ به في خزانتي نادر لإحد ادباء المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، وكان العم زاهد صديق ورحيم لنا، وللعم زاهد افضال كثيرة فقد احتواني منذ صغري وشجعني علىٰ مواصلة طريقي في الكتابة والتأليف، فلا أملك اليوم وقد غيبه الموت إلا أن ادعو الله أن يتقبله ويحسن نزله ويسكنه الفسيح من الجنان أنه سميع مجيب، وان يبارك في ذريته وينفع بهم.

والأبن الثاني من أبناء الشيخ محمد (زاهد) بن عمر زاهد هو الشيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أحد مشاهير تجار المدينة، وكان جار لنا في الكبر بمنطقة الهجرة وله ذريه بارك الله فيهم.

---

(١) مجلة المنهل سنة ١٣٧٩هـ من صفحة (٣١-٣٢)،

(٢) رسائل في تاريخ المدينة ٢٩.

أما إبراهيم بن عمر زاهد المولود سنة **١٢٩٥هـ**، أحد اعيان المدينة توفي سنة**١٣٦٨**هـ وله عقب الىٰ يومنا هذا، وقد أدركت من اولاده الشيخ حسن زاهد رئيس كتاب المحكمة الشرعية عرفته رجل وقور طيب الذكر، وقد توفي ﵀، وله أولاد.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن البيت الزاهدي ونعود ونواصل الحديث عن الشيخ محمد زاهد بن عمر بن زاهد.

مولده وصفاته

ولد ﵀ عام **١٢٧٥**هـ في المدينة المنورة.

كان الشيخ محمد زاهد ﵀ مربوع القامة، أبيض اللون، عريض الجبهة، أقنىٰ الأنف، خفيف الشارب، كث اللحية، يرتدي الجبة المدنية الفضفاضة، والعمامة المهندمة.

يقول الأستاذ محمد سعيد دفتردار: «أنا لا أغالي إذا قلت أنني لم أر رجلًا يمثل العلم في هيبته ووقاره وصيانته وجلاله والاعتزاز به كما كان فضيلة الشيخ زاهد يمثله، حياته حافلة بالورع والزهد والتقوىٰ والثقة بالله، ولا غرور فالرجل كان فذًّا بين أقرانه، وحيدًا بين أترابه، قوي العارضة، حاضر البديهة، فصيح اللسان تام البيان»[(١)].

نشأته وتعليمه

نشأ الشيخ زاهد حياته محاطًا بالعلم والعلماء فنبغ منذ صغره وظهرت علامات النجابة في سن مبكرة، وتفرس فيه أهله الخير فاعتنوا به وقربوه إليهم، فبدأ بحفظ كتاب الله علىٰ يد الشيخ النملة، وكانت تراجعه له والدته الحافظة السيدة فاطمة البوسنوية وجدته أيضًا السيدة ميمونة الخطيب من أشهر بيوت العلم في دمشق.

ويقول الأستاذ الدفتردار: «إنه أخبره من يثق بروايته، أنك إذا دخلت منزل الشيخ عمر زاهد في إحدىٰ ليالي رمضان لا تسمع فيه غير دوي القرآن ينبعث من كل حجرة

---

(١) مجلة المنهل سنة ١٣٧٩هـ من صفحة (٣١-٣٢)، طيبة وذكريات الأحبة ٥١/١.

من حجراته لأن كل أهل هذا المنزل من الحفّاظ المجودين نساءً ورجالًا وأطفالًا»[١].

فحفظ الشيخ زاهد القرآن وجوّده فبرع فيه وأصبح حافظًا جيدًا، يعطي الحروف حقها من المخارج والصفات، وبعد ذلك اتجه إلىٰ المسجد النبوي الشريف والذي كان ولا يزال هو المدرسة التي ينهل من حلقاتها الناهلون، فتلقىٰ العلم أولًا علىٰ يد والده الشيخ عمر زاهد ثم التحق بحلقة عمه أخ والده من أمه العلامة يحيىٰ دفتردار[٢] فدرس علىٰ يديه بعض العلوم الفقهية والأحكام الشرعية، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة الشيخ عبد القادر الطرابلسي الأول وقرأ عليه كثيرًا من العلوم، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة الشيخ عمر بري الأول ودرس علىٰ يديه بعض العلوم العربية والدينية كالتفسير والحديث والفقه وعلم المنطق، وبعد ذلك التحق بحلقة العلامة الشيخ أديب الحجاز عبد الجليل برادة[٣] ودرس علىٰ يديه نفائس الكتب الأدبية والدينية مثل الكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وآداب القالي، وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، ومقامات الحريري، وغير ذلك من العلوم الأدبية، ثم درس علىٰ يديه الحديث والفقه الحنفي والتوحيد والصرف والمعاني والبيان، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة الفلكي حسن الأسكوبي وقرأ عليه الكامل للمبرد مرة ثانية بحواشي الطليوسي وحواشي ابن الحاج وأمثال الميداني والمقامات الحريرية بشرح المسعودي وديوان أبي تمام، ودرس علىٰ يديه علم الفلك، وبعد ذلك التحق الشيخ زاهد بحلقة الشيخ إبراهيم بن حسن الأسكوبي ودرس علىٰ يديه الفقه والحديث والتفسير والمنطق وعلم الأدب والهيئة وهو من أبرز شعراء المدينة المنورة.

ولقد انصرف الشيخ زاهد يتزود بزاد العلوم ولا يقف عند حد معين فجد واجتهد فكان قوي الحافظة، سريع الفهم، أثيرًا عند شيوخه، سلفي العقيدة، حنفي المذهب، واسع الاطلاع، فأصبح قدوة ومرجعًا لطلاب العلم، وأجازه شيوخه بالتدريس فبث ونشر العلم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

(٣) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

دروسه بالمسجد النبوي

عندما علم شيوخه بمكانته العلمية أمروه بالتدريس في المسجد النبوي الشريف فتصدر رَحِمَهُ اللهُ له وأضاف اسمه إلىٰ قائمة علماء المسجد، فالتف الطلاب حوله وآثروه علىٰ غيره فكانت حلقته من أكبر الحلقات في اللغة العربية والعلوم الدينية، وكان يجيد علم المنطق وأصول القرآن ويجيد علم أصول التفسير والحديث وأصول الفقه، ولم يزاول في حياته أي عمل غير العلم يدرسه في المسجد وفي منزله، ومن طلابه الشيخ عمر بري، والسيد مصطفىٰ خليفة والسيدان الأديبان علي وعثمان عبد القادر حافظ والسيد سالم خليفة والسيد حسين جياد وغيرهم من أولي العلم والفضل.

الزاهد إمام وخطيب

وقد توارث الشيخ زاهد مهنة الإمامة والخطابة من آبائه وأجداده، فعندما تفرس فيه خطباء المسجد النبوي الشريف الفصاحة عين بأمر من شيخ الأئمة والخطباء إمامًا وخطيبًا، وقد كان خطيبًا منوهًا إذا اعتلىٰ منبر الرسول ﷺ أفاض علىٰ المصلين الأحاديث والمواعظ القيمة واستشهد بالآيات الكريمة التي تملأ النفوس إيمانًا وخشية، كل ذلك يمليه قلب رجل عامر بالإيمان في صوت جهوري رصين.

الزاهد ومشورة الحسين

وكان الشيخ زاهد من أولئك العلماء المؤمنين الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم، فكان لا يخشىٰ إلا الله.

يقول الدفتردار عنه: «وكان لا يخشىٰ أن يقول الحق، استشاره الشريف الحسين بن علي في موضوع الخلافة، فأخبره أنه لم يتأهل لها بعد، فغضب منه الحسين وأراد به سوءًا فخرج من المدينة المنورة إلىٰ موريس بأفريقيا عام ١٣٣٥هـ ومكث بها سنوات وقد عمل كثيرًا علىٰ نشر الدين والعلم هناك، وقد عاد علىٰ الحكم السعودي، وعندما استقر في مسقط رأسه جاءه وفد من موريس يطلبوه ليعود معهم فاعتذر من ذلك خوفًا من أن تدركه المنية هناك».

والحقيقة أن الرجل كانت لا تأخذه في الحق لومة لائم، فهو من ضمن الذين سجنوا في قلعة الطائف في العهد العثماني سنة ١٣٢٥هـ أنظر القصة مفصلة في كتابنا.

الزاهد يعتذر عن القضاء

وفي عام ١٣٤٣هـ وعندما استقر الحكم السعودي واستولىٰ الملك عبد العزيز آل سعود علىٰ المدينة المنورة حاول طيب الله ثراه أن يقيم الشيخ زاهد قاضيًا للمدينة فاعتذر عن ذلك بحجة المرض، وبقي يزاول التدريس في منزله إلىٰ أن توفي.

القرآن في كل ليلة رمضانية

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يختم القرآن كل ليلة من ليالي رمضان في قيامه، ولما اعترض عليه بعض الحفاظ بأن مثل هذه السرعة في الترتيل قد تحرف القرآن أو تؤدي إلىٰ اللحن والغلط، وقد تصدىٰ لهم تلميذ من تلاميذه، وراهن أحدهم علىٰ أن يرقب وإياه الشيخ في قراءته فإذا وجد المعترض غلطة أو تحريفًا أو لحنًا أو تغير حكم من أحكام التجويد فإنه سيدفع له مبلغ عشرة جنيهات ذهبية، وأخذا يراقبان الشيخ ويتابعان قراءته إلىٰ ما بعد مدفع السحور بنصف ساعة، حتىٰ ختم الشيخ القرآن ولم يكتشفا أي عيب في قراءته، وهكذا كان والده الشيخ عمر زاهدًا «والولد صنو أبيه».

مكتبته

لقد جمع الشيخ زاهد مكتبة قيمة، فيها نوادر الكتب والمخطوطات التي كتبها بيده وعلق عليها وشرحها بأسلوبه، ولقد رأيت المكتبة عند حفيده الأستاذ الفاضل زاهد مصطفىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفاة الشيخ الزاهد

وبعد حياة حافلة انتقل الشيخ زاهد إلىٰ جوار ربه في السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٤٨ للهجرة عن عمر يناهز الثالثة والسبعين بعد حياة حافلة كان فيها مثال العالِم العامل الذي لا يرضىٰ إلا بالحق والذي يرفض المناصب العالية في إباء واعتزاز، ويؤثر ما عند الله علىٰ ما عند الناس .. رحمه الله تعالىٰ وأسكنه فسيح جناته.



الشيخ السيد زكي بَرْزَنْجي(١)

قاضي العهود الثلاثة

هو زكي بن أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين بن محمد الهادي بن زين العابدين بن حسن بن عبد الكريم بن محمد بن رسول البَرْزَنْجي الشافعي المدني

ولد بالمدينة المنورة في ربيع الثاني سنة **١٢٩٤**هـ(٢)، في دار والده السيد أحمد بجوار المسجد النبوي الشريف.

بيت البَرَزَنْجي

البَرَزَنْجي: بفتح الباء والراء والزاء نسبة إلىٰ سكن أجدادهم برزنجة(٣)، وينتشرون السادة البَرَزَنْجية في شمال العراق كوردستان، وحديثنا عن بيت السادة البَرَزَنْجية

---

(١) الدليل المشير ١٠٢-١٠٦، تشنيف الأسماع ٢٢٧-٢٢٩، قرة العين ١/ ١٧٥-١٧٧، بلوغ الأماني ٧٥-٧٦، الجواهر الحسان ٢/ ٤٩٥ ترجمة رقم ١٦٤.

(٢) كما هو مثبت في حافظة النفوس للشيخ زكي نفسه التي اطلعنا عليها، وفي تشنيف الأسماع ص (٢٢٧) قال: ١٢٩١هـ وتابعه المرعشلي في المعجم (٢/ ٤٧٢)، وهو وهم.

(٣) نسبة إلىٰ برزنج بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وسكون النون وجيم. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٨٢) وهي قرية في شمال العراق في السليمانية من بلاد الأكراد.

بالمدينة المنورة البيت الكبير ذو الفضل الشهير بيت من بيوتات المدنيين العريقة في النسب الكريمة في الحسب، أسرة قرشية الأرومة، حسينية الأصل، موسوية الفرع خرج منهم الكثير العُلَماء والخُطَباء والقُضَاة والمحدثين والأعيان علىٰ مر القرون قد أغنىٰ الكثير من هذه العائلة المكتبة الإسلامية بالتأليفات النفيسة والتصنيفات الفريدة، والحق يقال إنني لم أطلع علىٰ كتاب من كتب التراجم المطبوعة والمخطوطة إلا ووجدت تراجم الكثير من هذه العائلة الكريمة، ولا أبالغ حينما اقول ان بيت السادة البَرَزَنْجية من اعرق بيوتات الحجاز فضلًا ونسبًا ففي العلم والفضل قل ان يخلىٰ كتاب من كتاب التراجم منهم وكان لهم في كل عصر صوله وفي كل بلاد جوله والتاريخ شاهد علىٰ ذلك، وأول من قدم إلىٰ المدينة من هذا البيت العَلَّامة السيّد محمد بن رسول بن عبد السيد بن عبد الرسول بن قلندر بن عبد السيد بن عيسىٰ الأحدب ابن حسين بن بايزيد بن عبد الكريم بن القطب عيسىٰ بن بابا علي ابن يوسف الشهير بالهمذاني ابن منصور بن عبد العزيز بن عبد الله[(١)] بن إسماعيل المحدث ابن الإمام موسىٰ الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب[(٢)]، قدم إلىٰ المدينة المنورة مهاجرًا سنة ١٠٦٨هـ، واستقر به المقام، وهو رأس السادة البرزنجية في الحجاز، وهناك فرع آخر قدم إلىٰ المدينة بعده، وهو فرع السيد قاسم بن حيدر بن عبد الرسول البرزنجي إبن أخي السيد محمد بن عبد الرسول، ورد المدينة سنة ١٠٩٨هـ[(٣)]، وهو فرع حسيب في العلم أصيل في النسب ظهر منهم الائمة والخطباء، وقد ذكر هذا الفرع محمد محجوب الحجار في مختصر القرمية فذكر فقال: ومنهم السيد إبراهيم وابنه عمر[(٤)]، أقول وقد تتبعت هذا الفرع الذي تكاثر لفترة من الزمن وكان منهم الائمة والخطباء وثبت لي وجودهم حتىٰ منتصف القرن الرابع عشر الهجري والثابت عندي

(١) ذكره السمرقندي في كتابه تحفة الطالب وهو بتحقيقنا ص٦٦.
(٢) سلسلة النسب المحققة لدينا علىٰ عدة مصادر وقد فصلنا ذلك في كتابنا شرح الأصول وأعلام المدنيين.
(٣) تحفة المحبين ٨٧.
(٤) مختصر القرمية ٢٤.

أنه انقطع وانقرض نسلهم بوفاة السيد إبراهيم بن عمر بن إبراهيم[١] بن عمر بن أبي القاسم بن إبراهيم بن قاسم بن حيدر بن عبد الرسول البرزنجي، الذي توفي سنة ١٣٤٠هـ وبوفاته لم يبقىٰ منهم أحد رحمهم الله أجمعين.

إما السيد محمد بن عبد الرسول: استقر بالمدينة وتزوج من ابنة الخواجه محمد المغربي، وأعقب منها ولديه: أحمد، وعبد الكريم.

إما أحمد بن محمد بن عبد الرسول: أعقب من الأولاد: عمر والذي أعقب من الأولاد: أحمد، وخديجة، وأعقب أحمد بن عمر أربع بنات وولدًا.

إما عبد الكريم بن محمد بن عبد الرسول: وهو الشهيد المقتول ببندر جدة والآتي ترجمته وأعقب من الأولاد: حسن الاتي ترجمته، وحسين، ومحمد، والشريفة أم الحسين.

وإما حسن بن عبد الكريم الآتي ترجمته: أعقب من الأولاد: زين العابدين، وجعفر.

إما حسين بن عبد الكريم: فمولده سنة ١١١٠ وصار خطيبًا، وتوفي سنة ١١٧٨هـ، وأعقب من الأولاد: محمد المتوفي سنة ١١٨٩هـ، وأعقب من ولده حسن المولد سنة ١١٧٩هـ.

وأما محمد بن عبد الكريم: فمولده سنة ١١١٢هـ ووفاته سنة ١١٤٥هـ، وأعقب من الأولاد: السيد محمد رسول توفي مئناث سنة ١١٨٢هـ عن بنتين.

إما السيد إسماعيل بن زين العابدين بن محمد الهادي: فهو بقية البيت وكل فروع السادة البرزنجية في الحجاز اليوم من نسله، وعقبه ثلاثة أقطاب وزهرتين، وهما السيد جعفر، السيد أحمد، والسيد عبد الكريم، والشريفة آمنة، والشريفة خديجة.

إما السيد جعفر بن إسماعيل الآتي ترجمته فقد أعقب من ثلاثة رجال: السيد إسماعيل المتوفي ١٣٢٠هـ، والسيد طه، والسيد هاشم.

إما السيد عبد الكريم (شيخ طائفة الأدلاء في المدينة المنورة المتوفى ١٣٣٦هـ)،

---

(١) توفي ١٢٨٠هـ.

وأعقب من رجلين السيد حسين، والسيد حمزة ولهما أعقاب وذرية حتىٰ اليوم.

إما السيد أحمد الآتي ترجمته فقد أعقب من أربعة رجال: السيد زكي المترجم له، السيد عبد الله المتوفي **١٣٦٠**هـ، السيد زين العابدين، السيد محمد شريف المتوفي **١٣٤٦**هـ.

وأعقب السيد زكي بن أحمد بن إسماعيل: السيد جعفر والسيد محمود فقط وأعقب السيد جعفر السادة أحمد، وأمين، وعبيد، ومحمد، وسامي وأعقب السيد محمود: زكي، زياد.

أقول: وبيت السادة البَرْزَنْجية اليوم في الحجاز كلهم من نسل السيد إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي ويسعدني أن أشكر وأشيد في ذكر المعلومات عن هذه الشخصية بحبيبنا الفاضل السيد سامي جعفر زكي البَرْزَنْجي صاحب الهمة والثقافة والأخلاق العالية والتواضع الجم والذي كن خير مبادر لي في هذه المعلومات فله شكري وتقديري، وأعرف منهم الباحث في سلالة السادة البَرْزَنْجية الشاب النشط السيد هاني بن محمد بن جعفر بن زكي البَرْزَنْجي له مشاركات هامة حول تاريخ أسرته واهتمامات وتحقيقات نافعة في تدوين تاريخ السادة البَرْزَنْجية في الحجاز وغيره وبيننا وبينه تواصل واحترام حفظ الله الجميع وبارك في ذراريهم.

قال الأنصاري في تحفته[١]: «بيت البرزنجي» نسبة إلىٰ برزنجة، بلدة مشهورة في بلاد الأكراد. أصلهم العلامة المحقق والفهامة المدقق السيد محمد بن عبد الرسول . . . . قدم المدينة المنورة في حدود سنة **١٠٦٨**هـ.

وقد تتبعهم الحجار في مختصره[٢]: بيت البرزنجي نسبة إلىٰ برزنجة: بلدة بالكرد، أول من ورد منهم: السيد محمد بن رسول البرزنجي في عام ألفٍ وثمانية وستين، وادركتُ منهم السيد إبراهيم، وولده السيد عمر، والسيد إسماعيل وأولاده: السيد جعفرًا والسيد أحمد والسيد عبد الكريم.

---

(١) تحفة المحبين ٨٧.

(٢) مختصر القرمية ٢٤.

قال الألوسي في روحه في حديثه عن الأكراد[(١)]: بيد أنه سكن مع الأكراد طائفة من السادة أبناء الحسين رضي الله تعالىٰ عنهم يقال لهم البرزنجية لا شك في صحة نسبهم وكذا في جلالة حسبهم.

قال الداغستاني في اللآلىٰ[(٢)]: بيت البرزنجي بيت العز والشرف الذي ينحط لعلوه البدر، وهو في الشرف توطد في وهاد الفخار، وغرد صادح فضله مهيمنا بما له من علاء ومقدار، فحسبه أرفع من عمود الصبح نورًا، ونسبه أكثر من الشمس ظهورًا، وأهله أهل جود وكرم، وجودة طبع وعلو همم، ذو بيان وفصاحة ومتانة في الفضل ورجاحة.

قال الفاسي في معجمه[(٣)]: بيت السادات البرزنجيين بالمدينة المنورة من بيوت الأشراف العريقة في المجد والعلم والفضل ونباهة القدر منذ قدموا إلىٰ المدينة المنورة كما يشهد به التأريخ وأصلهم من شهرزور من شهران من بجبال الأكراد.

قال البرادعي في درره[(٤)]: بيت السادة البرزنجية، منهم السيد حسين برزنجي رحمه الله كان هو وأبيه من خطباء المسجد النبوي.

قال ابن الصديق في أسره[(٥)]: آل البرزنجي نسبة الىٰ برزنجة بلدة مشهورة في بلاد الاكراد اصلهم العلامة المحقق السيد محمد بن عبد الرسول وكان مولده سنة ١٠٤٤هـ.

أقول: هذه مقدمة مختصرة أردت أن أقدمها عن هذه الأسرة الكريمة الفاضلة العريقة في العلم.

---

(١) روح المعاني ٢٦-/١٠٣.

(٢) اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة ٨٤.

(٣) معجم الشيوخ ٨٥.

(٤) الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية ٨٢.

(٥) الأسر القرشية اعيان مكة المحمية ٢١٠.

السيد محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد البَـرْزَنْجي[١]

مجدد القرن الحادي عشر الهجري

رأس السادة البرزنجية بالإراضي الحجازية

السيد محمد بن عبد الرسول[٢] بن عبد السيد بن عبد الرسول البرزنجي الشهزوري الموسوي الحسيني الشافعي المدني

ولد بشهرزور، ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة أربعين وألف، حفظ القرآن الكريم وجوده علىٰ والده، وتخرج به في بقية العلوم والمعارف، وقرأ ببلاده علىٰ جماعةٍ، الملا زيرك والعلامة الملا شريف الصديقي الكوراني، ثم لازم علامة العصر المنلا إبراهيم بن حسن الكوراني في الحضر والسفر، رحل إلىٰ همدان، وماردين، وحلب، واليمن، ودمشق، ومصر، والقسطنطينية، وبغداد وأخذ عن علماء تلك البلاد وانتفع بهم ثم قدم المدينة المنورة وحط رحالها فيها، واستطاب له المقام فيها، ولازم شيخه في شهرزور العلامة المنلا إبراهيم بن حسن الكوراني والذي هاجر الىٰ المدينة المنورة، والشيخ أحمد القشاشي، وحصلت له المنفعة والأستفادة والأستزادة، حتىٰ تصدر للتدريس بالحرم النبوي الشريف، وتولىٰ إفتاء السادة الشافعية بمدينة خير البرية، وأصبح يشار إليه بالبنان، وقد وصفه العياشي في رحلته بمجدد القرن الحادي عشر، الملقب بالكبريت الأحمر[٣].

صنف التصانيف الكثيرة والعلوم الوفيرة، والتي تجاوزت التسعين مؤلفًا، منها:

---

(١) سلك الدرر ٤: ٦٥ ومشاهير الكرد ٢: ١٢٨ وتاريخ السليمانية ٢٧٧ و٢٨٠ وفهرس المصنفين ٢٤٧ و٤٥٥، فوائد الارتحال١/٤٧٦ترجمة رقم ٢٨٣، تراجم اعيان المدينة ١١٦/ترجمة رقم ٩٨، الاعلام ٦/ ١٠.
الدار ١: ٢٩٢. (٢) الجواهر المضية ٢: ٨١ الهامش. وإيضاح المكنون ١: ٦١٩ وجامعة الرياض ٥: ٢٦.

(٢) فوائد الإرتحال ٤/ ٥٢٠ترجمة رقم ١٢٣٠.

(٣) الكبريت الأحمر لقب يطلقه أهل التصوف علىٰ صاحب العلوم العلية بما يملكه من العلم النفيس والكبريت الأحمر هو الشيٰء الغالي النفيس، فيض الملك ١/ ١٤٥.

١- إرشاد الأواه إلىٰ معنىٰ حديث (من قرأ حرفًا من كتاب الله)، الإشاعة لأشراط الساعة وهو أشهر كتبه ومن أفضل ما كتب في أشراط الساعة ٣- إضاءة النبراس لإزاحة الوسواس الخناس ٤- الأعجوبة في أعمال مكتوبة ٥- أنهار السلسبيل لرياض أنوار التنزيل ٦- اهتداء في الجمع بين أحاديث الابتداء ٧- إيقاظ ذوي الانتباه لفهم الاشتباه الواقع لابن نجيم في الاشتباه ٨- الترجيح والتصحيح لصلاة التسبيح ٩- تصقيل لوح الإيمان بتنزيه عرش الرحمن ١٠- رجل الطاووس في شرح القاموس ١١- السنا والسنوت في أحكام القنوت ١٢- رفع الإصر عن معنىٰ كونه ﷺ أميًا لم ينطق الشعر ١٣- النوافض للروافض ١٤- القول السديد في جواب رسم الإمام والتجويد ١٥- القول المختصر في ترجمة ابن حجر ١٦- الترغيم والترخيم لمنكر التعظيم والتفخيم ١٧- خالص التلخيص مختصر تلخيص المفتاح ١٨- السبل في إعراب حسبنا الله ونعم الوكيل ١٩- سداد الدين وسداد الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين وهو كتاب عظيم نفيس رد فيه لمن ينكر نجاة والدي الرسول من النار أقامه بالحجج العلمية، ٢٠- الصافي عن الكدر في أحاديث القضاء والقدر وغيرها من المؤلفات والتصانيف التي تشير إلىٰ مكانته وبروزه في شتىٰ العلوم، توفي رحمه الله تعالىٰ في غرة محرم سنة ثلاث ومئة الف للهجرة بالمدينة المنورة، وكان له مشهد عظيم، ودفن في بقيع الغرقد.

السيد عبد الكريم بن محمد بن رسول البَـرْزَنْجي[١]

الشهير بالمظلوم

ولد بالمدينة وتلقىٰ علومه فيها، تولىٰ إفتاء السادة الشافعية في المدينة المنورة، وعين خطيبًا في المحراب النبوي سنة ١١١١هـ.

وفي سنة **١١٣٤**هـ، وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الأغوات وأهل المدينة، ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البَرْزنْجي المدفون بجدة المشهور بالمظلوم، والكلام عن تفصيلها طويل وقد فصلناه في كتابنا أعلام المدنيين.

وكان السيد عبد الكريم هو وأبنه حسن من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة في هذه القضية، وكان الأغاوات عرضوا إلىٰ الدولة جميع أسماء أولئك الذين اتهموهم في الدخول في تلك الفتنة، فجاء الأمر من الدولة بقتل أشخاص ونفي آخرين، فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم، ففر ولده قبل مجيء الأمر إلىٰ مصر، وبقي والده السيد عبد الكريم بالمدينة، فصعب عليهم قبضه بالمدينة، فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة إلىٰ مكة المشرفة والإقامة بها، فلما وصل إلىٰ مكة قبض عليه وزير جدة باكير باشا وأنفذه إلىٰ جدة وحبس بالقلعة، ثم أمر بقتله، فقتل خَنْقًا، ورمي في سوق جدة يومًا كاملًا، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس، وغسل وكفن ودفن بجدة، وهرعت الناس إلىٰ جنازته للتبرك به رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، وقبره مشهور يزار ويُعرف عند أهل جدة بالمظلوم، وكان قتله في ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف، عبد الكريم مات شهيدًا **١١٣٨**[٢] ولا تزال حارة المظلوم في جدة[٣] ونسبها الدحلان في خلاصته إلىٰ قصة مقتله[٤].

---

(١) تراجم أعيان المدينة ١١٧ ترجمة ٩٩.

(٢) سلك الدرر١/ ٤٩، خلاصة الكلام احداث ٢/ ٤٩، سنة ١١٣٦

(٣) حارة المظلوم الشهيرة إحدىٰ حارات مدينة جدة الأربعة التاريخية داخل سورها القديم، وهي المحلة الواقعة إلىٰ اتجاه الشمال الشرقي، وبها دار آل قابل ومسجد الشافعي وسوق الجامع.

(٤) وقد أختلف المؤرخون في نسبة الحارة إليه بين السيد الدحلان والعلامة الخطيب الشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الجدي المتوفىٰ عام ١٠١٠هـ، والذي ذكر في كتابه (السلاح والعدة في تاريخ جدة) والتي ذكر فيها أن المظلوم هو عفيف الدين عبد الله، والذي ذكر في كتابه قبل تلك القصة بمائة عام والله العالم.

السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم البَـرْزَنْجي(١)

صاحب المولد

ولد في المدينة المنورة، ونشأ نشأة صالحة، وتلقىٰ علومه ومعارفه بالمدينة، وأتقن فنونًا شتىٰ من العلم، وبرع في الخطب والترسُّل، ثم صار إمامًا وخطيبًا ومدرسًا في المسجد النبوي الشريف، ومفتي الشافعية في المدينة، وهو أشهر علماءها صنف مجموعة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة ما ينوف عن الثلاثين مصنفًا مما عم نفعه، منها:

جالية الكُرَب في أصحاب سيد العجم والعرب وهو رسالة في أسماء البدريين والأحديين(٢)، والجنىٰ الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومناقب جمعٍ من أولياء الله تعالىٰ كالسيد أحمد الرفاعي، والسيد البدوي، وقصة المولد النبوي الشهيرة بمولد البرزنجي، وقصة المعراج، النفح الفرجي في فتح الجُتَجي، البر العاجل، وله حاشية علىٰ كتاب جده الإشاعة في أشراط الساعة، الروض الأنزه في مناقب سيدنا حمزة، الشقائق الأترجية في مناقب السادة البرزنجية(٣)، البرد المحبر الحواشي في مناقب الشيخ أحمد القشاشي وغيرها.

---

(١) الاعلام ٢/١٩٧، سلك الدرر ٢/٩، هدية العارفين ١/٢٥٥، معجم المؤلفين ٣/١٣٧، وفيه مصادر، تاريخ الجبرتي ١/٣٦٣، واسم جده الثاني في المصادر (عبدالرسول) والصحيح ما اثبتناه، سلك الدرر١/٤٥٢، نزهة الفكر ١/٢٤٧ ترجمة ١٠٤.

(٢) إيضاح المكنون ١/٣٤٩.

(٣) ايضاح المكنون ٢/٥٢.

مولد البَرْزَنْجي

وهو من أجل مصنفاته ومن أعظم ما صنف وصاغ في السيرة العطرة الزكية، وأشتهر بمولد البَرْزَنْجي، واسمه «**عقود الجوهر في مولد النبي الأزهر**»، وقد أشتهر هذا المولد العظيم في سائر البلدان الإسلامية، وعني به كبار العلماء وشرحه الكثير، وهو عبارة عن نثر بليغ صاغه مؤلفه ضمنه كل ما يتعلق برسول الله صلىٰ وآله عليه وسلم من أحوال وما شهدته حياته الكريمة من أحداث، وقد تقبلتها الأمة بالقبول الحسن حيث لا تزال تعطر بها المجالس وتحفظ عن ظهر قلب من قبل المحبين لرسول الله ﷺ، وقد أصبحت قصة المولد تسرد في الأمسيات والسهرات في هذا الشهر المبارك شهر ربيع الأول شهر مولد رسول الله ﷺ.

وكانت وفاته في اليوم الثالث من شعبان سنة **١١٧٧**هـ في المدينة المنورة، ودفن في البقيع.

السيد حسن بن عبد الكريم بن محمد بن رسول البَرْزَنْجي[(١)]

الخطيب المدني الوجيه

ولد بالمدينة سنة **١٠٩٩**هـ، وبها نشأ وترعرع، وعندما حدثت العهد عام **١١٣٤**هـ والتي قتل فيها والده السيد عبد الكريم، خرج من المدينة متخفيًا ودخل مصر، ونزل في منزل السيد محمد النحال، له شعر ورسائل وخطب وكتب مصنفات منها: «نفثة الصدور»، «النجم الثاقب في المولد»، ولم يكتب له العودة إلىٰ المدينة فأصيب بالطاعون أدركته المنية بمصر سنة **١١٤٨**هـ.

السيد زين العابدين[(٢)] محمد بن حسن بن عبد الكريم البَرْزَنْجي[(٣)]

أحد أعيان السادة البَرْزَنْجية وفضلاهم، المدفون بمدينة السويس من الديار المصرية وقبره بتربة الولي الصالح عبد الله الغريب له تصانيف منها «مولد» نونيه، وله «معراجية»، ونظم «أهل بدر» همزية.

---

(١) تحفىٰ المحبين ٨٨، اللآلىٰ الثمينة ٨٥، تراجم اعيان المدينة ١١٨.

(٢) ذكر في بعض المصادر بأسم زين العابدين والصحيح ماأثبتناه.

(٣) تراجم اعيان المدينة ترجمة ١٠١ ص١١٩.

السيد محمد الهادي بن زين العابدين بن حسن البَـرْزَنْجي[(١)]

مفتي طيبة والمرجع فيها له نظم من نثر تقريظ علىٰ معراج إبنه تقلد افتاء الشافعية كابرًا عن كابر، وهو المدفون في البقيع، تزوج من إبنة عمه حفصة بنت السيد جعفر صاحب المولد وأنجبت له نجله ذي المجد الرصين زين العابدين.

السيد زين العابدين[(٢)] بن محمد الهادي بن زين العابدين البَـرْزَنْجي[(٣)]

مؤرخ من أعيان المدينة ووجهائها، مولده بالمدينة، وبها نشأ وترعرع، ورث الحسب والنسب من الطرفين فهو حفيد جده زين العابدين وسميه وسبط جعفر صاحب المولد، كان صاحب وجهاة وكلمة قدمه أهل المدينة في ازمتهم مع أمير مكة سرور، وكان لسانهم فيها، عاش حياته مدافعًا عن الحق حتىٰ توفي فيها سنة ١٢١٤هـ، له (كشف الحجب والستور عما وقع لاهل المدينة مع أمير مكة سرور - خ).

السيد إسماعيل بن زين العابدين بن محمد الهادي البَـرْزَنْجي[(٤)]

بقية البيت البَـرْزَنْجي بالحجاز

ولد بالمدينة سنة ١٢١٣هـ، وأدرك أفاضل علماءها وقرأ عليهم، ومنهم مسند العصر الشيخ صالح الفلاني وجُل روايته عنه، والسيد زين العابدين جمل الليل وغيرهم، وعندما حلت الوهابية بمدينة خير البرية توجه مدة سنوات إلىٰ بلاد الأكراد حيث عزوته من فخر أجداده الذين كانت لهم هجرت منذ القدم، وأقام في السليمانية عدة سنين، وتزوج بها من بنت أمير الأكراد عبد الرحمن باشا، وولد له بها أولاده، ولا زال به المقام هناك حتىٰ أستقر الأمر بالمدينة واخمدت الفتنة الوهابية، قدم إلىٰ

---

(١) تراجم اعيان المدينة ترجمة ١٠١ ص١١٩، تحفة الدهر ٢٦-٢٧.

(٢) ذكر في بعض المصادر بأسم محمد زين العابدين والصحيح وهذا عادت أهل الحجاز بتركيب الأسم وأشتهر ذلك في القرون الثاني والثالث والرابع عشر.

(٣) تراجم اعيان المدينة، الأعلام ٣/ ٦٥

(٤) فيض الملك المتعالي ١/ ١٩٨ ترجمة ٥٤ تراجم مخطوطة حصلت عليها من الشريفة زين الشرف بنت السيد جعفر بن زكي بن أحمد البرزنجي بخط يدها رحمها الله.

المدينة المنورة بعد هذه المدة المتطاولة سنة ١٢٧١هـ، وتصدر وتولىٰ الإفتاء واعاد للبيت البرزنجي مكانته، وجدد تأريخه ومجده، واستعاد أوقاف آبائه بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وخدمة قبة آل البيت بالبقيع، وبوابة بابها الشامي لتداولها بينهم جيلًا بعد جيل بالفرامين السلطانية، ودرس وإفاد وانتفع به العباد، وقد تقدم به العمر وقدم رد للبيت إعتباره ففي سنة ١٢٧٧هـ، عزل نفسه عن الفتوىٰ، وولىٰ ولده السيد جعفر محله في وظيفته، واستدعىٰ له ذلك بإذن من الباب العالي[١]، وشيخ الإسلام، فجاءته البراءة السلطانية علىٰ وفق مراده، ولا زال ملازمًا للعبادة إلىٰ أن إدركه الحُمام فتوفي سنة ١٢٨١هـ[٢]، بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع.

وخلف أولادًا: السيد جعفر الآتي ترجمته، والسيد علي، والسيد عبد الكريم شيخ الآدلاء بالمدينة المنورة، والسيد أحمد والد المترجم له، وبنتان وكل السادة البَرْزَنْجية اليوم في الحجاز من نسله.

---

(١) الباب العالي: مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، وقد أنشأه السلطان محمد الرابع سنة ١٦٥٤م، وأطلق فيما بعد اسم المكان علىٰ ساكنه وهو يعني الوزير الأعظم، وكان للباب العالي أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر المبلادي وعلىٰ وجه الخصوص في عهدي السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني (المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ص:٤٩).

(٢) وردت وفاته في مخطوط الأئمة والخطباء سنة ١٢٧٨هـ والصحيح ما أثبتناه.



السيد جعفر بن إسماعيل البرزنجي(١)

مؤرخ تاريخ مسجد سيد الأولين والأخرين

ولد في أرض الكوفة في قرية برزنجة من أعمال شهرزور سنة ١٢٥٠هـ.

وتلقىٰ العلم علىٰ يد والده ثم أكمل تعليمه في الجامع الأزهر وعندما تخرج رحل إلىٰ المدينة المنورة وواصل السيد جعفر تعليمه علىٰ فطاحل العلماء بالمسجد النبوي الشريف، فدرس علىٰ الشيخ عبد القادر الطرابلسي الأول والشيخ محمد الغريب وعلىٰ الشيخ عيسىٰ البلقيني وغيرهم.

(١) فيض الملك المتعالي (ترجمة: ١٥٩٠)، ونزهة الفكر (١/ ٢٥٢-٢٥٥)، والأعلام (٢/ ١٢٢)، ومعجم المؤلفين (٣/ ١٣٤-١٣٥)، وحلية البشر (١/ ٤٥٢-٤٥٤)، وإيضاح المكنون (٢/ ٣٩٣)، ومعجم المطبوعات (ص: ٥٤٨)، وفهرس المؤلفين بالظاهرية، والأعلام (٢/ ١٢٢)، ومعجم المؤلفين (٣/ ١٣٤-١٣٥)، وحلية البشر(١/ ٤٥٢-٤٥٤)، وهدية العارفين (١/ ٢٥٦-٢٥٧)، وفهرست الخديوية (١/ ٣٩٢)، وفهرس السيرة (ص: ١٣)، وفهرس دار الكتب المصرية (٥/ ٦٥)، وإيضاح المكنون (٢/ ٣٩٣)، ومحمد سعيد دفتر دار في جريدة المدينة(١٤، ٢١، ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٩) تراجم مخطوطة حصلت عليها من الشريفة زين الشرف بنت السيد جعفر بن زكي بن أحمد البرزنجي بخط يدها، مخطوط نشر المآثر ورقة ٢٧.

ثم تصدر للتدريس في المسجد النبوي وشاع صيته في أرجاء الدولة العثمانية ومشيخة الإسلام حتىٰ وصل أمره إلىٰ السلطان عبد المجيد ففي عام ١٢٩٦هـ عمل بعض الأشقياء من الأعراب علىٰ أطراف المدينة المنورة علىٰ مضايقة قوافل الحجيج والزوار فاجتمع وجهاء المدينة علىٰ رفع خطاب للسلطان عبد المجيد، ووقع اختيارهم علىٰ السيد جعفر، فذهب بالخطاب إلىٰ السلطان وكانت هذه المقابلة سببا كبيرا في الاجتماع بالسيد جعفر، فقد سمع عنه السلطان وتمنىٰ أن يراه، فعندما قابله في الآستانة أعجب به إعجابا شديدا وأكبر همته وقدرته العلمية وشجاعته الأدبية‌ن فعرض عليه السلطان تولي القضاء بصنعاء وولاية اليمن، فقبل السيد جعفر العرض وتناول المرسوم السلطاني وذهب به إلىٰ المدينة المنورة وجهز نفسه للرحيل ودخل صنعاء في محرم سنة ١٢٩٨هـ وتصدر للقضاء مدة ست سنوات يديره بكل حكمة وعدل ونزاهة، ولما طالت المدة عليه طلب اعفاءه وعاد إلىٰ المدينة المنورة، وباشر وظيفته السابقة وهي الافتاء والتي تولاها وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة، ولكن مشيخة الإسلام لم تتركه يرتاح في وطنه غير سنوات معدودة، حتىٰ جاءه المرسوم السلطاني يدعوه للتوجه إلىٰ بلدة سيواس بتركيا وتولي القضاء هناك مرغما عام ١٣٠٧هـ، ومكث عامين وظل يكاتب السلطان ومشيخة الإسلام يطلب العفو من القضاء، فرحل إلىٰ الآستانة وبقي بها مدة من الزمن ثم عاد إلىٰ المدينة المنورة وواصل التدريس والافتاء.

وفي عام ١٢٨٧هـ منح الوسام المجيدي من الدولة بصفته مفتيًا للشافعية بالمدينة المنورة[١].

اشتغل بالتأليف طيلة حياته، فمن مؤلفاته:

١- نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين: وسأفرد حديثا عنه.

٢- تاج الابتهاج علىٰ النور الوهاج في الإسراء والمعراج.

٣- شواهد الغفران.

---

(١) الأوسمة العثمانية ٣٧، الأرشيف العثماني ٢٥٨. ١٤٦ AYNIYAT DEFT .55.sy. 871.no.

٤- الشجرة الأترجية في سلالة السادة البرزنجية.

٥- الكوكب الأنور: شرح لقصة المولد النبوي.

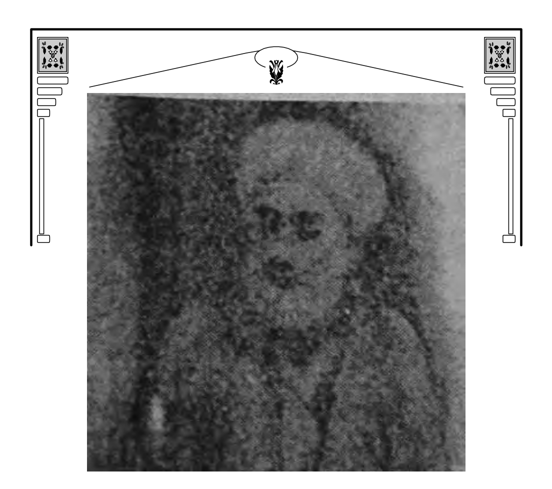
كتاب نزهة الناظرين مرجع هام

قرر السلطان عبد المجيد تجديد عمارة المسجد النبوي الشريف، فأخذ السيد جعفر يؤرخ هذه العمارة بكل أمانة وصدق، والكتاب يدل علىٰ براعة السيد جعفر وأسلوبه ودقته ملاحظاته وأمانة في نقل عن المراجع التي أخذ عنها، ولعلها تعد قليلة لأن السيد جعفر رأىٰ التجديد بنفسه فسجل فيه كل انطباعاته مما شاهد وسمع، فيعتبر السيد جعفر أول من أرخ عن تاريخ عمارة المسجد النبوي الشريف وأحوال المدينة ومآثرها.

أقول إن الكتاب تحفة تاريخية لا تباريها تحفة، وتتمتع في قراءته بسهولة ألفاظه وجزالة معانيه، فهو مرجع هام لكل من يريد أن يكتب عن تاريخ المدينة، ألفه سنة ١٢٧٧هـ. وقد قرأت الكتاب عدة مرات فهو يغنيك عن قراءة الموسوعات المتعلقة بتاريخ المدينة وقد طبع طبعتين الأولىٰ سنة **١٣٠٣**هـ بالمطبعة الأميرية بمكة المشرفة، والثانية في بيروت ولم يكتب عليها سنة الطبع.

إنه جهد يجزىٰ به المؤلف خير الجزاء، هذه لمحة مختصرة عن الكتاب والحديث عن نزهة الناظرين يحتاج إلىٰ صفحات عديدة، أرجو أن أكون قد أوضحت للقراء الصورة العامة للكتاب القيم.

وبعد هذه الحياة في سبيل الدين والدعوة انتقل السيد جعفر إلىٰ رحمة الله في سنة ١٣١٧هـ ودفن في بقيع الغرقد فرحمة الله عليه.



السيد أحمد بن إسماعيل البَرْزَنْجي(١)

أمين الفتوى بالمدينة المنورة(٢)

ولد السيد أحمد في برزنجة سنة ١٢٥٩هـ(٣)، وهي قرية من أعمال شهرزور، ونشأ في كنف والده وتتلمذ عليه في طلب العلم فعندما بلغ سن التعليم قرر والده أن يلحقه بالجامع الأزهر الشريف، وبالفعل غادر إلىٰ مصر وأدخل ابنه أحمد الجامع الأزهر ليتزود من العلوم وقرأ علىٰ جملة مشايخ منهم: الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ إبراهيم الباجوري، والشيخ المبلط، والشيخ محمد الخضري، والشيخ محمد السناري، والشيخ عمر البقاعي وغيرهم، وفي اثناء دراسته رحل والده السيد إسماعيل إلىٰ

(١) الأعلام للزركلي (١/ ٩٩)، ومعجم المؤلفين (١/ ١٦٤-١٦٥)، ومعجم المطبوعات (ص: ٥٤٧)، ورياض الجنة (١/ ١٠٦، ١١١)، وإيضاح المكنون (٢/ ٦٥٤)، وفهرست الخديوية (٢/ ١٨٠)، وفهرس التيمورية (٢/ ١٥٦، ١٦٣، ٢٢٤)، وفهرس دار الكتب المصرية (٥/ ٣٦٥)،. فيض الملك ١/ ٢٠١ترجمة٥٧، تاريخ علماء دمشق ١/ ١٥٥، تراجم مخطوطة حصلت عليها من الشريفة زين الشرف بنت السيد جعفر بن زكي بن أحمد البرزنجي بخط يدها رحمها الله.

(٢) أمين الفتوىٰ: الموظف المسؤول في المشيخة الإسلامية عن إعداد أجوبة الأسئلة الموجهة لشيخ الإسلام، والتدقيق في القرارات المتخذة في المحاكم الشرعية، وقد استحدث هذا المنصب في عهد السلطان سليمان القانوني (المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ص: ٣٨).

(٣) وفي فيض الملك المتعالي ١٢٥٧هـ والصحيح ماأثبتناه.

الأستانة وهناك التقىٰ بالسلطان عبد المجيد حيث ولاه السلطان وظيفة الإفتاء للشافعية وإماما وخطيبًا ومدرسا للعلوم الشرعية بالمسجد النبوي، فعندما أنهىٰ السيد أحمد الدراسة بالأزهر ونال الإجازة في بث العلم رحل إلىٰ فرنسا ليواصل دراسته العلمية في الحياة السياسية والاقتصادية وبعض المعلومات العامة ليقاوم الكفار بقلمه، فعندما أكمل دراسته عاد إلىٰ المدينة المنورة وتصدر للتدريس في المسجد النبوي؛ درّس وأفاد وانتفع به العباد، ثم تولىٰ بعد ذلك الافتاء بالمدينة المنورة علىٰ المذهب الشافعي ثم إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي الشريف.

ولِما كان يتمتع به من لباقة في الحديث وأخلاق عالية انتخب نائبا عن المدينة المنورة في مجلس النواب العثماني بإسطنبول وكان ﷺ يجيد العربية والتركية والفرنسية.

قال الدهلوي في الفيض[١]: أحد النبهاء العظام والرؤساء الذين واصلوا المجد بالاحتشام، فخر الزمان، وجيه الطلعة، كثير االإحسان.

قال البشر الإبراهيمي: وأخذت الحرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ أحمد البرزنجي الشهرزوري في داره أيام انقطاعه عن التدريس في الحرم النبوي: «. . وأشهد أني كنتُ أسمع منه علمًا وتحقيقا»[٢]، **وقال فيه**: «. . وكان من أعلام المحدثين، ومن بقاياهم الصالحة . .»[٣].

قال القاسمي في رحلته[٤]: فالرجل من أجل علماء المدينة، وأديبها الوحيد.

وقد اشتغل السيد أحمد مدة طويلة في التأليف، فقد وهب حياته كلها لنشر العلم بين الناس، وله من الأشعار الرائقة والمحاورات الأدبية وغير ذلك من رسائل وتقريرات علمية، وأسئلة وأجوبة في علوم شتىٰ فمن مؤلفاته:

١- النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة. ط

---

(١) فيض الملك ١/ ٢٠١ ترجمة ٥٧.

(٢) آثار البشير الإبراهيمي (عيون البصائر) (٣/ ٥٤٦).

(٣) آثار البشير الإبراهيمي (٥/ ٢٧٦).

(٤) رحلتي للمدينة المنورة للقاسمي ٤٠.

٢- إرشاد المجاهد.

٣- المناقب الصديقية، ط بتونس ١٣٠٦هـ.

٤- مناقب عمر بن الخطاب، ط بمصر ١٣٢١هـ.

٥- النظم البديع في مناقب أهل البقع.

٦- جواهر الإكليل في مفاخر دولة الخديوي إسماعيل.

٧- إصابة الداهي شاكلة إعراب: إن لم يجد إلا هي[١].

٨- فتكة البرّاض بالتركزي المعترض علىٰ القاضي عياض[٢].

٩- المنح البرزنجية.

١٠- التحقيقات الأحمدية.

١١- وغير ذلك من الفتاوىٰ في الشريعة الإسلامية ومنظومات شعرية، وقد كف بصره في أخر حياته[٣]، وفي أثناء الحرب العالمية الأولىٰ كان ممن خرج من المدينة المنورة واستقر في دمشق إلىٰ أن وافته المنية هناك في ٢ شعبان سنة ١٣٣٥هـ[٤]، وقد دفن في جبل قاسيون في مشهد عظيم.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل البَرْزَنْجي ونعود ونواصل الحديث عن السيد زكي.

كان السيد زكي رَحِمَهُ اللهُ كما يصفه معاصروه مربوع القامة، عظيم الهامة، أبيض

---

(١) بين فيها أن الإمام مالكا أخطأ في الموطأ، في قوله في كتاب النذور والأيمان (باب فيمن نذر شيئا إلىٰ بيت الله فعجز) (٢/ ٤٧٤- رقم ٥): «وعليه هدي بدنةٍ أو بقرةٍ أوشاةٍ، إن لم يجد إلا هي» بقوله إن ضمير (هي) الكائن بعد (إلا) الراجع إلىٰ الشاة إجماعا فاعلُ (يجد) وأن مقتضىٰ الظاهر أن تكون العبارة (إن لم يجد إلا إياها). انظر: الحماسة السنية (القسم الثاني/ ٣)، وقطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميد (٤٦-٤٧).

(٢) البرّاض بن قيس الكناني يضرب فيه المثل: أفتك من البرّاض، والتركزي هو محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي، ادعىٰ غلط القاضي عياض في توجيهه نحويا قول الرسول ﷺ: «فابن لبون ذكر» «فلأولىٰ رجل ذكر» بأن (ذكرا) هنا لا يكون للتأكيد فقط، بل لا بد من ضم معنىٰ زائد علىٰ التأكيد انظر: الحماسة السنية (القسم الثاني/ ٦-٩ و٣٧-٤١)، وقطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميد (٤٩إلىٰ٥٤).

(٣) رحلتي للمدينة المنورة للقاسمي ٤٠.

(٤) وقيل في بعض المصادر ١٣٣٧هـ والصحيح ما أثبتناه علىٰ ما أثبته مؤرخي الشام في أحداث ذلك العام.

اللون، أدعج العينين، أقفىٰ الأنف، منبسط الصدر، كث اللحية، أنيق الشكل والملبس، يرتدي العمامة البيضاء والجبة الفضفاضة وهو زي العلماء المدنيين في ذلك العصر.

يتمتع السيد زكي رحمه الله بأخلاق العلماء الفاضلة، متواضع، حليم، شجاع في قول الحق، اشتهر بطيب القلب وحب الناس، له مواقف انسانية عظيمة، اشتهر بالعفة والنزاهة والزهد والورع، يتفقد الأيتام والأرامل والضعفاء وله في ذلك مواقف.

تعليم السيد زكي البَرْزَنْجي

نشأ السيد زكي نشأة علمية حيث تكفل به والده رحمه الله فألحقه منذ نعومة أظفاره كأقرانه في ذلك العصر بالكتاب لحفظ القرآن الكريم في كُتّاب الشيخ الفاضل إبراهيم الطرودي، وكان في الثالثة عشرة من عمره، فحفظ القرآن الكريم وأتم بعض القراءات ثم التحق بالمسجد النبوي الشريف، وكانت همته قوية في العلم مجتهدا في الطلب فبدأ يحضر حلقاته واحدة تلو الأخرىٰ يستمع إلىٰ العلماء لا تكاد تفوته كلمة، فتلقىٰ العلوم الشرعية والعربية علىٰ يد والده ثم درس علىٰ يد العلامة الفاضل علي بن ظاهر الوتري صحيح البخاري ومسلم ومشكاة المصابيح وأعاد دراسة صحيح البخاري علىٰ يد المحدث المعمر المسند فالح الظاهري المدني ودرَس عليه أيضا عقود الجمان في علم المعاني والبيان وتتلمذ علىٰ العلامة المسند المحدث الجليل محمد جعفر الكتاني أثناء جلوسه في الحجاز وعلىٰ أعمامه مثل العلامة عبد الكريم البَرْزَنْجي وعمه المفتي علي البَرْزَنْجي وعمه الفاضل السيد جعفر المتقدمة ترجمته ثم درس علىٰ عالم المدينة الشهير درويش قمقمجي رحمه الله ثم درس بعد ذلك علىٰ شاعر وأديب الحجاز العلامة الفاضل عبد الجليل برادة، فدرَس عليه نفائس كتب الأدب مثل: الكامل للمبرد وديوان الحماسة، وأدب الكاتب لابن قتيبة وديوان المتنبي وآداب القالي ومقامات الحرير وغير ذلك من العلوم الأدبية، ولكن عناية والده به كانت فائقة فأقرأه النحو والصرف والبلاغة والفقه والحديث والتفسير مع عنايته بالرواية والأخذ عن كبار المحدثين والمسندين في ذلك العصر أمثال الشيخ عبد الغني الدهلوي والعلامة يوسف

النبهاني والإمام البوصيري والعلامة المجتهد محمد أمين البيطار، وكان السيد زكي كثير التردد علىٰ مكة المكرمة واجتمع مرات بالشيخ حسين محمد الحبشي الشافعي واستفاد منه وهو عمدته في الرواية بمكة المكرمة.

وبعد كل هذا نال السيد زكي الإجازة العالية في التدريس ونشر العلم، ولكنه لم يكتف فأسرع والتحق بالمدرسة الإعدادية بالمدينة المنورة في زمن الدولة العثمانية وتلقىٰ فيها مبادئ اللغة التركية والعلوم الرياضية فمكث فيها عدة سنوات حتىٰ شفىٰ غليله العلمي فكان الطالبَ المجتهد والمجد في البحث وطريق العلم من كل أبوابه.

دروسه بالمسجد النبوي الشريف

تصدر السيد زكي للتدريس في المسجد النبوي وكانت حلقته من كبار الحلقات فيه، فهي بجوار حلقة الشيخ سعيد بن صديق الفوتي وحلقة الشيخ عبد الفتاح أبو خضير فقد طاف عليه الكثير من الطلاب وتخرجوا عليه.

أعمال البَرْزَنْجي

كان السيد زكي في نظر العلماء العالم المجتهد منذ صغره فما لبث أن تخرج من المسجد النبوي حتىٰ عين إمام وخطيبا فيه، وكان آنذاك في السابعة عشرة من عمره، وفي ٩ من ذي الحجة ١٣٢٩هـ عينته الحكومة العثمانية عضوا في مجلس التعزيزات الشرعية.

وبعد مرو أربع سنوات وفي عام ١٣٣٥هـ أصدرت الإدارة السلطانية بتعيينه مفتيا للشافعية خلفا لوالده ثم عين بعد ذلك عضوا في مجلس الإدارة، وكان السيد زكي الرجل المحبوب من بين الناس مما جعله ينال كثيرا من الشهادات والأوسمة العلمية العالية من الادارة السلطانية في الدولة العثمانية العلية آنذاك لعلمه وفضله في نشر العلم وبثه بين الناس علىٰ مستوىٰ العالم الإسلامي.

البَرْزَنْجي قاضي العهود الثلاثة

لقد تقلب السيد زكي في عدة مناصب تليق بعلمه، فكان قاضيا في ثلاثة عهود

متتالية وإن أمرا كهذا ليس بالسهل، لا يتولاه إلا رجل يتميز بالحكمة والنزاهة.

ففي عهد الدولة العثمانية عين السيد زكي بوظيفة قاض أول بالمحكمة المستعجلة ولم يتجاوز السابعة والعشرين وكان ذلك عام **١٣٢١**هـ واستمر السيد زكي يدرس ويخطب في المسجد النبوي ويعمل في المحكمة عدة سنوات إلىٰ أن جاء العهد الهاشمي في **١٧** رجب **١٣٣٧** فصدر الأمر بتعيينه قاضيا شرعيا ثم رئيسا لمحكمة المدينة المنورة وهو لا يزال إماما وخطيبا في المسجد النبوي الشريف.

وعندما حكم الملك عبد العزيز الحجاز وفتح المدينة المنورة أصدر أمره السامي الكريم في سنة **١٣٤٦**هـ بأن يستمر السيد زكي في عمله رئيسا للمحكمة الشرعية لما وجد فيه من حكمة وعدل بين الناس وكان السيد زكي رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب مكانة عالية بين القضاة ومحل تقديرهم ويلجؤون إليه دائما فيقنعهم بفكره السديد وتسير الأمور بكل دقة ونباهة.

البَرْزَنْجي قاضي الحرمين الشريفين

لقد ذكرت فيما سبق أن اسيد زكي عين رئيسا لمحكمة الشرعية بالمدينة منذ حكم الأشراف حتىٰ العهد السعودي بعد أن عرف الملك عبد العزيز حكمته وسمعته الحسنة وقدرته علىٰ تصريف الأمور الشرعية.

ففي أول عام **١٣٥٧**هـ صدر الأمر السامي الكريم بنقل السيد زكي البَرْزَنْجي وتعيينه رئيسا للمحكمة الكبرىٰ والدوائر الشرعية في مكة المكرمة، ونقل حضرة العلامة الشيخ الشريف محمد نور الكتبي الحسني[١] رئيسا للمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلفا للسيد زكي، وكان رئيس القضاة في تلك الفترة فضيلة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، واستمر السيد زكي يشغل منصبه هذا إلىٰ أن توفي وكانت علاقته برئيس القضاة قوية يجتمعان ويتبادلان الرأي والمشورة في الأمور الشرعية الصعبة وكانت له مشاركات في جلسات مجلس الشورىٰ بمكة المكرمة لدرسة القضايا التي تحتاج للنظر فيها وإبداء الرأي السديد من القضاة، والنظر في أمور الدولة التي تصرف

(١) محمد نورالكتبي الحسني ترجمنا له في صفحات هذا الكتاب.

أمور الشعب بالحكمة والرجوع إلىٰ الشريعة الإسلامية أولا واخيرا.

وبعد ذلك صدر أمر ملكي كريم بأن يحل للسيد زكي التصرف في كثير من القضايا رغبة منه في تفادي التطويل في المشاكل والدعاوىٰ وتراكمها دون حلول.

لقد عاصر السيد زكي كثيرا من العلماء وكان طيلة حياته الجل الطيب المبارك الذي يلهج دائما بقراءة القرآن الكريم وذكر الله ﷻ وقد شاع ذكره بين الناس فكان مرجعا في الفتوىٰ، فقد تميز منذ صغره بالتمكن في العلم والتضلع في الأحكام وبقوة الارادة والذاكرة.

البَرْزَنْجي والتواضع

لقد عرف عنه رَحِمَهُ اللهُ التواضع بين الناس وحب عمل الخير رغم المناصب التي وصل إليها، وهذه هي صفات العلماء الأفذاذ، فكان رَحِمَهُ اللهُ طيلة مشيه من بيته إلىٰ المحكمة أو إلىٰ أي مكان، يفشي السلام علىٰ الناس كبيرا وصغيرا، وهناك قصة أخرىٰ تروىٰ تدل علىٰ تواضعهن فقد كانت عادات أهل المدينة في السابق في زمن الحوارىٰ والأحواش الجملية والبيوت البسيطة أن تقومَ بعض النساء الأرامل اللاتي لا عائل لهن بعجن الخبز في منازلهن ووضع ذلك الخبز لىٰ «طبلية» وهي عبارة عن نوع من الخشب يوضع عليه الخبز، وتضع المرأةسيد الطبلية أمام المنزل حتىٰ يأخذها أحد المارة ويقوم بإيصالها إلىٰ المخبز من ثم إعادتها، فكان السيد زكي بمكانته العالية إذا مر بأحد هذه المنازل ورأىٰ الخبز توقف عنده وحمل الطبلية علىٰ رأسه فوق العمامة ويذهب بها إلىٰ الخباز وإعادتها إلىٰ مكانها بعد خبزها وكانت توجد هدية من المخبز تسمىٰ «الحنانة» وهي قطعة صغيرة من الخبز تعطي لحامل هذه الطبلية فكان السيد زكي يأخذ هذه الهدية والتي هي من حقه ويأكلها وهو عاد إلىٰ المنزل الذي أخذ منه الطبلية بكل تواضع دون تكبر أو مراءاة بل أنه يفعل ذلك حبا وتواضعا لله تعالىٰ فقد عاش حياته في المدينة المنورة ومكة المكرمة متواضعا محبا للخير لوجه الله تعالىٰ فرحمة الله عليه فقد كان مثالا للتواضع.

تلاميذ السيد زكي رحمه الله

كان السيد زكي من أبرز العلماء والمحدثين في المسجد النبوي فقد انتفع به الكثير وروىٰ عنه جمع كبير في الحجاز، منهم: العلامة حسن المشاط المدرس بالمسجد الحرام المتوفىٰ سنة ١٣٩٩هـ والسيد علوي بن عباس المالكي المدرس بالمسجد الحرام والمتوفىٰ سنة ١٣٩١هـ والشيخ الفاضل إبراهيم الخُتني المدرس بالمسجد النبوي والمتوفىٰ سنة ١٣٨٩هـ والشيخ زكريا ملا بيلا المدرس بالمسجد الحرام والمتوفىٰ سنة ١٤١٣هـ والشيخ أبو بكر الحبشي المتوفىٰ سنة ١٣٧٤هـ والشيخ محسن المساوي مؤسس دار العلوم الدينية بمكة والمتوفىٰ سنة ١٣٥٤هـ ومسند العصر العلامة محمد ياسين الفاداني المدرس بالمسجد الحرام والمتوفىٰ سنة ١٤١١هـ والذي روىٰ عن السيد زكي الكثير فرحمة الله عليهم جميعا، وكان السيد زكي مشهورا بالأسانيد والروايات ومن أشهر أسانيده وراوياته عن أبيه عن جده عن مسند الحجاز صالح بن نوح الفلاني ثم المدنىٰ المتوفىٰ سنة ١٢١٨هـ بما في اثباته المتعددة ومنها فطر الثمر المطبوع.

شخصية البَرْزَنْجي

عرف السيد زكي رحمة الله بالنزاهة والأخلاق العالية وطيب القلب وفيه سماحة انفس وهدوء الطبع، فكان السيد زكي كبير أعيان المدينة الذين يستقبلون الرؤساء والوفود ويقوم بإلقاء المحاضرات، فقد كان يجمع القلوب من حوله فأحبه الناس والتفوا حوله فكانت داره سواء أكانت في مكة المكرمة أم في المدينة المنورة تمتلئ بالناس والمراجعين وأصحاب الحوائج فكانت شهرته في المجتمعين المكي والمدني، فله أصدقاء كثيرون نذكر منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر، ففي المدينة المنورة: الشيخ حسن الشاعر والشيخ يوسف كردي والشيخ أحمد بساطي نائب القاضي والشيخ محمد الطيب الأنصاري ومن أصدقائه في مكة المكرمة: الشيخ عمر داغستاني والشيخ يحي زكريا والشيخ محمد القاضي والشيخ جعفر الكثيري والشيخ حامد أزهر والشيخ عمر حمدان محدث الحرمين والشيخ محمد نور الكتبي الحسني

وكانت علاقة السيد زكي بأمير المدينة الشيخ محمد بن إبراهيم وثيقة جدا، فكانا يتبادلان المشورة في حل قضايا المدينة المتعسرة رحمة الله عليهم جميا رحمة الأبرارا الصالحين وأسكنهم فسيج جناته آمين.

وفاة السيد زكي البَرْزَنْجي

وفي يوم الإثنين الموافق الرابع والعشرين من شهر شعبان عام **١٣٦٥**هـ فجعت المدينة المنورة بوفاة السيد زكي حيث دفن بها في مشهد حافل شاركت فيه الجموع الكثيرة وواسىٰ في وفاته رجل الدولة وكبار العلماء وأعيان البلاد.

تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان نمطا فريدا من الرجال استطاع بعلمه وفضله أن يكون مصدر فخر لحقبة طويلة من الزمن للحجاز كله وليس هذا بالأمر السهل أو القليل الأثر، فمثل هؤلاء الرجال يعدون من مفاخر الأمم.

الشيخ سعيد الفوتي

هو سعيد بن صديق الفلاني الفوتي.

ولد الشيخ سعيد عام ١٣١٠هـ في بلاد فلاته المشهورة وبالأخص في «بلدة فابي روا» أي البلد الكبير وهي عاصمة مقاطعة سدبي قرب الصحراء الأفريقية الكبرىٰ.

ووالده هو الشيخ الحاكم صديق الفلاني الفوتي حاكم تلك المقاطعة وعالمها الجليل.

وصفه

كان الشيخ سعيد هادئ المشي، معتدل القامة، أسود اللون، خفيف اللحية، نحيل الجسم، براق العينين، طيب السر والسريرة، آنق اليد واللسان، عظيم النفس، بعيد الهمة، لا تكاد تمل حديثه العذب[1] يرتدي الجبة والعمامة وهو زي العلماء في ذلك العصر.

هجرته وتعليمه

ذكرت أن الشيخ سعيدًا من أسرة كريمة فأبوه من بيت الإمارة والحكم بأفريقيا، فلما غزا الفرنسيون بلاده دافع والده عنها بحرابهم وقسيهم فلم يستطع الصمود أمامهم وانتهىٰ الاشتباك بينهم بتراجع المجاهدين الفوتيين بعد سقوط آلاف القتلىٰ منهم.

فقرر والد المترجم له الهجرة إلىٰ البلاد المقدسة وأبقىٰ ابنه الكبير حاكمًا من بعده هناك تحت يد المستعمرين وأخذ ابنه الصغير سعيدًا المترجم له.

وكانت الرحلات في ذلك الوقت شاقة إما مشيًا علىٰ الأقدام أو ركوبًا علىٰ الدواب. وهو في طريقه اِلتقىٰ بالشيخ العلامة الزاهد الورع ألفا هاشم[2] مهاجرًا أيضًا من بطش الاستعمار الطاغي فساروا في جماعة.

---

(١) مقالة الشيخ محمد سعيد دفتردار في جريدة المدينة.

(٢) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

وهم في أواسط نيجيريا قابلهم جماعة من جنود المستعمرين الفرنسيين واصطدموا بهم وسقط من الفلاته آلاف القتلىٰ كان من بينهم والد المترجم له الشيخ صديق الفوتي فضم الشيخ ألفا هاشم الشيخ سعيد الفوتي وكان في التاسعة من العمر فكفله وأنزله منزلة الابن وأخذ يقرئه القرآن حتىٰ حفظه علىٰ روايتي ورش وحفص؛ وفي عام **١٣٢٢**هـ وصلوا مكة المكرمة البلد الأمين وأدوْ فريضة الحج ثم قدر الله لهم زيارة سيد الكونين ﷺ.

وعادوا إلىٰ مكة المكرمة حيث قصدوا الشيخ ألفا هاشم للتدريس في المسجد الحرام حتىٰ نهاية عام **١٣٢٦**هـ وكان الشيخ سعيد تلميذه وابنه في نفس الوقت وفي السنة المذكورة قرر الشيخ ألفا هاشم العودة إلىٰ المدينة والعيش بها وبرفقته الشيخ سعيد فما لبث الشيخ سعيد أن استقر في المدينة فشمر عن ساعديه وجد واجتهد فأخذ يطلب العلم علىٰ فطاحلة المسجد النبوي وهو يافع السن فدرس علىٰ يد الشيخ ألفا هاشم أولًا ودرس علىٰ يديه جميع العلوم والمعارف خاصة الحديث وأصوله والبلاغة والفقه والنحو والتفسير وغيرها من العلوم الهامة ثم انتقل بعد ذلك إلىٰ حلقة العلامة الشيخ محمد الخضر بن مايابىٰ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودرس علىٰ يديه الموطأ ومختصر خليل وألفية ابن مالك والمدونة وكثيرًا من دواوين الشعر وبعض علوم الأدب ثم التزم بحلقة العلامة ومحدث الحرمين الشريفين عمر بن حمدان المحرسي رحمه الله تعالىٰ ودرس عليه الفقه المالكي وقرأ عليه الكتب الحديثية السبعة وقرأ عليه الأوائل «الإشبيلية والعجلونية».

وتلقىٰ المسلسلات بأعمالها القولية والفعلية وأجازه بما قرأ عليه من الكتب الحديثية والتفسيرية والفقهية والأصولية والتصوفية والصرفية والنحوية والأدبية بأسانيدها إلىٰ مؤلفيها وبما انطوىٰ عليه من المسلسلات والأوائل وبما حواه من الآثار والأخبار.

وكان الشيخ سعيد الفوتي قوي الحافظة، واعي الذاكرة، ذكي القلب، رصين العقل فانصرف يتزود بزاد العلوم وهو يافع السن فنال الإجازات الضخام من شيوخه الذين أحبوه لجِدِّه والذين آثروه علىٰ غيره لما رأوه فيه من جِد واجتهاد.

وعند هجرة أهل المدينة منها في الحرب العالمية الأولىٰ المعروفة «بسفربرلك» بقي الشيخ الفوتي والشيخ ألفا هاشم في المدينة المنورة وصبرا علىٰ لأوائها وحصارها ونالهما وكثير من علماء المدينة الجهد والجوع حتىٰ عادت الأوضاع إلىٰ حالها وعاد المسجد النبوي الشريف واستعاد العلماء دروسهم وحلقاتهم اليانعة.

وأخذ الشيخ الفوتي يدرس الفقه المالكي والحديث النبوي الشريف والتوحيد السلفي.

وفي عام **١٣٤٣**هـ اتصل الشيخ الفوتي بالشيخ عبد الله بن بليهد وتحقق من كفاءته وتبين له علمه وفضله فعينه بمرسوم ملكي مدرّسًا وواعظًا بالمسجد النبوي وعضوًا في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقام الشيخ الفوتي بما أسند إليه خير قيام.

وفي عام **١٣٤٩**هـ توفي الشيخ ألفا هاشم فتصدر الشيخ الفوتي مكانه في التدريس فأحبه الطلاب ولا سيما طلاب العلم من سائر الطبقات وتلاميذه كثيرون من الأفارقة وأهل المدينة وغيرهم من البلدان الإسلامية.

وقد انتفع بعلمه كثيرون نذكر منهم الشيخ العلامة عبد الرحمن الأفريقي والشيخ علي عمر المدرس بدار الحديث والشيخ محمد كوفي المدرس بالمسجد النبوي الشريف وغيرهم.

وفاة الشيخ الفوتي

وبعد حياة مليئة بالكفاح وطلب العلم انتقل الشيخ سعيد الفوتي إلىٰ رحمة الله عن غير خلف في يوم الجمعة المبارك من ١٠ رجب سنة **١٣٥٣**هـ، وقد بلغ من العمر الثالثة والأربعين رحمه الله تعالىٰ وأحسن جزاءه لقاء ما أسدىٰ إلىٰ العلم وأهله إنه سميع مجيب.

الشيخ السيد ملا سفر بن محمد الكولابي[1]

هو ملا محمد سفر بن محمد بن السيد محمد هارون بن بير حوز بن شيخ قبول حسين بن مير جعفر بن أمير عمر بن أحمد حسين الحسيني الكولابي البخاري، العالم الورع الزاهد.

مولده

ولد رحمه الله في بلدة (كولاب) شرقي بخارىٰ ماوراء النهر سنة **١٢٧٣هـ**، ومن لايعلم عن بخارىٰ وما أنجبته من فطاحلة العلوم، وقد أثروا المكتبة الإسلامية بتراثهم.

بيت سفر

اقول وفي المدينة المنورة عائلتين مدنيتين تحمل لقب سفر البيت الأول هو البيت المتقادم الشهير في المدينة وهو بيت علم وفضل، وأصلهم عبد الله السليماني[2] الشهير بسفر ظهر منهم العلماء والفضلاء وبقيتهم اليوم في ابناء أبو الفرج سفر الذي أعقب عثمان، وزكي ولكلاهما ذرية وعقب وقد فصلنا فيهم في قرميتنا أعلام المدنيين، إما البيت الأخر أصلهم المترجم له الذي قدم المدينة المنورة علىٰ قدم التجريد من بلدة كولاب، وقد اشتهر بيته بالشرف بين المدنيين، ونسبهم يرجع إلىٰ السبط الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، كما أخبرني بذلك أحد أفراد الأسرة،وبيدهم وثيقة أصيلة أطلعت عليها كتبت باللغة الفارسية وتحتاج إلىٰ نظر وتحقيق، ، وقد أعقب الشيخ ملا محمد سفر بن محمد أربعة رجال هم: السادة: عبد القيوم بن ملاسفر، له أولاد منهم هاشم، وعدنان، وعبد الفتاح مات عن عقب؛ وعبد الحي بن ملاسفر له أولاد هم: خليل،وإبراهيم، وعمر، ومحمد؛ وعبد الله بن ملاسفر، أعقب ولد اسمه حسن مات صغير، وبنتين فأنقرض عقب عبد الله؛ وأحمد

---

(١) من أعلام المدينة للشيخ محمد سعيد دفتردار.

(٢) تحفة المحبين ٢٨٣، مختصر القرمية ٥٢.

بن ملاسفر، له أولاد منهم: عبد المجيد، وفؤاد؛ وجميع أولاده قد لقوا وجه ربهم، وقد أدركت منهم السيد أحمد كان رحمه الله طيب الذكر، ويعرفون في المدينة اليوم ببيت سفر

صفاته وأخلاقه

يقول عنه الدفترار: رجل من العلماء الزهاد الورعين الذين سلم المسلمون من يده ولسانه، دعوته المفضلة: دعوة الرسول علي الصلاة والسلام (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين)، كان رحمه الله نموذجًا في البعد عن الدنيا وزخرفها.

دارسته

بدء الشيخ ملا سفر دارستة بحفظ كتاب الله وتجويده، وبرع في حفظه وتجويده، ثم التف بعد ذلك إلىٰ علوم العربية وآدابها، دارسة مستفيضة ظهرت عليه وميزته، وتنامت فيه الملكة الأدبية والقريحة الشعرية، يقول الدفترار: وظهر أثر ملكته حينما درس الأدب بالمدينة الشريفة؛ ثم أخذ يدرس العلوم الدينية علمًاعلما ابتدأ فيها بالمتون يحفظها ثم يشرحها بشروحها المشهور، فحفظ كنز الدقائق، ودرس شروحه، حتىٰ أصبح حجة في المذهب الحنفي، ثم عكف علىٰ حفظ شيء من الحديث الشريف، ودرس التفسير دراسة عميقة، وغير ذلك من العلوم، حتىٰ نال الإجازات من شيوخه، فنال منهم الإجازة العامة في التدريس، واعتبروه حجة في المذهب الحنفي، فتصدر للتدريس في بلدته، والتف حوله طلبة العلم يتزودن من علمه.

هجرته إلىٰ المدينة

كان للشيخ ملا سفر المكانة المعلومة في بلدته فكان رحمه الله من المقدمين، أصحاب الرأي والتقدير، لكنه كان عاقدًا في نفسة الهجرة إلىٰ المدينة من أجل الله ورسوله، فكان رحمه يعمل بيده، فأخذ يعمل ليل نهار من أجل توفير المال، ليكفيه في طريقة إلىٰ دار الهجرة، وكان له ما تمنىٰ، ففي سنة ١٣١٨هـ، خرج من بلده قاصدًا البيت العتيق، فوصل إلي مكة بعد معاناة، فأدىٰ فريضة الحج، ثم قصد المدينة لايحمل إلا

العلم والحب لله ورسوله ﷺ، فدخل المدينة مع أهله وأتخدها سكنىٰ له، وأصبح مدرسًا في المسجد النبوي الشريف.

درسه بالمسجد النبوي الشريف

بدء رحمه الله دروسة في المسجد النبوي حال وصوله، فأخذ يقضي جل يومه في التدريس، والتف حوله طلبة العلم، وآثروه علىٰ غيره لما لمسوا فيه من غزارة علم، وزهد، وورع، فكان رحمه الله يصلي الفجر في المسجد ويمكث في روضته حتىٰ شروق الشمس تاليًا للقرآن، وبعد صلاة الإشراق يفتتح دروسه بالفقه، فإذا ختم الدرس، أخذ يدرس النحو الآجرومية مرة والألفية مرة، حتىٰ إذا انتهىٰ من درسه قام متجهًا إلىٰ عمله يكد من أجل كفاية عيشة، حتىٰ إذا كان قبل صلاة الظهر عاد إلىٰ المسجد، وأخذ يدرس الأدب العربي والمنطق، وكان له رحمه الله درس بعد صلاة العصر يدرس فيه الحديث، وكان له رحمه الله دروس في الفرائض والوعظ وغيرها، وهكذا كان الشيخ ملا سفر يقضي جل وقته مابين التدريس وعمله، لايذهب إلىٰ بيته إلا بعد الصلاة الأخيرة، فقد هاجر من أجل خدمة المدينة وأهلها يرتجي حسن الأدب والجوار مع مقام الرسول الأعظم ﷺ، وكان رحمه لله يمثل مدرسة في رجل دون ملل أو كلل، ولقد كان من خيرة مدرسي المسجد النبوي الشريف، وقد اشتهر درسه في التفسير، فكان يبتدىٰء به من أول رجب يدرسه بطريقة وعظية، وحلقته من أكبر حلقات المسجد لاسيما في شهر رمضان.

طلبته

لقد درس عليه كثيرون من أهل المدينة، وغيرهم من الطلاب الأغراب، ومن أشهر من درس عليه: الشيخ أحمد كماخي، والشيخ المحدث عمر بري المدرس بالمسجد النبوي، والشيخ القاضي أحمد بساطي القاضي بالمدينة، والشيخ حسين عزي، وإبراهيم شيرة، والأخوان صالح، وحسن خاشقجي، والشيخ عابدين حماد، والشيخ حسين أزمرلي، وغيرهم، وقد أجاز منهم بالتدريس، كالكماخي والإزمرلي والبساطي.

اعتكافه في المسجد

كان رَحِمَهُ اللَّهُ في العشر الأواخر من شهر رمضان يقضي تلك الإيام المباركة معتكفًا في أواخر المسجد، متقشفًا متواضعًا لله عاملًا بسنة رسوله ﷺ، وكان من حرصه وتأسيه يمتنع من الدرس إذا وجد في حلقته أحد طلابه حليق اللحية أو مخالف للسنة، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ قليل الكلام، لايحب الكلام إلا في ذكرالله والعلم.

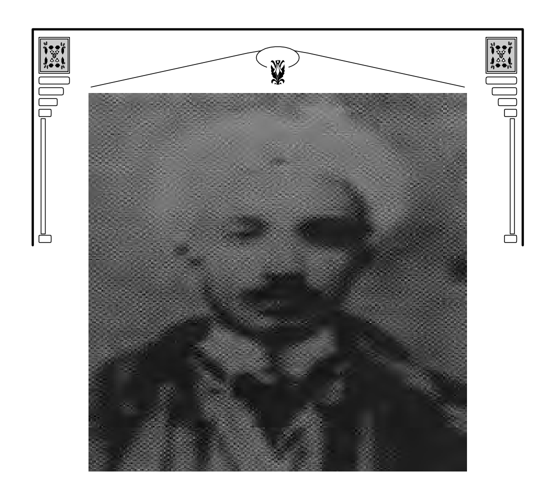
حصار فخري باشا

حصار فخري وماجرىٰ علىٰ أهل المدينة من التهجير، ألا وهي من أشد الأزمات التي مرت علىٰ المدينة وأهلها، ولنا في موضعه تفسير عن سفر برلك.

ولما حدثت الأزمة في المدينة وبدأت الحرب، وقلة الأقوات بسبب الحرب العالمية الأولىٰ، رفض رَحِمَهُ اللَّهُ الخروج من المدينة مع الكثير ممن خرج، واستمر في دروسه في المسجد، وأخذ يعمل بيده كثير من الأعمال الشاقة من أجل تأمين لقمة العيش، فعلم فخري باشا بأمره، فأرسل في طلبه، وأراد ان يعفيه من عمله ويخصص له ما يغنيه عن عمله، فرفض ذلك، وقال لفخري: إني لاأستطيع أن أقبل هذا الأمر فيوجد من هو أحق مني بذلك.

وفاته

مرض الشيخ ملا سفر في آخر حياته،وانقطع عن دروسه أسبوع، ثم توفي بذلك سنة ١٣٣٥هـ، عن عمر يناهز الثانية والستون، ودفن ببقيع الغرقد، وقد حضر جنازته القائد فخري باشا، وبعض رجالات الدولة في موكب حافل، رحم الله ذلك العالم الزاهد الورع، وجعل مسكنه الفردوس الأعلىٰ.



الشيخ سعود دشيشة[١]

لسان المدنيين

هو أبو السعود بن أحمد بن محمد أبوالسعود دشيشة البزاز والمعروف بالشيخ سعود دشيشة ويكنىٰ أبو أحمد.

بيت الدشيشة

بيت الدشيشة هو من البيوتات المدنية المشهورة والمعروفة ثابتة القدم، قدم جدهم محمد جمال اللوبيا الهندي البزاز المدينة سنة **١٠٦٠**هـ.

قال الأنصاري في تحفته[٢]: بيت البزاز نسبة إلىٰ بيع البز ومن أشهرهم محمدجمال اللوبيا الهندي قدم إلىٰ المدينة في حدود سنة **١٠٦٠**هـ، وكان صاحب

(١) افادة الانام ٥/ ١٤٤، ١٥٤، ٢٢٣، ٢٥٠، المظالم في سوريا ٩٩، فصول من تاريخ المدينة من رجال الشوري في المملكة العربية السعودية؟ ٣٤، ذكريات العهود الثلاثة ٨٨.٧٦.٧٥.٦٢.٢٣. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ص ٢٠٥،٢٠٦، ١٨٧، جريدة أم القرىٰ ع ٣٠٥،١٣٤٩هـ.

(٢) تحفة المحبين ١٢٦.

ثروة، وكان رجلًا كاملًا، وتوفىٰ في حدود سنة ١٠٩٠هـ، وقال: ويعرف هذا البيت اليوم ببيت دشيشة.

وتتبعهم الحجار في مختصره بقوله(١): بيت البزاز كان منهم أناس كثيرون انقرضوا وبقي منهم حسن دشيشة الصائغ، ومنهم محمد أبو السعود الدشيشة.

أقول: وهم يعرفون حتىٰ اليوم ببيت دشيشة إلا أنهم قله، ولقب الدشيشة سببه: أن الخطيب عبد الرحمن مغلباي وهو ابن خالة جدهم محمد جمال اللوبيا كان إذا خطب يسرع في الخطبة إسراعًا كليا فسماه العامة دشيشة والتصق الاسم بقرباته آل البزاز، كما ذكر ذلك الأنصاري في تحفته.

ومنذ سنوات مضت وانقضت حيث كانت بدايتي في الكتابة عن أهل المدينة ورجالاتها، ومن بين مجالسة المعمرين الذين أدركتهم والتقاط أحاديثهم في الذاكرة وسرد أسماء الرجال فكان اسم دائم التكرار، ألاوهو سعود دشيشة رغم أن الرجل لم يكن من العلماء والخطباء، ولكنه كان بطلا شجاعا صاحب حجة وبيان لاتأخذه في الحق لومة لائم، فكم تلك المواقف البطولية له والتي دونت في اذهان الرجال، وكنت استعجب حينما أراهم يتكلمون عنه ممن راؤه أو سمعوه عنه ولا أنسىٰ العم المعّمر عمر بن حمزه قرطلي رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)، الذي أدرك سعود دشيشة وهو أكثر من سمعت منه، فكان يحد ثني عنه وأرىٰ في حديثه الإعجاب وكأنه يقول في طيات كلامه أنك لن تجد رجل اليوم مثل سعود دشيشة أو أنك ياأنس لاتعرف سعود دشيشة؟، وغريب أنك لاتعرفه! ومن أنت حتىٰ تسأل عن سعود؟، وماذا تريد بمعرفة سيرته وتاريخه؟، فازداد شغفي لمعرفة سيرة ذلك الرجل، فعلمت أن ذلك الرجل مثال المدنيين المخلصين لمدينة رسول الله ﷺ، وابنها البار وإنه مثال ومضرب مثل لرجالات المدينة فحدَثني من يقول كنت أرىٰ سعود مترجلا علىٰ فرسه يصول ويجول وعليه علامات الهيبة

---

(١) مختصر القرمية ٢٨.

(٢) عمر بن حمزة بن عمر قرطلي ١٣٣٤هـ -١٤٢٣هـ حجازي من أهل المدينة معّمر أدركته وسمعت منه الكثير من الروايات الشفهية، عاصر الكثير من الأحداث الهامة في الحجاز كان رجلًا ذا ذاكرة قوية، حلو الحديث، حسن المعشر.

والشجاعة وحدثني من قال رأيت سعود دشيشة يدفع الظلم عن أهل المدينة، وحدثني من يقول رأيته خرج من بيته في العنبرية يدافع عن الرجال أمام أمير المدينة آنذاك ويوقف بطشه كل ذلك أثار انتباهي ولم أجد نفسي إلا حريص علىٰ معرفة سيرته لانه من أهل الحق، والحق يعرف بأهله، وأيم الله لم أجد من يذمه، ولكني وجدته من ناصري المظلومين واقترن اسمه مع المدافعين عن تراب المدينة المنورة، فأين أهل الحجاز، وأين أهل المدينة، أمثال سعود ومن غيبهم، ومن منعهم، ياليت في المدينة اليوم مثل سعود دشيشة، ذهب سعود إلىٰ جوار ربه وبقي ذكره الخالد وما جمعت عنه إلا القليل لعلي وأنا ابن المدينة والحجاز أقدم ترجمته وفاءًا له فهو من رجالاتنا الأحرار هذه دهلزة تاريخيه ومنها أكمل.

مولده

ولد سعود بالمدينة المنورة سنة **١٢٨٩**هـ وتلقىٰ تعليمه علىٰ يدي علماء المسجد النبوي الشريف ولكنه لم يقف في صفوف العلماء والخطباء فإنه قد اوجد نفسه في صفوف الزعماء.

حياته وأعماله

شغف سعود بخدمة المدينة وقضاء الحوائج ورد الحقوق وكان لايعرف إلا ان يقول كلمة الحق فأصبح يصلح ما أفسده المفسدين ولعل الصله بينه وبين الزعيم حمزه ظافر كانت دافعًا لهما، وفي تلك الفترة كان الخديوي محمد علي قد أسس في المدينة ممن لهم حكم الزعماء فكانت أربع وجاقات:

الأولىٰ: السباهية وهي المقصود بها الخيالة وانتهت إلىٰ سعود دشيشة.

الثانية: القلعجية وهم حماة القلعة وانتهت إلىٰ عباس قمقمجي.

الثالثة: النوباتشية حماة الأبواب وانتهت إلىٰ عباس برادة.

الرابعة: البيرقدارية وهم أصحاب البيرق أو العَلم وانتهت إلىٰ محمد سعيد حوالة، وقد ذكر الزيدان في عهوده[1] بقوله السبهية يعني الخيالة لانها الوجاق الأول من

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص٨٨.

الوجاقات الأربعة وكان سعود دشيشة هو رأس الوجاق السباهي.

مواقفه ومحنه

لقد كان سعود دشيشة من رجال الدولة العثمانية وأحد أعيانها،ومن المقربين إلىٰ السلطان عبد الحميد فقد عمل جهودًا كبيره ومواقف بارزة في إيقاف التسيب والفساد الإداري والذي عم المدينة في أواخر العهد العثماني، وعندما ثار الاتحاديون علىٰ السلطان عبد الحميد بشعارتهم المقتبسة من الثورة الفرنسية يدعون فيها طلب الحرية بقولهم (حريات، عدالات، مساوات) إلا انهم كان هدفهم الحقيقي هو التتريك وقد فلت الزمام من الحكومة العثمانية، فما كان أمام أهل المدينة إلا الدفاع عن أرضهم، وكان للشيخ دشيشة مواقف كبيره ضد محاولات التتريك التي كان يقوم بها الاتحاديون أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومنها جهوده في اقالة الحاكم أثناء الحصار فقد تعرض للنفي والأعتقال أكثر من مره ولكنه كان يعود من المنفىٰ بقوة أشد مما سبق، وحينما اعلن الشريف الحسين بن علىٰ الثورة العربية في مكة المكرمة ونادىٰ بها في نواحي الحجاز كان الدشيشة أحد رجالها البارزين في المدينة المنورة، واتخذ مقره في العوالىٰ مركزًا لاجتماع رجالها فكان أحمد بن جميعان أحد رجال الثورة يزوره ويتلقىٰ من التوجيهات ما يراه من صواب الراي عند الدشيشة وفي أثناء الحصار واشتداد الأمر علىٰ أهل المدينة، وبطش فخري وأعوانه من عسكر الجيوش، كان لسعود دشيشة التحرك الكبير في تسهيل خروج أهل المدينة منها فوقف صامدًا، أمام قوات الحصار حتىٰ اعتقل ونفي إلىٰ بابا أسكي من بلاد البلغار لانه مدني مدافع عن بلده وأحد رجال عبد الحميد المخلصين، وتداورت الأحداث وانتهت الثورة، ووضعت الحرب أوزارها وحالت الأحوال علىٰ حالها وعندما انتقل الحكم إلىٰ الملك عبد العزيزالسعود ودخلت قواته المدينة علىٰ يد ابنه محمد كان الدشيشة أحد رجال الوفد الذين قاموا بتسليم المدينة غليه سنة ١٣٤٤هـ.

الدشيشة أحد وجهاء البلدة الطاهرة

منح الشيخ سعود دشيشة في ١٣٣٩/٦/٢هـ وسام النهضة من الدرجة الخامسة ولقب فيه بأحد وجهاء البلدة الطاهرة[١].

الدشيشة عضوًا في مجلس الشورىٰ

ونظرا لمكانته وما عرف عن وطنيته وحبه للوطن عين عضوًا بمجلس الشورىٰ في أول دوره عقدت له (من عام ١٣٤٧هـ-١٣٥٠هـ) وكان يمثل المدينة المنورة،كما انه عين عضوا بمجلس إدارة المدينة المنورة.

مطالبته بإلغاء الكوشان

الكوشان: كلمه من أصل تركي ويقصد بها الضريبة أو الرسم والكوشان في الحجاز كان مفروض علىٰ الأهالي والحجاج، وهو مبلغ يدفع للسفر إلىٰ مكة المكرمة، وآخر يدفع للسفر إلىٰ المدينة المنورة؛ وهذا الكوشان يشكل دخل اقتصادي قوي للدولة إلا انه غيرمستساغ للأهالي ويشكل عبئ علىٰ أهل الحجاز، حيث أن اهل نجد والشرقية لايدفعون كوشان في تنقلهم.

فطالب سعود دشيشة الملك عبد العزيز إلغائها بقوله: إنك قد وحدت البلاد وآخيت بين العباد فلماذا يدفع أهل المدينة كوشان كلما أرادوا العودة إلىٰ مدينتهم حينما يخرجون منها فرفع الملك عبد العزيز عن أهل المدينة الكوشان وفي نفس الوقت تقدم السيد صالح بن أبو بكر بن محمد شطا من أهالي مكة وهو لسان المكيين أيضا وله سيره بطولية عطره بطلب اعفاء أهالي مكة، ومن ذلك اليوم الغيَ الكوشان عن الأهالي وبقي مفروضا علىٰ الحجاج إلىٰ ان تم إلغائه في عام ١٣٧٠هـ.

زهده في المناصب

لم يكن الدشيشة من الرجال الذين يهتمون بالمناصب الحكومية بقدر أنه كان يعيش بين الناس يتحسس آلامهم ويتفهم مشاكلهم ويحب أرضه فكانت داره مفتوحة

---

(١) القبلة ٤٥٧.

لاستقبال الناس يفد إليها الوافدون لا يصدهم عن لقائه حاجب وإنما يجدون صدرًا رحبًا ووجهًا كريمًا، وباعتبار المدينة المنورة من المدن الزراعية آنذاك وكثرة زراعة النخيل فيها بدعوة النبي صلىٰ الله عليه واله وسلم، وكان لاعيانها مزارعهم الخاصة ولا نعرف كلمة المزرعة إلا حديثا فكنا نقول البستان أو البلاد، وان مهنة الفلاحة مهنة مدنية أصيله يعمل بها كل الناس فليس هناك كبير يشمخ عن فلاحة ما يملك وكانت لهذه البساتين أو البلدان مسميات وكانت الدوار هي بلاد سعود دشيشة بجذع العوالي وقد أدركتها منذ سنوات اما الآن فهي أرض بيضاء كاحلة، قد اقتلع نخلها ونشف زرعها دخلت منها الشوارع وأصبحت من النواحي العمرانية فقد عاش الدشيشة يفلحها ويزرعها.

وفاته

وبعد حياة حافلة بالعطاء والجهاد والعمل علىٰ قول الحق فكان لكل أجل كتاب فقد وافته المنية بعد وضوئه لصلاة المغرب ليوم السبت ٥/ شعبان/ ١٣٥١هـ، وأعقب بنتين، فأنقرض عقبه، وبقىٰ ذكره إلي اليوم، وقال لي المعمرون من أهل المدينة أن وكيل إمارة المدينة حينها عبد العزيز بن إبراهيم قال بما معناه (ياأهل المدينة ابكوا فإن رجلكم قد مات) رحمك الله ياأبا أحمد وجعل مثواك الجنة.



الشيخ طاهر بن عمر سنبل

طبيب المدنيين

هو محمد طاهر بن عمر بن عبد المحسن بن محمد طاهر بن محمد سعيد بن محمد سنبل العمري المكي ثم المدني

أسرة آل سنبل(١)

أسرة حجازية شهيرة بالعلم والفضل، بفرعيهما الأصيلين المكي والمدني، وينتهي نسبها إلىٰ ثاني الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ظهر منها الكثير من العلماء والفضلاء علىٰ مر القرون.

وأول من عرف منها الجد الجامع لفروعهم الشيخ محمد سنبل الشافعي المكي(٢)، ولم اقف علىٰ تاريخ ولادته أو وفاته إلا باعتبار أنه أحد أعلام القرن الثاني عشر الهجري واول من ترجم له المرداد في نشره وتبعه الدهلوي(٣) والغازي(٤)، ولم يذكر

(١) أعلام المدنيين، صك رقم ٤٣ بتاريخ ٧ محرم ١٣٠٤هـ، مخطوطة نسب الأجداد لآل سنبل.

(٢) مخطوط نشر النور والزهر ٧٩١، ومختصر نشر النور والزهر ٤٤١ ترجمة ٤٩٩.

(٣) مخطوطة ازهار البستان ٢٣٩.

(٤) نثر الدرر ٣١٦ ترجمة ٣١٣.

أحد مكان ولادته بمكة أو بغيرها والثابت عندي أن كل آل سنبل العمريين بفرعيهما المكي والمدني اليوم ينتهون وينتسبون إليه.

أقول: اشتهرت أسرة آل سنبل بانتسابها إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما هو مدون في المستمسكات التي بأيديهم، إلا أنه أختلف إلىٰ أي أعقابه ينتسبون، وقد نسبهم البعض إلىٰ عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وآخر إلىٰ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، والصحيح عندي بعد التحقيق: أنهم من عقب الولي المشهور علي بن عليل المشهور بعلي بن عليم بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والله العالم ولنا في ذلك تفصيل في قرميتنا.

قال المرداد في نشره[1] **والغازي في نثره**[2] **في ترجمتهما عن محمد سنبل**: وبيت سنبل الموجودون الآن بمكة ينتهون إلىٰ المترجم وينتسبون إليه.

قال الدهلوي في الفيض[3]: من أهالي البيوت القديمة بمكة، قد حازوا الكتب الكثيرة المعتبرة، لا سيما تآليف أهل مكة؛ كتأليف الطبريين، وبيت الحباب، والمفتي محمد جار الله ابن ظهيرة، وابنه المفتي علي، والملا علي القاري، والقطبي، وبيت ابن علان، والشيخ عبد الرحمن المرشدي، وابنه الشيخ حنيف الدين المرشدي، وعفيف الدين الكازروني، وبيت فروخ، وبيت عتاقي زاده، وبيري زاده، وبيت مرداد، وبيت العجيمي، وبيت الريس، وبيت القلعي، **وبيت سنبل**، وبيت المرغني، وبيت عبد الرحمن الفتني المكي، وكانت رائجة في زمانهم.

قال ابن جندان[4]: طاهر[5] بن عمر بن عبد المحسن بن طاهر بن سعيد سنبل الطائفي المكي الحنفي العمري الفاروقي العدوي الخطابي المعروف بسنبل كأسلافه بالحجاز.

---

(١) المختصر من نشرالنور والزهر٤٤١ترجمة٤٤٩.

(٢) نثر الدرر ٣١٦ترجمة ٣١٣.

(٣) المختصر من نشر النور والزهر ٤٤٣ترجمة ٥٠١.

(٤) مخطوط روضة الولدان في ثبت ابن جندان ٣/ ٥١٣.

(٥) وسماه جمال الدين سعيد والصيح ما اثبتناه.

وقال إيضًا[(١)]: وعائلة[(٢)] سنبل موجودة بالطائف ومكة إلىٰ الأن منهم جماعة بالقرارة بالشامية كانوا بيت علم وفضل وشرف وكمال.

قال الدفتردار[(٣)]:أسرة مكية عربية عريقة في النسب والمجد ترجع إلىٰ عمر بن الخطاب.

أقول وقد تتبعت خبرهم وتفاصيل ذراريهم: أعقب الشيخ محمد سنبل بن محمد، أربعة رجال، هم: محمد علي، ومحمدهلال، ومحمد حديدي، ومحمد سعيد، وبنتين هما: آمنة، وزينب، فأما محمد علي فكان مئنات، وأما محمد هلال أحد علماء المسجد الحرام[(٤)]، وأعقب الشيخ عبد الغني مفتي مكة[(٥)]، وبنت،وأما محمد حديدي، فأعقب رجلين، هما: عثمان، وحسن، وأما الشيخ محمد سعيد الفقيه بالمروه فسنذكر بعض من سيرته فهو الجد الأعلىٰ لمترجمنا.

الشيخ المعمر محمد سعيد بن محمد سنبل[(٦)]

مسند الحجاز الفقيه بالمروه

صاحب الأوائل السنبلية

مولده مكة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري،كان أحد ابرز علماء المسجد الحرام وله علم بالمذاهب الأربعة محدثا فقيهًا قصده العلماء الأجلاء للأخذ عنه، أخذ العلوم ورواها عن الشيخ عمر النمرسي.

قال صاحب تنزيل الرحمات في مخطوطه[(٧)]: إمام الحديث الإمام الشافعي الصغير

---

(١) مخطوط روضة الولدان في ثبت ابن جندان ٣/ ٥١٣.

(٢) في المخطوط عائلات وبذلك تصحيف

(٣) ترجمة بجريدة المدينة للدافتردار.

(٤) تاريخ ابن عبدالشكور ١١٧،المختصر من نشر النور والزهر ٢٦٣، فيض الملك المتعالي ٢/ ٩٧٨.٩٧٧.

(٥) المختصر من نشر النور والزهر (ص:٢٦٣)، ونظم الدرر (ص:١٣٢).

(٦) وترجمته في سلك الدرر ٤ :٩١ وانظر الزركلي ٧ :٤٧ ورقم ٥٩٨، سير وتراجم ص٤٤٢ترجمة ٥٠٠.

(٧) مخطوط تنزيل الرحمات ٢/ ٢٨٧.٢٨٦.

درس وافاد وانتفع به العباد.

له مؤلفات منها أوائل سنبل وهي رسالة في أوائل الحديث عمل بها أهل الحرمين الشريفين وكان يسكن المروه فكانت داره تغص بالعلماء وطلاب العلم فعرف الفقيه بالمروه توفي بالطائف سنة ١١٧٥هـ، ودفن امام شباك سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

واعقب ابناء منهم علماء في مكه وهم: الشيخ محمد والشيخ محمد عباس، والشيخ محمد طاهر جد المترجم له وكلهم مدرسون بالمسجد الحرام إلا أنهم ليسوا علىٰ غرر والدهم في المذهب فهو شافعي وهم أحناف، ومحمد حجي، وأبي الحسن، وعبد الله، وعبد الرحمن، وإليك بعض تراجمهم:

الشيخ محمد بن محمد سعيد بن محمد سنبل[1]

الإمام العالم الفقيه

ولد بمكة ونشأ بها، وقرأ علىٰ جماعة، منهم: والده، والعلامة يحيىٰ بن محمد صالح الحباب المكي، والشيخ عارف جمال، وعبد الرحمن الفتني المكي، تصدر ودرّس بالمسجد الحرام وعقد حلقته بالمروة، توفي في ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ، ودفن بالمعلاة.

الشيخ محمد عباس بن محمد سعيد بن محمد سنبل[2]

الإمام الأديب العالم الأريب

ولد بمكة المحمية، ونشأ في بيت أسلافه الكبير وتلقىٰ علومه عن أكابر علماءها منهم والده والشيخ يحيىٰ بن محمد صالح الحباب مُحَشِّي «شرح لباب المناسك»، والعلامة عبد الرحمن الفتني وغيرهما، تصدر للتدريس والإسناد، ودرّس وأجاز وأفاد

---

(١) المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٤١) ترجمة ٤٩٨، فيض الملك المتعالي ترجمة ١٢١٥، وثبت الكزبري (ص: ٧٤-٧٥).

(٢) المختصر من نشر النور والزهر (ص:٤٤٠)ترجمة ٤٦٩، فيض الملك المتعالي ٢/١٣٦٣ترجمة ١١٤٠، نظم الدرر (ص:١٤٧)، ثبت الكزبري ص ٢٥، ٧٤، ٧٥.

وانتفع به العباد، وما زال من الإفادة والاستفادة حتىٰ اتاه الحُمام في ١١ رجب سنة ١٢٢٨هـ بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة.

العلامة الشيخ محمد طاهر بن محمد سعيد سنبل[١]

صاحب الفتاوي السنبيلة

الشيخ محمد طاهر بن محمد سعيد جد المترجم له مولده مكه في أوائل القرن الثالث عشر الهجري سنة ١١٥٠هـ، وبها نشأ وتعلم قرأ العلوم علىٰ جملة من العلماء في مقدمتهم والده وأكثر في الأخذ عنه درس الفقه وبرع فيه، كان حنفي المذهب ذاع صيته في البلاد فعقد حلقته للتدريس فقصده القاصي والداني برع في الفقه الحنفي وكان متبحرًا فيه فسموه(أبو حنيفة الصغير) له مؤلفات منها (الثمار الجنية في المجموعة السنبلية)، وهي مجموعة فتاويه وتعرف أيضًا بفتاوي سنبل، (دليل المهتدي في آداب البحث العلمي للمبتدي)، (شرح متن الأرشاد)، (ضياء الأبصار حاشية علىٰ مناسك الدر المختار)، (العروش العلوية في الفقه الحنفي)، وكان انتقل إلىٰ الطائف فترة من الزمن أثناء فتنة الوهابية وله كتاب في الرد علىٰ فتنة الوهابية، فقد نقل السيد أحمد زيني دحلان[٢] عن السيد علوي الحداد: لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي بن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي أخبرني أنه ألف كتابًا في الرد علىٰ هذه الطائفة سماه (الأنتصار للأولياء الابرار) وقال لي لعل الله به من تدخل بدعة النجدي قلبه، وإما من دخلت في قلبه فلا يرجىٰ فلاحه اهـ[٣]. ولا زال الشيخ محمد طاهر علىٰ حاله ينشر العلم حتىٰ

---

(١) نزهة الفكر (٢/ ٥٥) وفيه وفاته سنة: ١٢١٦هـ، والأعلام (٦/ ١٧٢-١٧٣)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ١٠١)، وهدية العارفين (٢/ ٣٥٤) وفيهما وفاته سنة ١٢١٩، وحلية البشر (٢/ ٧٤٧)، ثبت الكزبري ص ٧٤.٢٥-٧٥، ونظم الدرر (ص: ١٢٥-١٢٦) ترجمة ٣٦٩، وإيضاح المكنون (١/ ١٠٨، ٢/ ٧٥، ١٠٤، ١١٢، ١٥٧، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٥٢، ٥٠٦، ٦٧٠)، وجامعة الرياض (٦/ ٥٢)، وعمر عبد الجبار: مجلة المنهل (٢٦/ ١٧٤)، وجريدة عرفات (١٧/ ٢/ ١٣٧٨هـ). مختصر نشر النور والزهر١/ ٢٢٥ترجمة ٢٤٠، فيض الملك المتعالي ١/ ٧٤١-٧٤٣ ترجمة رقم ٥٤٨.

(٢) الدرر السنية ١٣٢.

(٣) مصباح الأنام ٦٤.

وفاته المنية بمكة المحمية سنة ١٢١٨هـ، وقد ارخ المؤرخ المكي الحضراوي وفاته سنة ١٢١٦هـ والله اعلم، ودفن بالمعلاة.

قال الغازي في افادته[١]: بيت سنبل، لكن هؤلاء اشتهر منهم أفاضل في آخر القرن الثاني عشر، من أجلّهم مولانا المرحوم الشيخ طاهر سنبل، فإنه من محققي وقته، ونسخته «صحيح البخاري» كانت مرجعًا في بابها، وكان كثيرًا ما يرجع إليه في الفتوىٰ، مع أن المفتي الحقيقي يومئذ الشيخ عبد الملك القلعي، وتوفي الشيخ طاهر المذكور بالطائف سنة ١٢١٨، وله ذرية بمكة وبالمدينة اهـ.

أقول: وقد أعقب الشيخ محمد طاهر سنبل خمسة رجال، هم: عبد المحسن، ومحمد أسعد[٢]، وأحمد، ومحمدأبو السعود، وعبد الوهاب، وصالحة،، وأما محمد أسعد فذريته بعضهم بمكة وبعضهم ببلاد جاوة، وأما أحمد[٣] فمات عن ولده عبد الرحيم[٤] له عقب بأرض البوقس، وأما عبد الوهاب فلا عقب له[٥].

عبد المحسن بن محمد طاهر بن محمد سعيد سنبل

رأس البيت السنبلي المدني

الشيخ العالم الفاضل الشيخ عبد المحسن نشأ في بيت والده الكبير وتتلمذ علىٰ كبار علماء مكة المكرمة، وحصل علىٰ الإسنانيد العلية ومن أشهرها سنده عن أبيه عن جده للأوائل السنبلية، وقد رحل إلىٰ الهند وعاش فترة من الزمن هناك، وعاد إلىٰ الحجاز، وكان يتنقل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبالمدينة تزوج من بيت الأنصاري المدنيين فكان يقضىٰ فترة من الزمن بها، حتىٰ أن الشيخ عبد الرحمن الباني بتي الأيوبي كان ممن اجتمع بهم في المدينة الشيخ عبد المحسن وتلقىٰ منه المصافحة

(١) افادة الانام ٦/ ٣٦٠.
(٢) توفي سنة ١٢٤٩هـ.
(٣) توفي سنة ١٢١٣هـ.
(٤) توفي سنة ١٢٤٨هـ.
(٥) توفي سنة ١٢٦٩هـ سير وتراجم ١٣٥

النبوية[١]، ولا زال علىٰ حاله حتىٰ أدركته المنية سنة **١٢٦٦**هـ،وقد أعقب ثلاثة أولاد وثلاثة بنات إما الاولاد: عبد الرسول، وعمر الآتي ترجمته، وسالم، إما سالم بن عبد المحسن: توفي وليس له ذرية.

إما عبد الرسول بن عبد المحسن: فله ذرية مباركة بالمدينة المنورة أدركت منهم حبيبنا طيب الذكر حلو المعشر الشيخ محمد بن حمزة بن عثمان بن عبد الرسول سنبل وهو الذي زودني بمخطوط نفيس عن آل سنبل فجزاه الله خيرًا.

الشيخ عمر بن عبد المحسن بن محمد طاهر بن محمد سعيد سنبل

مؤرخ البيت السنبلي

ولد الشيخ عمر بمكة المكرمة في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة عام **١٢٢٧**هـ، بمنزل والده بمحلة شعب علي، ونشأ وترعرع بين البيت والمسجد الحرام، وحصل علىٰ أسانيد أجداده ورواها، وأنتقل مع والده فترة من الزمن إلىٰ بلاد الهند وبقي فيها، وفي عام **١٢٥٧**هـ، أنتقل إلىٰ المدينة المنورة، وأستقر له المقام بها، وللشيخ عمر سجل عتيق مخطوط ذكر فيه الجد الجامع لآل سنبل وفروعهم وهو محفوظ لدي الشيخ حمزة بن عثمان بن عبد الرسول سنبل[٢]، وللشيخ عمر سنبل ذرية مباركة منهم إبنه المترجم له وقد فصلنا فيهم في موضعه من قرميتنا عن أعلام المدنيين.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل سنبل ونعود ونواصل الحديث عن الشيخ طاهر.

مولده ونشأته

نعود لصاحب الترجمة، ولد الشيخ طاهر في مكة المكرمة سنة **١٢٤٥**هـ، ونشأ في اسرة علمية توارثت الإفتاء في بلد الله الحرام،، حفظ الشيخ طاهر القران الكريم مجودا وعندما أتمه وبلغ من العمر إثنىٰ عشره سنه هاجر والده إلىٰ المدينة المنورة،

---

(١) فيض الملك ٢/ ٧٤٣، ٨٤٦.

(٢) مخطوط نسب الأجداد لآل سنبل المحفوظ صورة منه في خزانتنا.

وفور وصوله إلىٰ المدينة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام إلتحق بحلقات العلماء والمدرسين بالمسجد النبوي الشريف، وتتلمذ علىٰ كبار علمائه وأجاد العلوم الدينية والعربية وكان له اهتمام بعلوم الرياضيات والحساب والهندسة، فتعلم الطب ودرس علىٰ الشيخ رفاقت علي، وحبيب الرحمن حتىٰ أصبح أحد علماء عصره وبلغت شهرته أقرانه فكان من المميزين في ذلك العصر وكان يجيد اللغات التركية والفارسية والاوردية.

السنبل طبيب المدنيين «الحكيم المسند»

لقد عني الشيخ طاهر بالطب اليوناني فكان من المهرة فيه فشهد له اقرانه بالمقدرة والتفوق وشهدت له وصفاته وعلاجه لكثير من الحالات المستعصية فقد جعل بيته ونفسه لعلاج أهل المدينة فلم تقصر شهرته علىٰ أهل مدينته ليعالجهم فقد جعل الله في يده البركة فتجاوزت شهرته البلاد وطبقة سمعته الأفاق فأصبح يعوده المرضىٰ من جدة ومكه والطائف ومن خارج الحجاز ومن الشام ومصر،وكان هؤلاء المرضىٰ يؤمنون بطبه ويستشفون بأذن الله بعلاجه الذي يركبه بنفسه وكان يلقب بالحكيم المسند[1].

السنبل وأول معمل طبي بالمدينة

لقد انشاء الشيخ طاهر معملًا طبيًا في منزله الخاص وله خدام يساعدونه، وكان هذا المعمل والذي يعد مستشفىٰ المدينة في ذلك العصر لم يكن له مثيل ولم يكتفي بذلك بل إنه عكف علىٰ صناعة الأدوية والعلاجات فكان يقوم بتحضير الأشربة والأدهنة والمراهم والحبوب والمقطرات والمرطبات كشراب الورد ومائه وعطره وشراب الرمان واللوز، وقد اشترىٰ أرض كبرىٰ في خيف الغرابية بمحلة العيون وجعلها بستانًا يزرع فيها الأعشاب الطبيعية ليستخرج منها خلاصة الأدوية الطبية التىٰ تعينه علىٰ صنع الدواء وهو كالمدنيين يفلح ويحصد هذه البستان دون استكبار،وكانت مستحضراته تصدر الىٰ خارج البلاد ويبتاعها الناس كما عرف عنه مساعدة الفقراء ويداويهم ويصرف لهم العلاج دون مقابل.

---

(١) فهرس الفهارس ١/ ٢٠٠.

جهوده وخدمة العلم

عرف الشيخ طاهر بعلمه وجاهه في المجتمع المدني فأنتخب لرئاسة المجلس البلدي فعمل به فترة من الزمن ثم استعفي منه ولم يقبل أي منصب حكومي وتفرغ لخدمة العلم فقد انشاء الشيخ طاهر واحد من اشهر الكتاتيب في المدينة إلا وهو كتاب السنبلية والذي تتلمذ فيه الكثير من ابناء المدنيين فقد أشترىٰ من آل السمان المدنيين قطعة الأرض المشهورة بحديقة «السمانية»[1]، والتي تقع شمال شرق المسجد النبوي بباب المجيدي وكانت تعرف قديمًا بالسنبلية وقد أدركت الناس يذكرون السنلبية إلىٰ عهد قريب قبل توسعة المسجد النبوي الشريف، وقد زالت اليوم فقد عمر بالحديقة المذكورة عدة منازل ومنزلًا كبيرا خاصًا لسكنه، أما البيوت الأخرىٰ فكان يؤجرها، وقد أنشاء منزلًا خاصًا يعلم فيه القران وخصص له فقيه يعلم الصغار ويذكر المؤرخ المدني محمد بن محمد سعيد دفتردار والذي ترجم للشيخ طاهر بترجمة نفيسه كانت أحد مراجعي في هذه الترجمة يقول: فيها انه أحد الذين حفظوا القرآن الكريم بهذا الكتاب ومعه الكثير من ابناء المدينة ومعلمهم رجل هندي اسمه الشيخ عبد الحليم، فرحم الله الجميع ورحم هذا الجيل من الرواد المخلصين لمدينة رسول الله ﷺ.

مكتبة عامرة

لقد كان للشيخ طاهر مكتبة قيمة مشحونة بالكتب النفيسة حول الطب اليوناني وبها نوادر المخطوطات وكانت تقوم علىٰ رعايتها وإدرارتها اخته السيدة رحمة سنبل وعند المدنيين (رحمة سنبليه)، وعندما حوصرت المدينة الحصارالشهير بسفر برلك وقامت الحرب العالمية الاولىٰ كان الشيخ وذويه من الذين خرجوا وهاجروا إلىٰ تركيا حتىٰ عاد بعد انتهاء الحرب وحال عودته، فوجيء أن مكتبته قد نهبت فكان هذا حال كثير من بيوت المدنيين في تلك الفترة، وكان الشيخ حسن الخط، وهو من أهل المدينة الذين سجنوا ظلمًا في القلعة بالطائف في فتنة علىٰ باشا مرمحين، وقد ذكرت القصة مفصله في موضعها من كتابنا.

---

(١) رسائل في تاريخ المدينة ٢٧.

تلاوة القرآن

لقد كان الشيخ طاهر صاحب ديانة وأمانة وعقيدة صحيحة يقرأ القرآن ويجوده مرتلًا علىٰ الطريقة الحجازية بصوت شجي، ويقول الدفتردار كنا نأتي صباحا إلىٰ الكتاب فنجلس قريبًا من نافذته حتىٰ نستمع إلىٰ قراءته العذبة.

وفاته

لقد عاش الشيخ طاهر حياته من أجل خدمة أهل المدينة يرتجي من ذلك الأجر والثواب فقد بارك الله له في عمره وعاش ثمان وتسعون سنة وعندما أذنت ساعة الفراق مرض الشيخ بمرض لم يقعده طويلا فوافته المنية في يوم السبت السادس من شهر صفر سنة **١٣٤٣**هـ وقد أعقب عدة ابناء منهم محمد وعليم ومحمد صالح وأسعد وكلهم معقبون وذريتهم باقيا إلىٰ يومنا هذا بارك الله فيهم، ورحم الله الشيخ طاهر سنبل فقد كان نموذجا من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

السيد عباس رضوان[١]

هو عباس بن محمد[٢] بن أحمد بن رضوان المدني الشافعي.

ولد الشيخ عباس في بيت علم وفضل، وتاريخ ولادته في آخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٣هـ.

بيت رضوان

بيت الرضوان من الأسر الحجازية الشهيرة بالنسب العريقة بحسب العلم والفضل والأدب، بفرعيهما المدني والمكي فقد توارثت هذه العائلة العلم كابرًا عن كابر، وهم غير عائلة رضوان المصري الإسكافي الذي قدم المدينة المنورة في حدود سنة ١٠٧٥هـ الذين ذكرهم الأنصاري في تحفته[٣] وقد تتبعت أمر هذا البيت فثبت ليَّ أنقرضهم في القرن الثالث عشر الهجري، وأكد علىٰ ذلك الحجار في مختصره[٤] وجعفر هاشم في تعليقاته[٥]، إما بيت السادة آل رضوان الدمنهوري الأزهري الذين هم أسرة المترجم له قدموا المدينة المنورة سنة ١٢٥٠هـ، ورغم وجودهم في زمن كاتب مختصر القرمية إلا أنه لم يذكرهم، وهذا حاله مع كثير من البيوتات المدنية العريقة والتي سبق الأنصاري بأغفالها، والحاصل أن بيت رضوان هذا البيت الكبير وردت الكثير من أسماء رجالاته في قوائم علماء الحرمين الشريفين،وهم بيت سيادة وشرف، من ذرية الولي الصالح

---

(١) واسطة العقد الفريد وهو ثبته وفيه أخبار مشائخه، مجلة المنهل المجلد ٣١ سنة ١٣٩٠ ص٢٣١-٢٣٥، البحر العميق ١/ ٢٦٧، المعجم الوجيز رقم ٢٩، تشنيف الاسماع ١/ ٤٩٨ ترجمة ١٠٥، مخطوط الكواكب الدراري ١٤٤، بلوغ الاماني ١٧٤.

(٢) وقع خطا عند المشايخ كالفاداني وابن جندان والغماري وشيخنا المحدث محمود سعيد، وغيرهم وقد تبعتهم في ذلك مسبقًا في الطبعة الاولىٰ وبعد التحقق فقد ثبت ليّ أن والده هو محمد وأن السيد محمد أمين هو عم السيد عباس أخو والده السيد محمد ولكلاهما تراجم في صفحات كتابي.

(٣) تحفة المحبين ٢٤٧.

(٤) مخطوط مختصر القرمية ١١.

(٥) مخطوط تحفة المحبين بتعليقات الخطاط جعفر هاشم ص١٠٤.

السيد عطية أبي الريش الكائن مقامه بدمنهور البحيرة، وقد اطلعت مؤخرًا علىٰ نسبتهم الصادرة من نقابة السادة الأشراف بجمهورية مصر العربية[١]، والتي ترفع نسبهم إلىٰ السادة القراشلة من الإدارسة من ذرية الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ولا شك في نسبتهم الصحيحة إلىٰ البضعة البتول عليها السلام، إلا أنني قد أطلعت علىٰ عدة مصادر قديمة[٢]، ووثائق تذكر نسبتهم إلىٰ ذرية الإمام موسىٰ الكاظم بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن إبي طالب، وهو الأظهر عندي أنهم موسوية حسينية، ولنا في ذلك تحقيق في شرح أصولنا[٣].

قال النسابة الزبيدي في تذيله علىٰ البحر[٤]: وقد انتسب إلىٰ أبي الحسن الدقاق هذا السيد عطية أبي الريش الكائن مقامه بدمنهور البحيرة هكذا هو السيد عطية إبن السيد عزالدين الحسن الدقاق بن إبي الحسن الدقاق ولإبي الريش عقب منتشر في البحيرة فأنظر ذلك.

قال الخطاط هاشم في تعليقاته[٥]: وأول من قدم منهم المدينة المنورة الشيخ رضوان المقري الدمنهوري الشهير بأباظة سنة **١٢٥٠**خمسين ومائتين وألف.

قال ابن جندان في ترجمته للسيد عباس رضوان[٦]: وينتهي نسبه إلىٰ الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن إبي طالب رضي الله عنهم.

قال الكردي في تأريخه حينما ذكر السيد محمد رضوان[٧]: والمذكور من أهل الدين والإستقامة والشهامة والمروءة، وهذه صفات آل رضوان بمكة المكرمة.

---

(١) صكين شرعين صادرة من محكمة المدينة بتاريخ ١٢٩٣هـ، ١٢٩٧هـ، شهادة النسب رقم ٤٧٩٠٣ بتأريخ ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٤م.

(٢) مخطوط روضة الولدان في ثبت ابن جندان ٣/ ٣٢٦.

(٣) شرح مخطوط كتابنا الاصول في ذرية البضعة البتول.

(٤) بحر الأنساب بتحقيقنا ٤٠.

(٥) مخطوط تحفة المحبين بتعليقات الخطاط جعفر هاشم ص١٠٤.

(٦) مخطوط روضة الولدان في ثبت ابن جندان ٣/ ٣٢٦.

(٧) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ٦/ ١٨٩.

قال عبد الجبار في سيره[١]: آل رضوان من المدينة المنورة ينتسبون إلىٰ جدهم العلامة رضوان وهمم من بيت علم وصلاح وتقوىٰ.

قال ابن الصديق في أسره[٢]: آل الرضوان من الأسر الاصيلة العريقة وكان منهم علماء فضلاء بالمدينة المنورة وأيضًا بمكة المكرمة منهم مدير مدرسة الفلاح حالياومنهم المرحومون السيد عبد الكريم رضوان والسيد عبد الرحيم رضوان والسيد حمزة رضوان وكلهم رحمهم الله كانوا في غاية من المروءة والكرم.

العلامة المقرئ السيد رضوان الدمنهوري الأزهري[٣]

رأس البيت الرضواني في الحجاز

العلامة السيد رضوان بن عبد الفتاح بن علي أباظة بن البسيوني بن عبد الواحد بن محمد الشناوي بن عبد الرؤوف بن عبد الفتاح بن عبد السميع بن عبد الرزاق (مرزوق) بن عبد الفتاح بن يوسف من ذرية الولي الصالح عطية ابو الريش القرشلي الإدريسي الحسني، ويعد السيد رضوان المذكور هو رأس البيت الرضواني وأول من قدم منهم إلىٰ الأراضي الحجازية آيبًا من هجرة أجداده، قدم من دمنهور مصر، ومعه أبنه أحمد، وكان أحد أشهر علماء الأزهر، استقدمه محمد علي باشا، وأحاله إلىٰ المدينة المنورة، وعينه مدرسًا ضمن المدرسين بالمسجد النبوي الشريف لمكانته وبراعته في العلم إذ أن السيد رضوان كان أحد المدرسين بالجامع الأزهر، وقد اشتغل السيد رضوان مدرسًا للشافعية بالمسجد النبوي الشريف ودرس وأفاد وأنتفع به العباد، إلىٰ أن توفاه الله بالمدينة المنورة سنة **١٢٥٥**هـ ودفن في بقيع الغرقد، رحمه الله تعالىٰ.

وأعقب السيد رضوان من إبنه السيد أحمد بن رضوان ذرية مباركة بالمدينة المنورة

---

(١) سير وتراجم ٢٨٩.

(٢) الأسر القرشية ١٩٣.

(٣) تفاصيل قدوم السيد رضوان الأزهري يرويها المؤرخ الشيخ عبد القدوس الأنصاري برواية الشيخ المعمر جعفر بن إبراهيم فقيه في لقاءه معه ليلة الجمعة ١٩ محرم سنة ١٣٩٠هـ.

وهم السادة أبوالحسن[١]، وحسين[٢]، ومحمد، وعلي، ومحمد أمين، وعندما اشتد الحصار علىٰ أهل المدينة وهجروا أهلها فيما يعرف بـ«سفر برلك»، لم يخرج آل الرضوان من المدينة المنورة في بداية الأمر، وفي **٢٧** رجب **١٣٣٤**هـ اضطروا من شدة الحصار أن يخرجوا إلىٰ نواحي المدينة فأول ما نزلوا إلىٰ الفريش ومنها قريتي وادي الصفراء[٣] والواسطة[٤]، وحالفوا بهما قبيلة حرب، واستطوطنوها فترة من الزمن، واتجهوا منها إلىٰ مكة المكرمة فدخلوها في رمضان **١٣٣٥**هـ، وعندما وضعت الحرب اوزارها عاد الجميع إلا إبني السيد محمد أمين: السيد عبد المحسن بن محمد أمين، والسيد محمد عبد الباري بن محمد أمين وهما بقية البيت في مكة المكرمة، وعقبهما منتشر بها حتىٰ يومنا هذا وآل الرضوان أعقابهم منشرة في الحجاز بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبدهليز الحرمين الشريفين مدينة جدة، وقد ادركت منهم سادة أفاضل منهم أستاذي في الصغر في المرحلة الإبتدائية الأستاذ السيد خالد بن أحمد بن محمد بن أحمد رضوان ﷺ كان رجلًا فاضلًا ومربي جليل، ومنهم الشاب المهذب السيد أحمد بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن محمدعلي بن محمد عبد الباري رضوان يقيم في جدة من خيرة شبابنا صاحب خلق وأدب جم ورث ذلك من أسلافه وله عناية وأهتمام بتاريخ أسرته.

وسأكتب بعض تراجم العلماء البارزين من هذه العائلة قبل التوسع في ترجمة السيد عباس:

---

(١) ذكر في بعض المصادر حسن والصحيح ماأثبتناه كان حيًا سنة ١٣٢٠هـ، وأحد أعيان السادة الشاهدين علىٰ وثيقة نسب السادة آل كاتب الحسيني.

(٢) كان حيًا سنة ١٣٢٠هـ، وأحد أعيان السادة الشاهدين علىٰ وثيقة نسب السادة آل كاتب الحسيني.

(٣) منحة المريد ٢٢، سير وتراجم ٢٩٠.

(٤) الدليل المشير٢٣٢.

العالم السيد أحمد بن رضوان[١]

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

ولد بدمنهور مصر سنة ١٢٢٦هـ، وحفظ القران الكريم وجوده، علىٰ مشائخ بلدته، قدم مع والده إلىٰ المدينة المنورة، وبها طلب العلم علىٰ مشائخ الحجاز، وكان يروي عن أبيه السيد أحمد عن عبد الغني الدمياطي دفين جدة عن الأمير أبي محمد محمد بن محمد الأمير الكبير والشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي وكلاهما عن العارف بالله الشيخ محمد بن سالم الحفني، وعندما توفي والده سنة ١٢٥٥هـ تصدر للتدريس في المسجد النبوي وحل مكان والده مدرسًا للشافعية، عرف ببركته وصلاحه، ولم يزل علىٰ حاله حتىٰ أدركته الوفاة في شهر رجب سنة ١٣٠٢هـ ودفن في بقيع الغرقد ﵀ وأسكنه الفسيح من الجنان وله ذرية بها وهو الجد الجامع لآل الرضوان.

العلامة الشيخ السيد محمد أمين بن أحمد رضوان[٢]

شيخ الدلائل بالروضة النبوية الشريفة

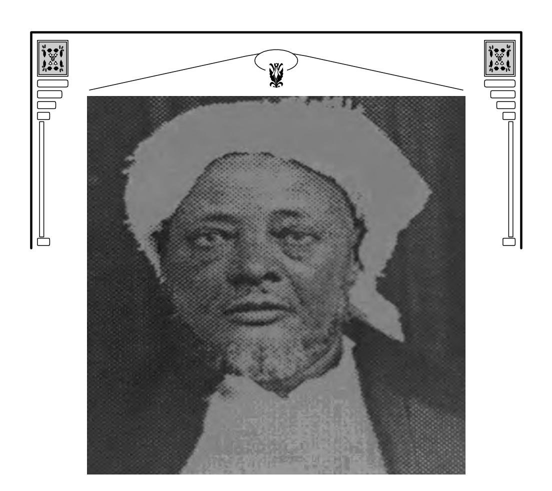
العلامة المشهور شيخ الدلائل بالروضة النبوية الشريفة الفقيه الصالح المسند الشمس ولد بالمدينة سنة ١٢٥٢هـ، وفي بيت أسلافه الفضلاء طلب العلم في صغر سنه، ثم صار فيه مبرزًا، روىٰ عن عبد الغني الدهلوي، وعبد الحميد الشرواني الداغستاني، والشمس محمد أبو خضير الدمياطي، وعطية القماش الدمياطي، وأحمد بن محمد المعافىٰ الضحوي، والشمس العزب الكبير المدني والشمس محمد الخاني الدمشقي، وأحمد أبو الخير المكي وغيرهم، له ثبت مطبوع[٣]، وأسانيده في الكتب الستة عن طريق الشاه عبد الغني الدهلوي ثم المدني، والحزب الأعظم، ودلائل الخيرات، وله إجازة مطبوعة تضمنت سنده في الدلائل، تصدر للتدريس في المسجد

(١) واسطة العقد الفريد ٤، فتح البر بشرح بلوغ الوطر من مصطلح أهل الأثر ٧.

(٢) فهرس الفهارس ١/ ٨٦.

(٣) طبع طبعة حجرية في المطبعة اليوسفية اللكنوية الهندية سنة ١٣٢٥هـ.

النبوي وهو يافع السن، وعقد حلقته بالروضة المطهرة يقرئ «دلائل الخيرات»، وقد أخذ عنه جمع من العلماء، واقتصر المسند مختار بن عطار البوغري في اتحاف المحدثين بمسلسلات الأربعين عن طريق السيد محمد رضوان مما يدلك علىٰ علو شأنه واشتهاره والرغبة في الأخذ عنه، توفي رحمه الله سنة **١٣٢٩**هـ.



الشيخ السيد محمد عبد المحسن بن محمد امين رضوان[(١)]

شيخ الدلائل بالحرمين الشريفين

ولد بالمدينة سنة **١٢٩٢**هـ، وحفظ القرآن الكريم والملحة والألفية ونخبة الفكر والأربعين النووية، وحضر مجالس الدلائل والبردة منذ نعومة أظافره ثم اشتغل علىٰ والده وغيره من علماء المدينة بحل المتون وقراءة الشروح مع التدقيق والتحقيق؛ وممن أخذ عنهم بالمدينة المنورة غير والده: السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والأديب العلامة عبد الجليل برادة والسيد علي بن ظاهر الوتري والسيد محمد بن جعفر الكتاني، والمسند فالح محمد الظاهري وغيرهم، ثم تصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف.

وبعد وفاة والده ولي مشيخة الدلائل وصنف ثبتًا صغيرًا سماه:

(**منحة الأخيار في إسناد الأوراد والأذكار**)[(٢)] جمع فيه أسانيده إلىٰ أحزاب النووي

(١) تشنيف الاسماع ٦٩٠ترجمة رقم ١٥٩، بلوغ الأماني ٦١ ترجمة ٤١ وفيه اثبت وفاته سنة ١٣٨٠هـ والصحيح ما اثبتناه، مخطوط قرة العين ٢/ ٣٢٧، الدليل المشير ٣٣٠، مخطوط الكواكب الدراري ٧٢.

(٢) تشنيف الأسماع (٣٦٢).

والشاذلي والجيلاني والرفاعي وغيرهم.

وعندما انتقل إلىٰ مكة المكرمة مع أسرته بسبب الحرب العالمية الأولىٰ واستقر بها ولم يعد إلىٰ المدينة المنورة فقد عقد حلقته عند باب النبي بالمسجد الحرام شيخًا للدلائل إلىٰ أن توفي سنة **١٣٨١**هـ في الأول من جمادىٰ الآخرة رحمه الله تعالىٰ وأثابه وأرضاه.



السيد محمدعبد الباري بن محمد امين رضوان(١)

بقية البيت الرضواني بمكة المحمية

المدرس بالمسجد الحرام

ولد بالمدينة سنة ١٢٩٥هـ، وحفظ القرآن الكريم، وحضر مجالس الدلائل والبردة علىٰ والده، وشرع في علوم الدين فقرأ علىٰ والده الكتب الستة وموطأ مالك وجملة من كتب الفقه والتفسير والأصول، ونال الأجازة من والده بعلو مروياته، وطلب العلم علىٰ السيد حسين الحبشي وسمع منه المسلسل بالاولية كما قرأ عليه أوليت العجلونية وسمع منه غالب كتاب الشفا للقاضي عياض ونال منه الأجازة بجميع مروياته، وممن أخذ عنهم العلامة المعمرعالم مكة وعابدها الشيخ محمد بن سليمان المصري الأصل المكي الدار الشهير بحسب الله الضرير الشافعي، وحضر دروسه التي كان يلقيها بالمدينة وكان ملازمًا له مدة أقامته فيها وسمع منه حديث المسلسل باولالية وكتب له ثبتًا وحصل منه علىٰ الأجازة بجميع مروياته وممن أخذ عنهم الفقه الشافعي السيد

(١) منحة المريد ٢٠-٢٣، سير وتراجم ٢٩٠.

أحمد بن إسماعيل البرزنجي والشيخ المسند فالح الظاهري والشهاب أحمد الحضراوي، وممن حضر دروسه المسند الشامي الشيخ عبد الله السكري الركابي وقد اجازه بجميع مروياته ولازمه اثناء زيارته للمدينة وعقد حلقته للدروس في المسجد النبوي الشريف والتي كانت في الحديث والفقه الشافعي وغيرهم، ثم تصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف.

وعندما انتقل إلىٰ مكة المكرمة مع أسرته، واستقر بها عقد حلقته بالمسجد الحرام وتصدر للتدريس، وقصده طلاب العلم فدرس وأفاد وأنتفع به العباد وذاع صيته، وقد طاب له المقام بمكة المكرمة ولم يعد مع أسرته الىٰ المدينة وآثر البقاء بجوار البيت العتيق ففي عام١٣٤٦هـ، اختير عضوًا برئاسة القضاء، فأعتذر عن قبول المنصب وسافر إلىٰ الهند وبقي فيها مدة من الزمن، وعاد إلىٰ مكة المكرمة، وواصل دروسه وكان تردد إلىٰ المدينة المنورة لزيارة سيد المرسلين والتواصل مع أسرته وقرابته القاطنينن هناك.

وفي عام ١٣٥٨هـ كانت الوقفة تصادف يوم الجمعة، وبعد أفاضته شعر بنوبة صدرية، وصبر علىٰ ذلك لإتمام حجه حتىٰ أشتدت عليه النوبة يوم الأربعاء ليلة الخميس الخامس عشر من ذي الحجة، ففاضت روحه إلىٰ بارئها وشيعت جنازته في موكب حافل ودفن في المعلاة فرحمة الله عليه، وهو رأس البيت الرضواني المكي وقد أعقب ثلاثة ابناء هم السادة محمدعلي، وعبد القادر، وعبد الجليل ولهم ذرية مباركة.

أما عن والد المترجم له فهو:

العلامة الشيخ السيد محمد بن أحمد رضوان(١)

ولد بالمدينة ١٢٥١هـ، وفي بيت أسلافه الفضلاء طلب العلم منذ صغره، وتلقىٰ علومه من الحزب الأعظم، ودلائل الخيرات، تصدر للتدريس في المسجد النبوي وهو يافع السن، وكان يروي عن أبيه السيد أحمد عن عبد الغني الدمياطي دفين جدة

(١) فتح البر بشرح بلوغ الوطر من مصطلح أهل الأثر ٧.

عن الأمير الكبير، ويروي عن عبد الغني الدهلوي عن عابد السندي توفي رحمه الله بالمدينة المنورة مغرب يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الثاني سنة **١٣١٣**هـ ودفن في البقيع.

وبعد هذه المقدمة حان لنا أن نعود ونتحدث عن ترجمتنا الأساسية والتي تشمل حياة الشيخ العلامة السيد عباس بن محمد بن أحمد رضوان رحمه الله تعالىٰ.

تعليم السيد عباس

عندما بلغ السيد عباس سن التعليم أدخله والده إلىٰ الكُتَّاب، فحفظ القرآن الكريم وجوَّده، ثم بدأ يدرس ويأخذ العلم أولًا علىٰ يد والده، فسمع منه شيئًا من كتب الحديث، وتلقىٰ عنه المسلسلات الحديثية بشروطها، بروايته إياها عن الشيخ عبد الغني الدهلوي، ثم طاف بعد ذلك بحلقات المسجد النبوي الشريف، فالتحق بحلقة الشيخ العلامة أحمد بن إسماعيل البرزنجي مفتي الشافعية في مدينة خير البرية ودرس علىٰ يديه الفقه الشافعي، وكتاب الشفا للقاضي عياض مع حاشية الخفاجي، وقرأ عليه أيضًا مغني اللبيب وشذرات الذهب وبعض كتب الصحاح والسيرة النبوية الشريفة، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة المسند فالح بن محمد الظاهري وقرأ عليه الحديث والنحو والصرف، وأجيز منه بأسانيده العالية، وبعد ذلك التحق بحلقة العلامة الفاضل أديب الحجاز الشيخ عبد الجليل برادة ودرس علىٰ يديه كتب فنون الأدب مثل: «الكامل» للمبرد وديوان الحماسة، وأدب الكاتب، وأمالي القالي، ومقامات الحريري، وما شاكل ذلك من كتب أدبية، وقد نال الشيخ عباس حظًا وافرًا عند شيخه البرادة فكان من خواص طلابه.

ثم التحق بعد ذلك بحلقة مدرس الحرمين الشريفين الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ودرس عليه علوم الحديث، وقرأ عليه بعض المسلسلات، وبدأ يواظب علىٰ حلقات جماعة من العلماء ويطلب منهم الإجازات فيجيزونه بذلك، وقد أجاز بالمدينة المنورة الشيخ علي بن ظاهر الوتري والشيخ عبد الرحمن أبو خضير والشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي والشيخ عثمان بن عبد السلام الداغستاني، والشيخ أحمد الجزائري والد

القاضي الشيخ عبد القادر الجزائري؛ وأجاز بمكة المكرمة: الشيخ حسين محمد الحبشي والشيخ محمد سليمان حسب الله والشيخ عبد الحق الألهابادي، وأخذ أيضًا عن جماعة من الوافدين منهم العلامة الشامي حسين بن محمد الجسر الطرابلسي وغيرهم من أولي العلم والفضل رحمهم الله جميعًا.

دروسه بالمسجد النبوي الشريف

وعندما بلغ السيد عباس رضوان من العلم ما بلغ، أَمَرَهُ شيوخه بالجلوس للتدريس، فتصدر للتدريس بالمسجد النبوي الشريف وكانت حلقته بجوار حلقة الشيخ محمد الطيب الأنصاري خلف المكبرية وكان الشيخ عباس صاحب حلقة صغيرة لا يوجد بها طلاب كثيرون إلاّ أن كبار الطلبة والعلماء يحرصون علىٰ حضورها وهم ممن تخرجوا علىٰ يد والده ثم علىٰ يديه، وكان يدرس الحديث والفقه الشافعي والعلوم العربية وأصول الفقه.

أما عن تلاميذه فإني لم أستطع أن أتحصل إلا علىٰ بعض الأسماء: فمن الذين أخذوا عنه الشيخ عبد القدوس الأنصاري صاحب مؤسسة ومجلة المنهل والشيخ محمد عيسىٰ الفاداني والحاج محمد الشهير بانكوتيم وغيرهم من الأفاضل.

خروجه من المدينة

وعندما قامت الحرب العالمية الأولىٰ كان ممن أخرجوا رغمًا عنهم، وكله أسىٰ وحزن، فسافر إلىٰ مصر وبها التقىٰ بأعيان الجامع الأزهر، وقام بالتدريس بمصر سنوات إقامته، وقرر البقاء هناك لكن الحنين دب في قلبه لمدينة رسول الله ﷺ فتمثل بقول الشاعر[(١)]:

لقرص شعير تافل غير مالح   بغير إدام والذي يسمع النجوىٰ

---

(١) وقد وقع الخلاف عندي وعند غيري في نسبة الأبيات فالأنصاري في ترجمته نسبها للسيد عباس، ونسبها المؤرخ المدني الأستاذ أحمد مرشد إلىٰ الشيخ عباس رضوان كما في كتابه: طيبة وذكريات الأحبة ص (١/ ٦٣) ثم نسبها صفحة (١/ ٦٥) للشاعر الشيخ مشيخ باعبود العلوي المتوفىٰ سنة ١١٧٠هـ، والصحيح عندي أنها للثاني كما في اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة (٣١٥) وتراجم أعيان المدينة في القرن ١٢ الهجري (٩١).

مع الفقر في دار الحبيب محمد ألذ علىٰ قلبي من المنّ والسلوىٰ
علىٰ أنني فيها علىٰ كل حالة غني بتيسير الأمور كما أهوىٰ

وعندما انتهت الحرب عاد إلىٰ المدينة المنورة وعاود التدريس بالمسجد النبوي الشريف، وبقي بها إلىٰ أن توفاه الله.

الرضوان شاعر

وكان السيد عباس إلىٰ جانب علمه الديني شاعرًا رقيقًا جزل الألفاظ حلوها، سامي المعاني قويها.

الرضوان نسابة مدني

تميز السيد عباس بعلم النسب، فهو إلىٰ جانب أنه عالم ومحدث وشاعر، فقد برز من بين علماء المدينة المنورة، وأختص بمعرفته بعلم النسب، والف عدة كتب حول الأنساب، ومن أهم كتبه في هذا المجال كتاب (فتح ربِّ الأرباب بما أهمل في لبّ اللبّاب من واجب الأنسابِ) وهو ذيل للبّ اللّباب في تحرير الأنساب للحافظ السيوطي وقد أشتمل علىٰ ما لا بُدَّ من معرفته للفقيه والمُسْنِدِ وغيرهما من الفضلاء خصوصًا أنساب متأخري المشائخ فأنه ندر من تعرَّض لذكرهما من العلماء وقد قام السيد عباس بتذييل كتاب السيوطي ويقع في أحدىٰ عشر كراسة ووضع فيه اللطائف والنوادر والتراجم، وقد قام النسابة المؤلف بأختصاره وطباعته وسمي بـ«مختصر فتح ربِّ الأرباب بما أهمل في لبّ اللبّاب من واجب الأنسابِ) ولا شك أن الكتاب يعد مرجعًا هام لاسيما أن المؤلف قام بوضع الكنىٰ والإلقاب لبعض البيوتات والمواضع المعاصرة والتي لا تزال حتىٰ يومنا ضمن البيوتات المدنية المعاصرة.

مؤلفات الرضوان

لقد كان السيد عباس منقطعًا للعلم والعبادة، منشغلًا بنفسه، مقبلًا علىٰ ربه، حريصًا علىٰ وقته، فقد وهب حياته كلها للعلم وطلابه، فقد اشتغل بالتأليف مدة طويلة وكان همه هو تقريب ما يؤلف فيه متنًا أو شرحًا إلىٰ أذهان طلاب العلم والباحثين

وشغله الشاغل هو طبع مؤلفاته في أقصىٰ سرعة في وقت كان الطبع فيه عسيرًا، ومصنفاته كان يوزعها بالمجان علىٰ العلماء والطلاب وهنا أورد بعض أسماء مؤلفاته:

١- «**مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب الألباب**» وهو ذيل علىٰ لب الألباب في تحري الأنساب، انتهىٰ من تأليفه في **٣٠** جمادىٰ الأولىٰ سنة **١٣٤٥**هـ، وقد طبع الكتاب في نفس السنة التي انتهىٰ منه المؤلف ويقع الكتاب في **٧٠** صفحة من الحجم الصغير.

٢- «**كتاب فرائد العقود الدرية**»: وهو كتاب في سيرة سيدتنا فاطمة الزهراء والحسن وعلي وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق والعباس عم رسول الله ﷺ، وفرغ من تأليفه في **٢٧** جمادىٰ الآخرة سنة **١٣٤١**هـ، وكتبه بأسلوب القدماء من السجع والرجع وطبع بمطبعة السعادة والكتاب يقع في **٤١** صفحة من الحجم الصغير.

٣- أعلام الناس بأسانيد السيد عباس، «وهو ثبت».

٤- العقد الفريد المنظوم مما تناثر من فرائد جواهر الأسانيد، وهو ثبته الكبير.

٥- فتح البر بشرح بلوغ الوطر من مصطلح أهل الأثر، مطبوع وقد قدمه له السيد أحمد إسماعيل البرزنجي.

٦- اتحاف الإخوان بشرح قصيدة الصبان في المصطلح. مطبوع.

٧- عمدة الطلاب في أصول الفقه. وهو منظومة.

٨- نخبة فتح المنعم الوهاب بشرح عمدة الطلاب في علم أصول.

٩- كفاية الطلاب وهو منظومة في الفرائض.

١٠- إرشاد الأحباب إلىٰ أسرار كفاية الطلاب. مطبوع.

١٢- القطر الشهدي في أوصاف المهدي. منظومة.

١٣- فتح رب الأرباب بما أهمل في لب الألباب «مخطوط»

١٤- نيل الهداية إلىٰ فهم اتمام الدراية لقراء النقاية: قدمها له الشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي الشافعي، ومحمد العزيز الوزير التونسي والشيخ عبد القادر الشلبي الطرابلسي.

وفاة السيد عباس

وفي ليلة الثامن عشر من رمضان سنة **١٣٤٦**هـ انتقل السيد عباس رضوان إلىٰ رحمة الله في داره المعروفة «بدرب الجنائز» وصُلي عليه في المسجد النبوي الشريف، ودفن في بقيع الغرقد[١] ولم يكن له نسل، رحمه الله تعالىٰ جزاء ما أسدىٰ للعلم وأهله.

(١) وقد ذكر شيخنا القاضي محمد الحافظ والسيد عبيد مدني بأن وفاته بمصر علىٰ ماروراه الشيخ عبد القدوس الأنصاري إلا أن المؤرخ المعمر جعفر فقيه أكد وفاته بالمدينة، وقد تحققت من ذلك وهو الصحيح.

الشيخ عبد الجليل برادة[١]

هو عبد الجليل بن عبد السلام بن عبد السلام بن عبد الله بن عبد السلام الشهير ببرادة بن أبي جيدة الفاسي الحنفي المالكي أصلًا.

بيت أبي جيدة

من بيوتات المدينة الشهيرة الثابتة القدم بيت أبي جيدة وأصلهم الخواجة أبو جيدة المغربي الفاسي من مدينة فاس بالمغرب، ويذكر الرحالة السنوسي[٢]، ونسابة مكة ومؤرخها الدهلوي[٣] أن أسلافه ينتهون في نسبهم إلىٰ أبي بردة الأسلمي من بني أسلم العربية العدنانية، قدم المدينة سنة ١١٤٠هـ، وأستقر بها مجاورًا وبصحبته ولداه أحمد مسعود، وعبد السلام برادة، فعرفوا في بداية الأمر ببيت أبي جيدة، وقد تتبعت خبر هذا البيت المتقادم في قرميات البيوتات المدنية، فيما دونه الأنصاري في تحفته[٤]، وتبعه الحجار في مختصره[٥]، وهاشم في تعليقاته[٦]، وصقر في مدونته[٧]، والقين في نسخه[٨]، وبما وقفت عليه من وثائق ومستمسكات فقد ثبتي عندي وجودهم إلىٰ

(١) الأعلام (٣/ ٢٧٥) وفيه مولده سنة ١٢٤٣، وحلية البشر (٢/ ٧٧٩-٧٨٥)، ورياض الجنة (٢/ ٦٣-٦٦) وفيهما وفاته سنة ١٣٢٧، وإتحاف المُطالع (١/ ٣٧٥) وفيه اسمه: عبد الجليل بن محمد، وأنه توفي سنة ١٣٢٥هـ، وفهرس الفهارس في مواضع مختلفة (انظر: فهرس الكتاب ٩٨/٣)، وتكميل الصلحاء والأعيان: (التعليق ص:٢٥٨) وفيه: خروج جده من فاس إلىٰ المدينة سنة ١١٤١، وسلسلة «أعلام المدينة المنورة» لمحمد سعيد دفتردار، في جريدة المدينة ٢١ ربيع الثاني و٤ جمادىٰ الثانية ١٣٧٩ وفيها أن مجموعة شعر صاحب الترجمة عند مصطفىٰ أبي عشرية، في المدينة، الدليل المشير (٢١٩)، فيض الملك المتعالي ترجمة ٥٨٤.

(٢) الرحلة الحجازية للسنوسي ٣/ ١٢٣-١٣٣.

(٣) فيض المالك المتعالي ترجمة ٥٨٤.

(٤) تحفة المحبين ١٥٥.

(٥) مخطوط مختصر القرمية ٣٣.٣٢.

(٦) مخطوط تحفة المحبين بتعليقات الخطاط جعفر هاشم ٦٦.

(٧) الجواهر الثمينة في أنساب أهل المدينة ٨٣ ورقة ١٣٣.

(٨) مخطوط تحفة المحبين بخط الشيخ عبد الله القين ٣٢.

يومنا هذا إلا أن البيت الواحد أصبح بيتان:

البيت الأول: بيت المسعودي ونسبته إلىٰ أحمد مسعود بن أبي جيدة المغربي.

البيت الثاني: بيت برادة ونسبته إلىٰ عبد السلام برادة بن أبي جيدة المغربي.

فأما أحمد مسعود بن أبي جيدة: فكان من القادة الشجعان عينته الدولة العلية جوربجيًا(١) في القلعة السلطانية، وكان من أصحاب الأموال وأشترىٰ دار كبرىٰ بزقاق الطوال وسكنها، واعقب ولدين هما: إبراهيم، وحسن، وفي أعقابهم اليوم بيت المسعودي بالمدينة المنورة، وأدركت منهم العم جيدة بن عبد العزيز المسعودي كان ناظرًا علىٰ أوقاف أهل فاس بالمدينة المنورة، وكذلك منهم الشيخ عبد العزيز بن محمد المسعودي كان يعمل بديوان الإمارة بالمدينة المنورة وليس كل مسعودي في المدينة ينتمي إليهم فهناك عائلة آخرىٰ تعرف ببيت صادق عبد الهادي مسعود من الجزائر ويعرفون اليوم ببيت المسعودي.

وأما عبد السلام برادة فكان أيضًا مثل أخيه من أهل القلعة السلطانية، ومن أصحاب الأموال، وكان أشترىٰ الدار الكبرىٰ بالساحة، وأعقب من الأولاد: عبد الله، وعمر، وكل آل البرادة اليوم بالمدينة ينتسبون له وقد أدركت منهم الشيخ غازي بن كاظم برادة، والأستاذ فيصل بن عارف بن علي برادة، والشيخ كنعان بن علي برادة كان جار لنا في حي البحر وأبنه الأستاذ عدنان، وقد فصلنا فيهم في قرميتنا أعلام المدنيين.

قال الأنصاري في تحفته(٢): بيت أبي جيدة أصلهم الخواجة أبو جيدة المغربي الفاسي. قدم المدينة المنورة في سنة١١٤٠هـ، وجاور بها علىٰ أحسن حال وأزين منوال، وصحبته ولده أحمد مسعود، وعبد السلام براده.

قال الحجار في مختصره(٣): «بيت أبي جيده» ورد المدينة المنورة وهو الخواجة

---

(١) هو الشخص الذي يتزعم القوم، سمي قديما بـ(رئيس الأورطة) أو (الجوربجي)، وتعادل هذه الرتبة رتبة (كولونيل) عند بعض الدول الغربية، وهو الذي يتولىٰ قيادة الرتل أو الطابور، وتعادل رتبة عقيد اليوم.

(٢) تحفة المحبين ١٥٥.

(٣) مختصر القرمية ٣٢.

أبو جيده المغربي الفاسي، ومعه أولاده أحمد مسعود، وعبد السلام بّراده، في عام إِلفٍ ومئةٍ وأربعين. أدركتُ منهم إبراهيم، وإخوانه أحمد ومحمودًا وعليًا ولهم أولاد ومنهم عبد الجليل[١] ومنهم أمين، وإما المسعودي فمنهم عبد الكريم وزين.

قال هاشم في تعليقاته[٢]: عند ذكر بيت أبي جيدة كتب علىٰ هامش المخطوط بيت المسعودي بيت برادة.

قال صقر في جواهره[٣]: عند ذكر بيت أبي جيدة كتب علىٰ هامش المخطوط بيت المسعودي بيت برادة.

قال الدهلوي في الفيض[٤]: أهل بيت مجد وعلم وفضل ببلدة فاس الشهيرة من إقليم المغرب.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل أبي جيدة وفروعهم من بيت المسعودي والبرادة ونعود ونواصل الحديث عن شخصيتنا الشيخ عبد الجليل برادة.

ولد الشيخ عبد الجليل في المدينة المنورة أواخر عام **١٢٤٢**هـ ونشأ في بيت أسلافه الكرام.

وصفه المؤرخون بأنه أبيض اللون، نحيل الجسم، ذو لحية مستديرة بيضاء، يرتدي الجبة والعمامة وهو زي العلماء المدنيين في ذلك العصر.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رفيع المقام، في شخصيته سمات من الفضائل، جيد الكلام، جميل المقابلة، جليل المعاملة، لطيف المؤانسة، شريف المجالسة، طلق اللسان، عليه مهابة ووقار العلماء، محبوبًا لكل من عرفوه، بلغت شهرته آفاق العالم الإسلامي، لقب بأديب الحجاز.

تعليم الشيخ البرادة

توفي والد عبد الجليل وهو صغير السن فتولاه الله برحمته فعندما اشتد ساعده

(١) المقصود به المترجم له.

(٢) مخطوط تحفة المحبين بتعليقات الخطاط جعفر هاشم ص٦٦.

(٣) مخطوط الجواهر الثمينة صفحة ٨٣ ورقة ١٣٣.

(٤) فيض الملك المتعالي ترجمة ٥٨٤.

حفظ القرآن الكريم في المسجد النبوي، ثم بدأ يحضر حلقات الدروس فيه ويدرس العلم علىٰ أعلام المدينة النبوية المباركة في تلك الحقبة من الزمن فقرأ النحو والصرف والعروض والمعاني والبيان والفرائض والفقه الحنفي وصحيح البخاري علىٰ يد الشيخ الفاضل يوسف الغزي، ثم عاد وقرأ الفقه مرة ثانية علىٰ يد العلامة محمد الحلبي نزيل المدينة المنورة فمال إلىٰ الأدب ميله فقرأ البردة علىٰ يد الشيخ محمد الدمياطي، ثم قرأ النحو والعقائد علىٰ يد العالم الفاضل الشيخ محمد العطوشي الطرابلسي، واهتم الشيخ عبد الجليل بالنحو فقرأه مرة ثالثة علىٰ يد الشيخ صالح التونسي الكبير، ثم قرأ علىٰ الشيخ عبد الغني الدمياطي الجلالين وقطعة من التفسير «أي تفسير أبي السعود» وروىٰ عن فضيلته صحيح البخاري كما قرأ عليه بعضًا من شروح ألفية ابن مالك، والتوضيح، ثم قرأ علىٰ الشيخ يوسف الصاوي الأزهري المنطق وجزئين من تفسير البيضاوي وأخذ وافر علمه من العلامة الفلكي المحدث الجليل حسن بن حسين الأسكوبي المتوفي سنة **١٣٠٣**هـ فقرأ عليه الكامل للمبرد بحواشي الطليوسي وحواشي ابن الحاج وأمثال الميداني وديوان الحماسة والمقامات الحريرية بشرح المسعودي وديواني المتنبي وأبي تمام وقرأ عليه باللغة الفارسية كتاب (كلستان) وديوان حافظ الشيرازي وقطعة من الحسنوي وقواعد الفارسية وقرأ عليه باللغة التركية الإنشاءات ودواوين تركية والحلبي في التركية وقرأ عليه في اللغة الحبشية رسالة الشيخ في اللغة الحبشية ثم اتجه إلىٰ اللغة الهندية فقرأ وختم كتاب تفسير القرآن باللغة الهندية ثم قرأ تفسير القاضي البيضاوي علىٰ الشيخ عبد الكريم البخاري وقرأ علومًا أخرىٰ علىٰ الشيخ أحمد السائسي والشيخ أحمد إلياس والشيخ محمد العزب وأخذ الإجازة العامة في الحديث النبوي عن الشيخ إسماعيل بن زين العابدين والبرزنجي المدني مفتي الشافعية في مدينة خير البرية فأخذ عنه سنده وأخذ الأسانيد أيضًا عن الشيخ الفاضل عبد الغني المجددي وقد سمع منه مسلسلات ابن ظهيرة وغيرها ثم أخذ عن محدث المدينة وشيخ العلماء بالمدينة النبوية مسند الحجاز الشيخ محمد عابد السندي المتوفىٰ سنة **١٢٥٧**هـ وعمته إجازته، والتقىٰ بالشيخ المحدث محمد صالح خير الله الرضوي البخاري ولازمه وسمع منه الكثير من المسلسلات وأجازه عامة ثم التقىٰ بالشيخ

سخاوت علي الهندي وسمع منه الأولية عن محمد إسحاق وأخيه محمد يعقوب ثم أجازه الشيخ أحمد منة الله الأزهري المدني والشيخ عليش ثم أخذ يروي «المنح البادية» ثم تلقىٰ النقشبندية عن الشيخ عبد الغني وابن أخيه محمد مظهر ثم أخذ عن الشيخ محمد جان السليماني ثم أخذ عن الشيخ عمر الجفري الحضرمي وغيرهم من العلماء.

وفي عام ١٢٨٥هـ خرج من المدينة المنورة متوجهًا إلىٰ مصر فدخلها وأقام بها ما يقارب أشهرا استفاد الشيء الوفير واجتمع بكثير من العلماء منهم الشيخ محمد الأقباني والشيخ محمد الذهبي وفي مصر مدح عبد الكريم بن لطيف باشا بأبيات جميلة وفي نفس السنة توجه من مصر إلىٰ الأستانة حيث الدولة العثمانية العظمىٰ فأقام فيها ما يقارب سبعة أشهر اجتمع فيها بشيخ الإسلام حسن فهمي الذي تولىٰ المشيخة بعد وفاة الشيخ عارف حكمت مؤسس المكتبة المشهورة بالمدينة المنورة وقاضيها ثم التقىٰ الشيخ عبد الجليل بالشيخ علي الأرناؤوط والشيخ قارة خليل أفندي كما التقىٰ فيها بمفتي بغداد الشيخ أمين السويدي ومفتي الديار الشامية والشيخ أمين الجندي وغيرهم من العلماء ثم عاد إلىٰ المدينة المنورة بعد أن أخذ وافرًا من العلم في رحلته التي استمرت لمدة سنة اجتمع فيها بكثير من علماء المشرق والمغرب ونال الإجازات الكثيرة.

دروسه العلمية

لقد كان الشيخ عبد الجليل عالمًا متضلعًا متمكنًا ماهرًا بارعًا بحق في جميع العلوم والمعارف خاصة في الأدب والفقه وأصوله والبلاغة والنحو الفلك والفرائض وغيرها من العلوم العامة وهبه الله تعالىٰ الذكاء والنباهة والحذاقة والفطانة والحقيقة لقد كان الشيخ عبد الجليل موسوعة متحركة متنقلة في جميع العلوم بدون استثناء لا يباريه أحد، يخوض في البحث ويتعمق في التحليلات وتستهويه التحقيقات ولا يقف عند حد فأصبح ذا شهرة فائقة فنال من العلم ما نال ولما أخذ الإجازات الضخام من شيوخه أمروه بالجلوس للتدريس فاستجاب لأمرهم وتصدر للتدريس وهو في العشرين

من عمره فأصبحت حلقاته من أكبر الحلقات يأتيه طلاب العلم من كل مكان فدرس وأفاد وانتفع به العباد وعقد للعلم سوقًا لا مثيل لها وكانت حلقته في الروضة الشريفة المباركة، لقد كان الشيخ عبد الجليل مشاركًا في كافة العلوم الشرعية وبارعًا في العلوم العربية

والأدبية وأجاز كثيرًا من الطلاب في المشرق والمغرب فكان يجيز بكلمات جميلة وقد اطلعت علىٰ إجازتين للشيخ عبد الجليل يروي فيها عن جميع شيوخه وقد تولىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ التدريس بمكة المكرمة خلال إقامته فيها من عام **١٣٢٣**هـ حتىٰ عام **١٣٢٦**هـ وقد كان للشيخ عبد الجليل عناية فائقة باللغة العربية فاعتبره المؤرخون من كبار اللغويين وكان يدرس نفائس الكتب الدينية والأدبية مثل الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وآداب القالي وديوان الحماسة وديوان المتنبي ومقامات الحريري وغير ذلك ويدرس الحديث والفقه والتوحيد والصرف والمعاني والبيان وغير ذلك وكان الناس يقصدونه في بيته ويدرسون عليه ويجيزهم رَحِمَهُ اللَّهُ.

البرادة شاعر عصره

يعد الشيخ عبد الجليل برادة في مقدمة شعراء عصره في الحجاز وهو أحد شعراء بدء اليقظة العربية، وأكاد أجزم، أنه في العالم الإسلامي من أكثرهم شهرة بل هو أستاذ أكثرهم، وعرف بالإجادة في الشعر بعد أن دانت له مفردات اللغة وبعد أن استوعب ما قرأ من روائع الشعر والأدب قديمه وحديثه، والقليل الذي حصلت عليه في بحثي يدل علىٰ أصالة جمعت بين جزالة اللفظ وسمو المعنىٰ وقد بحثت كثيرًا عن دواوين الشيخ عبد الجليل لأن له ديوانا كبيرا ودواوين أخرىٰ مجهولة حتىٰ يومنا هذا والله أعلم بمصيرها.

وأود قبل كل شيء أن أذكر أن ما استطعت الحصول عليه من شعر الشيخ عبد الجليل رَحِمَهُ اللَّهُ لا يدل دلالة كاملة علىٰ شاعريته ولكنه يعطي القارئ صورة عن هذه الشاعرية التي لا تطفئ الغلة ولا تبل الصدأ ولكنها علىٰ أي حال خير من لا شيء.

ولقد تجشمت عناء البحث عن النماذج التي سأوردها للقارئ والتي وجدتها في

بطون الكتب والتي نشرها بعض الذين عاصروه في كثير من البلدان.

وأكرر القول إن هذا الذي أورده للقارئ لا يدل دلالة كاملة علىٰ شاعريته فإني أعلم أن للشيخ عبد الجليل برادة من القصائد الجياد الكثير الذي هو أجدر بالتقويم ولكن هذا ما استطعت الحصول عليه بعد البحث والجهد فإني لم أجد له حتىٰ ديوانًا مخطوطًا ولم أجد حتىٰ ديوانًا بلغة غير العربية.

وبعد فهذه هي النماذج ولا أقول المختارات التي استطعت الحصول عليها من شعر ونثر الشيخ عبد الجليل برادة شاعر عصره، ومنه حينما انتصرت الدولة العثمانية علىٰ اليونان وذلك في الحادي عشر من سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة عشرة وكان الشيخ عبد الجليل نزيل الدولة العليا باستانبول فذهب للسلطان عبد الحميد خان مادحًا:

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر ... كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنىٰ ... كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتر

كذا فليكن سعي الملوك مقدسا ... يرافقه نسك ويتبعه أجر

كذا فليكن قهر الأعادي وهكذا ... تخاض المنايا والحديد لها جسر

حديث عن اليونان يضحك باكيا ... ويطرب محزونا ويلهو به غر

أماني نفوس في الدجىٰ حلموا بها ... وبالعكس في تعبيرها طلع الفجر

همو دبروا أمرا لأمر وفكروا ... فعاد عليهم ضلة ذلك الفكر

فعاشوا وجاسوا في البلاد بجهلهم ... وعم علىٰ جيرانهم منهم الغدر

صبرنا وكم عنهم عفونا فلم يفد ... وعن مثلهم لا يحسن العفو والصبر

فقام أمير المؤمنين لردعهم ... ببأس شديد لا يقوم له الصخر

فبادرهم منه هصور غضنفر ... كذا الليث يخشىٰ من بوادره الهصر

مشيد أركان الخلافة فخرها ... عظيم بني عثمان يا حبذا الفخر

لقد قام في ذا العصر بالواجب الذي ... هو الفرض من غزو تباهىٰ به العصر

فأحيا مواتًا للجهاد تقادمت ... عليه دهور لا يشاد له ذكر
وقام به في الله لله يبتغي ... مثوبته العظمىٰ وحق له الشكر
غزاة لعمر الله قد نال خيرها ... وسالمه رغم العداة بها اليسر
بفتكته البكر التي شاع ذكرها ... وأفضل فتكات الملوك هي البكر
ليهنك يا كهف الأنام وظلهم ... فتوح به سُرَ المحصب والحجر
وقبر لخير الخلق مُرَ بطيبة ... وحق لهذا النصر أن يفرح القبر
فأنت ملاذ للعقاة مؤمل ... وفضلك جم لا قليل ولا نزر
ومن أين للمزن الكنهور جود من ... بكلتا يديه ديمة صوبها التبر
لك الرأي بالحزم السديد مؤيد ... تعاملهم بالمكر إن لزم المكر
فداوِ مريض الجهل بالحلم أن يفد ... وإلا فداء الشر يحسمه الشر
ورأيك سيف ما ألمت شباته ... بأمر عصىٰ إلا استطاع له الأمر
ومن أين للسيف الحسام مضاؤه ... إذا خامر الألباب من حادث ذعر
كهانته شق سطيح بجنبها ... يحار له زيد ويعيا بها عمرو
سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ... ولما التقينا صدق الخبر الخبر
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة ... وأجلاهموا القتل المبرح والأسر
وما وقفوا في ماقط الحرب لحظة ... ولا ثبتوا كلا ولكنهم فروا
وأدهم بالدهم الجياد دهاهموا ... فحاصوا كحمر الوحش صادفها نمر
وترحالة عنها ترحل جمعهم ... ودكدك من أنحائها السهل والوعر
وغصت غلوص بعد ذاك بريقها ... فما ساغ لولا أن تداركها البحر
ولا ريس في لاريس بعد انهزامهم ... رئيس فهم فوضىٰ كأنهم الحمر
ودوميكة تدعو اتينة جهدها ... لتنجدها هيهات أشغلها عذر

- ومن أشعاره وهو في سن الطفولة:

يطيب لي أن أسهر الليالي ... في طلب العلوم والكمالي

علىٰ سراج واهي الذبال ... حتىٰ أرىٰ في العلم كالغزالي

واستمد الشعر من خيالي ... بذاك أضحىٰ فارس المجال

وقدوة في الفضل للرجال

- ومن بديع كلامه:

ناولت ذات البها المرآة أوهمها ... بأن فيها لها شكلا يحاكيها

وعندما أبصرت فيها محاسنها ... جارت وصالت علىٰ عشاقها تيها

- وقال الشيخ عبد الجليل في بعض العلماء:

لعمري قد بينت سنة أحمد ... وأوضحت بل حققت طرق الأوائل

ورضت لنا منها صحابا تذللت ... فأمست لدينا باديات المقاتل

مجاهل علم قد سلكت طريقها ... فلم تبق من بيدائها من مجاهل

فمن رام قولًا غير ما قد نقلته ... تعنىٰ وخانته وجوه الدلائل

ومن قال قولا غير ذلك لم يصب ... وهيهات أن يحظىٰ ببغية أمل

فما الحق محفوظًا تصك نصوصه ... وجوه الخصوم مثل تلفيق باطل

- وقال يصف ضعف البدن:

روحي مع الضعف لم تشطح لتخرج من ... بين أشفاه فألقىٰ عاجلًا أجلىٰ

من أجل ذلك عمري امتد بي زمنا ... وربما صحت الأجسام بالعلل

- ومن قصائده النفيسة قول في قصيدة طويلة:

وكانت بالعقيق لنا ليال ... تولت غير رجع من صداها

تبادلني الحديث به فتاة ... مهذبة وكنت أنا فتاها

أليفة خمسة من بعد عشر ... من السنوات مدت علىٰ ضياها

تمتع ناظري منها ببدر وضمخ بردئي طيبا شذاها
تعاطين كؤوس الشاي صرفا فأمزجها بشهد من لماها
طواها الترب عني وهي نفسي فيا لله من قبر طواها
نسيت بفقدها أبناء جيلي فلم أذكر من الدنيا سواها

- ومن أقواله:

صاح: إن الزمان لمعة برق فاغتنم فرصة الزمان وبادر
وافعل الخير ما استطعت فما أنت عليه في كل وقت بقادر

وللشيخ عبد الجليل شعر جيد في السياسة يقوله سرًا حتىٰ شعر به الأتراك فأبعدوه عن المدينة المنورة إلىٰ الأستانة فقال وهو هناك:

قدر الله أن أعيش غريبًا في بلاد أساق كرها إليها
وبفكري مخدرات معان نزلت آية الحجاب عليها

وهذه الأبيات الجميلة تدل علىٰ أن الرجل لا تأخذه في الحق لومة لائم فلم يكتم أفكاره بل أذاعها عن طريق الشعر.

وحينما بحثت عن نثر الشيخ عبد الجليل برادة في بطون الكتب لم أجد سوىٰ ما قرظ به الكتاب المسمىٰ بعلم الدين، في حضرة العالم الفاضل علي باشا مبارك وهذا نصه:

ما تنسج الأيدي يبيد وإنما يبقىٰ لنا ما تنسج الأقلام

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فإني تصفحت هذا الكتاب، بل العجب العجاب، الذي نسبت للشيخ علم الدين روايته، وأسندت للسائح الإنكليزي حكايته، فوجدته نزهة للناظر، وسلوة للخاطر، فيه للقلوب ارتياح، وللخواطر نشاط وارتياح، تعرب مبانيه عن لطيف معانيه، وتفصح روائع ألفاظه الرائقة عن بدائع مضامينه الفائقة، ويشهد لمؤلفه بعلو المقدار، ولمصنفه بحسن الاختيار، جمع فيه من غرائب الفنون ونقائض الجد والمجون، الضب

والنوب، وقرن إلىٰ أسنىٰ المقاصد أشرف المطالب، فصح أنه المرغوب لكل طالب، أظهر فيه ما خفي من أسرار الصنائع، وكشف عن وجه مخدرات العلوم، البراقع، وأضاف إلىٰ ذلك من حكم الحكماء، ما أغفلته القدماء، ووشحه بلطائف النوادر، وما تفردت به الأواخر، وأظهرته في هذا الدور الأخير فهو مخترع لجميع المترعات جامع، وبديع في بيان معاني المبتدعات نافع، ينتقل من فصل إلىٰ ضده، ويحكم الوصل بما أبداه من عنده فكان مؤلفه المفضال يقول فيه بلسان الحال:

تصديت في إتعاب فكري لجمعه — فجاء كتابًا في البها لا يشارك

وكنت بحمد الله فيه موفقا — فأسمىٰ عليٌّ في الأنام مبارك

فلله در من أنشأه، وبطراز الحسن والإحسان وشاه، فإنه أجاد، وسلك طريق السداد، وبلغ به ما فوق المراد، بلغه الله تعالىٰ أمانيه، وكبت حاسده وشانيه، ولا زال متواصل البقا دائم الارتقا، بهجة للياليه وأيامه، يزين الوجود بآثار أقلامه ومن نظامه، مغتنمًا للثناء الجميل، والأجر الجزيل، بحرمة سيد الأنام، الذي يحسن بذكره البدء والختام،.

وهناك قصيدة شهيرة ينسبها بعض المؤرخين إلىٰ الشيخ عبد الجليل وهي لإبنه سعد الدين فقد اطلعت علىٰ مخطوط لهذه القصيدة بخط ناظمها بما نصه «قال الفقير الراجي من الله الحسنىٰ وزيادة سعد الدين ابن الفاضل المرحوم الشيخ عبد الجليل برادة المدني» هذا ما كتب علىٰ القصيدة التي سأضعها في هذه الترجمة وللشيخ عبد الجليل خمسة أبناء ثلاثة منهم شعراء مجيدين وهم سعد الدين، محمد سامي، حسن.

عن در مبسمها، عن دمع أجفاني — عن الشقيق: كذا عن خدها القاني

عن المحيا، عن البدر المنير، وعن — سود الغدائر، عن ليلات أشجاني

أروي الصبابة عن ثبت الغرام بها — صحيحة سلسلت في الحب أحزاني

من لي برؤيتها يومًا وقد عطفت — بواوِ أصداغها رحما علىٰ العاني

فمبتدئ الحب منىٰ نظرة سبقت — كانت لها خبرا في نشر إعلان

❁ ❁ ❁

يا للهوىٰ لسويعات مضت بقبا ... وللعوالي بقلبي وخز مرانِ

قربان روحي أفديه لرؤيتها ... يا ليت شعري هل أحظىٰ بقربان

واحر قلبي وادي العقيق فكم ... أجرته عيناي منظومًا بعقيان

لذلك السيح ساحت عبرتي وغدت ... تسقىٰ النقا، ولكم سالت ببطحان

❀ ❀ ❀

يا حادي العيس قف، هذا البقيع ... وذا سلع، فإن به روحي وريحاني

هذي الربوع التي أضحىٰ الغزال بها ... يرعىٰ القلوب، وأرعاه، ويرعاني

❀ ❀ ❀

عاث الزمان بنا رغمًا ففرقنا ... يا للرجال لهذا العائث الجاني

ما كنت أحسب أن الدهر يصدعنا ... بالبعد حتىٰ سقانا بكأسٍ غيرَ هجرانِ

أواه أواه من حرِ الفراقِ وما ... يبقي من الوجدِ في أحشاء ولهان

لا تنكروا جزعي لم يبق لي جلدٌ ... علىٰ النوىٰ فجهول الحب يلحاني

ولو رأىٰ عاذلي من قد شغفت به ... منه ملاحات صب مغرمٍ فانِ

ولو رأىٰ عاذلي من قد شفعت به ... لبات يأمر فيما ظل ينهاني

❀ ❀ ❀

قصدي، مرادي، مرامي، بغيتي، طلبي ... تقبيل أعتاب طه فخر عدنان

محمد خير مبعوثٍ بمالكةٍ ... من ذي الجلال بآيات وبرهان

من خصه الله بالقرآن معجزة ... ما نالها مرسلٌ، قد جاء بالدين

خير الخليقة من جاءته ساجدة ... ضال الفلاة، وعادت ذات إذعان

آيات قرآنه قد أعجزت ملأ ... كانت بلاغتهم تزرىٰ بسحبان

المصطفىٰ المجتبىٰ المحامىٰ ببعثته ... آي الضلالة والهادي لإيمان

❁ ❁ ❁

هذا النبي الذي يمسىٰ النزيل به ... في جنة الخلد، أو في روض عدنان

هذا الرسول الذي من بين أصبعه ... فاضت مياه فأروت كل ظمآن

هذا الحبيب الذي في حق جيرته ... أوىٰ، وأوعد مؤذيهم بخذلان

هذا الحريص علينا، والرؤوف بنا ... هذا الغياث إذا ما الخطب أضناني

هذا الشفيع غدا يوم الحساب إذا ... طال الوقوف بنا من عظم حسبان



يا سيد الرسل، يا خير الخلائق جد ... بالعفو منك، فإن الذنب ألجاني

أهديك: ألف صلاة كلما سجعت ... ورقاء فوق غصون الرند والبان

وتشمل الآل والأصحاب قاطبة ... أزكىٰ التحية مع يمنٍ ورضوانِ

ما قال ذو شجنٍ، والوجد أرقه: ... عن در مبسمها عن دمعِ أجفاني



بين التركزي والبرادة

اطلعت في كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط في حلقة الشيخ محمد محمود التركزي ما ملخصه كان الشيخ التركزي عالمًا فاضلًا ورغم ذلك لا يكاد يسلم من لسانه أحد حتىٰ الذين يحسنون إليه فعندما سكن الحجاز كانت بينه وبين الشيخ عبد الجليل علاقة قوية جدًا وكان مقيما في داره حين نزوحه إلىٰ المدينة فحصلت بين التركزي وعلماء المدينة كثيرٌ من المشاكل ما عدا الشيخ عبد الجليل برادة فإنه كان يحبه ويثني عليه دائما ً وفي إحدىٰ المرات دخل الشيخ التركزي علىٰ مجلس فيه

جماعة يعادوه فلم يسلم ولم يقم له أحد أيضًا وكان الشيخ عبد الجليل يقرأ كتابًا فلم يشعر بدخول الشيخ التركزي فعندما تنبه الشيخ عبد الجليل أراد أن يحييه فقال له التركزي: هو بال حمار فاستبال أحمره فغضب الشيخ عبد الجليل حيث جعله حمارًا وفسدت العلاقة بينه وبين التركزي وتهاجيا بقصائد متعددة واتفق أهل المدينة وعلماؤها علىٰ إخراجه فخرج منها إلىٰ مصر بأمر من الوالي فقد هجا الشيخ التركزي الشيخ عبد الجليل علماء المدينة بكثير من القصائد ورد عليه الشيخ عبد الجليل كذلك بكثير من القصائد.

البرادة يلقب بأبي العلاء المعري

في عهد السلطان عبد الحميد أصدر أحد الأدباء المشاهير في ذلك العصر وهو أبو النصر السلاوي في الأستانة مجلة أطلق عليها اسم «عكاظ الأدب» يعرض في كل جزء من هذه المجلة ما يقع عليه الاختيار في كل موسم من نوابغ الأدباء وقد ذكر في مقدمة الجزء الأول ما نصه وحيث الغرض من وضع هذا الكتاب هو التنويه بفضل من عنىٰ أن يكون قد يحرز قصب السبق في ذلك من الشعراء والكتاب، فيه نشير إلىٰ كل واحد منهم بما تقتضيه درجته الأدبية لا بما تستدعيه أصول التشريفات والألقاب الرسمية، انتهىٰ.

وقد استعار المؤلف لكل واحد من شعراء ذلك العصر أصحاب المعلقات وكناهم ببعض الكنىٰ والألقاب.

فحاز الشيخ عبد الجليل أفندي برادة المدني من قبل مؤرخي عصره علىٰ لقب أبي العلاء المعري الثاني ومن منا لا يعرف أبا العلاء المعري الشاعر الفيلسوف فريد عصره في العلم والأدب وهذا يدل علىٰ تميز الشيخ عبد الجليل بالعلم والفصاحة والفلسفة، وغير ما حاز عليه من الألقاب من قبل المؤرخين الآخرين في الدولة العثمانية في تلك الحقبة من الزمن.

منتدى الأبارية

اتخذ الشيخ عبد الجليل هو وبعض علماء المدينة المنورة الفطاحل ندوة أسبوعية كل يوم ثلاثاء تعقد في بستانه الأبارية البرادية الذي كان يقع قرب المسجد النبوي الشريف من الجهة الشرقية الشمالية من جهة البقيع، والأبارية كانت للشيخ محمد الأبار[1] وإليه نسبتها وآلت إلىٰ آل البرادة بالشراء، وكانت تمتلئ بالصفوة من المثقفين من المدنيين وغير المدنيين ممن يأتي إلىٰ المدينة من العلماء والأدباء والزوار من أنحاء العالم الإسلامي وكان الشيخ عبد الجليل يوجه الدعوة إلىٰ الشخصيات في بلادهم، وتعد تلك المجالس، الأدب الرفيع حليتها والخلق الأصيل زينتها، لطف واستئناس واحترام للكبير وعطف علىٰ الصغير ويعد هذا المنتدىٰ مدرسة أو جامعة ثقافة وعلم والشيخ عبد الجليل هو موسوعتها الشامخة المتحركة وتعيد هذه الندوات ذكريات المدارس العلمية التي عرفت في تاريخ القرن الرابع الهجري في العصر العباسي كمدرسة سيف الدولة الحمداني والصاحب بن عباد.

ومع أن الندوة كانت ثقافية وعلمية إلا أن الشيخ عبد الجليل كان دائم المرح والفكاهة والحديث المستفيض في اطراد من الحكمة والأدب والعلم والاجتماع ومذاكرة أحوال البلاد وتفقد شؤونها وشؤون الأهل والصحاب والمواطنين الغائب منهم قبل الحاضر، يأسرك حديثه وطريقة كلامه المشتمل علىٰ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر المناسبة والحكم المأثورة والأساليب البلاغية والقواعد النحوية بجانب القصص والحكايات والنكت والطرائف وأقوال العلماء والنصائح الدينية هكذا وصفه المؤرخون فلا شك في ذلك وللأسف فقدنا هذه المنتديات الجميلة في وقتنا الحاضر.

أعضاء منتدىٰ الأبارية علىٰ سبيل المثال لا الحصر

١- السيد أنور عشقي.

٢- الشيخ عمر كردي.

٣- الشيخ محمد أحمد العمري.

٤- الشيخ عبد السلام الداغستاني.

---

(١) مختصر فتح رب الأرباب ٣.

٥- السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي.

٦- السيد جعفر بن إسماعيل البرزنجي.

٧- الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي.

٨- الشيخ الشاعر إبراهيم بن حسن الأسكوبي.

٩- الشيخ إبراهيم بن عبد القادر البري.

وغيرهم من الذين لا أستطيع حصر أسمائهم فرحمة الله عليهم جميعًا.

أعماله الحكومية وتكريمه

عرف الشيخ عبد الجليل في العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري والعقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري فكان علمًا من أعلام هذه المدينة المباركة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام فقد كان أديبًا بارعًا ماهرًا بحق وشخصية مرموقة فلم يعرف علىٰ مستوىٰ المدينة والحجاز فقط بل سطع نجمه اللامع علىٰ مستوىٰ آفاق الدول الإسلامية فمن المناصب التي نالها:

* تولىٰ الإفتاء في المدينة المنورة.

* عين مديرًا للمسجد النبوي الشريف.

* كان عضوًا في كثير من المجالس والهيئات واللجان.

وقد ذكر الأستاذ المرحوم عبيد مدني في ترجمة كتبها عن الشيخ عبد الجليل عن الرتب التي نالها الشيخ وقد سجلت في السالنامة[١].

* ففي «سالنامة» ١٣٠٥هـ كانت وظيفته «مميزًا» في الخزينة النبوية ورتبته «ثالثة».

* وفي «سالنامة» ١٣٠٦هـ كانت وظيفته «رئيس كتاب» والرتبة «متماير» والوسام «مجيدي ٤».

* وفي «سالنامة» ١٣٠٨هـ نفس وظيفته في سالنامة ١٣٠٦هـ.

* وفي ١٠ شوال ١٣١٥هـ نال رتبة «أولىٰ ثانية سي».

(١) السالنامة هو دفتر يسجل جميع الرواتب التي تصدر لأهل الحجاز من قبل الدولة العثمانية.

* وفي «سالنامة» ١٢١٨هـ كانت وظيفته رئيس كتاب «الرزنامجة» والرتبة نفس التي نالها عام ١٣١٥هـ.

* وفي «سالنامة» ١٣٢٠هـ نفس وظيفته التي في عام ١٣١٨هـ.

الأوسمة التي نالها في تلك الفترة:

١- عثماني ٣، (مجيدي٢).

وغير هذه المناصب والرتب والتي كان يعمل بها محتسبًا وغيرها من لم يسجله المؤرخون.

تلاميذ الشيخ عبد الجليل

انتفع به جمع غفير وكان لهم شأن كبير فمن خواص تلاميذه الشيخ إبراهيم الأسكوبي المتوفىٰ سنة ١٣٣٢هـ والشيخ محمد العمري المتوفىٰ سنة ١٣٦٥هـ والشيخ إبراهيم بري المتوفىٰ سنة ١٣٥٤هـ والشيخ عمر حمدان المتوفىٰ سنة ١٣٦٨هـ والشيخ المؤرخ عبد الله محمد غازي صاحب كتاب «إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام» والمتوفىٰ سنة ١٣٦٥هـ والسيد زكي برزنجي المتوفىٰ سنة ١٣٦٥هـ والشيخ حسين عبد الله باسلامه المتوفىٰ سنة ١٣٥٩هـ والشيخ محمد العائش المتوفىٰ سنة ١٣٦٤هـ والشيخ أحمد المرزوقي بن حامد السواهاني المتوفىٰ سنة ١٣٥٥هـ والشيخ أرشد الطويل البنتني المتوفىٰ سنة ١٣٥٣هـ والشيخ السيد عباس رضوان المتوفىٰ ١٣٤٦هـ والشيخ علي بن فالح الظاهري المدني ثم المكي المتوفىٰ سنة ١٣٦٤هـ والشيخ محسن المساوىٰ المتوفىٰ سنة ١٣٥٤هـ وغيرهم من الذين لا يمكن حصرهم.

وفاة الشيخ عبد الجليل برادة

وفي آخر حياته أقام الشيخ عبد الجليل في مكة المشرفة «وكان فارًا بمكة مستجيرًا بأميرها من جور محافظ المدينة عثمان باشا» وعندما أعلن الدستور بالمملكة العثمانية قرر الشيخ عبد الجليل العودة إلىٰ المدينة فأدركته المنية وهو في الطريق إليها في «الفريش» علىٰ نحو خمسين كيلو مترًا تقريبًا وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٧هـ وحمل جثمانه إلىٰ المدينة وصلىٰ عليه بالمسجد النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد وكانت لوفاته رنة حزن في العالم الإسلامي، رَحِمَهُ اللَّهُ وأحسن إليه جزاء ما قدم في سبيل رفعة هذا الدين الحنيف.



الشيخ عبد الحميد أحمد ابراهيم عباس[١]

هو عبد الحميد بن أحمد بن إبراهيم بن منصور بن محمد بن أبوبكر بن أحمد بن علي بن عباس

بيت عباس «العبابيس»

بيت عباس أو كما يعرفهم المدنيين بالعبابيس، بيت من بيوت المدينة العريقة في الحسب، الأصيلة في النسب، ولا أعرف الأسرة العباسية إلا بطيب الذكر في مجالس المدنيين، فهم بيت قديم له جذور تيمية قرشية، وقد تتبعت أمر هذا البيت كغيره من البيوت المدنية المتقادمة، وما وقعت عليه من وثائق خطية وقرميات نسبية، وتحققت مما توارثوه بأيديهم، ومما سجل بحجة شرعية لوقفية علىٰ ذرية الصديق رضي الله عنه بمحكمة المدينة سنة ١٢٧٠هـ، علىٰ عهد شيخ الأسلام عارف حكمت الحسيني، بخط كاتبها مفتي المدينة الشيخ أبي السعود الداغستاني تثبت نسب الأسرة العباسية إلىٰ خليفة

(١) ترجمة زودني بها ابنه الأستاذ أحمد بن عبد الحميد عباس، طيبة وذكريات الأحبة ١/ ١١٠.

رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أقول وقد صح عندي نسبتهم إلىٰ عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولقد كان لهذا البيت هجرة إلىٰ بلاد فارس وانتشرت أعقابهم هناك فسكنوا شيراز، وشروان وغيرها من البلدان.

قال الأنصاري في تحفته[1]: (بيت عباس) أصلهم الخواجة محمد بن عبد الكريم الشيرازي العجمي. وكان رجلًا كاملًا، صاحب ثروة عظيمة، وخيرات جسيمة.

وقال الحجار في مختصره[2]: (بيت عباس) أصلهم الخواجة محمد بن عبد الكريم الشيرازي العجمي.

أقول: وقد تبع الحجار الأنصاري في ذكره لهذا البيت، واثبتا وجودهم إلا أنهما لم يذكروا قرشية هذه الأسرة ونسبتهم، ولهم العذر في ذلك، وسببه قلة المعلومات التي توفرت لهما عن رأس هذا البيت، وهو محمد بن عبد الكريم الشيرازي، فلم يذكرا عنه إلا القليل، وكما قيل: كم ترك الأول للآخر، وقد وفقني الله لإثبات ذلك والله من وراء القصد.

أقول قدم جدهم محمد بن عبد الكريم الشيرازي في أواخر القرن الحادي عشر، وكان من أصحاب الأموال فعمر البيوت وأوقف الأوقاف، وبنىٰ الأربطة في الحرمين الشريفين، فبنىٰ في مكة رباط سكنه الجاوة، وبنىٰ في المدينة رباط سكنة السادة آل باعلوي والحضارمة.

وقد أعقب محمد بن عبد الكريم الشيرازي المذكور ذرية كبيره انقسمت إلىٰ بيتان مكي ومدني.

إما المكي فهم بيت أبي الحجب المكي، منهم: الشيخ عبيد الله أبو الحجب المكي، ولم أقف علىٰ شي من خبرهم في أيامنا هذه، ولا يعلم انقرضوا أم لا، والله العالم.

---

(١) تحفة المحبين ص٣٦٥.

(٢) مختصر القرمية ص ٧٥.

اما الفرع المدني فبقيته بيت عباس الموجودين اليوم.

وهم أبناء الشيخ عباس بن مصطفىٰ بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم الشيرازي البكري القرشي.

وقد أعقب عباس بن مصطفىٰ المذكور، من ولده: علي.

أما علي بن عباس: كان رجلًا عاقلًا كاملًا، وهو المتولي صرافة المعلوم بالحرم النبوي فعرف بها، توفي سنة **١١٤٠**هـ، ولا عقب له إلا من ولده: أحمد.

وأما أحمد بن علي، فتوفي سنة **١١٥٥**هـ، وأعقب رجلين، هما: أبو الحجب فلم نقف علىٰ عقبه، وأبو بكر.

أما أبو بكر بن أحمد، فعقبه من ولده: محمد.

وأما محمد بن أبو بكر، فأعقب رجلين، هما منصور، وأخوه الذي أعقب أحمد، وسالم، وعمر.

اقول: أما أحمد، وسالم، وعمر، فلانعرف لهم عقب اليوم، وخبرهم غائب عنا ولا يعلم انقرضوا أم لا، والله العالم.

أما منصور بن محمد، فكان من العلماء الفضلاء عالم جليل القدر له شعر وتأليف كما تذكر بعض المصادر لعلها محفوظة لدي آل عباس، وكان من العلماء العاملين يدرس العلم لخواصه، ويفلح مزارعه الشهيرة كالعباسية، والقائم، والقويم، والعليا، وقد توفي سنة **١٢٥٦**هـ، وأعقب أربعة رجال هم: محمد، وإبراهيم، ويحيىٰ، وسليمان.

وأما يحي بن منصور: فكان أحد الرجال الشجعان، له مواقف في ضواحي المدينة، يجتمع إليه القوم من الأعراب في مزرعته (العليا) المورثة له، وقد قتله جنود الأتراك في موقعة قربان اثناء الحصار.

أما إبراهيم بن منصور: فهو صنو أبيه في العلم والفضل، مولده سنة **١٢٣٣**هـ، كان أديبًا مؤرخًا له تأليف لطيف اسماه «**المناهل الصافية العذبة فيما خفي من مساجد طيبة**» له مجالس أدبية في بستانه القائم، وكانت وفاته بالمدينة سنة **١٣٠٠**هـ وأعقب رجلين هما: محمد علي وأحمد الآتي ترجمته.

وأما محمد علي بن إبراهيم: فكان رجلًا حكيمًا كان يلقب بـ «العرف» وذلك لفصله في القضايا وحلها بالعرف، وقد اختلف في وقت الحصار مع جنود الاتراك فابعد الىٰ الاستانة سنة ١٣٣٥هـ وتوفىٰ بها.

وأما أحمد بن إبراهيم: فقد اعقب ابنه الشيخ عبد الحميد المترجم له،

الشيخ أحمد بن إبراهيم عباس

هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن منصور بن محمد بن أبوبكر بن أحمد بن علي بن عباس

مولده

ولد الشيخ أحمد في بيت والده سنة ١٢٦٥هـ

دراسته بالمسجد النبوي وتعليمه بالأزهر

حرص والده علىٰ ان يتلقىٰ ابنه أحمد العلوم، فأحضر إليه فقيه يعلمه القران ويحفظه حتىٰ أتمه، فشرع في حفظ المتون، فبدأ يدرس علىٰ يد والده، حتىٰ التحق بحلقات الدروس بالمسجد النبوي الشريف، ودرس علىٰ كبار علمائه آنذاك، فأتم العلوم الدينية والعربية، ونال الإجازة منهم إلا انه لم يشبع نهمًا للعلم، فقرر السفر الىٰ مصر والإلتحاق بالجامع الازهر، وبالفعل رحل، ودرس علىٰ يدي علمائه، وتخرج منه بعدما حصل علىٰ الإجازة العليا، ورجع الىٰ المدينة حاملا ما في جعبته من العلوم، عالمًا فقيهًا.

دروسه العلمية

عاد الشيخ أحمد الىٰ المدينة المنورة، وجعل ديوان بستانه، ناديا للأدب ومدرسة للعلم، يتوافد عليه طلاب العلم من جيرانه من سكان قباء يطلبون منه العلم، ويستفتونه في المذهب الحنفي فهو فقيه فرضي، ويستمعون منه علوم الأدب العربي من الشعر، وهو علىٰ ذلك بتواضعه ومكانته بينهم.

العباس فلاح مدني أصيل

كعادة المدنيين قديمًا لا يتنازلون عن مهنتهم الأصيلة التي لا يعزف عنها عالم ولا قائد ولا مسئول فالعلماء والوجهاء تجدهم في مزارعهم من بعد صلاة الفجر يفلحون أراضيهم، وينسلون آبارهم ويلقحون ثمارهم من التمور، وقد اشتهر العبابيس بانهم تمارة مباركون يعرفون التمر المدني ولا يتجاهل المؤرخون المدنيون كالعباسي في عمدته، وموسىٰ وفي وصفه، والعياشي في ماضيه، تلك المزارع حينما يوصفون المدينة ويحددونها، وكان الفلاحون يقصدونه لحل قضاياهم وتقدير زراعتهم وخرص ثمارهم، وذلك لما عرف عنه بعلمه وحكمته وصواب رايه، وعطاءه.

العباس يرفض الإمامة

عرف الشيخ أحمد بعلمه ومكانته بين أوساط المجتمع المدني، ودوره في خدمة الدين والعلم، فعرضت عليه إدارة الاوقاف بالمدينة إمامة مسجد قباء وخطابتها فلم يقبلها بمرتب، ولكنه كان يقوم بها احيانا متبرعا إذا غاب الامام الرسمي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصلي التراويح في شهر رمضان في بستانه.

مجلس العباسية

ولعل الكثير من المدنيين يعرفون منتدىٰ العباسية او مجلس العباسية بالمدينة، فهو أحد اندية الادب والذي يزيد عمره عن مئة عام حيث كان لهذا المجلس الدور الكبير في حل القضايا الإجتماعية والتي تهدف الىٰ إصلاح ذات البين، ولم يكن هذا المجلس هو للهو أو السهر بل كان مضمار من مضامير الأدب يحضره الأمراء والوزراء والأدباء والأعيان، ويحرص علىٰ الجلوس فيه حيث إنهم يلتقون بنخبة من الفضلاء ولعل إن تاريخ مجلس العباسية يمر بتواريخ الأجداد وما توارثه منهم الأبناء حيث جدهم الاعلىٰ عباس بن مصطفىٰ بن عثمان البكري الصديقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم ابنه محمد بن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم ابنه منصور بن محمد بن عباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم ابنه إبراهيم بن منصور بن محمد بن عباس، ثم ابنه أحمد بن ابراهيم بن منصور بن محمد بن عباس المترجم له، ثم من بعده الشيخ عبد الحميد بن أحمد بن عباس، ومن بعده ابنائه حتىٰ يومنا هذا.

العباس شاعر ومؤلف

لقد كان الشيخ أحمد في مقدمة الأدباء والشعراء المدنيين فهو أديب وشاعر بارع له ديوان شعر في الفخر والحماسة والمديح النبوي، ومدح كثيرًا من ضيوفه وأصدقاءه ومنها قصيدته التىٰ يهنىٰء بها الشيخ مأمون بري لتوليه منصب الإفتاء ونذكر منها:

مأمون بري علىٰ كرسي العلوم علا يـجـيـب سـائـلـه عـمـا لـه سـألا

اعـطـاه مـولاه مـن انـعـامـه مـنـنـا علـمـا وحـلـمـا واخـلاقـا بـهـا كـمـلا

لا زلت في منصب الفتوىٰ تقول بما يرضىٰ الآله وتبقىٰ مسعدا جذلا.

ولديه قصيدة اخرىٰ في مدح المدينة، وديوانه فُقِدَ ولم يبق منه إلا ورقات كما علمت، كما أن له تعليق علىٰ كتاب وفاءالوفا للسمهودي، وله فتاوي فقدت في وقت التشريد والحصار علمًا أن الشيخ لم يخرج من المدينة بل رحل الىٰ قرية الحناكية التي بنواحي المدينة وأقام بها مدة الحصار الىٰ أن توفي.

وفاته

وحينما بلغ الكتاب أجله، وبعد حياة مليئه بالعطاء والعمل في خدمة الدين والعلم، توفي الشيخ أحمد بالمدينة سنة ١٣٣٧هـ في الحناكية، وكما كان يرغب أن لا يخرج عن المدينة فيموت غريبًا عنها رحمه الله، وأسكنه الفسيح من الجنان فقد كان مثالًا للعالم العام

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل عباس ونعود ونواصل الحديث الشيخ عبد الحميد رحمه الله.

دهلزة تاريخية

عرفت الشيخ عبد الحميد في الصغر حينما كنت أذهب برفقة والدي للصلاة في مسجد قباء، وبعد الصلاة فاذا بوالدي يذهب للسلام عليه فيستقبلنا ببشاشة، وأدركته في بداية الشباب فرآيته رجلًا ذا هيبة ووقار، حسن السمت لين العريكة، عرفته مفزعًا في المشكلات، من وجهاء المدينة وأعيانها الذين ادركناهم، صليت خلفه مرارًا حينما كان إمامًا لمسجد قباء.

مولده وحياته:

ولد الشيخ عبد الحميد في سنة **١٣٢٧**هـ بالمدينة المنورة، وبها نشأ وترعرع، ودرس في صغره، وحفظ القرآن الكريم وأتمه.

تعليمه وعلمه:

بدأ التعليم في بداية سنة (**١٣٣٧**هـ)، وحينما توفي والده توقف عن التعليم، وبدأ يعمل في الزراعة، ولكن رغبته في العلم كانت أقوىٰ من رغبته في العمل فكان ﵀ يعمل ويتعلم وذلك في مسجد قباء، علىٰ يد الشيخ محمد المختار، والشيخ صالح التونسي، والشيخ محمد الطيب، وذلك بعد صلاة المغرب، وغيرهم من العلماء الأجلاء بالمدينة المنورة، حتىٰ برز وبدأ حياة مليئة بالعلم، فاستمر ينهل من أنهار العلوم والمعرفة، فكان يذهب إلىٰ المسجد النبوي الشريف، ويبحث عن أهل العلم في المسجد ويتفق معهم.

وظائفه الحكومية:

ومما لا شك فيه أن رجلا مثل الشيخ عبد الحميد -رحمة الله عليه- راجح العقل وذو شخصية فذة، لابد أن يكون ممن يستفاد منهم في مجالات العمل المختلفة، فقد عمل رئيسا لهيئة الزراعة، وذلك بأمر ملكي كريم، وذلك بالانتخاب في عام (**١٣٦٩**هـ)، كما كان ﵀ مديرا عاما للجمعيات التعاونية الزراعية لمكانته، وإمكاناته العقلية الكبيرة.

العباس والإمامة:

كان ﵀ إمامًا في مسجد قباء وكان يصلي الفجر والظهر دون أي مقابل، فقد كان يريد الثواب والرحمة.

مؤلفات العباس:

إن للشيخ كفاحا طويلا في هذه الحياة مما جعله يتفرع للتأليف والكتابة فمن مؤلفاته:

١- المرشد في زراعة الأشجار والثمار.

٢- ذكريات (وهو ديوان شعر يتكون من **٩٠** قصيدة)

٣- بساتين المدينة بين الماضي والحاضر.

وفاته:

وفي الجمعة الموافق (١٧/٦/١٤٠٨هـ) ودعت المدينة المنورة أحد علمائها إلىٰ مثواه الأخير فرحمة الله عليه.



الشيخ عبد الحي أبو خضير[1]

هو عبد الحي بن عبد الرحمن بن محمد إبراهيم أبو خضير الشافعي المدني.

بيت أبو خضير

بيت أبو خضير أسرة مدنية أشتهرت بالعلم والفضل وطيب الذكر أصل سلفهم من بلاد دمياط بالديار المصرية، واول من قدم منهم الشيخ محمد أبو خضير إبن الشيخ إبراهيم بن الحاج محمد بن الحاج أبي عامر الدمياطي، قدم المدينة المنورة سنة **١٢٨٢**هـ، وأقام بها، وتصدر للتدريس، وبعد وفاته ورد إلىٰ المدينة إبنه العلامة الشيخ عبد الرحمن واتخذها سكنًا له ولذريته فقد أعقب عدة ابناء كلهم من طلبة العلم والعلماء؛ الشيخ عبد الوهاب المدرس بالمسجد النبوي الشريف، والشيخ عبد الفتاح المشهور بالشيخ عبده كان من مدرسي المسجد النبوي الشريف، والشيخ أمين كان صاحب مكتبة بباب الرحمة، والشيخ محمود كان من العلماء، والشيخ محمد من رجال الدين والفضل إلاّ أن الشهرة والحظوة كانت للأخوين عبد الحي وعبد الفتاح

(١) ترجمة من أعلام المدينة المنورة بقلم محمد سعيد دفتردار جريدة المدينة ١٣/ ٩/ ١٣٨٠هـ.، الجواهر الحسان ٢/ ٦٤٧-٦٨٠ ترجمة رقم ٣٠٨، قرة العين ٢/ ٢٩٥-٣٠٠، بلوغ الأماني ٧٨-٧٩.

رحمهم الله جميعًا، ، وقد أدركت جملة منهم كالشيخ مصطفىٰ بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن أبو خضير كان دبلومسين في وزارة الخارجية وهو من ذوي الارحام تزوج من الشريفة زبيدة بنت محمد نور الكتبي، والشيخ الوجيه أسعد بن عبد الحي أبو خضير، وأخيه الأستاذ حامد رجل فاضل ذو خلق وأدب وبيننا وبينه محبة، الشيخ محمد أبو خضير رَحِمَهُ ٱللَّهُ المؤذن بمسجد قباء وغيرهم بارك الله فيهم وفي ذراريهم حتىٰ يومنا .

الشيخ محمد أبو خضير(١)

العلامة المحقق، والفهامة المدقق.

رأس البيت

هو محمد أبو خضير بن الشيخ إبراهيم بن الحاج محمد بن الحاج أبي عامر الدمياطي مولدًا المدني مهجراَ الشافعي مذهبًا الأحمدي طريقتًا، شمس الدين المعّمر

ولد بدمياط في سنة **١٢٢٣**هـ، وبها نشأ، وأخذ من أكابر أهل عصره؛ كالشيخ علي الخفاجي الدمياطي الشافعي، ومفتي الحنفية بها السيد عبد المولىٰ بن أبي الفوز الطرابلسي، وأجازه جماعة من مشايخ الجامع الأزهر منهم: الشيخ حسن الأزهري القويسني، والشيخ إبراهيم البيجوري، ومحمد الخضري الكبير، وسمع المسلسل بالأولية عن الشيخ العلامة السيد محمد صالح البخاري الرضوي، عن رفيع الدين، ورویٰ عنه أكثر كتب الحديث.

هاجر المدينة المنورة في سنة **١٢٨٢**هـ، وأقام بها، فأخذ عنه كثير من الناس، يروي عن الشيخ عبد الله الشرقاوي، عن شيخه محمد الحفني، وهو أول حديث رواه عنه، عن شمهورش الجني (واسمه: عبد الرحمن)، وهو أول حديث رواه عنه، عن رسول الله، ويروي عن الشيخ السيد محمد صالح البخاري، عن الشيخ رفيع الدين القندهاري الدكني الصوفي، عن الشيخ محمد بن عبد الله المغربي، عن إمام المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، عن الشيخ محمد المكتبي بسنده

(١) فيض الملك ٣/ ١٨٢٣ ترجمة ١٥٥١.

المذكور في «الإمداد» من طريق أبي قابوس مولىٰ عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي هذا الطريق ينتهي التسلسل إلىٰ الإمام سفيان بن عيينة.

وله مصنفات نافعة، منها:

«نهاية الآمل لمن برغب في صحةالعمل»

«قرة أعين أولي الرغبات في بيان المبينات والمعربات»

وتوفي في ٢٣/ ٤/ ١٣٠٣هـ، وقد بلغ عمره الثمانين، وحضرت جنازته ودفنه بالبقيع، فرحمه الله رحمة الأبرار.

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن محمد أبو خضير[١]

نزيل المدينة المنورة وابن نزيلها ومسندها

الجد الجامع

عبد الرحمن أبو خضير ابن الشمس محمد أبي خضير بن إبراهيم الدمياطي الشافعي. جلال الدين، المحدث المسند.

قال الدهلوي في الفيض[٢]: الشيخ العلامة النجيب، والفاضل الفهامة اللبيب، الولي بن الولي، والتقي بن التقي، شيخنا جلال الدين عبد الرحمن أبو خضير ابن الشمس محمد أبي خضير بن إبراهيم الدمياطي الشافعي الأحمدي، نزيل المدينة المنورة وابن نزيلها ومسندها.

ولد ببلدة دمياط وبها نشأ، وأخذ عن أبيه وغيره من الوافدين، وسمع المسلسل بالأولية عن القاوقجي عند قدومه دمياط، وصافحه وشابكه، وروىٰ عنه جملة من المسلسلات، وألبسه الخرقة، وأجيز منه بجميع مروياته ومؤلفاته، وكذا أجازه والده بجميع ما يجوز له، وأجلسه مكانه في التدريس، ووالده يروي عن السيد محمد صالح بن خير الله الرضوي السمرقندي أصلًا ومولدًا، البخاري طلبًا للعلم وشهرة،

(١) فيض الملك ٢/ ١٧٣٥ ترجمة ٩٧٩.

(٢) فيض الملك ٢/ ١٧٣٥ ترجمة ٩٧٩.

الأورنقابادي نزيلًا ومفتيًا، ثم المدني سكنًا وموتًا ودفنًا بسنده، وأخذ الطريقة الأحمدية عن والده، عن الشيخ عبد العال قطمة، عن شيخه الشيخ بكري جاب الله، عن شيخه النبلاوي، عن سيدي محمد الشناوي بسنده المشهور.

ولما توفي أبوه جاء المترجم من دمياط إلىٰ المدينة سنة **١٣٠٣**هـ، وجلس في موضع أبيه. **قال الدهلوي في الفيض**(١): واجتمعت به في الروضة المشرفة في صفر سنة **١٣٠٥**هـ، وسمعت منه المسلسل بالأولية علىٰ شرطه، وصافحني وشابكني، وناولني السبحة المباركة، وألبسني الخرقة بيده، وأجازني إجازة عامة بجميع ما يجوز له لفظًا.

توفي بالمدينة المنورة **١٣١١**هـ رَحِمَهُ اللهُ.

وبعد الحديث عن أسرة المترجم له، نعود ونواصل الحديث عن شخصيتنا الشيخ عبد الحي أبو خضير.

مولده

ولد الشيخ عبد الحي بالمدينة المنورة عام **١٢٩٨**هـ من الهجرة النبوية المباركة.

وصفه

كان طويل القامة، نحيل الجسم، مستطيل الوجه، عيناه منورتان يشع منهما الرضىٰ والسعادة يلبس الجبة والعمامة الحجازية إلىٰ آخر حياته ولا يترك الصلاة في المسجد النبوي الشريف في أغلب الأوقات حتىٰ حين أصبح شيخًا يصعب عليه المشي وحين بَعُدَ منزله عن المسجد كان ولده أسعد البار يأخذه في سيارته لأداء الفريضة في المسجد النبوي(٢).

تعليم الشيخ عبد الحي

عندما بلغ الشيخ عبد الحي سن التعليم بدأ يحفظ القرآن الكريم حتىٰ أتمه في سن

---

(١) فيض الملك ٢/ ١٧٣٥ ترجمة ٩٧٩.

(٢) الدفتردار مصدر سابق.

مبكرة جدًا وأصبح عالِمًا بالقراءات السبع ونال إجازة من شيخه العلامة المقرئ ياسين بن أحمد الخياري[١]، وكان ذلك في ٥/ ٤/ ١٣١٣هـ[٢].

وبعد ذلك طاف بحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف فبدأ يواظب علىٰ حلقة العلامة المقرئ المحدث حبيب الرحمن الهندي الكاظمي والذي كان مدرسًا للعلوم السائدة في عصره من فقه وتفسير وحديث وفرائض وقد درس عليه أيضًا النحو والصرف حتىٰ نال منه الإجازة في ذلك ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة الشيخ خليل أحمد الخربوطي وقرأ عليه البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، كما قرأ عليه بعض العلوم العربية ثم التحق بحلقة العلامة المسند فالح الظاهري وأخذ عنه الأسانيد والمسلسلات، وبعد ذلك التحق بحلقة أديب الحجاز العلامة الشيخ عبد الجليل برادة ودرس علىٰ يديه العلوم العربية مثل: الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وآداب القالي وديوان الحراسة وديوان المتنبي ومقامات الحريري وكتب النحو والصرف والمعاني والبيان.

ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلامة المؤرخ السيد جعفر بن إسماعيل البرزنجي مفتي الشافعية وقرأ عليه الفقه الشافعي مدة من الزمن حيث توفي الشيخ جعفر فالتحق المترجم له بحلقة أخيه السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي ودرس علىٰ يديه الفقه الشافعي ولازمه مدة طويلة حتىٰ نال الإجازة منه ومن شيوخه الشيخ محمد صالح مفتي . . . ودرس علىٰ يديه بعض العلوم وغيرهم من العلماء في ذلك الزمن وجميعهم نال منهم الإجازات الضخام في بث العلم ونشره بين طلاب العلم.

وبعد أن نال من العلم ما نال رحل إلىٰ الجامع الأزهر مع إخوته وقضوا هناك أربع سنوات يطلبون العلم علىٰ يد علماء الجامع الأزهر حتىٰ عاد من هناك فما لبث أن استقر حتىٰ أضاف اسمه إلىٰ قائمة العلماء بالمسجد النبوي الشريف وأصبح أحد علمائه العارفين.

---

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

(٢) انظر الإجازة كاملة في الجزء الاول من الطبعة الاولىٰ من كتابنا.

دروسه بالمسجد النبوي

وفي عهد الدولة العثمانية عين الشيخ مدرسًا بالمسجد النبوي الشريف وعقد حلقته خلف المكبرية وكانت مجمل دروسه في العلوم الدينية وبالأخص الفقه الشافعي والحديث وقد درس صحيح البخاري وشرحه للطلاب عدة مرات وقد استمرت حلقته خمسة وثلاثين عامًا وهي تزخر بمختلف جنسيات الطلاب ويقصدونه من كل مكان لما لمسوا فيه من حسن بيان، ومن تلاميذه الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي والشيخ زكريا بيلا والشيخ هاشم كماخي والشيخ أحمد بري وكثيرون.

وكان يروي الشيخ عبد الحي كثيرًا من الأسانيد ومن هذه الأسانيد:

عن أبيه الفقيه الشيخ عبد الرحمن بسنده السابق إلىٰ جده الشيخ محمد بن إبراهيم أبو خضير عن أحمد بشارة عن الأمير الكبير.

أعماله وحياته

وفي عام **١٣٣٠**هـ عين الشيخ عبد الحي أبو خضير مدرسًا في المدرسة الابتدائية واستمر حتىٰ العهد الهاشمي وفي آخر حياته اعتزل التدريس في المسجد لكبر سنه وضعفه غير أنه لم يترك المطالعة في الكتب والتعليق عليها.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يتلو القرآن الكريم ليل نهار وهو شغله الشاغل وسلوته الوحيدة لأنه كان قليل الاتصال بالناس عاكفًا علىٰ عبادته واطلاعه بالرغم من أنه كان محبوبًا لكل من عرفوه.

ويقول الشيخ محمد سعيد دفتردار عنه: وكان القرآن ديدنه يتلوه ليل نهار وهو شغله الشاغل وسلوته الوحيدة لأنه كان قليل الاِتصال بالناس إلا في حاجاته الضرورية مع أنه كان محترمًا عند الناس يقدرونه ويجلونه وينتفعون بعلمه وفضله وعاش حياته عفًا أمينًا صادقًا أبيّ النفس موفور الكرامة سَلِم المسلمون من لسانه ويده(١).

(١) الدفتردار مصدر سابق.

صعوبات في حياته

قابلت الشيخ عبد الحي بعض الأخطار والصعوبات في حياته في أواخر العهد العثماني عندما أخليت المدينة وخرج أهلها منها، هاجر الشيخ عبد الحي إلىٰ جدة من المدينة عن طريق رابغ ومن رابغ ركب سفينة قاصدًا جدة فاصطدمت السفينة بصخرة أدت إلىٰ غرقها وغرق أكثر من كان بها وكانت نجاة الشيخ من الغرق بأعجوبة حيث تعلق بخشبة في عرض البحر حتىٰ مرت به سفينة أخرىٰ فالتقطته وأوصلته إلىٰ جدة وقد غرق جميع ما كان معه من متاع ووصل إلىٰ جدة لا يملك شيئًا من حطام الدنيا؛ فرحل من جدة إلىٰ الطائف وبقي فيها مدة حتىٰ وضعت الحرب أوزارها وقد لاقىٰ بعد تلك الحرب في الطائف كثيرًا من شظف العيش والبؤس حتىٰ عاد بعد تلك الحرب إلىٰ المدينة المنورة وعاد إلىٰ عمله بالتدريس في المسجد النبوي الشريف[١].

شخصية محبوبة

لقد كان الشيخ عبد الحي رجلًا معتزلًا لعبادته واطلاعه، فأحبه الناس لما لمسوا فيه من طيب القلب وحسن البيان، فالتفّوا حوله وآثروه علىٰ غيره فكان له من الأصدقاء الكثيرون، نذكر منهم علىٰ سبيل المثال: الشيخ محمد طه والسيد حامد عمر كاتب شاعر المدينة الذي ألقىٰ قصيدة أمام الملك عبد العزيز طيب الله ثراه حينما دخل المدينة وذلك في الإستطيون، والشيخ محمد خليل والشيخ أمين مرشد الرجل المعروف بعلمه ومعرفته أطال الله في عمره والسيد حامد بافقيه والشيخ أحمد مرشد والشيخ حسن الشاعر وغيرهم.

وفاة الشيخ عبد الحي

وعندما أذنت حياته بالانتهاء اشتد عليه المرض فوافته المنية في المدينة المنورة في يوم الاثنين ١٤ من شهر ربيع الأول عام ١٣٨٠هـ ودفن ببقيع الغرقد في موكب حافل بمشهد عظيم عليه رحمة الله، بعد حياة حافلة كان فيها مثال العالم العامل الذي لا يرضىٰ إلا بالحق والذي يرفض المناصب العالية في إباء واعتزاز ويؤثر ما عند الله علىٰ ما عند الناس.

---

(١) الدافتردار مصدر سابق.



عبد العزيز الربيع[1]

رائد التعليم الحديث بالمدينة

محمد عبد العزيز بن محمد علي الربيع

ولد بالمدينة المنورة في الثالث من رجب عام ١٣٤٥هـ وكانت ولادته بمنزل والده بباب المجيدي وهو المنزل المطل علىٰ بستان الفيروزية.

الشيخ محمد علي الربيع

ولد الشيخ محمد علي الربيع سنة ١٢٩٣هـ، وكان علىٰ جانب كبير من الصلاح والتقوىٰ، حافظًا لكتاب الله، عمل مدرسًا لفترة من الزمن معلمًا في مدرسة العلوم الشرعية، وقد توفي في المدينة المنورة سنة ١٣٦٣هـ، وأعقب إثنىٰ عشر مولودًا ما بين ذكر وأنثىٰ توفوا ولم يبقىٰ سوىٰ الأخوين محمد عبد العزيز المترجم له، وزين العابدين.

(١) الموسوعة الأدبية ٣/ ٧٤، ذكريات طفل وديع ٢٣، لمحات عن حياة الربيع ٢١ وما بعدها، معجم الأدباء والكتاب: الدائرة للإعلام المحدودة - الرياض ١٩٩٠، طيبة وذكريات الأحبة ١/ ١٣١ ترجمة ١٠٥.

نشأته

نشأ الشيخ عبد العزيز في المدينة المنورة، وكان والده حريص علىٰ تعليمه، تلقىٰ تعليمه الأول الابتدائي، والتعليم آنذاك يعتمد علىٰ ثلاث جوانب، وهي البيت، والحرم، والمدرسة، فكان أول ما أتمه حفظ القرآن الكريم وهو في سن مبكرة، لا سيما معاصرته لنخبة من علماء المدينة في الأربعينات من الهجرة، فهذه هي بدايته الأولىٰ.

من المدينة إلىٰ مكة ومدرسَة تحضير البعثات

تاريخ مدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمي السعودي في (قلعة جبل هندي) ففي عام **١٣٥٧**هـ انتقلت الأقسام الابتدائية الثانية والثالثة من مدارس (السعودية) و(الرحمانية) و(الفيصلية) و(العزيزية) بفصولها إلىٰ مدرسة تحضير البعثات وكان كل فصل يتكون من فرقتين: أ - ب، وكانت هذه الفصول النواة للشهادة الابتدائية. وبعد الشهادة الابتدائية يؤهل الطالب للالتحاق بالتعليم الثانوي في المعهدين .. المعهد العلمي السعودي أو مدرسة تحضير البعثات، وكانت لوائح الالتحاق بمدرسة تحضير البعثات تفترض علىٰ الطالب شيئًا من الإلمام بعلوم الرياضيات والعلوم العصرية ومبادئ اللغة الإنجليزية أو أن تكون لديه معدلات امتياز تؤهله لدخول الدراسة الثانوية في مدرسة تحضير البعثات، وكان مدير المعارف يومئذٍ السيد طاهر الدباغ رحمة الله عليه كما كان المربي الفاضل السيد أحمد العربي مديرًا للمدرسة وهو رجل مدني كان أبوه أحد علماء المسجد النبوي، ويعد الربيع من جيل النهضة الثقافية الحديثة، التي نشأ في أرض الحجاز وبرز علىٰ أثره عدة مدارس حديثة، ولعل الطموح الذي تميز به الربيع جعله يقرر السفر من المدينة إلىٰ مكة ليلتحق بمدرسة تحضير البعثات لإستكمال دراسته، فنبغ هناك حتىٰ أتم الدراسة الثانوية من المعهد العلمي بمكة المكرمة في عام **١٣٦١**هـ.

وفي عام **١٣٦٢**هـ عاد إلىٰ المدينة المنورة البلد الأمين التي ولد فيها، ونشأ وترعرع بين جنباتها، وقضىٰ طفولته بين شوارعها، في باب المجيدي والسحيمي إلىٰ شوارع

المدينة المباركة قاطبة عائدًا إلىٰ المسجد النبوي الشريف الذي كان يومًا ما أحد طلبة العلم فيه، والذي حفظ القرآن الكريم من خلاله.

فحينما عاد عمل مدرسًا في المدرسة الناصرية، ولم يكتف بذلك، بل إنه كان ينتظر اليوم الذي ينتهي فيه من الدراسة الجامعية كي يحقق طموحاته، ولقد حقق الله أمنيته.

من المعهد العلمي إلىٰ جامعة القاهرة

وفي عام ١٣٦٤ هـ،اختير ليكون ضمن الفوج الخامس المبتعث إلىٰ مصر للدراسة في جامعة فؤاد الأول، وهناك التحق بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وحصل منها علىٰ شهادةبكالوريوس في الأدب العربي عام ١٣٦٨ هـ، ثم علىٰ دبلوم في التربية من الكلية نفسهاعام ١٣٧٠هـ وحقق بذلك الربيع أعلىٰ شهادة علمية في ذلك الوقت وهي البكالوريوس.

الربيع مديرًا للتعليم بالمدينة المنورة

اختير عام ١٦/ ٥/ ١٣٧١هـ تم اختياره من بين ثلاثة جامعيين مفتشًا لمنطقة المدينة والشمال.

وفي عام (١٣٧٤هـ) صدر قرار تعيينه مديرًا لتعليم المدينة المنورة، وقد أمضىٰ ثمانية وعشرين عامًا مديرًا للتعليم، ولا شك أن الرجل كان له دور كبير في الحياة التعليمية في المدينة المنورة وفي عهده فتحت الكثير من المدارس وقد وفقه الله في ذلك الوقت بنخبة من رجال التعليم المميزين وسوف تظل الحركة التعليمية مدينة لهذا الرجل ولا يسطيع أن يتجاهل أعماله والتي كانت من الأعمال التي غرست في تعليم المدينة المنورة، ففي عام (١٣٧٢هـ) عندما كان الملك سعود رحمه الله وليًا للعهد، وفي أثناء زيارته للمدينة المنورة، تقدم الأستاذ عبد العزيز وكان المفتش المركزي لمنطقة المدينة المنورة والشمال، بطلبًا لولي العهد يتضمن الرغبة في افتتاح أربعة مدارس بالمدينة المنورة، فوافق الملك سعود علىٰ طلبه.

أعمال الربيع ومشاركاته

المشاركة في مؤتمر المعلمين العرب بالإسكندرية.

ترأس لجنة المملكة لمؤتمر الدراسات الاجتماعية الخامس في عمان بالأردن.

شارك في مؤتمر الوزراء العرب للتربية والتخطيط في طرابلس بليبيا.

اشترك في مؤتمر اليونيسكو في باريس.

شارك في لجنة تأسيس كلية التربية بالمدينة المنورة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز.

كما أنه كان قد ترأس اللجنة العامة لجمعية موظفي الحكومة، وكذلك اللجنة الرياضية التي كانت مسؤولة عن الشؤون الرياضية.

اشترك في تأسيس وإنشاء صندوق التوفير، بالاشتراك مع الأستاذ محمد حميدة، وبقي رئيسًا للصندوق، إلىٰ أن جاء أجله المحتوم، ولقاء ربه ﷻ.

أشرف علىٰ هيئة الرقابة والتحقيق عند إنشائها وبقي مشرفًا علىٰ هذا الفرع بضع سنين

كما أن له مشاركة في البرامج الإذاعية والتلفزيونية.

الربيع والمعسكر الكشفي

ترأس المكتب الكشفي الإقليمي بالمدينة المنورة، وعمل مشرفًا عامًا علىٰ معسكرات الكشافة لخدمة الحجاج بالمدينة المنورة، ثم شارك في المؤتمر الكشفي الثاني.

الربيع من أسرة الوادي المبارك

أسس أدباء المدينة أسرة الوادي المبارك قبل انشاء الأندية الأدبية الحديثة وتعد أسرة الوادي المبارك احدىٰ مجالس الأدب الحديث في العالم الإسلامي وهي امتداد لمجالس المدينة الأدبية العريقة عبر العصور، والتي تحولت بعد انشاء الاندية الأدبية إلىٰ نادي المدينة المنورة الأدبي، وأجزم دون شك أنها اكثر المجالس إنتاجًا ثقافيًا في الابداع الشعري وفي البحث والنقد الأدبي، وفي التاريخ، وفي تحقيق الدواوين

الشعرية لشعراء المدينة، وقد ترأس الربيع نادي المدينة المنورة الذي أنشأه منسوبو التعليم، وفي عام ١٣٨٥هـ تم انتخابه رئيسًا لنادي الأنصار، وبقي في رئاسته حتىٰ وافته المنية.

جهوده ومعاركه الأدبية

لقد كان الأستاذ الربيع أديبًا وصاحب انطباعات، وكانت له إبداعات شعرية، وألقىٰ كثيرًا من القصائد في المنديات الأدبية، فكان عظيم الإلقاء جهوري الصوت، وقد اختير ليكون عضوًا في اللجنة التمهيدية لبعثة سوق عكاظ الأدبي، ثم شارك في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز، ثم ظهر نشاطه البارز في مجال النقد الأدبي، وخاض كثيرًا من المعارك الأدبية، أبرزها معركته مع الأديب محمد حسن عواد.

مؤلفات الربيع

وقد صدر له عدد من المؤلفات والبحوث والدراسات في مواضيع مختلفة، منها:

«ذكريات طفل وديع»

«رعاية الشباب في الإسلام»

«دراسة مطولة عن ديوان: «قدر ورجل» للشاعر الكبير محمد حسن فقي.

دراسة عن ديوان «همسات قلب» لفضيلة الشيخ محمد المجذوب.

أما المخطوط فهو:

«بناء الفرد من وجهة نظر التربية الإسلامية»

«التربية عند العرب قبل الإسلام»

«شوقيات وشوكيات»

«مع الجن والملائكة والشياطين»

«صور وملامح»

«أبو لهب شخصية قلقة»

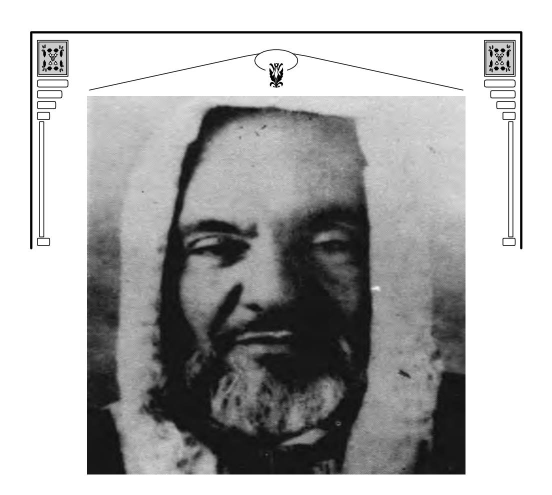
«في المجتمع القرشي»
«كتب ومؤلفون»
«موسوعة المدينة المختصرة»
«مناوشات ومناقشات»
وغيرها من الكتب والدواوين الشعرية.

الربيع في عيون معاصريه

لقد استطاع أستاذنا الكبير أن يدخل قلوب الأدباء والمفكرين في الداخل والخارج، وقد تحدث الكثير من الأدباء والمفكرين في المملكة عنه؛ فقد ألف استاذنا المربي الكبير محمد صالح البليهشي كتابًا عن الأستاذ الربيع أسماه: «لمحات عن حياة الربيع»، وقد تحدث عنه الكثير، منهم نذكر علىٰ سبيل المثال، لا الحصر: السيد محمد هاشم رشيد الغزي، والأستاذ حسن صيرفي، والشيخ حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ والأستاذ محمد حسن فقي، والأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، والأستاذ أحمد محمد جمال، وغيرهم من الأدباء والمفكرين.

وفاة رائد التعليم والأدب الحديث

وبعد حياة عامرة بالأعمال الخيرة والصالحة، ودعت المدينة احد ابناءها ورائد من روادها الكبار، ليلقىٰ وجه ربه الكريم، وكان ذلك في يوم السبت ليلة الأحد الموافق (٢٨) ربيع الأول من عام ١٤٠٢هـ.



الشيخ عبد الغني مشرف[١]

هو عبد الغني بن عثمان بن مشرف بن علي بن علي مشرف المالكي المدني

بيت مشرف

بيت مشرف من بيوتات المدينة وينسبون إلىٰ جدهم الأعلىٰ المعلم علي مشرف البناء المهندس، وإليهم تنسب محلة المشرفية والتي تقع بين قربان وقباء، ولا تزال حتىٰ يومنا هذا تعرف محلة المشرفية لدي أهل المدينة بمسماها.

قال علي موسىٰ في وصفه[٢]: وأما طريق قربان فمن بطحان الذي هو مجرىٰ ابي جيدة وعلىٰ طريق قبا بقرب الباب بلاد تحسين أغا القزلار، بلاد المعلم علي مشرف البناء المهندس سابقا.

قال المؤرخ العياشي في ماضيه[٣]: فان سيل بطحان الذي يعرف اليوم بأبي جيدة، هو مكون من جميع الأودية الجنوبية، مذينب ومهزور ورانوناء، يلتقىٰ الجميع فىٰ شرقىٰ البستان المشرفية.

---

(١) ترجمة مخطوطة زودني بها الدكتور محمد عبد الغني مشرف، طيبة وذكريات الأحبة ١/٧٦.

(٢) رسائل في تاريخ المدينة ٤٥.

(٣) المدينة بين الماضي والحاضر ٤١٢.

قال السيد ياسين الخياري في معالمه[١]: البساتين والحدائق المحيطة بالمدينة المنورة خارج السور الثاني بستان الفيروزية، خارج الباب الشامي، بستان بضاعة، خارج الباب الشامي، بستان الطرناوية، خارج الباب الشامي. بستان الداوودية، خارج الباب الشامي، بستان البساطية، خارج الباب الشامي بستان مصر ومصير، خارج باب العنبرية، بستان العمرانية، خارج باب الحديد قرب العنبرية، بستان زمزم، خارج باب الحديد قرب العنبرية، بستان المغيسلة خارج باب قباء، بستان المشرفية، خارج باب قباء.

وبعد الحديث عن أسرة المترجم له، نعود ونواصل الحديث عن شخصيتنا الشيخ عبد الغني مشرف.

ولد الشيخ عبد الغني بالمدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام في شهر رمضان المبارك من عام **١٣٠٣**هـ من الهجرة النبوية المباركة في دار والده بحوش منصور.

كان ﵀ متوسط القامة، عريض ما بين المنكبين، مستدير الوجه، واسع العينين، أقنىٰ الأنف، عريض الجبهة، يرتدي الجبة والعمة في بداية حياته ثم ارتدىٰ الغترة فيما بعد ولبس العباءة العربية، أما عن صفاته وأخلاقه، كان ﵀: طيبَ القلب، عفيف النفس، لا يحب الشهرة، يكره الملق والتكبر، عالِمًا بالفقه، يقلد الشافعي، رضيَّ النفس، طليقَ اللسان، حلو الحديث.

تعليم الشيخ مشرف

عندما بلغ الشيخ مشرف سن التعليم ألحقه والده كأقرانه في ذلك الزمن لفك الحرف بكُتّاب الشيخ أحمد التابعي «كُتّاب الشيخ مصطفىٰ الزهار سابقًا»وكان عمره آنذاك خمس سنوات ولكن الشيخ مشرف لم يستمر في ذلك الكُتّاب فترة طويلة فما لبث أن حفظ جزء (عمّ) فخرج من الكُتّاب في عام **١٣١١**هـ والتحق بحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف ليأخذ العلم من مناهله الصافية العذبة، فالتحق بإحدىٰ

(١) صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتىٰ العقد الثامن منه ١١٩.

حلقات الدروس لإكمال حفظ كتاب الله وتجويده، وفي فترة بسيطة استطاع تحقيق ما يبغي؛ ولكن روح طالب العلم لا تقف عند حدٍ معين فأراد الشيخ مشرف مواصلة تعليمه علىٰ جهابذة العلماء بالمسجد النبوي الشريف فطاف بحلقات المسجد والتي تعد في ذلك الزمن كخلية النحل فاتجه إلىٰ تعلم شتىٰ العلوم خاصة علوم اللغة وعلم النحو والصرف والأدب.

فأول ما درس في حلقة العلامة الشيخ حمدان بن سيدي أحمد الجزائري الونيسي القسنطيني وقرأ عليه الكثير من العلوم، ولم يقف الشيخ عبد الغني مشرف عند هذا الحد فكانت همته قوية فتفقّه رَحِمَهُ اللَّهُ في الأحكام الشرعية وحفظ الكثير من الأحاديث النبوية بأسانيدها ومسلسلاتها وحفظ الألفية لابن مالك وعدد أبياتها ألف بيت من الشعر ومن أساتذته العلامة الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي والذي كان مدرسًا للعلوم السائدة في عصره من فقه وتفسير وحديث وفرائض ودرس علىٰ يديه أيضًا النحو والصرف.

ومن شيوخه العلامة الشيخ محمد العائش القرشي، وقد تعلّم منه المناسخات ووضع الشبائك الفرضية حتىٰ أصبح عالمًا في ذلك الفن وغيرهم من علماء المسجد النبوي الشريف فلم يزل طالبًا في حلقات العلم حتىٰ أجيز بالتدريس فيه من قبل شيوخه.

الخروج من المدينة

لم تكن للشيخ مشرف رغبة في الخروج من المدينة ولكن جاءت الظروف أقوىٰ من إرادته فمع بداية عام ١٣٣٤هـ بدأت بوادر الاضطراب تظهر علىٰ المجتمع المدني، فالحاكم العسكري العثماني فخري باشا أخذ يعد العدة لمواجهة الأشراف وبدأت المدينة تتحول إلىٰ ثكنة عسكرية فأدرك الشاب خطورة الموقف في المدينة، كما أدركت أسرته ذلك الخطر، فقرروا مغادرة المدينة قبل أن يرحلوا بالقوة الجبرية من قبل جنود فخري باشا.

وكانت أقرب المناطق التي ترتبط بها الأسرة بصلة الرحم هي منطقة ينبع فكانت الهجرة إليها[١].

---

(١) طيبة وذكريات الأحبة ٢/ ٧٦.

وعندما هدأت الأوضاع عاد الشيخ عبد الغني وأسرته إلىٰ المدينة المنورة وواصل تدريسه بالمسجد النبوي الشريف.

أعماله في التدريس

وفي حوالي سنة ١٣٤٧ أو ١٣٤٨هـ وفي عهد الحكومة السعودية عين الشيخ عبد الغني مدرسًا للعلوم الدينية في مدرسة ينبع الوحيدة، واستمر بها حتىٰ أصبح مديرًا لها وفي عام ١٣٥٨هـ وقد عاد إلىٰ المدينة المنورة اختير الشيخ ليكون مدرسًا بمدرسة النجاح الأهلية من قبل مؤسسها الأستاذ عمر عادل التركي وكان رحمه الله يدرس مجانًا ويختص بإعطاء دروس الفقه والتوحيد.

وفي عام ١٣٦٠هـ اختير الشيخ عبد الغني من قبل المدرسة المشرفة علىٰ مدرسة النجاح بعد استقالة مديرها عمر عادل ليكون مسؤولًا عن إدارتها، وقد تكونت اللجنة برئاسة الشيخ عبد العزيز الخريجي وعضوية كل من: السيد حسين طه والسيد مصطفىٰ عطار والأستاذ إبراهيم التركي والشيخ عبد الحي قزاز والأستاذ حسني العلي والأستاذ أسعد عويضة والشيخ محمود رشيدي والشيخ علي حمد الله والشيخ محمد الخريجي.

واستمر مديرًا لمدرسة النجاح بالوكالة حتىٰ تسلمها منه الشيخ ضياء الدين رجب.

وبعد اتجه رحمه الله للعمل محاميًا شرعيًا في مديرية أوقاف المدينة المنورة حتىٰ عام ١٣٦٥هـ.

الشيخ عبد الغني قاضيًا

ونظرًا لحكمةِ ونزاهةِ الشيخ عبد الغني مشرف فقد وقع الاختيار عليه من قبل الملك عبد العزيز رحمه الله في بداية الحكم السعودي وتعيينه قاضيًا لمحكمة ينبع واستمر هنالك قاضيًا حتىٰ عام ١٣٥٦هـ حيث عاد إلىٰ المدينة.

وفي عام ١٣٦٥هـ صدر أمر رئاسة القضاء برئاسة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ وعضوية كلًا من الشيخ العلامة أحمد قاري والشيخ العلامة محمد المرزوقي أبو حسين والشيخ العلامة محمد علي سراج والشيخ العلامة محمد نور الكتبي الحسني، والشيخ العلامة سليمان الحمدان وغيرهم بتعيين الشيخ عبد الغني مشرف

قاضيًا لبلدة ضبا واستمر في منصبه هذا حتىٰ عام **١٣٨٨**هـ حيث أحيل للتقاعد وعاد إلىٰ المدينة المنورة.

دروسه بالمسجد النبوي

لقد عرف عن الشيخ عبد الغني حبه للعلم فما لبث أن أجيز من مشايخه بالتدريس حتىٰ عقدت حلقته في المسجد النبوي الشريف وظل يدرس ويجيز سنوات طويلة وكانت مجمل دروسه في الفقه والأحكام الشرعية وقد تتلمذ علىٰ يديه الكثير من أبناء المدينة المنورة ونذكر منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبد القدوس الأنصاري والشيخ ضياء الدين رجب والشيخ محمد حسين زيدان ومعالي وزير الإعلام الأستاذ علي حسن الشاعر والأستاذ سالم أسعد نعمان مدير الأوقاف بالمدينة سابقًا.

مؤلفات المشرف

لم يشتغل الشيخ عبد الغني بالتأليف كثيرًا لكثرة أعماله التي تولاها من قضاء وتدريس فقد ألّف كتابين هما:

١- هداية الفارض في علم الفرائض «مطبوع».

٢- علم الفقه «لم يطبع».

وفاة الشيخ عبد الغني

وفي آخر حياته مرض الشيخ عبد الغني مرض الموت تردد فيه علىٰ المستشفيات ويبدو أن العلة كانت قد استعصت علىٰ العلاج وأذن مصباح حياته بالانطفاء فتوفي في غرة رمضان سنة **١٣٩٧**هـ عن عمر يناهز الرابعة والتسعين عامًا وصلي عليه بالمسجد النبوي ودفن في بقيع الغرقد، تغمده الله برحمته الواسعة، وأنزله منازل رضوانه، وتقبل منه عمله الطيب في خدمة العلم والقضاء والدين إنه سميع الدعاء.



السيد عبد القادر بن أحمد الجزائري[(١)]

القاضي المدني

هو السيد عبد القادر بن أحمد بن أحمد بن عبد القادر الجزائرلي الحسني

حديث من ذكريات العهد الماضي

تعود بي الذاكرة لأكثر من ربع قرن حينما كنت طفلًا ألهو وألعب في حارات المدينة وكنا نسكن في محلة قباء الشهيرة وبجوارنا الكثير من أسر وعوائل المدينة كالطرابيشي وزاهد والخياري والعشقي والجزائري والكردي والخيمي وبافقيه وعصمت والمغربل والبشناق وغيرهم، ففي عصر كل يوم وقبل صلاة المغرب ونحن نلعب يخرج من بيت الجزائري رجلٌ قد بلغ العقد الثامن من عمره يرتدي الثوب الأبيض والعمامة البيضاء ولا أعرفه إلا متكئًا علىٰ عكاز جميل المطلع له لحية كثة يرتدي نظارة طبية قد ضعف بصره، هو السيد عبد القادر الجزائري القاضي بمحكمة المدينة، ذلك العلم المدني الذي يخرج من بيته قاصدًا المسجد لصلاة المغرب ويمر من بيننا ونحن نتوقف عن اللعب إجلالًا لهيبة ذلك الشيخ الكبير.

---

(١) قضاة المدينة ١/ ٧٧ ترجمة ١٨، مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة بين الماضي والحاضر ص١٥١، صور من الحياة الاجتماعية ص٨١، فيض الملك المتعالي ج١ ص٢٠٢.

مولده ونشأته

ولد بالمدينة المنورة سنة (١٣١٦هـ)، فقد نشأ في بيت العلم والفتوىٰ، فهو الابن الوحيد لوالده السيد أحمد بن أحمد الجزائرلي مفتي المالكية بالمدينة آنذاك.

السادة آل الجزائري

بيت الجزائري بيت من بيوتات المدينة المنورة ونسبته إلىٰ الجزائر مدينة مشهورة بأرض المغرب وإليها ينسب كثير قديمًا وحديثًا، ولهم اوقاف تشمل كل من قطن المدينة وهاجر اليها علىٰ قدم التجريد، ، فليس كل من لقب بالجزائري هو من اسرة مترجمنا فهذا البيت والذي لا يعرفه المدنيين قديمًا إلا بالجزائرلي ثم بالجزائري في فترة زمنية مضت، أما اليوم فيعرفون بآل السيد وهو المسجل في أوراقهم الرسمية، تعددت الالقاب والمسميات والبيت واحد والتاريخ هو سجل لكل زمان ومكان والحديث عن هذا البيت الاصيل في النسب العريق في الحسب ذو شجون، يصول بنا في الامامة ويجول في الافتاء، فكانت لهم حظوة توارثوا فيها افتاء المالكية في مدينة خير البرية، وقد جمع هذا البيت شرف العلم وشرف النسب، فالنسبة حسنية هاشمية قرشية، فجدهم الأعلىٰ هو السيد أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أقول: وقد طلب مني في وقتنا بعض ابناء هذا البيت لحسن ظنهم بالنظر والتحقيق في نسبهم فاستعنت الله بتحقيق نسبهم وأستخراج قرار نسب لهم برقم **٢٨٢**/م في ١ ذو القعدة **١٤٣٣**هـ، وضبط فروعهم بعد مراجعتهم لنا وقمت بالأشراف علىٰ المشجر وقد اصدروه، وقد فصلنا فيهم في قرميتنا في موسوعتي أعلام المدنيين.

وأصل هذا البيت السيد أحمد بن عبد القادر بن أحمد السعيد بن أحمد الحاج بن محمد بن عبد القادر بن محمد الشريف بوعكازة بن عبد الرحمن بن أحمد بن الشريف يعقوب بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الخالق بن علي بن عبد القادر بن عامر بن رحو بن دحو بن مصباح بن صالح بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن

الحسن المجتبىٰ بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قدم السيد أحمد المدينة سنة (١٢٦٠هـ)، وفي معيته أسرته وولداه محمد سعيد، وعلي، ودخل المدينة النبويةالشريفة يحمل في جعبته علمه، وكان رحمه الله يسلك الطريقة القادرية، وفي المسجد النبوي تصدر للتدريس وتولىٰ أفتاء المالكية، توفي سنة ١٢٧٦هـ وترك زوجه حامل، ودفن بالبقيع، وأعقب ثلاثة رجال، هم: محمد سعيد، وعلي، وأحمد.

أما محمد سعيد بن أحمد فمات عن غير عقب.

وأما علي بن أحمد، فأعقب حسن وحده.

أما حسن بن علي بن أحمد، فكان أحد مشاهير أدلاء الحجاج في المدينة، توفي في حدود سنة ١٣٥٥هـ، وأعقب يحيىٰ وحده.

وأما يحيىٰ بن حسن بن علي، فمولده سنة ١٣٤٩هـ، وكانت وفاة سنة ١٤١٦هـ، وأعقب ستة رجال، هم: محمد، وعلي، وعبد الهادي، وعبد العزيز، ومالك مات عن غير عقب، وعمر له ذرية.

أما أحمد بن أحمد الأول بن عبد القادر، فخلف والده في افتاء المالكية، وسيأتي الكلام عنه في طيات الترجمة، وقد أعقب ابنه السيد عبد القادر المترجم له وحده.

وأماعبدالقادر بن أحمد بن أحمد، وهومترجمنا فقد أعقب أحمد وحده.

أما أحمد بن عبد القادر بن أحمد فكانت والدته سنة ١٣٤٢هـ،وقد جاورناه بمحلة قباء، عرفناه رجل حسن السمت طيب الذكر توفي سنة ١٤١١هـ، وأعقب ستة رجال، هم:محمد، وحمزة، وعدنان، وخالد مات عن غير عقب، وإبراهيم، وهشام.

السيد أحمد بن أحمد الأول

ولد السيد أحمد كما اسلفنا بعد وفاة والده وذلك في سنة ١٢٧٦ هـ، فقام بتربيته أخويه: محمد سعيد، وعلي، فأهتما به، وأخذ يحفظ المتون علىٰ يد شقيقيه السيد محمد سعيد، والسيد علي، ثم ألتحق بحلقات العلم بالمسجد النبوي الشريف، حيث في تلك الفتره، لم يكن الألتحاق بحلقات العلم بالمسجد النبوي الشريف بالأمر

السهل، فقد احتوىٰ المسجد علىٰ كبار العلماء، فلا يحدث التلقي إلا بعد معرفة تامة بمبادي العلوم، فالتحق بحلقة الشيخ إبراهيم الأسكوبي (شاعر المدينة)، فدرس عليه علوم الأدب واللغة، ثم ألتحق بحلقة العلامة الشيخ عبد الجليل برادة، ودرس شيئًا من العلوم علىٰ يد الشيخان مأمون، وعبد القادرآل بري، كشرح كنزالدقائق، وبعض فقه الإمام أبي حنيفة، والتحق بحلقة العلامة الشيخ يحيىٰ دفتردار، أحد خطباء مسجد مدينة الرسول ﷺ البلغاء،وكل هولاء المشايخ المدنيين ترجمانهم في أعلامنا فاصبح السيد أحمد الجزائري من نوابغ طلبة العلم الدارسين في المسجد النبوي، وفي تلك الفترة كانت وفاة أخيه الأكبر السيد محمد سعيد الذي كان له الأثر الأكبر في حياته، فقد كان السيد محمد سعيد رحمه الله حريصًا أن يرىٰ أخيه أحمد متصدرًا للتدريس في المسجد النبوي الشريف، ولكنه وفاه الأجل المحتوم، فعزم السيد أحمد بعد وفاة أخيه علىٰ السفر إلىٰ الجامع الأزهر بمصر، وألتقىٰ هناك بكبار علمائه أمثال الشيخ عليش، والشيخ طه الديناري عالم الأزهر الشهير، وأخذ من الشيخ الديناري الكثير الكثير، ثم ألتقىٰ بالشيخ محمد عبده، وأخذ منه بعض علوم التفسير، ثم درس الفقه الحنفي وأستوعبه، وبقىٰ في الأزهر عدة سنوات يأخذ العلوم وينهل منها،ويطوف في رواقاته، حتىٰ سمحوا له بالعودة وهو محمل بالإجازات من المشيخة.

عودته للمدينة

عاد السيد أحمد للمدينة، وفي جعبته الكثير، وعلىٰ الرغم من صغر سنه، إلاأنه أستطاع أن ينهل الكثير من العلوم، فالتف حوله حوله طلبة العلم بالمسجد النبوي، واستمع له العلماء، وقرروا أن ينصبوا اسمه ضمن قائمة المدرسين بالمسجد النبوي الشريف.

تصدره للتدريس بالمسجد النبوي الشريف

اصدر العلماء بيانهم بموافقة الدول العثملنية العلية، بأن تضاف حلقة إلىٰ حلقات المسجد النبوي، وهي حلقة الشيخ السيد أحمد بن أحمد الجزائرلي، فأخذ يدرس علوم الفقه، والحديث، والتفسير، وبلغ علمه وعُرف قدره بين الناس، فأصبحت ترد

إليه الفتاوىٰ من البلاد الإسلامية، فيجيب عليها إجابة زاكي عارف عالمًا بالعلوم علىٰ شتىٰ المذاهب المشتهرة، وسمع به مفتي السادة الأحناف الشيخ محمد بالي المدني، فطلب مجالسته وسمع منه وقربه إليه، وأجازة بإجازة مكتوبة بخط يده ومؤرخة في ١٣٠١هـ، وقد شهد الشيخ البالي، للسيد أحمد بالعلم، وكان السيد أحمد في مجلس الفتوىٰ الأعلىٰ، يستخرج النصوص،ويسلمها للبالي للاستدلال بها علىٰ حل القضايا، وفي تلك الفترة وافة المنية الشيخ محمد البالي، وارتقىٰ منصب الأفتاء الشيخ عمر أفندي البري جد الشيخ عمر بن إبراهيم البري الذي ترجمنا له في كتابنا، وقد كان السيد أحمد صاحب مسلك في الطريقة القادرية يقصده المريدين من بقاع شتىٰ وقد وقعت علىٰ عدة اجازات مكتوبة وممهورة بختمه المبارك في الطريقة القادرية وكان من أعيان الزاوية القادرية بالمدينة النبوية.

من المدينة المنورة إلىٰ دار الخلافة العثمانية

بعد وفاة الشيخ محمد بالي، قرر السيد أحمد الجزائري، أن يتوجه إلىٰ دارالخلافة، وكانت الآستانه حينئذ، وجهة الذين نصبوا نفوسهم إلىٰ الرفعة والمجد ومحطرحال الأفاضل من العلماء، والسيد أحمد الجزائري مالكي المذهب، ومتبحر فيه، والبري عالمًا متبحرًا حنفيًا ومن بيت علم مدني عريق له في الافتاء حظوه، فقررالسيد أحمد التوجه إلىٰ الآستانة، لأمر كان يرىٰ وجوب حصوله، فرحل سنة ١٣١٠هـ، وهوصاحب مكانة دينية وعلمية تؤهله، لمقابلة كبار رجال العلم والقرار هناك، فالتقىٰ بشيخ الأسلام وبواسطتة وواسطة السيد أحمد أسعد المدني ادخل إلىٰ سراي يلدز علىٰ السلطان العثماني عبد الحميد وبرفقته شيخ الأسلام، فأخذ الوزير الديني يترجم للسلطان عن مكانة هذا الزائر الغريب، وقال السيد أحمد، إن الإمام مالك إمام دار الهجرة، وأنا علىٰ مذهبه، فأعجب السلطان بعلم وجراءة السيد أحمد، وفراسة السلطان جعلته يعرف مبتغىٰ السيد أحمد، فأصدر فرمان بتيعنه إمامًا للمقام المالكي سنة ١٣١٠هـ.

السيد أحمد بن أحمد الأول

مفتي المالكية بالمدينة

صدر الفرمان العثماني، من السرايا العثمانية بتوقيع السيد أحمد أسعد مفتىٰ المدينة آنذاك[١] والذي كان أحد الرجال المقربين للسلطان عبد الحميد وقد اطلعت علىٰ ذلك الفرمان وهو محفوظ لدي بصورة ضوئية باللغة التركية انذاك وينص علىٰ تعين السيد أحمد مفتي للمالكية في مدينة خير البرية، وهو منصب يفتي فيه المفتي، والملقب بمفتي السادة المالكية، علىٰ مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس ﷺ، وكان لكل مذهب من المذاهب الخاص مفتيه الخاص حتىٰ يكون مرجعًا للحاكم والقضايا، وعلىٰ الرغم من تعين الشيخ أحمد مفتيًا للمالكية، وكثرت أعماله، إلاأنه كان يعقد درسًا في بيته يدرس فيه الفقه المالكي، أضافة إلىٰ دروسه في المسجدالنبوي، فاشتهر أمره وذاع صيته.

رحيله للعلا ووفاته

وفي عام **١٣٣٣**هـ، حيث الفترة المشئومة علىٰ أهل المدينة، والتي تعرف بسفر برلك، فقد كان فخري باشا يرّحل الناس إلىٰ الشام، فذهب السيد أحمد الجزائري، وطلب من القائد فخري، أن يسمح له بالذهاب إلىٰ العلا، وذلك أن أهل العلا قد طلبوا السيدأحمد، لأن جل أهل العلا كانوا يتمذهبون بالمذهب المالكي، وكانوا يبعثون بفتواهم إليه فيجيبهم عليها، وكان للشيخ أحمد تلاميذه من أهل العلا، يحضرون دروسه، وعندما وقعت الضائقة في المدينة، أذن فخري باشا للسيد أحمد الرحيل إلىٰ العلا، وكان ذلك في أوائل سنة **١٣٣٤**هـ، وفي العلا وبأعتبارها بلدة صغيرة، في ذلك الوقت، ومنتشر بها الوباء من كثرت الذباب، أصيب السيد أحمد برمد شديد في عينيه وعالج نفسه بالأكحال، والقطرات، والكي، ولكن دون جدوىٰ،

(١) صورة من الفرمان محفوظ في خزانتي.

فقرر عدم البقاء بها والعودة إلىٰ المدينة، وذلك في سنة **١٣٣٦**هـ، ولكن في تلك الفترة اشتدت الأمور، فأصبح الوصول للمدينة أمر صعب، ففخري باشا قد حصن أسوار المدينة وقلاعها، وجميع مسالكها، والشريف علي بن الحسين أمير الحجاز آنذاك، قد عسكر في الفريش والربذه، والحرب علىٰ وشك أن تشتعل، وفي الحجره كان محمد بن طلال بن رشيد مرابطًا هناك من قبل الدولةالعثمانية، فرحل إليه السيد أحمد قادمًا من العلا، وعرفه ابن رشيد وأكرمه، وعرض عليه ابن رشيد تسهيل مهمته، وبالفعل سُمح للسيد أحمد بالوصول والدخول للمدينة وحده دون أهله، فأبقىٰ أسرته في العلا برفقة ابنه العلامة السيد عبد القاد، ولما وصل للمدينة اشتد عليه المرض، ففارق الحياة ومات بالمدينة وحيدًا بعيدًا عن أهله، فجهز وكفن بصعوبة، وحمله الجنود الأتراك بمعاونة مدير الأوقاف آنذاك غالب تحسين بك، وصليّ عليه، وقبر في البقيع، وذلك في منتصف صفر سنة **١٣٣٦**هـ، رحم الله السيدأحمد بن أحمد الجزائري عالم المدينة ومفتيها، فقد قضىٰ حياته في خدمة العلم والدين حتىٰ قضىٰ نحبه، ولم ينجب غير ولده السيد عبد القادر كما ذكرنا سابقًا.

نعود لعلمنا السيد عبد القادر الذي حفظ القرآن الكريم وجوده وأتم قراءته علىٰيد شيخ القراء بالمدينة الشيخ حسن بن إبراهيم الشاعر رحمه الله، ثم التحق بحلقات المسجد النبوي الشريف وفي مقدمتها حلقة والده في الفقه والتفسير والحديث، وحضردروس العلماء أمثال: الشيخ إبراهيم بري قاضي المدينة والشيخ المحدث عمر حمدان المحرسي، وغيرهم من العلماء وحصل علىٰ الإجازات وأدرج اسمه ضمن قائمة علماء الحرمين، وحضر مجلس العلامة الشيخ محمد العربي التباني ونال منه الإجازة العامة والخاصة في الصحاح والمسانيد وغيرها من التصانيف.

الشيخ عبد القادر كاتب عدل

وحينماانتقل والده السيد أحمد الجزائري إلىٰ العُلا في أوائل عام (**١٣٣٦**هـ)، علىٰ عهد الشريف علي بن الحسين والذي تولىٰ إمارة المدينة عينه كاتب عدل لمحكمة العلا.

الجزائري قاضي العلا والمدينة

عمل الشيخ عبد القادر في خدمة العلماء والقضاة سنوات طويلة وبعد تولي الملك عبد العزيز علىٰ الحجاز، وقع الاختيار علىٰ الشيخ عبد القادر من قبل رئاسة القضاة لأن الشيخ عبد القادر قد عمل في محكمة العلا سابقًا وهو رجل من العلماء المعروفين فعين في قضاة العلا مدة ثلاثة عشر سنة من عام (١٣٦١هـ) إلىٰ عام (١٣٧٣هـ).

الشيخ عبد القادر وإمامة المصلين

رشح الشيخ عبد القادر لإمامة المصلين في المسجد النبوي الشريف مدة من الزمن حيث كان يؤم المصلين في صلاة المغرب.

الشيخ عبد القادر قاضيًا بالمدينة

وفي عام (١٣٧٣هـ) رشح السيدعبد القادر قاضيًا بمحكمة المدينة المنورة وبقي بها حتىٰ عام ١٣٨٧هـ، وتميز بأحكامه التي كانت دائمًا تعود مصدقة من هيئة التمييز، لا اعتراض عليها، وهذا لسعة علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

و عند بلوغه السن النظامية وكبر السن أحيل للتقاعد.

ذكرىٰ من نفحات العلماء وبركتهم

ذكري وحديث الطفولة نقش في العقل كنت في اوائل العمر وكنا نسكن محلة قباء النازل حيث بيت الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واعلم ان ما يحدث في الصغر منقوشا في الذاكرة كما هو منقوش علىٰ الشاهد في الحجر، ففي عصر يوم وانا ألعب الكرة أي كرة القدم وهي لعبتنا الوحيدة التىٰ نتسلىٰ بها، فلا يوجد سوني او بلاستيشن او قم بوي والالعاب الالكترونية المنتشرة اليوم، فما اجمل صبانا واعان الله ابناءنا علىٰ صباهم.

الحاصل وانا في اثناء العب وكنت حافي القدم فلا حذاء ولا بوت، فاذا بمسمار قد تمكن الصدأ منه يدخل برجلي اليسرىٰ وينزف الدم ومعي اخوتي من ابناء حارتنا يلعبون، ونحن بجوار بيت الشيخ الجزائري الشيخ الكبير بحارتنا، فاذا بشهامة ابناء

الجزائري وفزعت الجيران ومعرفة حقوق الجار فحملوني العيال الىٰ دهليز بيت الجزائري والدهليز هو مدخل المنزل قبل الدرج بين الباب والدرج فسحه لاتتجاوز الثلاثون مترًا مربعًا وانا انزف الدم من رجلي، والمسمار بها فحضر أهل البيت من خالتنا والذين نعدهم امهات لنا لكبر سنهم، وهم اهلنا لانهم جيراننا، ومن من لهم حق علينا، وكان الاوائل يقولون الجار ياواد كلوا الا الجار، وكيفك ياجاري يعني الجار بمثابة الاخ الله يرحم زمان اول، وعندما نظروا الىٰ الجرح نزعوا المسمار وبدؤا بتنظيفه بالقطن والمكركون، فاذا بشيخنا السيد عبد القادر الجزائري قد اقترب موعد خروجه المعتاد إلىٰ صلاة المغرب في المسجد، ونحن في الدهليز فنظر الىٰ الجرح واشار الىٰ اهله بصوته الهادي بأن عليهم أن يحضروا ورق ويوقدا عليه النار، فاذا أصبح رماد وضعوه علىٰ الجرح، ولم اكن اعرف ما هو ذلك لكنها بركة العلماء ونفحاتهم، وبالفعل فعلوا ذلك ومرت ايام وطاب جرحي بتلك الوصفة المميزة من قاضي المدينة وعالمها، وتمر السنين وعلمت ان تلك الوصفة هي من الوصفات التىٰ تعقم بها الجروح كان يستخدمها أهل الحجاز للتعقيم قبل ظهور المعقمات الطبية الحديثة رحمك الله ياشخنا عبد القادر فقد كان لك الفضل بعد الله انت وذويك في تطبيبي، طيب الله قبرك وجعله روضة من رياض الجنة.

مكتبته

خلف السيد عبد القادر مكتبة ذاخرة بالكتب النفيسة التي ورثها من والده السيدأحمد وزاد عليها، فأوقفت مكتبته بعد وفاته من ضمن المكتبات الموقوفة في مكتبة الملك عبد العزيز.

وفاته

كانت وفاة السيد عبد القادر **٩**شوال سنة **١٤٠٢**هـ، وكان عمره عند وفاته **٨٦** سنة، بعد حياة مليئة بالعطاء وسيرة تعد مثالًا للأخلاق الفاضلة ونموذجا لبيوتات العلم العريقة فـ رَحِمَهُ الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

الشيخ عبد القادر الشلبي[(١)]

هو عبد القادر بن توفيق بن عبد الحميد بن محمد بن علي الشلبي الطرابلسي الحنفي المدني، ولد بمدينة طرابلس الشام ببلدة شمالي بيروت عام **١٣٠٠**هـ[(٢)]، وهو من عائلة كريمة مشهورة، فجده الأول هو الشيخ علي الشلبي داعية طرابلس، أما عن وصفه فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبيض اللون، عريض الجبهة، غزير الحاجبين، أقنىٰ الأنف، خفيف الشارب، كث اللحية، مربوع القامة، يرتدي الجبة والعمامة الحجازية وهو زي العلماء في ذلك العصر.

عرف عنه الزهد في دنياه والتقشف في ملابسه، واسع الإطلاع، فيه وقار العلماء وهيبتهم، كان مرجعًا للعلماء والعوام، برع في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان حتىٰ لقب بنعمان وقته، عالما بالمذاهب الثلاثة الأخرىٰ.

نشأ الشيخ في دار والده الذي توفي ولم يتجاوز الشيخ عبد القادر ست سنوات فكفله أخوه الأكبر محمد برعايته والذي اعتنىٰ به خير عناية حيث أدخله الكتاب كغيره من أبناء ذلك العصر ليحفظ القرآن الكريم علىٰ يد أحد العلماء، فحفظه وجوده في فترة وجيزة، فكان منذ صغره محبًا للقراءة ومجالسة العلماء والأدباء مواظبًا علىٰ الاشتعال بطلب العلم.

تعليمه وبحثه

وبعد حفظ كتاب الله ألحقه أخوه بإحدىٰ المدارس الدينية فمكث فيها عدة سنوات

(١) تنظر ترجمته في جريدة المدينة بقلم الشيخ محمد سعيد دفتردار ومجلة الفتح ٢٥/ ٤/ ١٣٤٦ ثم ٢٣/ ٨/ ١٣٤٨، البحر العميق ٢٥٦-٢٦٣، والاعلام الشرقية ٢:١٢٨ ومعجم المطبوعات ٥٤١. الأعلام ج٤/٣٨، تشنيف الاسماع ٣١٧-٣١٨، الدليل المشير ١٨٤-١٨٩، قرة العين ٢/ ٣٢١-٣٤٤، بلوغ الأماني ٧٢-٧٣، الجواهر الحسان ٢/ ٦٨٤ترجمة رقم ٣١٢، طيبة وذكريات الأحبة٢/ ٥٧.

(٢) ذكرت قبل ذلك أن مولده سنة ١٢٩٥هـ واعتمدت في ذلك علىٰ بعض المصادر والصحيح بعد التحقيق كما ذكر صاحب الجواهر الحسان حيث تلقىٰ ذلك من فمه.

تعلم فيها العلوم العربية وأتقن فنونها وغيرها من العلوم العصرية، وبعد ذلك اتجه إلىٰ تعلم الخط علىٰ كبار الخطاطين فساعدته ملكته الفطرية وملاحظته الدقيقة علىٰ الإتقان والإبداع فبرع واشتهر في الخطوط كلها النسخ والرقعة والثلث والفارسي والديواني والصمايوني وبعض من أنواع الزخرفة فأصبح من أبرع الخطاطين والمزخرفين في زمنه رغم سنة الصغير واتخذها حرفة له فبدأ يكتب اللافتات بكل دقة وجمال ولقد نافس كثيرًا من الخطاطين الكبار.

ولكن الشيخ الشلبي كان محبًا للعلوم فجدَّ واجتهد في طلبها وأخذ عن كبار مشايخ عصره فحفظ المتون العديدة وانكب علىٰ قراءة الفقه والحديث والتفسير والفرائض والمناسخات والعربية والمعاني والبيان والبديع والمنطق وغيرها كعلم الحروف والأسماء والأوقاف فبرع فيها وأتقنها فمن مشايخه الأفاضل الشيخ العلامة عبد الرحمن الرافعي والذي قرأ عليه النحو والصرف وعلوم البلاغة ومن مشايخه العلامة اللوذعي حسين الجسر الطرابلسي صاحب الحصون الحميدية وقرأ أيضًا علىٰ العلامة الفقيه محيي الدين الخطيب وجميعهم نال عنهم الإجازة في بث العلم ونشره ومن مشايخه بالحجاز العلامة الفاضل حبيب الرحمن الكاظمي المدني والشيخ محمد بن جعفر الكتاني والعلامة السلفي الحنبلي عبد الله القدومي مسند عصره ودرس عليه الحديث والمسلسلات ومن شيوخه الشيخ عبد المنعم الخطيب والشيخ عبد الله الركاني والشيخ بدر الدين بن يوسف عالم دمشق والشيخ خليل صادق وجميعهم نال منهم الإجازة العامة بالتدريس وبث العلم ونشره.

دروسه بطرابلس

برز الشيخ الشلبي بين أقرانه من العلماء فكان الطالب البارز أمام مشايخه مما جعلهم يأمرونه بالجلوس والتدريس وهو ابن عشرين عاماً في مساجد طرابلس وبعد ذلك ابتعثته إدارة المعارف اللبنانية لتدريس أنواع الخطوط في الصفوف العليا في مدارسها فمكث هناك عدة سنوات.

هجرته إلى الحرمين

وقد كان لقراءته سيرة النبي ﷺ أثر في تشوقه وتطلعه إلىٰ مجاورة الحبيب عليه الصلاة والسلام فهاجر إلىٰ البلاد العظيمة منبع الإسلام ومولد سيد المرسلين منقذ العباد من الشرك والضلال، فقصد الحجاز حاجًا سنة **١٣١٧**هـ وبعد أن أدىٰ فريضة الحج مرغب في الاستزادة من العلم علىٰ جهابذة الحرمين الشريفين فزار المدينة المنورة وأقام في الروضة الشريفة في المسجد النبوي الشريف فمكث فيها ثمانية عشر يومًا نزيلًا عند أحد علمائها ولكن الشيخ أراد العودة إلىٰ بلاده حيث تلاميذه وأهله ينتظرونه، محدثًا نفسه بالعودة إلىٰ المدينة ثانية ليقيم هناك ويحظىٰ بجوار المصطفىٰ ﷺ.

وفي عام **١٣١٩**هـ عاد إلىٰ المدينة مرة ثانية مهاجرًا هجرة دائمة وأخذ يناقش علماء المدينة ويظهر لهم علمه فيجيزوه، وسكن بمدرسة الكشميري وكانت مخصصة لطلبة العلم.

دروسه بالمسجد النبوي الشريف

وفي المدينة المنورة اشتهر بين طلابها وعلمائها الأفاضل وطبق صيته الآفاق لكثرة عنايته بالدروس فعقد للعلم سوقًا رائجة وتصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف وكانت حلقته من أكبر الحلقات التي تزخر بطلاب العلم من أهل المدينة والوافدين إليها من جميع العالم الإسلامي وتعقد بجوار المكبرية يدرس فيها أصول الفقه الحنفي الذي أتقنه وكانت داره في باب قباء بالمدينة المنورة مقصدًا للعلماء والطلاب والمستفتين خاصة في المواسم يأتيه الحجاج من طرابلس الشام وغيرها من البلاد ويستضيفهم ويكرمهم ويحسن نزلهم.

فأصبحت داره مدرسة كبرىٰ جعل منها الدور السفلي مدرسة ووضع فيه مكتبة فعرفت داره بمدرسة الشلبي ويستقبلهم بكل صدر رحب لا يمل ولا يكل حتىٰ في آخر حياته يزودهم بخير الأعمال والأقوال ويدعوهم للاقتداء بالصحابة الكرام.

طريقته في التدريس

وكان أسلوبه رحمه الله في التدريس فريدًا من نوعه في ذاك الزمان، فكان يطبق ما يدرسه لتلاميذه تطبيقًا عمليًا ليرسخ في أذهانهم فإذا أراد تدريس باب الوضوء مثلًا يطلب إحضار طست وإبريق ويتوضأ أمام الطلاب الوضوء المسنون ثم يأمر بعض التلاميذ بالوضوء أمامه ليتأكد من فهمهم وكذلك يدرس الصلاة وبقية الفرائض العلمية فيقوم ويصلي أمام الطلاب مقتديًا بطريقته هذه بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام الطيبين رضوان الله عليهم جميعًا.

وقد ورد عن النبي ﷺ قوله في الحديث الصحيح «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وورد عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه والصحابة الأبرار أنهم كانوا يتوضئون أو يصلون أمام بعضهم ثم يقولون هكذا كان رسول الله ﷺ يصلي.

وهذه طريقة علمية قوية تدل علىٰ إخلاص الشيخ وتوسعه.

مناظرة في فضل المدينة على مكة

ذكر الأستاذ محمد سعيد دفتردار(١) رحمه الله أن عالمًا من علماء لبنان نزل بضيافته وطلب منه زيارة الشيخ عبد القادر الشلبي وعندما اجتمع العالمان دار بينهما النقاش في مسائل علمية متنوعة وتطرق النقاش إلىٰ ذكر التفاضل بين مكة والمدينة والشيخ عبد القادر الشلبي كان يرىٰ أفضلية المدينة علىٰ مكة خلاف ما كان يراه ضيفه العالم اللبناني واحتدم بينهما النقاش وإيراد الأدلة وطال المجلس ساعات وكلاهما يدلي بما عنده من حجج ولما طال المجلس خرج الأستاذ الدفتردار وتركهما علىٰ غير اتفاق وعندما اجتمع الدفتردار بالعالم اللبناني في بيته سأله عن نتيجة ذلك النقاش فقال لقد اتفقنا علىٰ المساواة بينهما في الفضل وقال أن الشيخ الشلبي قوي الحجة واسع الاطلاع له دراية بأساليب المناظرة.

---

(١) نقلا عن دفتردار في ترجمته بجريدة المدينة عن الشيخ الشلبي.

أعمال الشيخ الشلبي

* تقلب الشيخ عبد القادر الشلبي في عدة وظائف فعندما اشتهر بعلمه وبالأخص في الفقه الحنفي فقد قل نظيره في ذلك العصر فأسندت إليه رئاسة السادة الأحناف بالمدينة المنورة.

* وفي زمن حكومة الدولة العثمانية أيضًا أسندت إليه رئاسة هيئة التنقيب عن الآثار كجبل أحد ومقبرة سيد الشهداء والجندية وغيرها من الأماكن الأثرية بالمدينة المنورة من عهد الرسول ﷺ وعهد صحابته الكرام رضوان الله عليهم وآثار الدول التي تداولت علىٰ المدينة المنورة.

* ولما قامت الحرب العالمية الأولىٰ سافر أهل المدينة إلىٰ الشام وتركيا وكان الشيخ الشلبي من الذين صبروا علىٰ اللأواء فلم يسافر معهم وذلك لأن فخري باشا استبقىٰ أربعين شخصًا كان هو من ضمنهم وأسند إليه مهمة الوعظ والإرشاد للجنود العثمانيين المرابطين بين المدينة وتبوك فكان يحثهم دائمًا علىٰ الجهاد في سبيل الله وأجره العظيم عند الله سبحانه وتعالى.

* وعندما هدأت الأوضاع وعاد أهل المدينة إليها أمر الشريف حسين وكيل المعارف بفتح أربع مدارس ابتدائية تسمىٰ بأسماء أولاده الأربعة علي، وعبد الله، وفيصل، وزيد إذ أصبح أسماؤها الفيصلية والعلوية والعبدلية والزيدية وأعتقد أن المدرسة تعتبر فصلا في ذلك الوقت وعين الشيخ الشلبي مديرًا للمعارف فقام بالأمر خير قيام وكانت الرواتب تتأخر في الصيف علىٰ المدارس مما جعل الشيخ يتصرف بحكمة ووعي ويجمع المدارس كلها في مدرسة واحدة واستمر مديرًا للمعارف حتىٰ العهد السعودي واستمر بأمر من الملك عبد العزيز.

* ثم عين مديرًا للمدرسة الناصرية وهو أول مدير لها.

الشلبي يجدد الخطوط بالمسجد النبوي

كنت ذكرت سابقًا أن الشيخ الشلبي من الخطاطين الماهرين فمن آثاره رحمه الله قيامه

علىٰ رغبة الملك عبد العزيز آل سعود بتجديد بعض الخطوط القبلية في المسجد النبوي الشريف منها آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأسماء الرسول ﷺ.

الشلبي الشاعر والعالم

وليس غريبًا علىٰ رجلٍ يتمتع بالحكمة والنباهة والذكاء كالشيخ أن يكون شاعرًا إلا أن شعره كان علىٰ جانب كبير من الشرف فكله في مدح الحبيب ﷺ وأهل بيته وأصحابه الكرام الطيبين الطاهرين وسأورد هذه المقطوعة من شعره المخمس:

يامن يرىٰ ما في الضمير ويسمع ... يامن به تجلىٰ الخطوب وتدفع

يامن لعز جلاله أتضرع ... يامن له تضئ الوجوه وتخضع

أنت المعد لكل ما يتوقع ... عقد التوائب يا إلهي حلها

وامنح بفضل منك نفسي سؤلها ... واكشف غياهب غمها وتولها

يامن يرجىٰ للنوائب كلها ... يامن إليه المشتكىٰ والمفزع

مولاي عن دنس العيوب لعرضي من ... فضلا وبالنشر الجميل علي من

يامن يجود علىٰ العباد ولم يمن ... يامن خزائن ملكه في قول كن

أمنن فإن الخير عندك أجمع

- ومن مدحه الرسول ﷺ

أنا جار هذا المصطفىٰ ... وجواره حصن منيع

فاجعله يا مولاي في ... يوم الحساب لنا الشفيع

وامنن علي بتوبة ... حتىٰ أوارىٰ في البقيع

- ومن مدحه سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه:

إمام عظيم لا يشان بريبه ... له المجد عبد والفخار خويدم

إمام جليل بالبهاء متوج ... عليه طراز بالمحامد معلم

إمام به نور الهداية مشرق ... وعقد المعالي والكمال منظم

إمام به الإسلام أسفر صبحه وأدبر ليل الكفر والفىٰ مظلم

إمام فدىٰ خير الآنام بنفسه وعن فضله أي الكتاب نترجم

إمام أجل الصحب فضلًا ورفعة وليس سواه للصلاة مقدم

- ومن مدحه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر الإمام المرتضىٰ سامي الذرىٰ شمس الفخار وحائز العلياء

خدن الفضائل والمكارم والعلا من قد علا شرفًا علىٰ الجوزاء

وبه أعز الله دين نبيه ومحا رسوم الغي والأغواء

وحمىٰ حمىٰ الشرع الشريف بعدله والظلم عاد مدكدك الأرجاء

الله أكبر فضله يصر الورىٰ ونواله قد جل عن الإحصاء

هذه بعض قصائده الجميلة التي تتميز برقة الأسلوب وكل هذه المعاني مؤثرة مشجية في الصدور والقلوب. ولديه الكثير من هذا والأجيد من ذلك.

تلاميذه

لقد انتفع به كثير من طلاب العلم في المدينة المنورة وفي طرابلس وتخرج علىٰ يده علماء ورجال من أهل الفضل وساروا علىٰ نهجه نذكر منهم:

السيد أحمد العربي، الشيخ عبد الحق النقشبندي، والأستاذ الأديب محمد حسين زيدان، والشيخ أحمد عبيد، والشيخ إبراهيم الختني والشيخ جعفر فقيه، والشيخ سعود عمران، والشيخ يوسف ديولي، والشيخ عارف برادة، والشيخ محمد طاهر الطيب، والسيد علي عامر، والسيد ناصر غوث، والأخوين علي وعثمان حافظ والشيخ عبد الغني النمنكاني وغيرهم.

مؤلفات الشلبي

لقد ترك الشيخ عبد القادر الشلبي ثروة علمية قيمة لا تقدر بثمن فقد ألف في كثير من المجالات الدينية والتاريخية والاجتماعية وهذا في أواخر حياته عقب اعتزاله الحياة العملية وعدد مصنفاته ما يزيد عن الستة عشر مصنف وهي كالآتي:

١- تتمة «غاية الإتقان في تفسير آيات القرآن».

٢- تنبيه الأنام إلىٰ وجوب الهجرة من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام، وجدته مخطوط في مكتبة السيد حبيب الخاصة بهذا الأسْم «البرهان المبين في وجوب الهجرة من دار الكفر إلىٰ دار المسلمين». وهو نفس الكتاب.

٣- مختصر اللمع لأبي إسحاق الشيرازي في أصول الفقه.

٤- رسائل في الفقه علىٰ المذاهب الأربعة.

٥- رسالة في التوحيد.

٦- العلوم الحكمية في نظر الشريعة الإسلامية.

٧- الإجازات الفاخرة، وهو ثبت الشيخ الشلبي.

٨- رسالة في حكم استعمال الأدوية الإفرنجية علىٰ قواعد المذاهب الأربعة.

٩- رسالة في حكم الإحرام من المواقيت.

١٠- ديوان قصائد.

١١- ديوان قصائد في المديح النبوي.

١٢- الفرائد في تاريخ الآبار والقبور والمساجد.

١٣- تاريخ المدينة لم يكمله.

١٤- الدر الحسان في فضائل سلاطين آل عثمان.

١٥- مناقب أهل بدر «لم يكمله».

١٦- مختصر السيرة النبوية.

ويتحدث الكتاب الثالث عشر عن آثار المدينة الشريفة وهذا الكتاب نتيجة لدراسة مستفيضة للآثار والخطط حدد فيه الأماكن الأثرية تحديدًا واضحًا جليًا وقد ألفه حينما تولىٰ رئاسة هيئة التنقيب عن الآثار ولكنه لم يكمله.

مكتبة الشيخ الشلبي

كان الشيخ الشلبي مولعًا بالقراءة وجمع الكتب وقد اقتنىٰ مكتبة حافلةً بالكتب الثمينة والمخطوطات النادرة التي كتبها بيده وعلق عليها وشرحها بأسلوبه.

وقد رأيتها ضمن المكتبات المهداة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة وقد أهداها ابنه الفاضل الأستاذ محمد سعيد رَحِمَهُ الله لتكون مرجعًا لطلاب العلوم ومريديه فجزاه الله خيرًا، وتعد مكتبة الشيخ الشلبي من أكبر المكتبات الموجودة هناك وقد اطلعت علىٰ فهارسها فهي تحتوي علىٰ **٢١٦٩** مطبوعة و٨٨ مخطوطة.

وفاة الشيخ الشلبي

وعندما آذنت ساعة الموت توفاه الله في الرابع من ربيع الثاني سنة **١٣٦٩**هـ ودفن في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة بعد حياة حافلة بالجهاد والبيان في سبيل الدفاع عن العقيدة الإسلامية ونشرها بين الناس رَحِمَهُ الله رحمة واسعة وأحسن الله عمله وجعل جنة الخلد مسكنه.



السيد عبيد مدني[١]

المؤرخ والشاعر

هو عبيد الله[٢] بن عبد الله بن محمد حمزة بن محمد بن محمد مدني بن فخر الدين بن نصرالدين بن الخواجة مير محمد الحسيني الازبكي.

بيت الازبكي

«**بيت الأزبكي**» نسبة إلىٰ الأزبك المشهورين، ومساكنهم بلاد ما وراء النهر وينتسب إليهم بالمدينة المنورة والحجاز أناس كثيرون، وهم بيوتات عدة، ومن هذا البيت أسرة مدنية عريقة عرفت بالفضل والعلم والثراء، وهم بيت السادة آل المدني وبالمدينة المنورة عدة أسر تحمل هذا اللقب قدمت من المغرب والهند وغيرها من الإقطار الإسلامية، والأصل في نسبة البيوت كلها إلىٰ ذلك هو أن أول مولود يولد

---

(١) المنهل عبد الحق نقشبندي المنهل عدد١،٢ عام ١٣٩٧هـ ص ٨٥٩، عبد القدوس الأنصاري المنهل ٨/عام ١٣٩٨هـ ص٦٤٥، الموسوعة الادبية ٣، أعلام الحجاز ٢/ ٢٥٧، طيبة وذكريات الأحبة ١/ ٩٢، المدنيات ديوان شعر للمترجم له،

(٢) يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن والده عبد الله اسماه عبيد الله تفاولًا بأن يكون شبه أبيه في الأسم والمكانة راجع المنهل ٢/ مجلد ١٩١٧٣-١٨٢.

بالمدينة يسمىٰ بذلك، ولعل الحديث عن واحد من تلك البيوت المدنية وهم أسرة السيد محمد مدني والذين يعرفون عند المدنيين بالسادة آل المدني، ويعرفون بالسادة المدنية وهم من أشهر البيوت التي كانت لها المكانة والثبوت والقدم، ولهم شهرة في النسب، من ذرية محمد بن حمزة بن عبيد الله الأعرج الذي أستوطن بخارىٰ، وانتشرت ذريته هناك، واول من قدم منهم إلىٰ المدينة سنة **١١٢٨**هـ السيد الخواجة مير محمد بن فخر الدين بن محمد أعظم الحسيني إبن فيض بن فصيح الدين بن يونس بن عبد الاول بن مرتضىٰ بن يونس بن حسن بن محمد بن علاء الدين بن قاسم بن جعفر بن هارون بن علي بن إسماعيل بن حمزة بن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن حسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن بن محمد بن حمزة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[(١)].

قال الأنصاري في تحفته[(٢)]: «بيت الأزبكي» نسبة إلىٰ الأزبك المشهورين، ومساكنهم مما وراء النهر وينتسب إليهم ناس كثيرون.

قال الحجار في مختصره[(٣)]: بيت الأزبكي: أنقرضوا جميعًا، وإما الموجودون الان فما هم من المتقدمين، منهم السيد محمد بن[(٤)]مدني شيخ الخطباء.

قال صاحب تراجم أعيان المدينة المنورة في ترجمته لإحد افراد هذا البيت[(٥)]: يتصل نسبه من طرف الأب إلىٰ سيدي عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر الموسوي.

أقول: ذكر الأنصاري في تحفته عند ذكر بيت الأزبكي أنه ينتسب إليهم ناس

---

(١) تهذيب الأنساب ٢٣٠، المجدي ٢٠٢، الفخري ٦٥، الشجرة المباركة ١٥٥، عمدة الطالب **٣٥٣**، تحفة الطالب بتحقيقنا**٩٢**، بحر الأنساب بتحقيقنا ١٥٨، خطاب من السيد عدنان بن عبيد مدني بسلسلة نسب والده كتبها بخط يده سلمني إياه في زيارته لَي بتاريخ ٢٢/ ٧/ ١٤١٦هـ، الجوهر الشفاف ٢/ ٩٦٧، تراجم وأنساب آل البيت ٢٦٣.

(٢) تحفة المحبين ٧٢.

(٣) مختصر القرمية ٢١.

(٤) الصحيح والثابت لدينا محمد مدني اسم مركب وهي عادة أهل الحجاز في القرنين الماضيين.

(٥) تراجم أعيان المدينة المنورة ١٠٩.

كثيرون، ولم يتعرض في تحفته إلا لبيت واحد فقط بيت الحاج عبد الرزاق الأزبكي السقطي، ولم يذكر الأنصاري غيره من البيوتات الإزبكية رغم ذكره أن هناك أناس كثيرون، وبذلك تجاهل الأنصاري ذكر هذه البيوتات والتي منها بيت المترجم له، أن جد بيت المدني قد وصل إلىٰ المدينة في آبان المدة التي دون فيها الأنصاري كتابه فقد قدم السيد فخر الدين بن محمد أعظم سنة ١١٢٨هـ، وقد ذكر الأنصاري في أكثر من موضع من الكتاب بعض أفراد من الأسر الأزبكية، ولم يتعرض لتاريخها في التحفة، وهذا حال كثير من البيوتات التي فاتت علىٰ صاحب التحفة، ولذلك فكان من الواجب علي وأنا اكتب عن ذلك أن اشير لإمر هام كهذا فكم ترك الأول للأخر.

وقد تتبع الحجار كتاب الأنصاري، وأشار بعبارة أخرىٰ لا يؤخذ بها ولا اعتبار بمضمونها، فحينما وصل إلىٰ موضع بيت الأزبكي كتب معلقًا أنقرضوا جميعًا، والأصل أن يقول أنقرض البيت الذي ذكرهم الأنصاري وليس أنقرض كل أزبكي في المدينة، لا سيما أن هجرت البخارية إلىٰ المدينة كانت كبيرة للمدينة المنورة بشكل خاص وللحجاز ونواحيه بشكل عام فأن مسالة قوله أنقرضوا جميعًا كان فيها تعميم علىٰ كل الأزبكية القاطنين في المدينة، والمراجع لكتب تاريخ المدينة يجد الكثير من الأوقاف والإربطة والمدارس التي انشاها البخارية بفروعهم بل أن الأزبكية لهم مدارس واربطة منذ سنوات لا تزال وحتىٰ يومنا هذا تمارس ريعها، ولم يتعطل حالها وهذا دليل كافي أن الأزبك لم ينقرضوا من المدينة المنورة، والامر الأخر أن الحجار، وقع فيما وقع فيه الأنصاري بقوله أن بيت المدني، ووصفهم بأنهم حادثون ولم يتحقق من صحة قدمهم في المدينة، بل أنه اشار أن قدومهم بعد تدوين الأنصاري، وهذا يخالف ما هو موجود بين إيدينا.

يقول المؤرخ عبيد مدني[1]: أهمل المؤلف أُسَرًا كانت موجودةً في المدينة المنورة عندما وضع كتابه، ولا يمكن القول إنها كانت من تفاهة الشأن وضآلة المركز بحيث لا تستحق الذكر، بل كان لها مقام وبروز، ومما يثبت ذلك أن المرحوم الداغستاني

(١) مقال للمؤرخ عبيد مدني بعنوان«تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب» نشر في مجلة المنهل بتاريخ ١٤ رمضان ١٣٧٤هـ.

ترجم لبعضهم، وذكرهم بعض الرحالة الذين زاروا المدينة في تلك الحقبة ونحوها وكتبوا عنهم، كالسيد العباسي المكي، والشيخ النابلسي وغيرهما مع أن المؤلف ذكر أُسَرًا لا تُضارع من أهملهم ولا تبلغ مستواهم. اهـ.

وفي مآخذ المؤرخ المدني أشارة واضحة تؤكد تجاهل أسرته وتاريخها في تحفة المحبين.

أقول: استوطن الخواجة مير محمد بن فخر الدين المدينة، وعقبه من ولده نصرالدين بن مير محمد والذي أعقب من ولديه: فخر الدين، وبدر الدين الآتي ترجمته.

إما بدر الدين بن نصر الدين: فأعقب من ولده درويش.

إما فخر الدين بن نصر الدين فأعقب من ولديه: محمد مدني، ومحمد أعظم، وأكرم، وجعفر.

فإما محمد مدني بن فخر الدين محمد: أعقب محمد شيخ الخطباء الآتي ترجمته، وإبرهيم.

وإما محمد بن محمد مدني: تزوج من ابنة عمه درويش ابن بدرالدين، وأعقب إبنه محمد حمزة مدني المتوفي **١٣٠٨هـ**، وهو الجد الجامع لفروع بيت المدني اليوم.

وإما محمد حمزة بن محمد فعقبه من: بدر ومالك بن محمد حمزة توفيا عن غير عقب.

إما زين العابدين بن محمد حمزة الآتي ترجمته، وعقبه من ولديه: هاشم رئيس العين الزرقاء، وأخيه يوسف بن زين العابدين.

إما عبد العزيز بن محمد حمزة المتوفي في **٦/ ٧/ ١٣٦٣هـ**، وهو مئناث.

إما محمد درويش بن محمد حمزة المتوفي في **١٣٣١هـ**، وهو مئناث.

عبدالجليل بن محمد حمزة أحد وجهاء البيت وكبيرهم المتوفى في **٩/ ٤/ ١٣٥٧هـ**، فأعقب: جعفر، ومحمد، وماجد.

إما عبد الله بن محمد حمزة الاتي ترجمته.

وإما إبرهيم بن محمد بن محمد مدني: اعقب مصطفىٰ، وعمر، وعثمان ولا اعلم عن خبرهم والله أعلم بحالهم.

وألاخر محمد أعظم بن فخر الدين محمد: المتوفي ١٢٨٥هـ: أعقب من ولديه أحمد شفيق المتوفي ١١٣٠هـ، وفريد المتوفي ١٣٢٨هـ.

السيد بدر الدين بن نصر الدين بن الخواجة مير محمد الحسيني البخاري[1]

الإمام العلامة الخطيب الصوفي الشاعر، ولد محمد بدر الدين في المدينة المنورة في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ١١٦٥هـ، وحفظ القران الكريم، وتتلمذ علىٰ مشايخ ذلك العصر، وفي مقدمتهم والده، ومنهم الشيخ أحمد أفندي البصير، الشيخ إسماعيل النقشبندي، والشيخ محي الدين مُغَلْباي الخطيب، حصل علىٰ الإجازات في العقائد والتجويد والتفسير والفقه والحديث وغيرها من علوم اللغة العربية،

قال الداغستاني في اللآلیٔ[2]: شريف الذات لطيف الصفات إشتغل بالطلب وعقد حين قعد للأستفادة الركب فنال من الفقه حظًا وفيًا، ومن المشاركة في بقية العلوم كعبًا عليًا، وقد ينظم نظمًا لا يخلو من لطافه، متشبثًا بأذيال الحسن والظرافة.

أخذ الطريقة البكريَّةَ عن الشيخ محمد السمَّان، وطريقة النقشبندية عن والده، وأخذ بالمدينة إيضًا عن السيد أبي سعيد الحسني النقشبندية والقادرية والحسينية، وسنده يصل إلىٰ الجلال الدَّوانِّي، تصدر للتدريس وعقد حلقته فدرس وأفاد وأنتفع به العباد، وأعتلىٰ المحراب النبوي الشريف فأصبح إمامًا بالمقام الحنفي، ولا زال علىٰ حاله وصلاح أحواله حتىٰ أدركته المنية في مدينة خير البرية ودفن في بقيع الغرقد.

---

(١) تراجم أعيان المدينة ١٠٩ترجمة ٨١، مخطوط تحفة الدهر ٨٩، اللآلیٔ الثمينة ١٤٥.

(٢) اللآلیٔ الثمينة ١٤٥.

السيد محمد بن محمد مدني بن فخر الدين الازبكي الحسيني[(١)]

شيخ الخطباء بالمدينة

من رجالات المدينة وعلماءها واحد قضاتها، وشيخ الخطباء فيها، ولد في المدينة المنورة سنة **١٢٠٨**هـ، حفظ القران الكريم، وتتلمذ علىٰ علماء عصره، برز من بين أقرانه شغل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة مناصب رئيسية:

١- قاضي بمحكمة المدينة المنورة، وكان السيد محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستخدم إمضاءً وختمًا باسم: «السيد محمد مدني الحسيني» في صكوك المحكمة[(٢)].

٢- إمام وخطيب بالمسجد النبوي الشريف بالمقام الحنفي، حتىٰ أصبح شيخ الخطباء بمدينة خير البرية.

٣- عضوًا في «مجلس الإدارة»، ويعتبر هذا المجلس بمثابة «مجلس الحكماء» وظل كذلك لسنوات. ويمثله اليوم المجلس البلدي، بالمدينة المنورة.

وفي عام **١٢٨٧**هـ منح الوسام المجيدي من الدولة بصفته شيخًا للخطباء بالحرم النبوي الشريف[(٣)].

عاش حياته كلها في المدينة، وكان لا يرغب مبارحتها وهو الذي عمر بيت المدني الكبير بمحلة الشونة، والذي كان يعرف بقصر الصالحية، والحديقة المشهورة بالمصرع في الشهداء توفي السيد محمد بن محمد المدني **في ٧ جمادي الأول عام ١٢٩٧هـ**، ودفن ببقيع الغرقد.

---

(١) مراة الحرمين، الشجرة الزكية ٤٤، علي موسىٰ ٢١.

(٢) بناء علىٰ حجة شرعية اطلع عليها الشيخ عبد الحق نقشبندي لدي السيد جعفر بن عبد الجليل مدني المنهل عبد الحق نقشبندي المنهل عدد١، ٢ عام ١٣٩٧هـ ص ٨٥٩.

(٣) الأوسمة العثمانية ٣٧، الأرشيف العثماني ١٤٦. sy.١١١. no.AYNIYAT DEFT٨٧١.



السيد زين العابدين بن محمد حمزة بن محمد بن محمد مدني[(١)]

محتسب المدينة

ولد في المدينة المنورة، وبها نشا وتعلم، كان أحد وجهاء المدينة وأعيانها، تولىٰ منصب (المحتسب أو رئيس البلدية) في العهد العثماني، وعندما شكلت الحكومة العثمانية لجنة للعين الزرقاء في عام ١٢٣٢هـ انتخب رئيسًا لها، وعندما أشتد الحصاء إبان اجلاء أهل المدينة، سافر بأسرته إلىٰ الشام مع الأسر المدنية التي تفرقت في الإمصار، حتىٰ انقضىٰ الأمر وعام إلىٰ المدينة في ١٣٣٩/٨/٢٥هـ، كان له دور في مفاوضات تسليم المدينة ضمن الوفد الذي اتجه الىٰ محمد بن عبد العزير آل سعود للتفاوض سنة ١٣٤٤هـ، أصبح أول مديرًا للحرم النبوي في العهد السعودي، وفي ١٣٤٦/٧/١هـ أختير رئيسًا للعين الزرقاء ولا زال في منصبه حتىٰ أدركته المنية بالمدينة في ١٣٥٦/٧/٢٣هـ، ودفن في البقيع فرحمة الله عليه.

---

(١) المنهل عبد الحق نقشبندي المنهل عدد ١،٢ عام ١٣٩٧هـ ص ٨٥٩، عبدالقدوس الأنصاري المنهل ٨/ عام ١٣٩٨هـ ص٦٤٥، فصول من تاريخ المدينة علي حافظ ٤٦١.

السيد عبد الله بن محمد حمزة بن محمد بن محمد مدني(١)

صاحب أول فندق في الحجاز

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٢٨٠هـ، ونشأ في بيت أسرته الكبير وهو أحد وجهاء البيت المدني، لإبوين كريمين أمه ابنة مفتي المدينة وشيخ علماء عصر السيد ابي السعود الداغستاني صاحب الفتاوي، حفظ القران الكريم، ودرس العلوم الدينية والعربية والأدب.

يقول الدفتردار: تعلم اللغة التركية وكانت اذ ذاك حلية ثمينة يتحلىٰ بها أهل الفضل ورجال الحكومة وهي اللغة التي كان يتفاهم بها مع حجاجه من أهل تركستان الذين يردون بأسم الأسرة. اهـ.

عين عضوًا بمجلس المدينة، رحل إلىٰ الشام والآستانة، وقد قوبل هناك بكل حفاوة من رجال الدولة العثمانية ووزرائها عرض عليه السلطان عبد الحميد مقعدًا في مجلس أعيان الدولة، فأعتذر عن ذلك لان منصب كهذا يتطلب بقاءه هناك، فكان لا يرغب عن مبارحة المدينة، كان محل أحترام وتقدير فمنح وسام حرمين المجيدي العثماني.

أول فندق في المدينة

تفرغ السيد عبد الله للعمل التجاري، فكان من اوائل رجال الأعمال الأقتصاديين الذين كانت لهم نظرة ثاقبة، فأسس أول فندق كبير علىٰ غرار فنادق القاهرة آنذاك والآستانة وكان الفندق في منطقة صيادة خارج باب المجيدي، وأطلق عليه دار السرور يتكون من ثلاثة ادوار وبه حديقة وبركة ماء، وبه ٣٧١غرفه، وقد أعده ليكون لكبار الزوار واثثه بأحسن الاثاث، وبالفعل كان الفندق يعد دار ضيافة لرجال الدولة

(١) مرأة الحرمين ٤٠٨/١، من أعلام المدينة المنورة للشيخ محمد سعيد دفتردار ترجمة رقم ٢٩، المنهل عبد الحق نقشبندي المنهل عدد١، ٢ عام ١٣٩٧هـ ص ٨٥٩، عبدالقدوس الأنصاري المنهل ٨/ عام ١٣٩٨هـ ص٦٤٥، أعلام الحجاز ٢/ ٢٥٧.

العثمانية ونزل بها كبار الشخصيات من العالم الإسلامي وأعيان الدولة من قادة ووزراء ووجهاء،ويبدو أن آل المدني قد أوقفوا أستعماله كفندق بعد نهاية الحكم العثماني، وذكر شيخنا مؤرخ الحجاز في كتابه أعلام الحجاز أن الفندق أستاجره الشيخ عطا الياس مؤسس فنادق التيسير بمكة وجدة والمدينة خلال العهد السعودي، وقد أزيل الفندق بعد أنتقال ملكيته من آل المدني الىٰ المعلم محمد بن لادن ضمن أحدىٰ توسعات المسجد النبوي الشريف.

ورغم أنصرافه للعمل التجاري، إلا أنه كان من المهتمين بالعلم والإطلاع وله مكتبة من أعظم مكاتب المدينة المنورة الخاصة الهامة ورثها عن آبائه، وقد احتوت علىٰ الكثير من المراجع والمخطوطات النادرة، وقد شاهدت جزء منها ضمن مكتبة ابنه المترجم له، في منزل إبنه الأستاذ عدنان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وبعد حياة مليئة بالعطاء انتقل السيد عبد الله إلىٰ جوار ربه سنة **١٣٢٩**هـ، وكان أحد رجال المدينة ووجهائها الذين يقصده رجال العلم والأدب والسياسة، وقد مدحه الشعراء كشاعر يثرب الشيخ إبراهيم الأسكوبي، الشيخ أحمد عباس البكري وصديقه الشيخ محمد العمري، وقد أعقب من الابناء إبنه السيد عبيد المترجم له، واخيه السيد امين المولود سنة ١٣٢٨هـ، والذي كان رئيس البلدية بالمدينة وهو مؤرخ واديب لها مؤلفات عن التاريخ هامه وقد ترجمت له في موسوعتي عن أعلام المدنيين.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل المدني ونعود ونواصل الحديث عن المؤرخ السيد عبيد.

مولده

ولد في دار والده السيد عبيد في شهر ربيع الأول عام **١٣٢٤**هـ، فوالدته الشريفة صفية بنت السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي عالم المدينة ومفتيها الشافعي، أخرجه والده إلىٰ ضواحي المدينة في سابع ولادته عند آظاره في قبيلة بني عوف المسروحية، فأتم رضاعته منهم وأبقاه لديهم مدة من الزمن، توفي والده وكان صغيرًا في السن،

(١) توفي في ١٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ.

ولم يبلغ الخامسة من عمره.

نشأته

وبدأت علامات النبوغ تظهر علىٰ شاعرنا، فبدأ يحفظ القرآن الكريم علىٰ يد الشيخ الذي يأتي له في البيت ويحفظه ويعلمه أصول التجويد، وعندما أتم حفظ كتاب الله دخل المدرسة الفيصلية في العهد الهاشمي، وحاز علىٰ الشهادة النهائية.

ثم انتقل إلىٰ المدرسة الراقية، ولم يكن بها سوىٰ مرحلة الصف الأول، وعندما تخرج منها لم يكتف بذلك، بل أخذ يشارك في حضور حلقات الحرم النبوي الشريف، ويأخذ عن كبار علمائه، حتىٰ نال الشهادة العالمية التقليدية مع درجة التقدير.

وقد عني به وأهتم به بعد وفاة والده قاضي المدينة خاله السيد زكي البرزنجي.

ومما لا شك فيه أن يكون شاعرنا قد درس علىٰ يد أفاضل العلماء، فاجتمع العلم فيه والطالب النجيب، ومن معلميه الشيخ محمد الطيب الأنصاري - رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد درس علىٰ يده اللغة العربية، وأصول الفقه، ودرس أيضا علىٰ يد الشيخ محمد العمري رَحِمَهُ اللَّهُ علوم التاريخ والأدب.

وقد كان السيد عبيد منذ صغره يحب القراءة والإطلاع في جميع المجالات العلمية والأدبية، ولكن حبه للشعر كان له أثر كبير في نفسه، فبدأ ينظم القصائد، وهو في سن مبكرة من عمره، وقد وجهه شيخه الشيخ محمد العمري إلىٰ ناحية الأدب والتاريخ، أن قربه من الأحداث التي كانت تمر بها منطقة الحجاز بشكل عام والمدينة المنورة بشكل خاص انعكاسات كبيرة في نفسه، وتجعله ينفرد بنظمها في مقامات شعرية من تلك الإحداث.

ولعل مكانة السيد عبيد واشتهاره بالعلم والحكمة، وقدرته علىٰ إعطاء الرأي السديد قد ساعدته علىٰ الوصول إلىٰ مناصب كثيرة، ففي عهد الشيخ علي حافظ عندما كان رئيسًا للبلدية بالمدينة المنورة، قام السيد عبيد بتحديد عام للمدينة المنورة لعلمه الكبير بالتاريخ.

كما انتخب رَحِمَهُ اللَّهُ، عضوا في مجلس إدارة المدينة المنورة عدة مرات وهو منصب

كان والده أحد أعضاءه، كما عين مديرًا لأوقاف ومساجد المدينة المنورة.

تميز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحبه لخدمة هذا البلد الطيب الذي نشأ وتربىٰ بين حاراته الجميلة، فقد اشترك في عدة لجان وهيئات في المدينة المنورة وكان رئيسا لبعضها، وعضوا أساسيا في بعضها.

المدني مندوب المدينة

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينتخب دائما من أهل المدينة، فقد انتخب عضوا في المؤتمر الوطني، وكذلك عضوًا في كثير من الجهات والوفود التي كانت تمثل المدينة في مختلف الشؤون، وذلك من الداخل والخارج.

المدني عضو مجلس الشورىٰ

وفي عهد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عين السيد عبيد عضوا في مجلس الشورىٰ بمكة المكرمة نائبًا عن المدينة المنورة، وبالطبع انتقلت إقامة السيد عبيد إلىٰ مكة المكرمة لوظيفته الجديدة.

المدني وخدمته للعلم والمجتمع

وفي مكة المكرمة كانت داره بجوار المسجد الحرام في أجياد من البيوت العامرة التي تمتلئ بمن لهم حوائج وقضايا متعسرة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسعىٰ دائما لخدمة الناس بأفضل الوسائل، وعرف بحبه لقضاء حوائج الناس في جميع معاملاتهم في الدوائر الحكومية لايريد منهم أجرًا أو شكرًا، إنما يريد الثواب والجزاء الطيب من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المدني وشوقه إلىٰ مسقط رآسه

وعندما بدأ العشق يدق في قلبه، ويذكره ببطولاته وشبابه وذكرياته التي أمضاها بمسقط رأسه، تقدم بطلب إعفائه من مجلس الشورىٰ، حيث صدر الأمر السامي الكريم بإحالته إلىٰ التقاعد، وعاد إلىٰ المدينة، وعين رئيسًا لجمعية الدفاع عن فلسطين، وعضوا في مجلس الأوقاف الأعلىٰ، وعضوا بجمعية المطالبة بأوقاف

الحرمين.

وفي عام **١٣٦٥**هـ عين مع الوفد الذي رأسه الأمير فيصل بن عبد العزيز آنذاك، وكان نائبا للملك في الحجاز، للاشتراك في مهرجان استقلال سوريا، ونظرًا لظروف السيد عبيد الصحية، وبناء علىٰ طلبه أحيل إلىٰ التقاعد من جميع المناصب التي أسندت إليه، وكان ذلك عام **١٣٧٣**هـ.

المدني شاعر الأصالة

لقد تميز شعر السيد عبيد بالمعاني الجميلة، والألفاظ البسيطة والأحاسيس الصادقة، والعاطفة المعبرة والإبداع في الشعر، وفي جميع خصائصه من نثر ومدح، وغزل ورثاء وقواف، وقد قام أبناؤه بجمعها وطبعها في ثلاثة أجزاء، واختاروا اسما لها كان يحرص والدهم رحمه الله. عليها وهي «المدنيات» ولقد قام ابنه الأستاذ عدنان بإهدائي هذه المجموعة، وقد قمت بالاطلاع عليها، واخترت منها هذه الأبيات الجميلة عن كتاب وهي المتفرقات:

قنعت من السعادة بالكتاب ... وعفت مباذل الدنيا الكذاب

وجدت به من اللذات ما لم ... أجد في الأماني العذاب

صفاء لهم تشبه مكدارت ... وحسن خالص من كل عاب

تشع سطوره السود أئتلاقا ... فيبدو بينها يقف الإهاب

يحدثني ولست أمل مهما ... أطل ولا يمل من الخطاب

لقد دخل شعر السيد عبيد في المناهج المدرسية، وذلك لقوته وأسلوبه الذكي.

ولعلي تعمدت اختيار هذه الأبيات؛ لأن السيد عبيد كان من المحبين للقراءة، وكان يتميز بالقراءة في شتىٰ المجالات، وتميز أيضا بالقراءة بدقة، ولوقت متأخر من الليل، وكان يوقع عند ختم الكتابن ويؤرخ عليه، فقد جمع مكتبة ضخمة، وتحتوي علىٰ ما يزيد عن (٦٥٠٠) كتاب و(١٥٠) مخطوطة.

ولقد ذكر ليّ الأستاذ سعيد الدربي، المشرف علىٰ تنظيم مكتبات المدينة أن المخطوطات الموجودة في مكتبة السيد عبيد يصل عمرها إلىٰ (٨٠٠) عام.

وفي هذه الفترة التي عاد فيها إلىٰ المدينة، قام السيد عبيد بتأليف عدة كتب، لم يتم طبعها وهي:

١- تاريخ المدينة المنورة - في ستة مجلدات.

٢- تاريخ المسجد النبوي.

٣- تاريخ مساجد المدينة المنورة.

٤- تاريخ آطام المدينة المنورة.

٥- تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها.

٦- تاريخ أمراء المدينة المنورة وقضاتها.

وأجدها مناسبة لأطالب السادة أبناءه الكرام بالإسراع بطبعها، حتىٰ يتسنىٰ للناس التمعن بفكر هذا الرائد الكريم.

ولقد قام أحد الطلاب في جامعة الإمام محمد بن سعود يقوم بتحضير رسالة الماجستير، في شعر السيد عبيد، وهو الإستاذ ابراهيم المطوع، وأطلق عليها «**الشاعر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره**»

سافر السيد عبيد إلىٰ كثير من الدول العربية والإسلامية والغربية؛ ليتعرف علىٰ العالم.

المدني ومجالس الحجاز العلمية والإدبية

عرف السيد عبيد مدني بأهتمامه بالعلم والتاريخ والأدب فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحرص علىٰ إحياء تلك المجالس بحضورها واقامتها، فكانت في المدينة عدة مجالس منها مجلسه القائم والذي يجتمع فيه علماءوادباء المدينة وأعيانها المدينة، وكانت هذه المجالس المسائية والتي تعقد في منازل المدنيين تمتلىٔ برجال الفكر، والأدب في العهد العثماني والعهد الهاشمي وبداية العهد السعودي، كمجلس العشقية للسادة آل العشقي، والإبارية لآل برادة، ومن أشهر تلك المجالس التي أستمرت وواصلت علىٰ مر العهود الثلاثة مجلس السادة المدنية، والسادة البرزنجية، والسادة الأسعدية، والسادة الرفاعية وغيرها، وأضيف إلىٰ هذه المجالس مجلس

قاضي المدينة المكي الشيخ الشريف محمد نور الكتبي الحسني الذي كان يعقد في منزله بحوش منصور، وقد حدثني السيد عدنان بن عبيد مدني رحمه الله أنه كان يوصل والده السيد عبيد إلىٰ مجلس الشيخ الكتبي بحوش منصور ما بين الأسبوع والأخر وأن هذا المجلس كان كالدورية الأسبوعية أو الشهرية التي تعقد في في بيوت اعيان المدنيين ووجهائها، ويستطرد السيد عدنان أن والده السيد عبيد كان يحرص علىٰ بقاء هذه العادة الحجازية الأصيلة أن تبقىٰ ضمن ثرات المدينة الفكري والتي تعد من العادات المدنية المتوراثة، ومن خلال ذلك فقد أخبرني سيدي الوالد وإبن العم الشريف عبد الرزاق بن محمد نور الكتبي، والعم المعّمر عمر قرطلي أن السيد عبيد كان ذا شخصية محبوبة بين الناس، وفي تلك المجالس فقد كان رجلًا كريمًا جوادًا، يحب العمل في الخير، ويتميز بطيب القلب، مما جعل الناس يلتفون حوله، وحتىٰ أن داره في مكة المكرمة كانت مجلس أدبي يستضيف فيه رجال العلم والفكر، وذلك بعد صلاة المغرب، ومن أشهر اصدقاءه السيد علي حافظ، والشيخ عبد القدوس الأنصاري، والشيخ عمر بري، والشيخ عبد الحق نقشبندي، والشيخ ابراهيم الغزاوي، والشيخ محمد سرور الصبان، والشيخ الشريف محمد نور الكتبي الحسني، والسيد عبد الوهاب نائب الحرم، والسيد صالح شطا، وآخرين لا يتسع المجال لذكرهم رحمة الله عليهم جميعا.

وفاة المدني

وبعد هذه الحياة المليئة بالعطاء ودعت المدينة أحد وجهائها، وشخصياتها وواحدًا من أبرز مؤرخيها، وشعرائها وأدبائها العمالقة، حيث توفاه الله في القاهرة صباح يوم الخميس ١١ من ذي القعدة عام **١٣٩٦**هـ ونقل جثمانه إلىٰ المدينة المنورة، ودفن في بقيع الغرقد فرحمة الله عليه.

الشيخ عثمان الداغستاني[١]

مفتي الشافعية

هو عثمان بن عبد السلام بن أبي بكر بن عبد السلام بن محمد أمين بن شمس الدين الشرواني الحنفي.

بيت الداغستاني

بيت الداغستاني، نسبة لبلاد داغستان في روسيا، ولقب الداغستاني في المدينة يحمله أناس كثيرون، وليس كلهم من بيت واحد، فهناك عوائل عديدة، ومن هذه البيوتات المتقادمة أسرة السيد عبد الرحمن بن محمد الداغستاني قدم المدينة سنة ١١٥٥هـ، وأشتبه الحجار أن المفتي أبو السعود قد يكون منهم، وقد وهم جعفر هاشم في تذييله بأنقراضهم سنة ١٣٣٦هـ[٢]، اما قول الحجار في الداغستانية فليس بدقيق، وكان ظاهره الأضطراب فقال لاأعلم وأكثر من قول ولربما فالرجل لم يكن في أمرهم علىٰ يقين، وذُكر لي أن المربي الفاضل الشيخ سالم بن جعفر بن خليل بن عبد الرحمن داغستاني المولد سنة ١٣٣٥هـ من عقب السيد عبد الرحمن بن السيد محمد الداغستاني، والله العالم، وكان الشيخ سالم مدرس ومدير لمدرسة الصحراء بالمسيجيد وتقلد بعده مناصب بالتعليم، وقد ذكر الحجار في مختصره[٣] بقوله وعبد الرحمن داغستاني فأولاده خليل وأخوانه والظاهر عتدي أن خليل المذكور هو جد الشيخ سالم المذكور، ومن الأسر الداغستانية بالمدينة أسرة السيد أبو السعود بن أبي بكر داغستاني مفتي الحنفية، ومن آل الداغستاني بالمدينة أسرة المترجم له وهي محل حديثنا ويعرفون ببيت الداغستاني الشرواني الحمزلي، وهي من الأسر العريقة المعروفة بالعلم والفضل، وتعود هذه الأسرة إلىٰ السادة الأشراف الحسينية، وبلاد

---

(١) فيض الملك ٢/ ٨٨٨ ترجمة ٦٦٩.

(٢) مخطوط تحفة المحبين بتعليقات جعفر هاشم ٩٩.

(٣) مختصر القرمية ٤٣.

داغستان بها الكثير من أسر الأشراف، ولم يذكر الأنصاري في تحفته شرافتهم كحاله في كثير من البيوتات المدنية، وتبعه الحجار إيضًا عند ذكرهم بقوله دون تحقق بما نصه: «فهؤلاء ليسوا بأشراف»[١]، وقول الحجار دليل علىٰ أن البيت ينادىٰ بالسيادة، وهذا مما يعاب علىٰ الحجار بتسرعه في النفي في مختصره في أكثر من موضع من مختصره لعدة أسر مدنية بصحة نسبتها.

أقول: لم يشتهر هذا البيت بين المدنيين نعتهم بالسيادة، والسبب في ذلك حرص آباءهم علىٰ عدم التفاخر بالنسب، بل أنهم كانوا يوصون ابناءهم بالإعتماد علىٰ شرف العلم لا شرف النسب، وكانوا علىٰ وصية سلفهم فقد ظهر منهم العلماء والمفتون في عدة قرون، فهم بيت علم وفضل بمعنىٰ الكلمة، وقد توارثت هذه العائلة العلم كابرًا عن كابر، وبذلك كان علىٰ الأنصاري والحجار وهاشم التحقق، من ذلك لان الأمر يؤخذ من أهل البيت أنفسهم، وقد أختلف في تأريخ قدومها فقد ذكر الأنصاري في تحفته أن قدومهم كان في عام ١١٦٠هـ[٢]، وقد ترجمهم المؤرخين والآدباء بالسيادة كالبيطارالدمشقي في حليته[٣] والدهلوي المكي في الفيض[٤] ونعتهم بالسيادة، ويؤكد المؤرخ الدفتردار المدني في تراجمه أنهم ينتهون إلىٰ الشجرة النبوية فيما نقله عن الشيخ أنهم قدموا في عام ١١٤٠هـ وذكر الدفتردار عن أسرة عبد السلام الشرواني الداغستاني: أنهم من الأشراف من آل حمزة في الشام وهم حسينيون، وقد افاد الدفتردار علىٰ أنه اطلع علىٰ أحدىٰ الكتب المخطوطة ما نصه: دخل في ملك الفقير إلىٰ ربه القدير المدرس عبد السلام بن المدرس شمس الدين من بلاد داغستان من إيالة شروان من بيت الحمزاوي[٥].

قال الأنصاري في تحفته[٦]: بيت الداغستاني «ومنهم أصحابنا الثلاثة الإخوان: عبد الله أفندي وعبد الرحيم أفندي وعبد السلام أفندي الداغستاني قدموا المدينة

(١) مختصر القرمية ٤٣.
(٢) تحفة المحبين ٢٢٩ ومابعدها.
(٣) حلية البشر ٢/ ١١١٥.
(٤) فيض الملك ٢/ ٨٨٨ ترجمة ٦٦٩.
(٥) من أعلام المدينة المنورة «محمد سعيد» دفتردار في جريدة المدينة المنورة ١٨/ ٩/ ١٣٧٩
(٦) تحفة المحبين ٢٢٩ ومابعدها.

المنورة في حدود سنة ١١٦٠هـ.

أقول والثابت عندي صحة نسبتهم وأن قدومهم سنة ١١٤٠هـ، لان أهل البيت بما فيه أدرىٰ والله أعلم.

فأما عبد الله بن محمد امين: فكان رجلًا كاملًا عاقلًا يتعاطىٰ تجليد الكتب ويكتب المكاتيب التركية، وصار إمامًا في القلعة «السلطانية»، وتوفي سنة ١١٧٨هـ، تزوج بنت السيد محمد بيرقدار القلعة وولدت له: صادق، وصالح، وأمين الذي أعقب صادق، ولا يعرف لهم ذرية اليوم.

وأما عبد الرحيم بن محمد امين: فكان رجلًا صالحًا وسافر إلىٰ الروم مجاهدًا فاستأسره النصارىٰ في البحر، وتوفي سنة ١١٨٩ه، عقيمًا.

وأما عبد السلام بن محمد امين: فهو بقية البيت الآتي ترجمته: أعقب أبوبكر جد المترجم له، وعمر صاحب تحفة الدهر والذي توفي عن غير عقب، وعثمان، وأبو الفرج.

إما ابو بكر بن عبد السلام: فأعقب من ولديه عمر، وعبد السلام الثاني.

إما عمر بن أبو بكر: فأعقب من إبنه أبو بكر.

وإما عبد السلام الثاني بن أبو بكر: أعقب: أبو الفرج، وعمر(١)، وطاهر(٢)، وعبد الرحيم، وعثمان(٣).

إما أبو الفرج(٤) بن عبد السلام الثاني: وأعقب من ولده: أبو بكر(٥).

إما عبد الرحيم بن عبد السلام الثاني: فأعقب من ولده عبد السلام(٦) الذي أعقب من ولديه: صادق وعبد الرحيم.

وإما عثمان بن عبد السلام الثاني: فأعقب السيد عثمان المترجم له والذي أعقب محمد.

---

(١) توفي سنة ١٣٠٣هـ.
(٢) توفي سنة ١٢٨٠هـ.
(٣) توفي سنة ١٣٢٥هـ.
(٤) توفي سنة ١٣٠٦هـ.
(٥) توفي سنة ١٣٤٤هـ.
(٦) توفي سنة١٣٤٢هـ.



الشيخ محمد بن عثمان الداغستاني[١]

حافظ تراث البيت

(١٣١٠-١٣٨٠هـ)

إما محمد بن عثمان: أعقب عبد الله وعبد الحميد وعبد العزيز وسعد وبنتين، ولهم أعقاب اليوم في المدينة أدركنهم منهم عادل بن عبد الحميد، وهمام بن عبد الله والذين يتولون أوقاف أجدادهم من آل الداغستاني بارك الله فيهم وفي ذراريهم.

الشيخ عبد السلام بن محمد أمين الداغستاني[٢]

بقية البيت الداغستاني

ولد في شروان من بلاد داغستان سنة ١١٣٠هـ، وهاجر إلىٰ المدينة المنورة مع أخويه له سنة ١١٤٠هـ وفي المدينة المنورة استكمل دراسة وعكف علىٰ صحيح

---

(١) شخصيات متميزة ١/ ٢٠٧.

(٢) جريدة المدينة المنورة «من أعلام المدينة المنورة» محمد سعيد دفتردار ١٨/ ٩/ ١٣٧٩هـ.

البخاري، فوضع عليه «حاشية - خ» في أربعة مجلدات،حوالي ٨٥٠ صفحة بخط دقيق جميل ختمها في الروضة النبوية سنة ١١٦٠ه، ورحل إلىٰ الاستانة وغيرها. وتصدر للتدريس في الحرم النبوي، وتوفي بالمدينة ١٢٠٢هـ، ومن كتبه أيضا «خلاصة الجواهر في طبقات الائمة الحنفية الاكابر - خ» و«الجزء اللطيف من أنساب العرب - خ» و«حاشية علىٰ شرح الشمائل للترمذي - خ» و«حاشية علىٰ القدوري - خ» في فقه الحنفية، وحواش أخرىٰ. وكتبه كلها مكتوبة بخطه الجميل الدقيق النسخي والفارسي، محفوظة (إلا ما ضاع منها) في منزل حفيده محمد بن عثمان الداغستاني بالمدينة.

كان عالمًا بحرًا من بحور العلم صاحب المصنفات العديدة، فجاء من بعد الشيخ عبد السلام أبناؤه: أولهم

الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني[(١)]

رئيس الأدباء بالمدينة ومؤرخها

أديب أهل المدينة الشهير العلامة الإريب ولد بالمدينة المنورة وبها نشأ وتعلم ، كان مدرسا في المسجد النبوي الشريف ، ثم رحل منها سنة ١٢٠١ هـ، إلى الاستانة، حيث صنف كتابه «تحفة الدهر في أعيان المدينة المنورة من أهل العصر»، ألفه في المدينة المنورة سنة ١١٩٩هـ ، وهو كتاب جليل ذكر فيه كثيرًا من علماء المدينة وأعيانها، واستعرض بعض آثارهم الشعرية والنثرية ،، وقد اطلعت على نسخة منه وآقتنيتها مصورة من مكتبة آل الصافي ضمن المكتبات المهداة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة[(٢)]، وعندما وصل إلى الآستانة أظهر كتابه تحفة الدهر بحلة أخرى ، واضاف فيه بعض المدائح بأسماء البيوتات العريقة ، وقدمه لأحد الوزراء العثمانيين بأسم «اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة»، وأعتمد صاحب الحلية البيطار ونقل عنه في أكثر من موضع من كتابه بقوله قال صاحب رجال اللآلىء الثمينة

---

(١) حلية البشر ٢/ ٤٨٣، إيضاح المكنون ١/ ٢٤٧، مجلة المنهل ٤ص١٠-٢٥السنة ١٢، معجم المؤلفين ٢/ ٥٦٢.

(٢) والكتاب حققه مؤخراً شيخنا مؤرخ الحرمين السياسي العلامة المحقق عارف أحمد عبدالغني.

في أعيان شعراء المدينة[١]، والكتابين تحفة ادبية ، ومن أهم مصادر الكتب التي تتحدث عن علماء المدينة المنورة ، وتراثهم الشعري في القرن الثاني عشر الهجري .

قال البيطار في حليته[٢]: السيد عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني صاحب اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة أديب لأشتات الفضائل جامع، وأريب إشراق بدره في سماء المعارف لامع، شمائله تزري بأنفاس الشمول والشمال، وفضائله قد تحلت بأنواع الحسن وأفنان الجمال، لا تسأم أصحابه لطيف مؤانسته، ولا تمل أحبابه ظريف مجالسته، مع فصاحة وبلاغة ولسن، وتجمل بكل خلق جميل حسن، ورقي من معالي المكارم ذراها، وتمسك من أعالي العزائم بأوثق عراها، دأب في كسب المآثر فتىً وكهلا ، وسلك من مسالكها حزنا وسهلا ، حتىٰ قيد منها كل شاردة، وشيد مبانيها فكانت لطلابها أبهىٰ عائدة، ولله در نثره الرائق، ونظمه البديع الفائق.
ورغم أن صاحب التحفة الداغستاني أرخ لإدباء المدينة وبعض معاصريه، إلا أننا لم نجد من أعتنىٰ بترجمة له فلم نستطيع حتىٰ الوقوف علىٰ تاريخ ولادته ولا وفاته إلا أنه توفي في مصر.

الشيخ أبو بكر بن عبد السلام الداغستاني[٣]

مفتي المدينة ونائب الشرع الشريف بها

ولد رَحِمَهُ اللهُ سنة **١١٧٩**هـ وتعلم في رحاب المسجد النبوي حتىٰ أصبح أحد علمائه العارفين، ألف المؤلفات العظيمة وعكف علىٰ نشر العلم من مؤلفاته الموجز المليح شرح الجامع الصحيح في خمسة اجزاء، حتىٰ أدركته المنية سنة **١٢٣٩**هـ وجاء من بعده ابنه:

---

(١) طبع الكتاب مؤخراً بتحقيق عبدالرازق عيسى.

(٢) حلية البشر٢/ ١١٥٥.

(٣) فيض الملك ٢/ ٨٨٨ ترجمة ٦٦٩.

العلامة الشيخ عبد السلام الثاني بن أبي بكر الداغستاني[١]

عبد السلام بن أبي بكر بن عبد السلام بن محمد أمين بن شمس الدين الداغستاني المولود في **١٢٠٧**هـ، كان عالمًا ناسكًا وقد عاصر العهد السعودي الأول وتولىٰ الفتوىٰ فيه وفي آخر حياته تعرض له بعض المشاغبين فأنتقل إلىٰ نواحي المدينة بالفَرَع، وتوفي (بفَرَع المسور)[٢] قرية من أعمال الفرع في **٢١** رمضان سنة **١٢٩٠**هـ وقد نقل جثمانه منها إلىٰ المدينة المنورة ودفن بالبقيع الشريف.

وهو والد المترجم له الشيخ عثمان بن عبد السلام الداغستاني.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل الداغستاني: ونعود ونواصل الحديث عن الشيخ عثمان:

مولده:

ولد الشيخ الداغستاني في المدينة المنورة سنة **١٢٦٩**هـ.

يقول الشيخ محمد سعيد دفتردار عنه: وكان الرجل آية من آيات زمانه في هذه البلدة الشريفة، فيه من كمال الخلق ما جعله ملء السمع والبصر، أبيض اللون، مربوع القامة، تام الأعضاء، وافر النشاط، ملفوف الجسم، مستدير الوجه، كث اللحية، عريض الجبهة، واسع العينين، غزير الحاجبين، تبدو عليه سمات العلماء وتفوح منه نسمات الورع والزهد[٣].

قال الدهلوي في الفيض[٤]: الشيخ الفهامة الهمام، والفاضل العلامة الإمام، سليل العلماء الكرام، نخبة الأماصر الفخام، عمدة الأفاضل والأعيان، وزينة الأماثل والأقران.

---

(١) مجلة المنهل «من أعلام المدينة المنورة» محمد سعيد دفتردار مجلد **٣٠** سنة **١٣٨٩**هـ ص٢٥١-٢٥٤-٥٢٧-٥٢٨.

(٢) راجع ما كتبناه عن فَرَع المسور في ترجمة الشريف يعقوب الكتبي في صفحات كتابنا.

(٣) جريدة المدينة المنورة «من أعلام المدينة المنورة» محمد سعيد دفتردار ١٣٧٩/٩/١٨هـ.

(٤) فيض الملك ٢/ ٨٨٨ ترجمة ٦٦٩.

تعليم الشيخ الداغستاني:

لقد تربىٰ الشيخ عثمان في بيت علم، تحت يد والده، فما لبث أن نطق الحرف حتىٰ حفظ القرآن الكريم وجوَّده، وظهرت عليه علامات النجابة مبكرًا فأخذ يدرس العلم علىٰ والده، فدرس عليه كثيرًا من العلوم العربية والدينية حتىٰ تمكن منها، ثم شمَّر عن ساعديه وبدأ يطوف بحلقات المسجد النبوي الشريف، فلازم حلقة العلامة المحدث الشيخ عبد الله المجددي الدهلوي حيث أخذ عنه الفقه والنحو والتفسير والحديث وأصوله.

ثم لازم العلامة الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي وكان أستاذًا للعلوم السائدة في عصره، ثم التحق بحلقة العلامة الشيخ عبد القادر الطرابلسي الأول فطالب وطولب وجدَّ واجتهد حتىٰ أصبح بارعًا في العلوم النافعة، نابغة في الأدب نظمًا ونثرًا ورواية.

دروسه بالمسجد النبوي:

لقد انصرف الشيخ الداغستاني يطلب العلم وهو يافع السن فكان الطالب المجتهد الذي أحبه شيوخه فقربوه إليهم، وعندما تمكن من العلم أمروه بالجلوس والتدريس بالمسجد النبوي الشريف، فهرع إليه طلاب العلم ومريدوه، وقد درس كتب الفقه والحديث وبعضًا من كتب الأدب.

دروسه في منزله

كان الشيخ يدرس بالمسجد النبوي الشريف وله دروس ومجلس في بيته يجتمع إليه الإدباء من كل بلاد العالم ويقصده طلاب العلم.

قال الدهلوي في الفيض: اجتمعت به أولًا في المحرم سنة **١٣٠٦** وحدثني بالمسلسل بالأولية عن الشيخ عبد الغني المذكور، وأجازني لفظًا بجميع ما تجوز له روايته، ثم التقيت به مرارًا عديدة حين إقامتي ومجاورتي بالمدينة النبوية بداره بظاهر المدينة المنورة بالمناخة(١)

---

(١) المناخة: محلة في المدينة المنورة قديمًا له سوق عامرة، غرب المسجد النبوي الشريف، قام مكان مناخة الجمال، وكان سوق بني قينقاع، ثم صار سوق المدينة معظمها وقد أزيل ضمن التوسعات.

أدب الشيخ الداغستاني:

كان الشيخ عثمان يعد في مقدمة أدباء المدينة، بل في الحجاز كله، وقد شهدت له المدينة تلك المواقف الخطابية الجميلة والرسائل العظيمة، والأشعار النفيسة في مدح حضرة الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

الإمامة والخطابة في المدينة:

وقد باشر الشيخ عثمان الداغستاني الإمامة في المحراب النبوي عام **١٢٩٤**هـ، وفي هذا العام دخل أبناء الخطباء من أهل المدينة المحراب النبوي في احتفالات لا مثيل لها، وقد دخل المحراب في تلك السنة الشيخ مأمون بري والشيخ عارف بري والشيخ إبراهيم الأسكوبي والشيخ يحيىٰ الدفتردار، وكان المحراب يتقبل أبناء الخطباء من أهل المدينة في حفلات وولائم لا مثيل لها، تعد من أيام المدينة المنورة المشهودة، والمحراب يفتح لهؤلاء كل سبع سنوات يتناوب علىٰ الإمامة كل يوم شاب منهم بعد أن يؤدي الامتحان أمام لجنة من العلماء بحضرة شيخ الحرم وشيخ السادة ومفتي المدينة وقضاتها.

وأعتقد أن آخر مرة فتح فيها المحراب كانت علىٰ عهد الأتراك سنة **١٣٢٩**هـ.

أما المنبر فكان يُرقىٰ إليه عند التأهل للإلقاء والعلم، ولم يحدد بزمان، غير أنه إذا تقدم شخص علىٰ آخر فإن ذلك يكون بحسب الأقدمية في العوائل أو الوجاهة أو المكانة العلمية أو التقدم في العمر.

الداغستاني مفتي المدينة:

ولمكانة الشيخ العلمية وتوسعه في المذاهب الأربعة فقد صدر الفرمان السلطاني العثماني بتعيينه مفتيًا للمذهب الحنفي من عام **١٣٠٣**هـ إلىٰ عام **١٣١٩**هـ.

مؤلفات الداغستاني:

١- مجلدين في الفتاوىٰ.

٢- «سر الحرف».

٣- شرح لطيف علىٰ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

مكتبة آل الداغستاني:

لقد عني الشيخ عثمان بمؤلفات آبائه، جمعها ورتبها وأتم نواقصها وجلدها، وقد توارثت هذه العائلة المكتبة من شخص لآخر، وكل منهم يحافظ عليها خير محافظة، وتعد المكتبة من أهم المكتبات الخاصة في المدينة المنورة، وهي موجودة إلىٰ الآن لدىٰ آل الداغستاني من هذه الأسرة.

وفاة الشيخ الداغستاني:

بعد حياة مليئة بالأعمال الصالحة أصيب الشيخ عثمان بوعكة صحية أقعدته في داره فترة وجيزة حتىٰ وافته المنية في الرابع عشر من شهر ذو الحجة سنة **١٣٢٥**هـ تغشاه الله برحمته الواسعة ورحم آباءه وأجداده جزاء ما قدموا في رفعة هذا الدين الحنيف . . إنه سميع مجيب.



الشيخ عمار الأزعر[١]

هو عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد بن محمد لزعر القماري[٢] المدني.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في بلده قمار سنة ١٣١٦هـ في عائلة فقيرة ولكنها متمسكة بدينها ومحافظة عليه.

وصفه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ متوسط القامة قمحي اللون، عريض الجبهة، أقنىٰ الأنف، خفيف الشارب، كث اللحية، يلبس الغترة ولا يضع عليها عقالا ويرتدي العباءة العربية، وهذا زي العلماء في العصر الحديث.

أما عن صفاته وأخلاقه فإن القارئ لترجمة هذا العالم الصالح يستطيع أن يستنتج أمورا كثيرة منها أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان ذكيا، مصلحًا، لا تأخذه في الحق لومة لائم، اشتهر بالعفة والنزاهة؛ طيبُ القلب سليم النية، متواضع يكره الملق والتكبر، فيه سمات العلماء ووقارهم.

---

(١) مجلة النهل بقلم الشيخ محمد سعيد دافتردارمجلد ٣٠ ص١١٠٤-١١٠٦ سنة ١٣٨٩.

(٢) نسبة إلىٰ «قمار» قرية من قرىٰ واد سوف، تقع في الشمال الشرقي من الواحات بالصحراء الجزائرية.

نشأته وتعليمه

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وذلك في بلدة فلياش -قرية من قرىٰ بسكرة- وعندما بلغ الثالثة من العمر رحل مع والده إلىٰ بلدة سيدي عقبة بجنوب الجزائر وأتم حفظ كتاب الله هناك، ثم عاد إلىٰ مسقط رأسه ودخل الكتّاب(١)، ومن ثم التحق بزاوية سيدي المولدي بتوزر بالقطر التونسي الشقيق، ولقد كان نظام التدريس بهذه الزاوية داخلي يقصده الفقراء وأبناء تلك الجهات لتلقي كتاب الله وحفظ بعض المتون الفقهية، وفي العاشرة حفظ شيخنا بها كتاب اله وأتقن حفظه، ولكن طموحات الشيخ وأحلامه لم تكن قاصرة علىٰ حفظ كتاب الله وإتقان فنونه فقد كان يريد الخوض في معركة مع العلم يستنير منه بأكبر قدر ممكن، فرحل إلىٰ تونس مشيا علىٰ الأقدام وتكبد من المصاعب الكثير، ونال من المشقة ما نال حتىٰ وصل إليها سنة **١٣٣٤**هـ، وما لبث حتىٰ التحق بجامع الزيتونة الكبير المشهور وانخرط في سلك التعلم فهرع وانكب علىٰ مطالعة الكتب والدروس، إذ أن المقررات حافلة بمواد وكتب غزيرة المادة يدرسها شيوخ أفاضل، وكل شيخ بصدد فنه الذي يتخصص فيه.

يقول الشيخ عمار في ترجمة لنفسه كتبها الشيخ محمد سعيد دفتردار(٢): «ومن فضل الله عليّ أني أدركت الكبار من هؤلاء العلماء، منهم الشيخ الصادق النيفر الملقّب بسفينة الفقه، قرأت عليه العاصمة في فقه الأحكام علىٰ منصب إمام دار الهجرة، وكان له عليها شرح طبع بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهم الشيخ أبو الحسن النجّار، قرأت عليه تنقيح الفصول في قواعد الأصول للقرافي، ومنهم الشيخ الزغواني مدرس الفقه المالكي، قرأته عليه مختصر خليل بشرح الدردير في أربع مراحل، ومنهم الشيخ عثمان بن المكي التوزري، قرأت عليه أيضا من العاصمة وله عليها شرح كبير ينتفع به، وله عدة تآليف في عقيدة أهل السنة والجماعة، منها: المرآت في إظهار أهل الضلالات وكتبٌ أخرىٰ من هذا القبيل، ودروسه عامرة بالدعوة إلىٰ التوحيد وإظهار

---

(١) ترجمة خطية بيد محمد الصالح زرود بن عبد الله.

(٢) المنهل مصدر سابق.

طريقة السلف، ومنهم الشيخ الطاهر بن عاشور، قرأت عليه جملة من التفسير والحديث والأصول، ومنهم الشيخ عبد العزيز بن جعيط، قرأت عليه شيئا من التفسير والحديثن ومنهم الشيخ محمد بن القاضي قرأت عليه كتاب التلخيص في علوم البلاغة، ومنهم الشيخ محمد الجدمي البنزرتي مدرس التجويد والقراءات السبع، قرأت عليه الجزرية وشيئا من الشاطبية، وقرأت علىٰ غير هؤلاء بعضا من جمع الجوامع والمصطلح واللغة كالمعلقات السبع والشافية والقطر، ومراح الأرواح والدرّة البيضاء وسلم المنطق، وبعد تمام الدراسة في تسع سنوات تخرجت بشهادة التطويع المعادلة لشهادة العالمية يومئذ وذلك سنة **١٣٤٣**هـ، انتهىٰ ما كتبه الشيخ محمد سعيد دفتردار عن تعليم الشيخ.

دوره في الحركة الإصلاحية

بعدما تخرج الشيخ عمار من جامعة الزيتونة ونال الإجازة منه قرر العودة إلىٰ بلدته وهو مليئ بالعلم وبرأسه أفكارٌ إصلاحية كثيرة، وما لبث أن استقر حتىٰ بدأ يلقي دروس بمسجد السوق العتيق، وبدأ بتغيير المعتقدات التي كانت موجودة رويدًا رويدا، من ذبح ونذكر وتقديس، وكان يواجَه بالصد، ولكنه بروح الصبر والجلد استطاع أن يغير الباطل ويعرف الناس معنىٰ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ﷺ، وقد ركز علىٰ التوحيد السلفي والفقه الإسلامي والتاريخ وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وشعر، وأصبح يؤم حلقته جمع غفير من الكبار والصغار، وبدأ الوعي الديني ينتشر، وقد فتح بذلك صفحة جديدة من صفحات الجهاد المقدس في سبيل نشر العقيدة والدعوة إلىٰ الرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومحاربة البدع والخرافات، وقد كان الشيخ أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر ورئيسا لشعبتها في جنوب الجزائر.

ولقد لقي في نشر الدعوة تلك المتاعب من أولئك الطغاة الفرنسيين لأنه لم يخضع لأحكامهم الجائرة وغايتهم السيئة في نشر الفساد في تلك البلاد الإسلامية، وأخذ الشيخ في نشر دعوته سرًّا بينه وبين أتباعه لمقاومة الإستعمار وأخذ بنشرها بين



المواطنين الذين استجابوا لدعوته واتبعوه.

وعندما يشعر الفرنسيون بمبادئ الحركة يقبضون علىٰ الزعماء ويلقونهم في المعتقلات أو يقتلونهم، ولكن كل هذه الأحداث لم تضعف من عزم شيخنا في نشر العلم والدعوة إلىٰ الله.

لم يكتف الفرنسيون بهذا بل إنهم تدخلوا حتىٰ في سياسة التعليم وذلك لقتل اللغة العربية طبقا لسياسة فرنسا في الجزائر، وحرصوا علىٰ تنصيرهم لدمجهم في نهاية المطاف بالكيان الفرنسي، وتدعيمهم لأصحاب البدع والخرافات حتىٰ لا يقاومونهم.

لقد لقد الشيخ عمار الكثير من المتاعب، ومن هذه الحوادث التي وقعت له[١]: أن أهل باب الشرقي كانوا أحبابًا -أي موالين- لأهل البدع والخرافات، وكان منزل الشيخ في القج بباب الشرقي، فكانوا كلما يمر أحدهم بمنزله يرمي الحجارة وسط فناء بيته مما أدىٰ إلىٰ إيذائه، وكانت زوجته وألاده لا يخرجون إلىٰ وسط الفناء إلا للضرورة، ويمشون تحت الحائط من بيت لآخر خوف من الأذىٰ، وفضلا عن ذلك كانت تتحطم لهم الأواني التي يملؤون فيها الماء وهي القلل، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ في كل يوم يخرج في حجره الحجارة التي كانوا يرمونها في منزله، ولم يكتفوا بذلك فأطلقوا عليه أذنابهم وشعراءهم يشنونه، ومن هؤلاء الشاعرة بنت حورية زوجة ولد خشخوش أمها للفوار أخت بشره، ومن ضمن ما قالته في الحضرة تشني في الشيخ عمار بن لزعر رَحِمَهُ اللَّهُ:

علىٰ لقرع التقدود   القاري علىٰ ليهود

والله لضاربيه

راه جاء واحد من تونس   قاري علىٰ الطالبيه

ولا لفرنسويه

ومن ضمن الحوادث التي وقعت له كذلك[٢]: الوشايات التي كانت ترفع من طرف المحاربين له إلىٰ القائد الفرنسي بالوادي، ففي إحدىٰ المرات استدعي من طرف

(١) نقلا عن محمد الصالح بن عبد الله.

(٢) نقلا عن بحث الأستاذ محمد الصالح زرود بن عبد الله.

الضابط الفرنسي، فذهب إليه، وقد استقبله القائد بكل عجرفة وقال له بما معناه: لقد بلغني أنك تسب في نظام الحكم وفي فرنسا وتحرض الناس عليها . . وأصدر القائد قرارًا يمنعه من الوعظ والإرشاد والدرس وحلقات الذكر في المسجد، وهدده في حالة مخالفته للأمر بسجنه في سجن «برج فطيمة» وهو سجن المعتقلين السياسيين قرب حاسي مسعود بالصحراء، ولما خرج الشيخ عمار من مكتب القائد كانت عيون الأعداء له خارج المكتب، وسأله صديقه ماذا قال لك الضابط؟ فقال: قال: اِذهب درّس علىٰ نفسك لا يمنعك أحد، فبدت الخيبة علىٰ وجوه المحاربين له، وذهب ودرّس بعد صلاة المغرب من نفس اليوم في المسجد العتيق «الطلبة» بالسوق العتيق، وهذه الحادثة تدل علىٰ فطنة الشيخ وذكائه وسرعة بداهته.

وقد اتخذ الشيخ عمار من مسجد «الطُّلْبة» ومنزله مركزًا لإشعاع العلم المبني علىٰ أساس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل السلف الصالح، حتىٰ أصبح للمسجد الذي يدرس فيه الدول الفعال، فقصده الناس للتحصيل وتلقي العلم عنه، وكان رحمه الله يدرس التفسير والحديث والفقه المالكي وأصوله والعلوم امتصلة بالقرآن الكريم واللغة العربية والقواعد والبلاغة والمنطق وعلم التوحيد، وحلقته تمتلئ وهو يفيض العلم وهم يستمعون له، وقد يسأل أحدهم عن أشياء قد استعصت عليه فيجيبه عليها الشيخ بكل سرور، وإذا رأىٰ منهم الملل نكت لهم ليصرفه عنهم، فأخرج جيلا من المصلحين علمهم بعد أمية وجهالة، وبذلك أنقذ مجموعة كبيرة من براثن الجهل والتلخف، ومجمل القول إن الفضل في قيام نهضة إصلاحية بقمار يعود بعد الله إلىٰ الشيخ عمار الأزعر، وإلىٰ جهوده الطيبة وأفكاره الإصلاحية التي استغرقت أحد عشر عامًا قضاها مدرسا وواعظا بالجزائر حتىٰ أفلح في تكوين نهضة إصلاحية معتمدة علىٰ القرآن والسنة وعمل السلف الصالح، وبذلك ظهر قلوب المنحرفين من البدع والخرافات، ورجع الدين في طهارته ونقاوته كما كان عليه في عهد النبوة والصدر الأول.

أقول إن الشيخ (عمار) زعيم إسلامي كبير، وما لاقاه من معاناة يدل علىٰ نجاح عمله وهكذا هي الحركات الناجحة، تبدأ بالمقاومات والنزاعات إلىٰ أن تستقر علىٰ

الإصلاح، فدعوته دعوة ناجحة وعمله عمل صالح، وقد كان لحركته تأثيرٌ علىٰ جميع المجالات سواء أكانت العلمية أو السياسية أو الإجتماعية، أو غير ذلك، رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه فسيح جناته، وأكرر القول وأقول إنه زعيم ...... زعيم بحق.

هجرته إلى البلاد المقدسة

وفي عام **١٣٥٢**هـ ودع الشيخ عمار مسقط رأسه لزيارة البقاع المقدسة، وأداء فريضة الحج، وبعد أداء المناسك رجع إلىٰ قمار، بعد ذلك قرر قراره: أن لا بقاء في ذلك الوسط الجاحد ولا بد من الهجرة، وذلك خوفا علىٰ أهله وذريته من الفتن، وكان ذلك في عام **١٣٥٣**هـ حيث هاجر مع جمع غفير إلىٰ البلاد المقدسة واستقر في مدينة خير البرية -المدينة المنورة- علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان خروجه من بلاده بمشهد عظيم اجتمع فيه كثير من الناس، فمنهم الفرِح بخروجه، ومنهم الباكي، ولما حان وقت رحيله صعد له بعض أعدائه إلىٰ السيارة وطلبوا منه المسامحة وناشدوه القرابة والرحم، فقال لهم: لقد أخرجتمونا وقاومتمونا، الله بيننا وبينكم، الله حسبنا، نعم المولىٰ ونعم الوكيل، ثم سار الركب، وتتابعت للهجرة بعد ذلك حتىٰ قيام الحرب العالمية الثانية حيث أغلقت الهجرة(١).

دروسه بالمسجد النبوي

وفي المدينة المنورة استقبله العلماء ورحبوا به، والتقت معه القلوب، واتسع نطاق معارفه، وعلموا بما عنده من علم فبدأ يعطي دروسه حتىٰ طبق صيته علماء المسجد النبوي الشريف، فرشحوه مدرسا رسميا بتاريخ ١٣٦٦/١/١هـ وعقد للعلم وأهله سوقا نافعًا، والتف حوله طلاب العلم من المدينة المنورة ومن المهاجرين إليها، وقد درس صحيح البخاري، ومن أشهر تلاميذه فضيلة الشيخ محمد الحركان وزير العدل سابقا، وفضيلة الشيخ العلامة عمر فلاته المدرس بالمسجد النبوي الشريف، وفضيلة الشيخ القاضي عطية محمد سالم المدرس بالمسجد النبوي الشريف والقاضي

---

(١) نقلا عن محمد الصالح بن عبد الله.

بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة سابقا والشيخ عبد الله الخربوش، والأستاذ الأديب حمزة محمد قاسم رحمة الله علىٰ الجميع.

تدريسه بمدارس المدينة

عندما استقر به المقام بالمدينة المنورة اشتغل بالتدريس في مدرسة العلوم الشرعية بالقسم العالي، ودرس بها ما يقارب من عشرين سنة الحديثَ وعلوم القرآن واللغة العربية، ثم عين مدرسا بدار الحديث بالمدينة المنورة كذلك.

مدرسة الشيخ عمار

ولقد صدر أمر بالجمهورية الجزائرية علىٰ اطلاق اسم مدرسة متوسطة باسم الشيخ عمار لزعر تقديرًا لخدمته الجليلة في الجزائر، وحركاته الإصلاحية بتلك البلاد وبقاء آثاره القيمة إلىٰ يومنا هذا.

مكتبته وآثاره

لقد ترك الشيخ عمار مكتبة قيمة تحتوي علىٰ عشرات الكتب والرسائل، وترك بعض المخطوطات من تآليفه وتحقيقاته وفتاويه، ولكن هذه المكتبة حرقت ولم يبق منها شيء.

وفاة الزعيم

وعندما أذنت حياة الشيخ عمار بالإنتهاء، جاءه مرض الموت وأسلم روحه لبارئها في ٣ من جمادىٰ الآخرة سنة ١٣٨٩هـ وهو في الثالثة والسبعين من العمر، بعد حياة حافلة بالجهاد المقدس كان فيها مثال العالم والزعيم الذي يجهر بالحق والذي لا تأخذه في الله لومة لائم، رحمه الله وجعل قبره نورًا جزاء ما أسدىٰ من خدمات للإسلام والمسلمين.



الشيخ عمر بري[١]

هو عمر بن إبراهيم بن عبد القادر بن عمر بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد البري الحنفي المدني.

بيت البرِّي

أصلهم القاضي أحمد المالكي بن عبيد الله بن صالح بن سالم بن عمر بن أحمد بن حماد بن ناصر بن نصار بن ثابت بن حماد بن قاسم بن عباد بن محمود بن عبد الله بن عمر الشهير بـ «عباد» ابن معمر بن حماد الأكبر بن يحيىٰ بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن محمد الحنفية بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الأنصاري في تحفته[٢]: «بيت البري» أصلهم القاضي أحمد المغربي المالكي الفرياني نسبة إلىٰ قرية من أعمال مدينة تونس الخضراء . . . . قدم المدينة المنورة في حدود سنة **٩٠٠**هـ.

(١) ترجمة الشيخ محمد سعيد دفتردار بمجلة المنهل مجلد ١٩ ص٥٢٧ سنة ١٣٧٨ شهر ذو الحجة، ديوان الشيخ عمر البري، الجواهر الحسان ٢/ ٦٩٨ ترجمة رقم ٣١٣.

(٢) تحفة المحبين ٩١.

وقال في موضع آخر[١]: وأخبرني صاحبنا الخطيب عبد الله البري أنهم ينتسبون إلىٰ سيدنا محمد بن الحنيفة والله أعلم.

قال الداغستاني في اللآلئ[٢]: بيت علم وخطابة وفخار أذعن بالإنابة، وفصاحة بسقت في ناديه أشجار أزاهرها، وبلاغته بزغت في سمائه غرر زواهرها، تقدم في طيبة فحوىٰ الفضل الحديث والقديم، وأصبح السعد وهو لمكين عزه خديم، فكل أهله أعيان وأفاضل، تكللوا بعمائم المكارم والفضائل، ذوو معارف وآداب أعجبت معاصريهم كل الإعجاب.

قال الحجار في مختصره[٣]: بيت البري أصلهم القاضي أحمد المغربي المالكي القيرواني نسبة إلىٰ قرية من أعمال تونس الخضرة، قدم المدينة المنورة في حدود سنة تسعمئة.

أقول: قدم الشيخ أحمد المالكي المدينة المنورة في حدود سنة ٩٠٠ هـ، وعرف بالمغربي الفرِّيَاني، نسبة إلىٰ قرية من أعمال مدينة تونس الخضراء، وكان يعرف بيتهم في بداية الامر ببيت المالكي، فكانت لهم الشهرة في بداية الأمر بالعلم في مذهب مالك وفيهم مشيخته، وبعد فترة من الزمن تشعبت بهم الآراء فأنتقل بعضهم إلىٰ مذهب أبي حنيفة، وانقسموا الىٰ بيتان بيت المالكي وبيت البرِّي نسبة إلىٰ عبد البر بن أحمد المالكي، وكان لهذا البيتين الشهرة والفضل فهما بيتان متقادمان ثابتان القدم من شجرة واحده عرفا بكثرة العلماء والخطباء، فكانوا علىٰ امرهما فبيت المالكي في المقام المالكي وهو اصل مذهب البيت، وبيت البرِّي في المقام الحنفي، والبيتان كريمًا فالشهرة لبيت المالكي والحظوة لآل البرِّي، وقد انقرض وخفي امر بيت المالكي بالمدينة في حدود سنة ١١٠٠هـ[٤]، وصار البيتان بيتًا واحدًا وهو بيت البرِّي بيتًا كبير وبالفضل شهير، وإليهما ينسب زقاق حوش البرِّي[٥] ولا يعرفهم المدنيين إلا

---

(١) تحفة المحبين ٩٢.

(٢) اللالئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة ١٣٣-١٣٤.

(٣) مختصر القرمية ٢٤.

(٤) فصلنا في تراجم أعلامهم في كتابنا أعلام المدنيين.

(٥) رسائل في تاريخ المدينة ٥٠.

بـ «بري» دون آل التعريف توارثوا خطابة المسجد النبوي عدة قرون وكانت لهم في المشيخة صولة وفي الافتاء جولة، بيت كريم من بيوتات المدينة العريقة، لا نعرفهم الا بالفضل ولا نذكرهم إلا بحسن الذكر وقد بارك الله في نسلهم فأصبحوا عشيرة كبيرة وفروعهم كثيره وهم في زماننا ينوفون الخمسمائة فرد من بين رجال ونساء بارك الله فيهم، وقد أدركت منهم طيب الذكر سليل فرع العلم العم السفير الوجيه السيد عبد الله بن عمر البرِّي حفظه الله، وابنيه الوجيهان الدكتور مضر والدكتور معن وهما صنوا ابيهما اطال الله في عمرهما،، ومن آل البرِّي حفيد الخطباء العم السيد عمر بن معتوق بري رجل نحبه ونجله اعرفه منذ الصغر فأبنه السيد علاء كان ممن زاملني في دراستي وكان صديقًا حميمًا، ومنهم العم السيد مأمون بن عبد الغني بري وهو سمي جده الأفندي القاضي مأمون بن أبو اللطف عضو مجلس المبعوثان أحد أعيان علماء المدينة ووجهائها، ومنهم رجل الأعمال طيب الذكر السيد فريد بن أمين بري، ومن آل البرِّي العم الفاضل السيد محمود بن عبد الجليل بري[1] رَحِمَهُ اللهُ عرفته من اهل الصلاح والتقوىٰ لا اراه إلا ماشيًا متوجهًا الىٰ المسجد النبوي الشريف وفي المسجد لا تراه الا منشغلًا بقراءة القران وذكرالله وكانت بيني وبينه محبة، بارك الله في نسله وذريته وله ابناء منهم: حبيبنا السيد نبيل صاحب الهمة مجدد شجرة آل البرِّي في عصرنا الموسومة «بالمشجر اللامع» في عقب الخطيب محمد البري الجامع».

أقول: وقد طلب مني في وقتنا بعض ابناء هذا البيت لحسن ظنهم بالنظر والتحقيق في نسبهم فاستعنت الله بتحقيق نسبهم وأستخراج قرار نسب لهم برقم **٢٤٣**/م في **٢٤** شوال **١٤٣٢**هـ، وضبط فروعهم بعد مراجعتهم لنا وقمت بالأشراف علىٰ المشجر وقد اصدروه، وقد فصلنا فيهم في قرميتنا في موسوعتي أعلام المدنيين.

---

(١) توفي في المدينة ٢٣/ ٥/ ١٤٣٦هـ.

الشيخ أحمد بن عبيد الله بن صالح الفرِّيانِي الشهير بالمالكي

رأس البيت الكبير

مفتي المالكية في مدينة خير البرية

مولده بالقيروان سنة ٨٥٠ هـ، وبها نشأ وتعلم، برز في فقه المالكية، فكان أقضىٰ أهل زمانه، قدم المدينة المنورة في حدود سنة ٩٠٠هـ، وتولىٰ بها قضاء المالكية، ورحل إلىٰ الدولة العلية العثمانية فرجع بالمنح والعطايا السنية، وقد كلف بأمر السلطنة العثمانية علىٰ تجديد هلال عظيم للقبة الخضراء في غاية الكبر أعلاه من الذهب الخالص وأسفله المضلع المركب عليه الهلال مطلي بالذهب بالطلاء الكثيف، وإنشاء أهلة متعددة للمنبر النبوي والمنابر الأربع علىٰ نسق الهلال القبة ومنها عدة شماعين من النحاس المطلىٰ وجميعها صيغت بدار السلطنة المحروسة ثم أرسلت معه كل هذه العطايا إلىٰ المدينة المنورة بغاية التعظيم والتكريم، وتولىٰ الأشراف علىٰ عمارتها.

كان عالمًا فاضلًا صاحب ثروة، وتوفي بها في حدود سنة ٩٧٠هـ، وله من العمر مائة سنة.

الشيخ عبد البر بن أحمد المالكي(١)

الملقب بـ «البـرِّي»

مولده بالمدينة المنورة، كان عالمًا فاضلًا مالكي علىٰ مذهب آبائه، وإليه أنتسب البيت وعرفوا ولده وعقبه ببيت البري، أختاره أهل المدينة مبعوثًا عنهم إلىٰ الدولة العلية فرحل إلىٰ الشام وأدركته المنية في طريقه إلىٰ الدولة العلية توفي شابًا بالشام سنة٨٧٠هـ.

---

(١) تحفة المحبين ٩٣، مخطوط أعلام المدنيين ١/ ١٣٢،

الشيخ محمد أبو اللطف بن عبد البر البـرِّي[١]

مولده بالمدينة المنورة، يكنىٰ أبا اللطف، كان عالمًا فاضلًا وهو من بيت مالكي المذهب إلا أنه تمذهب بمذهب أبي حنيفة، وصار امامًا حنفيًا عن الخطيب إلياس سنة **٩٩٢**هـ، وفي سنة **٩٩٤**هـ صار له نصف خطابة بالمنبر النبوي الشريف وبقية ذريته من بعده علىٰ مذهبه.

الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد أبو اللطف بن عبد البر البـرِّي[٢]

رئيس العلماء والخطباء بالمدينة

الخطيب المدني الحنفي، أحد أعيان العلماء بالمدينة وانبل من بها من رؤساء العلم المشهورين ولد في المدينة المنورة سنة **١٠١٤**هـ، وبها نشأ، حفظ القرآن بالروايات وأخذ عن علمائها ورحل إلىٰ مكة وأخذ بها عن جمع وأجازوه، ومن مشايخه العلامة عبد الملك العصامي، والعلامة عبد الرحمن بن عيسىٰ المرشدي، ، وعقد دروسه بالروضة الشريفة، له أشعار حسان ونثر أحسن، مدحه العلماء والوجهاء.

قال ابن معصوم في سلافته[٣]: خطيب صبغ بالفضل أديمًا. وكأنما عنها من قال قديمًا .

ولا زال علىٰ حاله يقرئ ويدَّرس حتىٰ أدركته المنية في **١٤**/ربيع الأول سنة **١٠٩٣**هـ، ودفن في بقيع الغرقد.

---

(١) تحفة المحبين ٩٣.

(٢) تحفة المحبين ٩٣، خلاصة الأثر ١/ ٢٣٠، نفحة الريحانة ٤/ ٣٢٦،٣٢٢ وفيهما ولادته ١٠١٠هـ والصحيح ما اثبتناه، فوائد الإرتحال ٢٩٨-٣٠٤ ترجمة ٤٦٦، سمط النجوم العوالي ٢/ ٣٥.

(٣) سلافة العصر٢٥٨.

الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو اللطف بن عبد البر البرِّي[١]

صاحب الفتاوي البرية

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو اللطف بن عبد البر البرِّي، وُلِد سنة ١٠٥٠هـ، العالم الأديب الخطيب، رئيس الخُطَباء والأئمَّة في وقته، وكان نائبًا للقضاء سنة ١١٠٢هـ، تولَّىٰ إفتاء الحَنَفيَّة في سنة ١١٠٤هـ، وله الفتاوىٰ البرِّية، جمعها بعد وفاته ولده الخطيب محمَّد وهي فتاوي نفيسة اطلعت عليها وهي فتاوي عصرية لزمنه الذي عاش فيه، كان شاعرًا، وتوفِّي في ٢١ محرَّم سنة ١١٣٠هـ، رحمه الله.

الشيخ محمد بن إبراهيم البـرِّي[٢]

بقيية البيت شيخ الخطباء بالحرم النبوي

جامع الفتاوي البرية

محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو اللطف بن عبد البر البري الحنفي أبو طاهر الشيخ الفاضل العالم النحوي، ولد بالمدينة المنورة ١٠٨٣ه، ونشأ بها وطلب العلوم فأخذ عن والده وعن ملا إبراهيم بن حسن الكوراني، وعن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي وعن غيرهم وجمع فتاوي والده بعد وفاته صنف رسائل صغيرة في النحو، منها «**مسوغات الابتداء بالنكرة - خ**» وكان شيخًا مهابًا عليه الوقار والسكينة تولىٰ مشيخة الخطباء مدة ثم رفع نفسه منها وكان صالحًا مباركًا كل الناس عنه راضون وبالجملة، وكانت وفاته بالمدينة سنة ١٠٧٥ه رحمه الله تعالىٰ، وله ذرية وقد ثبت لدينا أن كل آل البري اليوم من نسله وهو جدهم الجامع لجميع فروعهم.

---

(١) تحفة المحبين ٩٤، سلك الدرر ٤/ ٢٢٧-٢٢٨، اللآلئ الثمينة ١٣٤، تراجم أعيان المدينة المنورة ٣٥-٣٦ ترجمة ١٣ وفيه أسمه أحمدإبراهيم بن إبراهيم والصحيح ما أثبتناه.

(٢) تحفة المحبين ٩٣، اللآلئ الثمينة ١٤٣، تراجم أعيان المدينة المنورة ٣٧ترجمة١٤، سلك الدرر٤/ ١٦-١٧، الأعلام ٥/ ٣٠٤.

الشيخ عبد الله بن إبراهيم البـرِّي[(١)]

الخطيب الشهير بـ «المصقع[(٢)]»

عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو اللطف بن عبد البر البرِّي المدني الحَنَفي، وُلِدَ بالمدينة المنوَّرة سنة ١٠٨٤هـ، ونشأ بها، وطلب العِلْم، وأخذ عن عدد من العُلَماء، منهم والده، ويوسف أفندي الشِّرَواني، والشَّيخ عبد الله البصري، والشَّيخ أبوالطَّاهر الكوراني، والشَّيخ أبو الطيِّب السِّندي. واشتهر بنسخ الكثير من الكتب بخطِّه، ومنها حاشية شيخه الشَّيخ أبي الطيِّب السِّندي علىٰ الدُّرِّ المختار، وشرح التَّسهيل لابن عقيل، والفتاوىٰ الغياثيَّة لداود بن يوسف الخطيب الحنفي، وغيرها. وصار أحد الخُطَباء بالحَرَم النَّبوي الشَّريف. وكان يلقَّب بالخطيب. تُوفِّي بالمدينة المنوَّرة سنة ١١٧٥هـ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الشيخ يحي بن إبراهيم البـرِّي[(٣)]

الخطيب صاحب المكارم

يحي بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو اللطف بن عبد البر البرِّي، وُلِد بالمدينة المنوَّرة سنة ١٠٨٥هـ، ونشأ بها في طلب العلم، وتلقىٰ علومه عن والده وعن أحمد المدرِّس وغيرهما، وكان متميِّزًا بين زملائه، مُحقِّقًا مُدقِّقًا، نَسَخ كُتُبًا كثيرة بخطِّه، منها: **حاشية الأشباه للحموي**. وكان **خطيبًا وإمامًا بالمسجد النَّبويّ الشَّريف**، توفِّي بالمدينة المنوَّرة سنة ١١٣٨هـ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) تحفة المحبين ٩٤، سلك الدرر ٣/ ٩٢-٩٣، اللآلئ الثمينة ١٤١، تراجم أعيان المدينة المنورة ٣٨ ترجمة وفيه ولادته ١٠٨٣هـ والصحيح ماأثبتناه، عُلَماءُ المدينةِ المنوَّرة ودروهم السِّياسي والاقتصادي والاجتماعي في القرن الثَّاني عشر الهجري ٢٧.

(٢) المصقع: البليغ.

(٣) تحفة المحبين ٩٤، اللآلئ الثمينة ١٣٧، تراجم علماء المدينة المنوَّرة ٣٩، عُلَماءُ المدينةِ المنوَّرة ودروهم السِّياسي والاقتصادي والاجتماعي في القرن الثَّاني عشر الهجري ٢٧.

الأفندي الشيخ مأمون بن أبو اللطف[1] بن عبد الله بن يحي بن أحمد بن محمد البِرِّي[2]

أحد زعماء النهضة العربية الحديثة

عضو مجلس المبعوثان

ولد بالمدينة المنورة في اواخر القرن الثاني عشر، وبها نشأ وتعلم، واشتغل بطلب العلوم من منطوق ومفهوم، كان والده الأفندي أبو اللطف امامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي الشريف، ونال الأجازة فأصبح مدرسًا بالمسجد النبوي الشريف وفي عام **١٢٩٤**هـ باشر الإمامة في المحراب النبوي الشريف، وتولىٰ افتاء الحنفية بمدينة خير البرية، وتقلد رئاسة المحكمة الشرعية حتىٰ عام **١٣٣٧**هـ، وكان رحمه الله أحد أشهر وجهاء المدينة وأعيانها، متكلمًا فصيحًا مشرعًا صاحب مواقف وفكر مستقيم، انتخب في **١٣٣٢**هـ نائبًا عن المدينة المنورة في مجلس المبعوثان[3] -أي النواب العثماني، وفي عام **١٣٣١**هـ صدر المرسوم العثماني بتكريمه عن وجهاء المدينة المنورة لتميزه في الشؤون الإدارية وفي**١٥**محرم **١٣٣٢**هـ منح الوسام المجيدي من الدرجة الثانية لمواقفه الشجاعة في حل القضايا المتعسرة، وكان رحمه الله من الذين لاتأخذهم لومة لائم في الحق فكان له دور فعال في تسهيل خروج أهل المدينة منها فوقف صامدًا، أمام قوات الحصار حتىٰ اعتقل ونفي إلىٰ بلاد البلغار.

ساهم رحمه الله مع أعضاء من المدينة المنورة في سرادق ضخم بحي الهجلة (**١٩٠٨**م) عندما أعلن أميرا علي الحجاز حيث كان يضم كل من مكة والطائف ومن لحق به من

---

(١) توفي في ربيع الأول ١٢٨٩هـ.

(٢) مخطوط نشر المآثر ٢٩، العهود الثلاثة ٨٦، وثائق زودني بها حفيده العم السيد مأمون بن عبد الغني بن مأمون بري.

(٣) المبعوثان: اسم الجمع علىٰ الطريقة الفارسية لكلمة مبعوث العربية، وهو المندوب في مجلس البرلمان العثماني (المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ص:١٩٩) الأرشيف العثماني:تصنيف UM.49118.DH.KMS.7119-DHII.

أهل المدينة وكان من الوجهاء الذين انضموا لاحتفالات الجهلة، وللشيخ مأمون موقف فضيل ففي زمنه حينما كان عضوًا في مجلس المبعوثان استصدر قرارًا هو وعبد القادر هاشم الذي كان عضوًا معه وأعانهما علىٰ هذا القرار المبعوثان الآخرون فكان الأمر بأن أهل المدينة سواسية لا تمتد يد علىٰ أحد ولا يتلسن لسان علىٰ أحد فكان المستضعفون من أهل العوالي وقباء وقربان والعيون ومن في شرق المدينة من شمالها وغربها، قد أنصفوا ورفع الضيم عنهم، وقد ثبت هذا القرار لإهل المدينة في المجلس وعمل به، ولم يزل الشيخ مامون يناصر المستضعفين، وينصف المتظلمين حتىٰ ادركته المنية في **٢٤** محرم سنة **١٣٣٨**هـ.

الأفندي الشيخ عمر بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد البرِّي[1]

العالم الفاضل، والنبيه الكامل الماهر

مفتي المدينة

مولده المدينة المنورة، وفي بيت أهله الكبير نشأ وترعرع، فوالده كان قاضيًا بها سنة **١٢٤١**هـ، فمن بيت العلم والشرع كان نبوغه، حفظ القرأن الكريم، وعلىٰ أيدي علماء الحرمين الشريفين، كان أحد وجهاء البيت البري وفي مقدمتهم، وتقلد المحراب النبوي الشريف فقد ورثه بالعلم وبالإصالة، فنصب مفتيًا للمدينة، وعقد دروسه في مسجدها الكبير.

قال الحضراوي في نزهته[2]: مَنْ زان سطور الطُّروس بجواهر آدابه، وحلّىٰ عقود البديع بلآلئ الإيجاز من جوابه، كيف لا ومدينة سيدنا الرسول الأكرم مَنْبَتُه ومرعاه، وعين نضارتها بلوامع المعزّة ترعاه.

---

(١) نزهة الفكر (٢/ ٢٨٣-٢٩٨).

(٢) نزهة الفكر (٢/ ٢٨٣-٢٩٨).

قال الدهلوي في الفيض[١]: له نظم كعقود الجمان، وبلاغته فائقة على قلائد العقيان.

وله قصائد كثيرة أغلبها مدائح مدح فيها العلماء والملوك بقصائده حينما زاروه

له رسائل لم ترىٰ النور منها:

(**الأفراح والبشائر لطالب العلم المجاور والحاج والزائر خ**) رسالة الفها في ١٣رجب ١٣٠٠هـ لدي نسخة منها.

(مناقب موسىٰ الكاظم خ) بمكتبة السيد حبيب العامة.

توفي في ٣٠جمادىٰ الآخر سنة ١٣٠٢ بالمدينة المنورة، رحمه الله، خلف ولدًا واحدًا الآتي ترجمته:

---

(١) فيض الملك ٢/ ٨٣١ ترجمة ٦٢٠.



الشيخ عبد القادر بن الأفندي عمر البـرِّي[(١)]

العالِم المحدِّث

الشيخ العالم المحدث عبد القادر المولود في المدينة المنورة سنة ١٢٦٥هـ وبها نشأ وتتلمذ في المسجد النبوي الشريف، علىٰ يد علماء في ذلك العصر، حتىٰ أجازوه ثم تصدر للتدريس، وقد تقلب في عدة مناصب، وعُيّن نائب المجلس الإداري وأحد شهود المدينة ومبررا للأدب وعضوا دائما في الوفود التي كانت تغادر الحجاز إلىٰ الآستانة، توفي في الشام سنة ١٣٣٧هـ عن تسع وستين عاما قضاها في خدمة العلم وأهله رحمه الله تعالىٰ، واعقب من ولديه إبراهيم الآتي ترجمته، وعبد العزيز.

---

(١) مخطوط أعلام المدنيين ٣/ ٣٢٤.



الشيخ العلامة إبراهيم بن عبد القادر البرِّي[(١)]

قاضي المدينة ومفتيها

مفتي المدينة الشيخ العلامة الفقيه الحنفي الأديب مفتي المدينة ومحدثها إبراهيم بري مولده بالمدينة سنة ١٢٨١هـ، درس علىٰ يد والده ثم علىٰ يد علماء المسجد النبوي الشريف، ثم تصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف، وشاع ذكره في كثير من البلاد الإسلامية، وقصده طلاب العلم من كل مكان، وما دام الشيء بالشيء يذكر فيقول كاتب هذه السطور لا يغيب من ذاكرتي وأنا في طفولتي حديث الجدة مع الوالدة عن المدينة واهلها وسرد القضايا التي تعسرت فيها الفتاوىٰ، وعجز فيها العلماء، فكان أمرها يحسم بوصولها للشيخ إبراهيم بري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان أسمه ممن نقش في ذاكرتي بالهيبة والوقار.

وصل ذكره إلىٰ الدولة العثمانية وسطع نجمه في الإفاق الإسلامية فصدر الفرمان السلطاني بتعيّنه مفتيًا للمدينة المنورة، ثم أصبح أحد مراجع الفتوىٰ للدولة العلية، وعندما تسلم الحكم في الحجاز الملك عبد العزيز السعود، عين قاضيًا في المحكمة

(١) قضاة المدينة ١/١٢٦ ترجمة ٤٤.

الشرعية بالمدينة المنورة من عام (١٣٤٤هـ حتىٰ ١٣٤٦هـ)، واستمر مدرسًا بالمسجد النبوي إلىٰ أن توفي، أحد الأعيان الستة (القاضي إبراهيم البري والشيخ عبد الجليل مدني والشيخ محمد حسن السمان والشيخ سعود دشيشة والشيخ عباس حمزة قمقمجي والشيخ إبراهيم هاشم) الذين انتدبوا من قبل قائم مقام المدينة المنورة آنذاك في ولاية حسين بن علي علىٰ المدينة في المفاوضات مع فيصل الدويش في حصاره علىٰ المدينة فخشوا من التسليم له وأرسلوا إلىٰ عبد العزيز السعود ليبعث لهم أحدًا يسلمون له المدينة فبعث إليهم إبنه محمد فدخلها ورجع فيصل الدويش، قام برحلات إلىٰ الشام والأناضول والمغرب ونجد وغيرها من الدول، كان يجيد التركية وكان أحد روّاد الأدب بالمدينة، وصاحب مساجلات شعرية قيمة، وكان أحد الأعضاء في منتدىٰ الأبارية، وله من التصانيف:

١- تعليق مخطوط علىٰ كنز الدقائق.

٢- ديوان شعر.

٣- تعليقات علىٰ شرح المواقف.

وبعد حياة حافلة قضاها بين التدريس والقضاء والإفتاء، فقدت المدينة المنورة أحد علمائها الفطاحل، في يوم الأحد الموافق ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤هـ عن أربع ستين عاما، رحمه الله تعالىٰ وأسكنه فسيح جناته.

وبعد هذه النبذات عن آل البري نواصل الحديث عن حياة الشيخ عمر.

مولده

ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٠٩ من الهجرة النبوية الشريفة في دار والده.

صفاته

كان ﵀ متوسط الطول، عريض المنكبين والجبهة أقنىٰ الأنف واسع العينين، قمحي اللون خفيف الشارب، كث اللحية، تتوهج هامته عمامةٌ بيضاء، ويلبس جبة بيضاء وهو زيّ العلماء المدنيين في ذلك العصر.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد كان طلق اللسان، حلو الحديث فيه وقار وحياء وفي

وجهه هيبة الرجال الصلحاء، محبوبا من كافة طبقات المجتمع.

نشأته

عندما بلغ سن التعلم شرح الله صدره للعلم بحفظ كتاب الله في كُتاب الشيخ إبراهيم الطرودي رحمه الله في المسجد النبوي الشريف، شمال باب المجيدي آنذاك، فلما أتم حفظه وتجويده علىٰ قراءة حفص قرأ عليه شرح الجزرية وحفظ علىٰ والده الآجرومية في النحو، وكفاية الغلام في الفقه الحنفي علىٰ يد جده عبد القادر ثم شرحها له جده لأمه العلامة الشاعر المحدث إبراهيم بن حسن الأسكوبي المدني رحمه الله.

لقد أصبح طريق العلم مهيأ أمامه، فأخذ ينهل من بحار العلوم والأداب والمغرفة من علماء المدينة النبوية المباركة فكان بروزه منذ صغره حتىٰ أنه كان مفخرة لشباب مدينته في ذلك العصر، فشجّعه أبوه وجده علىٰ طرق أبواب العلم؛ ذكرتُ آنفا أنه حفظ القرآن الكريم ثم أخذ يدرس من الأدب وعلومه علىٰ أكبر علماء المدينة المنورة، فكان يحضر حلقات المسجد النبوي الشريف، حلقة تلوىٰ الأخرىٰ دن ملل أو كلل، فحضر حلقة العلامة أديب الحجاز عبد الجليل برادة، ودرس عليه نفائس كتب الأدب مثل الكامل للمبرد وديوان الحماسة وأدب الكاتب لابن قتيبة وديوان المتنبي وآداب القالي، ومقامات الحريري، وما شاكل ذلك، ثم قرأ عليه الحديث وشيئا من الفقه والتوحيد والصرف والمعاني والبيان، ثم التحق بحلقة جده لأمه المحدث المتضلع إبراهيم الأسكوبي ودرس عليه الفقه والحديث والتفسير ثم درس عليه المنطق وعلم الأدب، والهيئة، ثم التحق بعد ذلك بحلقة الشيخ أمين الحلواني ودرس علىٰ يده الكثير من العلوم العربية والأدبية، وكانت حلقة الشيخ أمين في الروضة الشريفة، ثم درس علىٰ يد المحدث العلامة حبيب الرحمن الكاظمي وأستاذ والده وكان مدرسا للعلوم السائدة في عصره، من فقه وتفسير وحديث وفرائض، ودرّس علىٰ يده النحو والصرف، ودرس علىٰ يد العلامة الفقيه الأصولي ملا سفر الكولابي في حلقاته المتعددة فكانت يدرس في حلقته التي تعقد في الضحىٰ الفقه الحنفي ثم إذا ختم الدرس يدرس النحو الأجرومية مرة والألفية مرة وغيرهما من كتب

القواعد ثم يحضر حلقته الثانية، التي قبل الظهر ويدرس فيها الأدب العربي والمنطق السليم، ثم يعود إليه في حلقته التي بعد العصر ويدرس الحديث البخاري أو مسلم عندما يختم يدرس الفرائض، فقد كان الشيخ عمر ملازما له في كل حلقاته ثم التحق بحلقة الشيخ فالح الظاهري المهنوي وقد درس عليه مسلسلات الأحاديث، ثم التحق بحلقة الشيخ محمد العائش القرشي وقد تعلم منه المناسخات ووضْع الشبائك الفرضية، ومن أساتذته الشيخ حمدان الونيسي والشيخ خليل خربوطي والشيخ أحمد الفيض أبادي ثم درس علىٰ العلامة الشيخ محمد العمري الفقهَ وأخيرا درس علىٰ يد الشيخ العلامة محدث المدينة محمد الطيب الأنصاري النحو والأدب والحديث وبعض العلوم كالمعاني والبيان واللغة، وبعد هذه الدروس الجلية، درس الخط علىٰ يد الشيخ شكري أفندي فبرع فيه فكان جميل الخط.

البري والتدريس بالمسجد النبوي

وبعد أن نال قسطًا وافرا من العلم أجازه مشايخه إجازة عامة في بث ونشر العلم، فبدأ يُعرف الشيخ عمر بين العلماء بعلمه الوافر، فأمروه بالجلوس للتدريس في المسجد النبوي فوافق وظل يحدث ويجيز أكثر من ثلاثين عاما، وكانت حلقته تمتلئ بطلاب العلم والمعرفة.

ودرّس كثيرا من العلوم منها صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ودرّس بعض علوم الأدب في حلقته التي تقع عند خوخة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وبالإضافة إلىٰ حلقته التي في المسجد النبوي فإن داره كانت تزدحم بالعلماء وطلاب العلم يحضرون إليها ليستفتوه ويسألوه ويناقشوه في أمور دينهم، فكان رحمه الله يسأل اليالي الطوال في الإجابة عن فتاويهم ولا يصدأ له بال إلا إذا أجاب عنها، وكان الشيخ البري حنفي المذهب أبا عن جد يغار علىٰ مذهبه يقضي جل وقته في البحث عن مسألة خلافية بين الأحناف وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرىٰ، وفي نفس الوقت كان سلفي الاتجاه كما كان والده وجده، فهم بعيدون عن الخرافات والتمثيل والتأويل والبدع محاربون لها في ذلك العصر.

عمر بري العالم الشاعر

شاعر العهود الثلاثة

البري شاعر مبدع ومخضرم وأستطيع أن ألقبه بشاعر العهود الثلاثة فقد ولد في العهد العثماني وترعرع فيه وقد انتهىٰ العهد العثماني في سنة **١٣٣٤**هـ، وعاصر البري العهد الهاشمي الذي انتهىٰ في المدينة **١٩** جمادىٰ الأولىٰ سنة **١٣٤٤**هـ ثم عاصر العهد السعودي الذي امتدت به الحياة به **٣٤** عاما.

وهذه الأحداث التي توالت علىٰ الحجاز من اضطراب في الأمن ونزوع إلىٰ الفتنة كان لها لأثر الكبير علىٰ الأدباء والشعراء.

وقد ظهرت أوائل الشعر علىٰ شيخنا منذ سن مبكرة، وهو في الخامسة عشرة من عمره، فهذه عبقرية الرجال تظهر في بواكر العمر فمن الأبيات التي قالها وهو في مقتبل عمره:

حاكم في الحب لو جاء عدل … أو قضىٰ لي بكسب جسمي الملل

وهذه مقطوعة أخرىٰ:

ورب أحبة كانوا قديما … إذا جنّ الظلام محل بدري

أتاني طيفهم ليلا فأمسىٰ … يؤرقني ويوقظ همّ صدري

هذه من أوائل قصائده ومطالع نبوغة ولو أمعنت النظر فيها أيها القارئ لوجدتها بداية طيبة نحو مستقبل شعري زاهر فاستمر البري يقول القصائد البدائية وقد وصلت إحدىٰ المقطوعات إلىٰ والده أو أنه قد سمع الناس يتغنون بها فثار علىٰ ابنه لأنه خشي أن يكون هذا مضيعة لوقته وعلمه ولكن جده الشيخ الشاعر إبراهيم الأسكوبي طمأن والده وأعلماه أن هذه بداية شهرة ابنه وظهور مكانته في مجتمعه، فأخذ الأب والجد يشجعانه علىٰ نظم الشعر بالمكافأة علىٰ جيّده لفظا ومعنىٰ ويصوبان أخطاءه ليصبح شاعرا مرموقا في المدينة، وكان الشيخ عمر قوي الذاكرة سريع البديهة لا يحفظ لشاعر إلا إذا درس حياته وعرف طبقته من شعراء عصره، والأغراض الشعرية التي

تفوق فيها فكان مرجعا إذا سألته عن شعر أجابك عنه، إجابة كافية وافية، وأمتعك من جيد شعره ما يشبع رغبتك.

وكان الشيخ عمر في مجالس المدينة المنورة ومجتمعاتها، شاعره الفصيح الذي يغرد كالبلبل العذب، تميّز رحمه الله بجودة إلقائه الشعر وكانت نبرته جميلة، يتمتّع من يستمع إليه ولا يدانيه أحد في المسابقات الشعرية المدنية، ومن بعض المختارات من شعره قوله:

رمز المسرة في الحسان جميعه ... إن الجوانح في الغرام تطيعه
والأنس يوجد في النسيب ونظمه ... يشريه سمعي في الورىٰ ويبيعه
والسكر أن تصطاد معنىٰ رائقا ... تحظىٰ بأنك في الأنام تذيعه
وأرىٰ الربيع لدىٰ البديع زهوره ... إن البديع لدىٰ الأديب ربيعه
نغمة معبد في استماعي منشدا ... يروي القريظ مرتلا ويذيعه

❁ ❁ ❁

وقال بديهة في ١٧/ ١٣٦٩هـ

ومن العجائب أنني مهما أرىٰ ... شخصا يسائلني عن الأخبار
أزورّ منه لأنني لم أحتكم ... خبرا صحيحا مطفئ لأواري
وأراه في تسْآله متقلّقا ... فكأنه في حيرة أو نار
ما لي للأخبار إن سماعها ... يصِمّ النفوس بذلة وصغار
ماذا أجيب السائلين وهذه الد ... نيا تسير علىٰ شفير هار
يا سائلي عنّي إليك فإنني ... في الناس محسوب من الأحجار
متلملم في حجر داري صامت ... تحت القضاء وحكمة والأقدار
والله يختم لي بخير شامل ... في زمرة الصلحاء والأخيار

❁ ❁ ❁

- وقال:

عادات سادات البلاد كألها سادات عادات لها السلطان
ومن السعادة في حظوظك أن ترىٰ في حد قدرك واقفا تزدان
فحش الإضاعة في الإذاعة فاربطن هذا اللسان فللأنام لسان
فمرام عصرك جلب عصرك فاحذرن لا يشغلنك بالكلام مكان
لا يرمينك في غيابة جبه ما في الزمان إذا نظرت مصان
لا تشتغل إلا بذاتك واقمعن لذاتها فلنبشها بركان

- وقال:

إن الخلاف خلاف شر كله فارفضه إن البعد عنه أمان
فالمرء بهدم بالمراء مروءة ما بعد هذا في الخراب كيان

- وقال مادحا رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم

هام الفؤاد بحب الغيد وانعطفا فمقلتي مزنها بالوجد وكفا
فالنفس تصلىٰ بنار الحب مِن وله والعقل في شرك الأشواق قد خطفا
قد كنت أحسب أن الحر منتبذ عن الغرام وعنه الدهر قد صدفا
حتىٰ غدا لي شغلا شاغلا أبدا وصرت بالصد والأسقام ملتحفا
وعدت في زمرة العشاق منتظما أسمو برتبة وجد فخرها عرفا
قالوا عهدناك طبا سالكا أبدا سبل الرشاد فهلا دمت متصفا
فقلت هذا الهوىٰ صعب صيانته إن كنت مستترا فالسقم قد كشفا
رويد عذلكم فالعذر متضح لو شئت أنشره أمسىٰ لكم صحفا
بيض الخرائد قد أرقنني ولها سود الغدائر قد صيرنني دنفا
فصرت ألهج بالتشبيب مرتجيا روحا أزاول منه الأنس مرتشفا
قد تسحر الخفرات الغيد رافلة في الحلي غرا كقلبي إن دنىٰ فهفا

وترشق الناعسات الطرف في كبدي   سهما يصيب فيصمي ما أصاب عفا
ما البان ما الطلل العافي ودمنته   سوىٰ توقد قلب للغرام صفا
يا ويح قلبي أنهاه الهوىٰ شعبا   شتىٰ ومظلمة الأرجاء فاختطفا
يصلي بها لهبا يذكي بمنسكبا   من دمعه إذ غدا بالحب مزدلفا
فالنفس حامية الأنفاس من شغف   القلب في لجج الأشواق قد تلفا
والعقل مضطرب قد حار في شعبٍ   إذ ظل لا يهتدي بالهلك منصرفا
قلبي أقيك الردىٰ مما تكابده   لا تخش بأسا ولو حال الهوىٰ انكشفا
نعم بمدحك خير الخلق كلهم   تهدىٰ وترجو لما أضناك فيه شفا
هو الرسول الذي أولىٰ الأنام هدىٰ   بنور وحي لإظلام الضلال نفا
محمد صفوة الباري ورحمته   وأحمد خير خلق الله ما وصفا
وسيد العرب العرباء من مضر   وسيد السادة الأمجاد والشرفا
وسيد الواطئين الأرض من بشر   وقبلا وسيد من يأتي ومن سلفا
وسيد خيرة الباري ونخبته   وسيد عهده في العالمين وفا
هو المتمم بعد الرسل أجمعها   مكارما وكان فيها خير من خلفا
بدر يزيد علىٰ بدر السما شرفا   إذ ظل يمحق جهلا كان فيه خفا
أربىٰ علىٰ الشمس في الأكوان فهو بها   شمس أضاءت أبانت كل ما لطفا
والماء فاض يروي الجيش قاطبة   بين الأنامل منها كلهم رشفا
والجذع حنّ إليه عند فرقته   لأنه كان بالأنوار مكتنفا
هذي المكرام والإحسان أجمعه   إن السعيد سعيد كيفما اتصفا
له الخوارق تترىٰ قبل مولده   وطيب عنصره الأسمىٰ علا شرفا

- وله أيضا:

أصلح فسادك أيها الإنسان   وتوق نفسك إنها ثعبان

أرغم حسودك بالصلاح لأنه ... في فعله متربص شيطان
واكبح فؤادك إذ يثور ببغضة ... فالخسر كل الخسر حين تدان
كم من غضوب ضيع الآراب في ... نزوات غيض ثم ظل يهان

❀ ❀ ❀

نعم الشفيع إلىٰ عدوك عقله ... بئس الرجاء وفي الصديق لعان
وافطن ففطنة صاحب هي فتنة ... يسعىٰ بها في هضمك الفتان
واحلم فمنحته تكون كمنحة ... لا يستقل بحملها إنسان
والفكر رائد كل عقل صالح ... وأنا الضمين بأن ذاك ضمان

- وله أيضا مشطرًا:

(إذا المرء كانت له فكرة) ... وجالت علىٰ نفسه نظرة
وراعىٰ به حادثات الزمان ... (ففي كل شيء له عبرة)

- ومن تشطيراته:

(إن للخلاق لطفا) ... ليس يدركه التصور
وهو بالحكمة أدرىٰ ... (قبل أن يبلي يدبر)

وله في الحكمة علىٰ البديهة:

إذا شئت السلامة من زمان ... فلا تحفل به في كل أمر
وغادره كأنك لست فيه ... وأنت به علىٰ ما ضل يجري
وكن فيه كطير مستفز ... بغير بلاده في غير وكر

وبعد عرض هذه المختارات، بعد أن طال بنا نفس القول في شعر البري ولكني أشعر وأقولها مخلصا إنني لم أوفه حقه فهو من هذه القمم التي يجد الدارس فيها مجال القول رحبا واسعا وما قصدت إلىٰ دراسة شعره، فليس من أغراض التراجم أن تقدم الدراسة وإنما غرضها تصوير شخصية صاحب الترجمة ما أمكن هذا التصوير،

فإذا كان المترجَم له عالما أو شاعرا وجب أن تقدم الصورة من إنتاجه لتكون أصدق آداء وأوفىٰ تعبيرا.

أعمال البري

عمل الشيخ عمر بري في المحكمة الشرعية كاتب عدل واستمر عدة سنوات وعاصر كثيرا من القضاة واحتك بهم وكان يشارك برأيه أحيانا.

ثم عمل مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة بالقسم العاليفترة طويلة فلم يترك التدريس ولا العمل حتىٰ آخر يوم في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ وأحسن ثوابه.

فنون البري في أشكال الشعر

قد تميّز شاعرنا بكتابة اللافتات الجميلة وإهدائها لأصدقائه وأقربائه وضيوفه من الحجاج، فكان يكتب اسم الزائر وتاريخ زيارته، للمدينة النبوية، علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، لتبقىٰ هذه الكتابة ذكريات من هذه الأرض المباركة، يصطحبها الحاج معه إلىٰ بلده.

لقد كان في الماضي فن من فنون الشعر يسمىٰ بالتشجير وهذا النوع لصعوبته أصبح معدوما اليوم، وقد ورثه شاعرنا عن جده لوالدته الشيخ إبراهيم أسكوبي المدني، وعن جده عمر الأول وهي صنعة مدنية قديمة، ويدور هذا النوع من الشعر حول المديح ويهدىٰ في المناسبات، وتتكون من قاعدة القصيدة وتكتب طبعيا والباقي من الأبيات يكتب علىٰ شكل غرسة ثم تأتي الأغصان ثم الأوراق وهي بأبيات شعرية جميلة.

مهنة أصيلة انقرضت يفتخر بها الأجيال، رَحِمَهُ اللَّهُ مخترعي هذا النوع الشعري ومجيديه.

وإنني أضع تشجيرتين للشيخ عمر بري، الأولىٰ يمدح بها الشيخ عباس قطان المكي والأخرىٰ يمدح بها معالي وزير المالية الشيخ محمد سرور الصبان.



القاعدة :

غرست لامجد ماجد فى الناس ... وردية الاغراس والانفـــاس

غرست لاوحد عاقل فى الناس ... وتجملت فى حسنها بلبـــاس

وردية الاغراس والانفـــاس ... تهدى الى الجـلاس والاكياس

تهدى الى الجـلاس والاكياس ... من باقة الاحـساس نور الآسى



وهذه قطعة شعرية تطريزها فى كلماتها كل كلمة منها مطرزة بحرف من احرف اسم الممدوح وهو الشيخ محمد سرور بن سرورالصبان :

انا للسماحة شـاعد يعطيكا ... خبرا مليحا حسنـه مرضيكا

ا ل ش ى ... خ م ح م

دارات سعدك زوغـة وردية ... راحت بروح نفحة ساميـكا

د س ر و ... ر ب ن س

رحلته مع عائلته

وتمت هذه الرحلة حينما قامت الحرب العالمية الأولىٰ عام **١٣٣٤**هـ فقط طلب فخري باشا محافظ المدينة المنورة من الشيخ إبراهيم وعائلته بالمدينة مغادرة المدينة، ولا يبقىٰ منهم أحدٌ وكانت الرحلة جبرية شاقة لا يعرف الشيخ وعائلته إلىٰ أين سينتهي بهم المطاف فذهبوا إلىٰ سوريا ومنها توجهوا إلىٰ الأناضول بتركيا فاستقروا في بلدة تابعة لولاية (أزمير) تسمىٰ (الوشاق) مدة عامين حتىٰ عام **١٣٣٦**هـ وبعدها سمحت لهم الحكومة التركية بالعودة إلىٰ سوريا والاستقرار فيها لمدة عام وبعدها عادوا إلىٰ المدينة المنورة؛ ولكن من الغريب أنه لم ينظم الشيخ عمر قصائد في هذه الأحداث السيئة.

وفي هذه الفترة رحل كثير من أهل المدينة ولم يعودوا فبقوا في سورية أو تركيا ومنهم من قضىٰ أجلهم هناك ولم يعد فكانت بيوتهم في المدينة مهجورة حتىٰ عادوا إليها، ومع ذلك فإن كثيرا من العلماء بقوا ولم يخرجوا من المدينة، ولكنهم تعبوا كثيرا وهُدت أجسامهم وأصيبوا بالأمراض.

البري رحالة

تميزت شخصية الشيخ عمر البري بالانطلاق دائما وتغير الظروف من حوله وتطلع إلىٰ أماكن حديثة.

وقد حُبب إليه الاستطلاع والبحث عن الأماكن الجميلة فكان لا يكاد يستقر في المدينة عاما حتىٰ يرتحل إلىٰ بلدة أخرىٰ، فلعلي أستطيع أن أتحدث عن رحلاته وأختصرها بقدر الإمكان.

رحلته إلى الهند

هذه الرحلة التي تركت أثرا كبيرا في نفسه فنظم فيها قصيدة طويلة بلغت أربع مائة بيتا، وأدخل بعض الكلمات الهندية فيها من بحر واحد وقافية واحدة، فقد أخرج تحفة شعرية وصف فيها وصفا دقيقا ومعبّرا جمال الطبيعة والبساتين والطيور والحيوانات

الأليفة والمتوحشة وأهل الهند وأنواعهم وأخلاقهم ودايانتهم وأوصافهم وعاداتهم وعلماءهم وصناعتهم وسأعرض بعض مقطوعاته:

حين دخوله الهند

من نفحة الخلد أو نسمة الهند أحييت يا ريح (ميتاشط) في البعد
دخلت (بومباي) مأخوذا برؤيتها كما أخذت بدعىٰ الحب والوجد
أمن مبا (ديردون) الأنس منبعث تميل أغصانها قدا علىٰ قد
أيا عبير (لحيدر باد) حتىٰ سرىٰ علىٰ ندىٰ من الأزهار والرند

- ثم يذكر لك أبياتا طويلة في دهلي:

يا ساعة لا أزال الدهر أذكرها في وسط (دهلي) أرىٰ آثارها عندي
يا جلسة فوق أعلىٰ قبة ضربت علىٰ (همايو) مليك الهند ذي الجند

- التنبول:

والهند تفتخر (بالتنبول) ممتزجا من الأخاوية ما قدرت من عد

- ثم وصف خيرات الهند:

أرض عليها سحاب الخير مرتجز العهد بالعهد ثم العهد بالعهد

وغير ذلك مما وصفه وقد عجبتُ لعدم وجود هذه القصيدة في ديوانه؛ ومن رحلاته إلىٰ مصر وأقام هناك فترة قصيرة وعاد إلىٰ المدينة فما لبث أن بقي عاما فسافر إلىٰ يوغسلافيا وعاد إلىٰ المدينة فسافر إلىٰ ألبانيا.

رحلته إلى تونس

ورحلته إلىٰ تونس هي رحلته الأخيرة وكان لهذا الرحلة أصداء أدبية كثيرة، ففي عام ١٣٤٦هـ استأذن والده بأن يسمح له بالسفر إلىٰ تونس، وكان والده قد كبر سنه وضعف جسمه، فلم يوافق علىٰ سفره لسوء حالاته وحبه الشديد لابنه، فأخذ يلح الشيخ عمر علىٰ والده، حتىٰ أنه قال قصيدة لوالده يستسمحه فيها:

كيف السبيل إلىٰ النجاة من الأذىٰ والباب عن نهج السلامة مغلق
أم كيف صبر الحر وهو علىٰ اللظىٰ والحال عن درب التصبر أضيق
أم كيف لي بتحمل وتجمل ولسان حال البؤس مني أنطق
إني أرىٰ لي راحة وتوجهي من حيث ما يرجو منايا تعلق

فلم يكن أمام الوالد الشيخ إبراهيم إلا الموافقة وهو يبكي علىٰ فراقه، وكأنه يتوقع أن تكون هذه آخر فرصة يرىٰ فيها ابنه فتوجه الشيخ عمر إلىٰ جدة ومنها إلىٰ مصر فتونس، وهناك التقىٰ بوزير تونس الديني صديق والده الحميم، ثم التقىٰ التقىٰ بشيخ الإسلام حميدة بيرم وهو ذو مكانة عالية في الدولة، وقام بتعيين الشيخ عمر سكرتيرا لجامع الزيتونة، والشيخ عمر رجل اجتماعي يحب الناس فما لبث أن التف حوله الطلاب بجامعة الزيتونة ليأخذوا من علمه وأدبه ورواياته التاريخية، فأصبح منزله منتدىٰ أدبيا واجتماعيا فيه المتأدبون والشعراء وطلاب العلم.

وفي الإجازات الصيفية كان الشيخ يقوم برحلات إلىٰ ولايات تونس الجزائر ومراكش وكانت دائما تسبقه إلىٰ البلاد التي يقصدها، فيجد قبولا وترحيبا، وكان يمدح العلماء والوزراء والرؤساء، ليحصل علىٰ المكافآت وينفقها علىٰ الطلاب المحتاجين.

وكانت للشيخ بري شهرة فائقة فأصبح صاحب صيت وباع طويل ودرس كثيرا من الطلاب هناك، وكانت له آثار محمودة.

البري والموقف العظيم

لقد كان الشيخ البري بعيدًا عن الخرافات والخزعبلات والدجل لأنه ابن الحرمين الشريفين، فأهل الحرمين بعيدون كل البعد عن الخرافات والبدع، وله موقف عظيم في تونس، فقد ألف كتابا دمغ به باطل رأس الإلحاد في تونس المسمىٰ (طاهر الحداد) الذي ألف كتابا قبيحا أسماه: «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» ذهب فيه صاحبه إلىٰ أن نصوص الأحكام الدينية الإسلامية غير المؤولة ليست إلا أحكاما وقتية، قابلة للتحوير والتنقيح، والتبديل، فيجب إلغاؤها، تماما لتطور العصور

وتعرض المؤلف الوقح لجناب النبوي الكريم ﷺ وزوجاته بما لا يليق بالشرف النبوي، فقام العلماء التونسيون أيضا بالرد عليه في الصحف ومناظرته فلم يستطع العلماء مصادرة الكتاب لأن تونس كانت ترزح تحت نار الاستعمار الفرنسي آنذاك، وراج هذا الكتاب بين الناس، وتصدىٰ له الشيخ عمر بري بكتابه القيم المطبوع في تونس تحت إشراف علماء تونس، وأخذ الشيخ البري يستعرض أقوال الحداد ويكذبها مستشهدا بأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال السلف الصالح، ويورد رأي الحداد فيرد عليها ردا مقنعا ومفندا، فعلىٰ سبيل المثال:

قال الحداد: وقد أخذت الدولة الأوربية بمساواة المرأة بالرجل فأفسحت للمرأة مقاعد النيابة وكراسي الحكم في الدولة.

فرد عليه الشيخ البري قائلا: أنا أرد علىٰ هذا القول من وجهين:

الأولىٰ من ناحية النقل وهي أنه قد علم بلا شك تقهقر هذا الرأي في أوربا، في الزمن الحاضر ولا أخاله ينظر شيئا ويترك شيئا آخر.

نعم بعضهم أعطىٰ النساء هذا الحق في مقاعد النيابة لكن الحكمة الإلهية كشفت له في ذلك ستار هذا الغلط وصرح رؤساؤهم بفساد هذا الرأي، كم قرأنا لهم من مؤلفات معرية في ذلك.

هذا رئيس منهم يقول بكل صراحة: «إن من السفه أن تتبوأ المرأة كرسي النيابة لأنها جربت فصح أن صح رأيها يتسع زوجها أومن يميل إليه أو من تميل هي إليه، لا ثقة بقوة رأيها».

وقال أيضا: «إنما خلقت المرأة لتدير معيشتها البيتية ولا تصلح البتة إلا لذلك».

وعنده أكثر عقلاء أوربا وكفىٰ بالردود علىٰ بعضهم شاهدا.

أما معاونة المرأة في الحرب كمداواة المرضىٰ والجرجىٰ والتعليم والكتابة وغيرها مما لم يكن فيه ضغط علىٰ جسمها ولا تكليف بعقلها ما لا تستطيع في أصل تركيب بنيتها وذوقها ومما لا يضر في أخلاقها الإسلامية والقومية ولا تخوّف من فساد فكرها وحسن رأيها في دينها وشرفها ولا يتسرّب وقوع مكروه عليها، فالإسلام لم يمنع ذلك.

الوجه الثاني: اغتراره بأن بعض الأئمة جوّز للمرأة بأن تلي القضاء إلا في الحدود والدماء.

هذا الاستثناء يمسك عنه المؤلف خوفا من أن لا يظهر منه نقص المرأة عن الرجل فيكون من بعض الحجج عليه استغفالا؛ فظن أن هذا الجواز يسوغ له أن تظهر المرأة حاسرة مكشوفة الزندين والصدر والساقين إلىٰ الفخذين مقصوصة شعر الرأس جريئة تختلط بالشباب الأجانب، تناظر مطلقة العنان، كيف ما شاءت محكومة بحكم العصر متخلقة بغير أخلاق دينها وقوميتها بفضل الثقافة العصرية، وتجلس مع الرجال في المنتزهات العمومية بعلة أن لها الحق في استنشاق الهواء؛ وما علم أن تعليم المرأة عندنا وتهذيبها إنما هو بصونها وحفظ كرامتها مما يجلب النظر إليها، وفي الحديث الشريف: «إذا خرجت المرأة للمسجد فلتغتسل من الطيب، كما تغتسل من الجنابة» هذا هو التثقيف الديني الذي يتم بوجوده تعليم المرأة.

وإلىٰ هنا ينتهي الرد كاملا.

رأي حول مؤلَّف البري

يعد مؤلف البري الذي اختار له اسم: «السيف الحق علىٰ من لا يرىٰ الحق» من أوائل الكتب التي واجهت الرد علىٰ الغرب.

وكل الكتاب يشتمل علىٰ أقوال علمية صادقة ويحتوي علىٰ أدلة مقنعة من الكتاب والسنة وأقول السلف الصالح، لقد كان الشيخ لا تأخذه في الحق لومة لائم، وقد ذكر الشيخ في رده المذكور آنفا أن الغرب يريد المرأة مختلطة مع الرجال، وهذا ما نعاني منه اليوم من الأفكار الغربية التي غزت العالم الإسلامي بأكمله.

أقول: إن الشيخ من أوائل المؤلفين اللذين ردوا علىٰ التيارات الغربية وإني أرىٰ أن يُعاد طبع هذا الكتاب مرة أخرىٰ لمواجهة التيارات الغربية الخاطئة، فهو مهم لشبابنا وشاباتنا اللذين تأثروا بالأفكار الغربية الهدامة، التي تضعفها أمام الكفار، أعداء هذا الدين العظيم.

تلاميذه

لقد تتلمذ علىٰ يد الشيخ عمر كثير من الطلاب وذلك علىٰ مستوىٰ الأقطار الإسلامية، ولا نستطيع تحديدهم ولكن نذكر ما استطعنا أن نقف علىٰ أسمائهم، فمنهم الفريق علي الشاعر وزير الإعلام -سابقا- والفريق الطيب التونسي، والشيخ عبد الرحمن صالح، والشيخ عبد الحق العباسي، والشيخ محمد ملا، والسيد حبيب محمود أحمد والشيخ المحدث عمر فلاتة المدرس بالمسجد النبوي الشريف.

مؤلفات البري

١- سيف الحق علىٰ من لا يرىٰ الحق (والذي أوردنا الحديث عنه سابقا).

٢- ديوان عمر بن إبراهيم البري (وكان هذا الديوان مخطوطا وقام الدكتور محمد العيد الخطراوي بتحقيقه وتقديمه ويحتوي الديوان علىٰ **٢٥٦** صفحة من القطع المتوسط مقسم إلىٰ أربعة أقسام:

١- وجدانيات وإخوانيات **٢**- تاريخيات

٣- سعوديات **٤**- غزليات.

وفي نظري أن كثيرا من القصائد لم توضع في هذا الديوان فلو يقوم أبناء الشيخ بجمع جميع الأوراق المتناثرة وطبعها بديوانٍ آخر.

وفاة البري

وبعد الحياة المليئة بالعطاء للإسلام والمسلمين انتقل شاعر العهود الثلاثة وعالم المدينة وأديبها بعد مرض لم يطل، فقد صعدت روحه إلىٰ بارئها وقد بلغ **٦٩** عاما، وترك ثروة أدبية عقلية للشعر والأدب عظيمة وكبيرة فلقد كان بحق زعيم نهضة وأستاذا عظيما وكانت وفاته سنة **١٣٧٨**هـ رحم الله البري وغفر له وأحسن جزاءه في دار الخلد إنه سميع مجيب.



الشيخ عمر حمدان(١)

هو عمر بن حمدان بن عمر بن حمدان المحرسي(٢) المالكي المدني ولد رحمه الله بجربة سنة ١٢٩١هـ(٣) ونشأ في بيت علم ودين عن أبوين كريمين فتربىٰ وتثقف ثقافة دينية فبدأ بحفظ القرآن الكريم علىٰ يد أحد العلماء بتونس.

---

(١) إتحاف الإخوان باختصار مطمع الوجدان لمحمد ياسين الفاداني .٢٥٧، أعلام المكيين ١/ ٣٨، نثر الدرر٤٥، البحر العميق ١/ ٢٣٠-٢٣٤، تشنيف الأسماع ٢/ ٧٣ ترجمة ١٨٩، الجواهرالحسان ١/ ١٤٥، سير وتراجم، ٢٣٠، فهرس الفهارس والاثبات، الدليل المشير ٣١٠، الكواكب الدراري ٨٧، قرة العين ٢/ ٤٠٧.
الأعلام، الفضل الرباني في أسانيد محمد رفيع العثماني، الشيخ أحمد محمد السوركتي رائد حركة الإصلاح والإرشاد
العربية في اندونيسيا،إتحاف ذوي العناية، فتح السالك، إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية، فهرست
الشيوخ والأسانيد للإمام السيد علوي بن عباس المالكي الحسني، جريدة البلاد العدد ٨٦٨٣ في ١٥/ ٢/ ١٤٠٨هـ.

(٢) نسبة إلىٰ بلدة «المحرس» الواقعة علىٰ خليج قابس من الأراضي التونسية، بن صفاقس وبلدة قابس، يعتمد أهلها علىٰ الصيد وما تدره مزارعهم من الزيتون والخضار والفواكه.

(٣) ذكرت جميع المصادر التأريخية تاريخ مولده الذي ذكرناه إلا أن موقع الامانة والمتعلق بالوفيات قد سجل وفاة الشيخ عن عمر يناهز التسعين عامًا وبذلك لو اعتبرنا به فأن مولد الشيخ يكون في عام ١٣٧٨هـ والثابث لدي ما ذكرته والله العالم.

أما عن وصفه فكان رَحِمَهُ اللَّهُ متوسط الطول، أبيض اللون، عريض الجبهة، واسع العينين، عظيم الأنف، خفيف الشارب، كث اللحية، يرتدي الجبة الفضفاضة والعمامة البيضاء وهو زي علماء الحجاز في تلك الفترة.

والحديث عن صفاته وأخلاقه لا يعطيه حقه فالرجل كان زاهدًا في الدنيا، دمث الأخلاق، ملازما للحرمين، طيب القلب، فيه سمات العلماء ووقارهم، يكره الملق والتكبر، محبوبًا لكل من عرفوه، والحقيقة أني كلما أذكر الشيخ عند معاصريه يثنون عليه ثناء عظيمًا ويقولون هذا شيخ العلماء بالحرمين.

هجرته إلى الحرمين الشريفين

ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره عام ١٣٠٤هـ هاجر مع والده من تونس متوجهًا إلىٰ مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وبعد إتمامها ارتحل مع والده إلىٰ المدينة المنورة فاتخذها مسكنًا ومستقرًا له.

تعلميـه

وفي المدينة المنورة شرح الله صدره للعلم شرحًا فعكف علىٰ إكمال حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في سنة ونصف وأتم بعض القراءات ثم أقبل علىٰ حفظ المتون العلمية ودراستها علىٰ الأعلام من ذوي المناقب العالية.

وطلب العلم في المسجد النبوي الشريف فلم يفته من المسائل العلمية شيء فقرأ أولًا علىٰ العلامة السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة وقد لازمه نحوًا من عشرين سنة وقرأ عليه مغني اللبيب في النحو وشذرات الذهب لابن هشام وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل مع حاشية الخضري من الأول إلىٰ الآخر وسراج العقول لأبي طاهر القزويني والرصلي علىٰ الزبد لابن رسلان في الفقه الشافعي وقرأ عليه كثيرًا من السير وصحيح البخاري ومسلم وكان يقرأ عليه في رمضان كل سنة كتاب «الشفا» للقاضي عياض، مع حاشية الخفاجي، وأجيز منه عامة، كما أجازه شيوخه. ثم قرأ بعد ذلك علىٰ عمدة العلماء المحدث المعمر المالكي المسند أبي اليسر فالح بن محمد الظاهري المدني ولازمه مدة طويلة وسمع منه صحيح الإمام

البخاري من أوله إلىٰ آخره وجملة مستكثرة من شرح الدردير علىٰ خليل في الفقه المالكي وشرح المكودي علىٰ ألفية ابن مالك مرتين والنقاية للإمام السيوطي في أربعة عشر علمًا من أولهما إلىٰ آخرها وعقود الجمان في علم المعاني والبيان وتلقىٰ عنه المسلسلات التي تضمنها ثبتة المسمىٰ «حسن الوفا لإخوان الصفا» بأعمالها القولية والفعلية مرارًا، وأجازه إجازة تامة عن شيوخه وهم كثيرون.

ثم قرأ علىٰ المحدث الإمام مسند المدينة أبي الحسن السيد علىٰ ظاهر الوتري الحنفي وسمع منه صحيح البخاري ومسلم مرة ثانية و«مشكاة المصابيح» وسمع عليه المسلسلات الخمسين والأربعين العجلونية وقرأ عليه مسلسلاته المسماة بـ«التحفة المدنية في المسلسلات الوترية» بجميع أعمالها القولية والفعلية، وتلقن عنه الذكر وأجيز منه عامة بحق روايته عن شيوخ كثيرون، ثم قرأ علىٰ العلامة الأديب الشاعر الأديب الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني بالمدينة المنورة الجزئين الأول والثاني من «شرح الحماسة» و«المعلقات السبعة» واستجازه الرواية فأجازه عن شيوخه. ثم قرأ علىٰ الشيخ الفاضل محمد الدسوقي الدردير بتتبع الشروح والحواشي كالزرقاني والبستاني وقرأ عليه أيضًا شرح ملا حنفي في آداب البحث وشرح رسالة الوضع بحواشيها. وأجازه ثم قرأ علىٰ العلامة محمد يحيىٰ الولاتي الشنقيطي موطأ الإمام مالك من أوله إلىٰ آخره وشرح عقود الجمان من أوله إلىٰ علم البديع والورقات لإمام الحرمين في أصول الفقه ونظم الأجرومية مع شرحها لشيخه الولاتي المذكور آنفًا واستجازه الرواية فأجازه عامة عن شيوخه، ثم قرأ علىٰ العلامة أحمد بن الحاج علي المجذوب الدردير من أول البيوع إلىٰ آخره ومن أول ربع الإجازات إلىٰ آخره وشرح السبط المارديني علىٰ الرحبية في الفرائض وأجازه، ثم قرأ علىٰ العلامة الجليل محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الفاسي ثم المدني موطأ الإمام مالك من أوله إلىٰ آخره قراءة تمعن وتدبير وأكثر صحيح البخاري بقراءته وقراءة تلميذه السيد محمد الزمزمي وأوائل الكتب الستة كما أنه سمع عليه «البردة السنية» و«الهمزية» ولازمه مدة طويلة حتىٰ أجيز منه عن شيوخه ثم قرأ علىٰ السيد العلامة حسين بن محمد الحبشي كتاب «الشفاء للقاضي عياض» و«بهجة المحافل للعامري» و«رياض الصالحين»

و«مشكاة المصابيح» مرة أخرىٰ وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وأجيز منه عامة وقرأ علىٰ العلامة الشيخ محمد بن سليمان المصري الشهير بحسب الله الشافعي المكي بعض تفسير الجلالين وأخذ الحديث عن السيدة الفاضلة أمة الله بنت عبد الغني الدهلوي، ثم حضر مجالس الشيخ عبد الله بن صوفان بن عودة القدومي الحنبلي العلمية وعنه روىٰ الفقه الحنبلي والمسلسل بالحنابلة، كما أجيز منه عامة عن شيوخه، واجتمع بالشيخ العلامة محمد بن محفوظ الترمسي الجاوي الأندونيسي واستجازه الرواية، فأجازه عامة وحرر له الإجازة كتابة علىٰ ظهر تأليفه «منهج ذوي النظر» عن شيوخه المذكورين في ثبته «كفاية المستفيد» وحضر بعد ذلك مجالس الشيخ المحدث العلامة أحمد أبو الخير العطار المكي واستجازه الرواية فأجازه عامة عن شيوخه. هؤلاء هم مشايخ عمر حمدان في الحجاز أما عن الذين في الأقطار الإسلامية، فمشايخه اليمنيون الشيخ المحدث السيد عبد الله باهارون المحضار اجتمع به في القويرة من حضرموت وحضر مجالسه العلمية، وأجيز منه عامة، ثم الشيخ العلامة السيد شيخ بن محمد الحبشي الباعلوي اجتمع به بمكة آخر وروده لها، واستجازه الرواية فأجازه عن مشايخه. ثم العلامة السيد محمد بن سالم السري التريمي اجتمع به بالمدينة المنورة وبتريم أيضًا ومنه انتسخ كتاب «حصر الشارد»[1] واستجازه الرواية فأجازه عامة عن شيوخه ثم العلامة المسند المعمر الحسين بن علي بن محمد العمري الصنعاني، استجازه بواسطة ابنه حسن العمري والعلامة المؤرخ السيد محمد بن زبارة، فأجازه إجازة عامة في جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٥٦هـ عن شيوخه ثم التمس شيخنا الإجازة من الإمام يحيىٰ بن حميد الدين الحسني بواسطة السيد محمد بن زبارة، فكتب له الإجازة في ٢٨ جمادىٰ الأول سنة ١٣٥٦هجرية عن شيوخه.

أما عن مشايخه المصريين فأولهم الشيخ عبد الرحمن بن محمد عليش المالكي، اجتمع به بمصر وبمكة واستجازه الرواية فأجازه عامة عن شيوخه.

ثم العلامة محمد إمام السقا، اجتمع به بمصر واستجازه فأجازه عامة عن مشايخه،

---

(١) هو ثبت للشيخ محمد عابد السندي المتوفىٰ سنة ١٢٥٧هـ.

ثم أخذ عن الشيخ عبد المعطي بن حسن السقا الفرغلي اجتمع به بمصر وبالمدينة المنورة واستجازه فأجازه عامة عن أشياخه.

ثم أخذ عن الشيخ محمود بن محمد السبكي وحضر الشيخ عمر بعض دروسه التي كان يلقيها بالأزهر الشريف، واستجازه فأجازه عامة عن أشياخه، ثم الشيخ علي بن محمد الببلاوي شيخ الجامع الأزهر اجتمع به بالمدينة المنورة، وسمع منه الحديث المسلسل بيوم عاشوراء في يومه، وأجيز به وبسائر مروياته عن شيوخه.

ثم أخذ عن شيخ الجامع الأزهر وشيخ الظواهرية العلامة محمد الأحمدي الظواهري وحضر بعض دروسه في مصر مثل «شرح الجمال الأسنوي علىٰ منهاج البيضاوي» في الأصول، وأجازه عامة عن أشياخه، ثم الشيخ عبد الرحمن محمود قراعة مفتي الديار المصرية نزل الشيخ عمر بداره برهة من الزمن وحظي منه بإجازته العلمية عن أشياخه. ثم الشيخ محمد بخيت المطيعي اجتمع به بمكة لما قدمها للنسك وبمصر، وحضر هناك بعض دروسه في الرواق العباسي بين العشاءين، منها تفسير القرآن من تقرير وإملاء وحظي منه بإجازته العامة بمصنفاته الكثيرة وبمروياته عن أشياخه.

واجتمع بعلامة مصر ومحدثها الشهير السيد أحمد رافع بن محمد الطهطاوي وقد سمع عليه ثبته المسمىٰ «إرشاد المستفيد إلىٰ بيان وتحرير الأسانيد» ويقع في مجلدين، وقيد عليه الشيخ عمر تقييدات مفيدة، ثم أجازه به وبسائر مروياته عن أشياخه.

أما عن مشايخه الشاميين فأولهم الشيخ محمد بدر الدين الحسني اجتمع به بالمدينة المنورة، واستجازه الرواية فأجازه عامة، ثم الشيخ محمد عطا الله الكسم فقيه الديار الدمشقية ومفتيها اجتمع به بدمشق، وصحبه صحبة تامة، وأجيز منه بالحديث المسلسل بالأولية والكتب الستة وغيرها، كما أجازه مشايخه، ثم الشيخ محمد أبو الخير عابدين اجتمع به الشيخ عمر بمكة والمدينة واستجازه الرواية فأجازه عامة عن أشياخه، ثم اجتمع بالعلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني في المدينة المنورة وصحبه مدة إقامته واستجازه الرواية فأجازه عن أشياخه حسبما في ثبته «هادي المريد إلىٰ طرق الأسانيد»، ثم اجتمع بالمدينة المنورة بالعلامة محمد أبو النصر الخطيب

وسمع منه «الأوائل العجلونية» يوم الجمعة **١٢** محرم سنة **١٣٢١**هـ قبل صلاتها بمحضر جمع من أهل العلم في مجلسين، وقد حضر عليه شيخنا مجالسه العلمية بالمسجد النبوي، وأجيز منه عامة حسبما تضمنه ثبتة الكبير المسمىٰ بـ«الجوهر الفريد في علوم الأسانيد» عن أشياخه.

أما عن مشايخه المغاربة فأولهم العلامة الفرضي أحمد بن محمد الزوكاري اجتمع به شيخنا بفاس، وسمع منه حديث الرحمة مسلسلًا بالأولية، وأجيز منه عامة، وهو أكبر من قابله بفاس، وآخر من بقي من نقلة الفقه المالكي عن شيوخه، ثم اجتمع بمفتي الديار التونسية الشيخ محمد بن يوسف الشركسي الحنفي في تونس، وسمع منه جملة كبيرة من «صحيح البخاري» بشرح القسطلاني، واستجازه الرواية فأجازه عامة. ثم اجتمع بالشيخ سالم أبو حاجب في تونس وحضر مجالسه العلمية واستفاد كثيرًا، وأجيز منه عامة عن شيوخه، ثم اجتمع بقاضي تونس الشيخ المعمر محمد الطيب بن محمد بن أحمد النفير التونسي وحضر دروسه العلمية بتونس وأجيز منه عامة عن شيوخه، ثم التقىٰ بالعلامة المحدث محمد المكي الشهير بابن عزوز وحضر دروسه في تونس وأجيز منه عامة عن شيوخه. واجتمع شيخنا في تونس بالمسند الرحالة أحمد الأمين بن المبروك بن عزوز، وأجيز منه عامة عن شيوخه، ثم أخذ عن الشيخ عبد العزيز بن محمد بناني الفاسي، عندما اجتمع به في فاس، واستفاد منه كثيرًا، وأجيز منه عامة عن شيوخه، واجتمع في المدينة المنورة بالشيخ شعيب بن عبد الرحمن الصديقي المغربي وحضر الشيخ عمر دروسه في «صحيح البخاري» وأجيز منه عامة عن شيوخه. ولما زار المدينة المنورة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني لازمه الشيخ عمر مدة إقامته وحصل منه علىٰ الشيء الكثير، واستجازه فأجازه عامة عن شيوخه. ثم أخذ عن العلامة الشهير صاحب الباع الطويل في العلم محمد عبد الحي بن محمد عبد الكبير الكتاني. وقد تشرف بزيارة الحرمين كثيرًا، آخرها في حج **١٣٥١**هـ وفيه ألقىٰ دروسًا بالمسجد الحرام في الحديث، حضرها جمع غفير من العلماء وكان من بينهم الشيخ عمر الذي لازمه وأخذ عنه فحصل له المدد الكثير والخير العميم، وأجيز منه إجازة تامة مطلقة عامة، عن شيوخه الذين يزيد عددهم عن

الخمسمائة ما بين رجال ونساء.

لقد اشتهر الشيخ عمر حمدن بين شيوخه بحسن الفهم وأخذ العلوم بأوفر نصيب وأعلىٰ قدر لأنه كان يناقشهم حتىٰ يصل إلىٰ مرامه مما جعله محل اهتمامهم.

عمر حمدان محدث الحرمين الشريفين

لقد كان الشيخ عمر بارعًا في العلم مجتهدًا في طلبه منصرفا له يتزود بزاد العلوم والمعرفة وهو يافع السن فعندما تفرس فيه شيوخه الحكمة أمروه بالتدريس فاستجاب لطلبهم وعقد للعلم سوقًا فريدًا نفع به أناسًا كثيرين فشاع ذكره في الأقطار الإسلامية وأصبحت حلقاته تمتلئ في مكة المكرمة والمدينة المنورة بمحبي العلم ومريديه وكان محور دروس الشيخ في الحديث والفقه المالكي والأصول والنحو والصرف والبلاغة والاشتقاق والوضع والتفسير وعلومه فقد كان عالمًا متضلعًا متمكنًا ماهرًا بارعًا بحق في العلوم.

وللشيخ عمر عناية فائقة بتدريس الحديث فكان مرجعًا فيه لا يباريه أحد لذلك لقب بمحدث الحرمين الشريفين وهذا شرف عظيم ناله رحمه الله تعالىٰ.

وفي الشتاء يحدث بمكة المكرمة البلد الأمين في حصوة باب العمرة فيجلس وأمامه حمل من الكتب يطالع المسائل العلمية ليل نهار دون ملل أو كلل.

ولقد حدثني سيدي الوالد حفظه الله أنه كانت هناك خلوة للشيخ عمر يعتكف فيها في باب العمرة، وكان الشيخ عمر صديقًا لجدي الشيخ المحدث البرهان إبراهيم بن عبد الله الكتبي الحسني المكي المدرس بالمسجد الحرام فكانت لجدي مكتبة في مدخل باب العمرة يقضي فيها وقته بعد إلقاء دروسه في المسجد الحرام وكان الشيخ عمر يأتيه ويجلس معه في الدكان يتبادلان رحمهما الله أطراف الحديث في شتىٰ العلوم والمعارف.

وكانت حلقة الشيخ عمر تعقد بعد صلاة المغرب ولكنه يجلس من بعد صلاة العصر ويتردد عليه الطلاب في ذلك الوقت ويسألونه واحدًا تلو الآخر حتىٰ يحين موعد آذان المغرب وبعد أداء الصلاة تبدأ حلقته التي لا يمكن أن يحصىٰ طلابها وحدثني والدي

حفظه الله أنه لا تجد مكانا حوله إلا وقد ملء بطلاب العلم.

وفي الصيف من كل عام ينتقل الشيخ عمر حمدان إلىٰ المدينة المنورة ويدرس في رحاب مسجدها العظيم خلف المكبرية وبجوار قبر سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ ويلتف من حوله طلبته يسجلون عنه كل صغيرة وكبيرة ويناقشونه فيها ويرد علىٰ سؤالاتهم حتىٰ يشفي غليلهم العلمي وكانت موعد حلقاته غير محددة فقد يعقدها بعد صلاة العصر وأحيانًا في الضحىٰ أو بعد المغرب فيقضي الشيخ الفاضل وقته كله في المسجد النبوي الشريف. والجدير بالذكر أن السند العالي انتهىٰ إلىٰ ثلاثة من علماء الحجاز أولهم الشيخ ملا إبراهيم الكوراني والثاني الشيخ فالح الظاهري والثالث هو الشيخ عمر حمدان المحرسي.

عمر حمدان مدرسًا بالمدرس الصولتية

وفي عام ١٣٤٣هـ عين الشيخ عمر حمدان مدرسًا بالمدرسة الصولتية المشهورة بالحجاز ولعلي أورد نبذة صغيرة عن هذه المدرسة والتي تعتبر من أفضل المدارس علىٰ مر التاريخ ففي عام ١٢٨٩هـ قدمت الأميرة صولة النساء إحدىٰ أميرات الهند لأداء فريضة الحج وكانت تنوي إنشاء رباط بمكة المكرمة يكون وقفًا للفقراء والمساكين فاقترحت هذه الفكرة علىٰ العلامة الفاضل رحمت الله العثماني/ فقال لها إن مكة المكرمة تحتاج إلىٰ مدرس يتعلم بها أبناء المسلمين وكان للشيخ مدرسة صغيرة وليس لها بناية، فوافقت الأميرة صولت النساء علىٰ فكرة الشيخ وفوضت إليه أمر بناء المدرسة علىٰ نفقتها وتم اختيار الموقع في حي الخندريسة بمحلة الباب. وبدأت الدراسة في صباح يوم الأربعاء ١٥ شعبان ١٢٩٠ للهجرة ولا تزال المدرسة إلىٰ يومنا هذا وهي قائمة علىٰ تخريج طلاب العلم فجزىٰ الله المنفقة والمؤسس خير الجزاء وأسكنهما فسيح جناته[١]واستمر الشيخ عمر يدرس بالمدرسة سنوات.

(١) انظر أعلام الحجاز الجزء لثاني لمؤرخ الحجاز الشيخ محمد علي مغربي.

عمر حمدان مدرسًا بمدرسة الفلاح

عين الشيخ عمر مدرسًا بمدرسة الفلاح المشهورة والتي أسسها الحاج محمد علي زينل رضا عندما انتشرت حركة التتريك والتي كانت تمارسها جمعية الاتحاد والترقي التركية فوجد أنه من الضروري تعليم الأولاد ولكنه كان ممنوعا في ذلك الوقت فتح المدارس فاستأجر مقعدا صغيرا واتفق مع أحد الفقهاء علىٰ تعليم الأولاد وأخذ هذا المكان بصفة مؤقتة حتىٰ أخذ الإذن من الوالي التركي وأصبحت الدراسة بالمساء وفي عام ١٣٢٠هـ أسست مدرسة الفلاح بمكة المكرمة بعد مدرسة الفلاح في جدة كما أسست مدرسة الفلاح في بومباي سنة ١٣٥٠هـ ومدرسة الفلاح في عدن ومدرسة الفلاح في دبي سنة ١٣٤٧هـ ومدرسة الفلاح في البحرين وكان الحاج محمد زينل يريد تأسيس مدرسة الفلاح بالمدينة المنورة ولكنه لم يتم ذلك[(١)]؛ وبقي الشيخ عمر مدرسًا بها ما ينوف عن خمس سنوات.

دروسه المنزلية

ويتميز الشيخ عمر بحبه للطلاب لا يصد أحدًا فكانت داره في المدينة المنورة والتي كانت في حي ذروان الشهير بحارة الأغوات مدرسة كبيرة تزدحم بالعلماء وطلاب العلم لا يغلق بابها ولا يبخل علىٰ أحدٍ بشيءٍ من العلم وكذلك في داره بمكة المكرمة ويتناقش الطلابُ معه في مسائل العلم والعلوم وسيرة سيد الخلق ﷺ ثم يتدرج بذكر سيرة الصحابة رضوان الله عليهم وتراجم الرجال الأخيار وفضلهم وجهدهم ومؤلفاتهم النافعة ثم يتحدث عن الفتوحات والغزوات الإسلامية التاريخية العظيمة لا يمل أحد ذلك الحديث وكانت لشهرته الفائقة بين الحرمين الشريفين تأتيه الفتوىٰ من كل مكان في العالم الإسلامي ويجيب عنها بكل حكمة وعظة.

بقاؤه بالمدينة أثناء الحصار

من الأحداث التي جرت في المدينة المنورة في آخر العهد العثماني وأثناء الحرب

(١) انظر أعلام الحجاز الجزء الأول لمؤرخ الحجاز الشيخ محمد علي مغربي ص٢١٥.

العالمية الأولىٰ محاصرة المدينة إبان الثورة العربية علىٰ الأتراك مدة تزيد عن السنتين فقد اتخذوها قاعدة عسكرية لحماية ممتلكاتهم وقام القائد التركي فخري باشا بحجز كل ما يؤكل من تمر وأرز وحنطة وغير ذلك ولكي يضمن الهدوء في المدينة والتفرغ للعمل الحربي لأن المجاعة تسبب المشاكل له فأمرت الدولة العلية سكان المدينة المنورة بالخروج منها خوفًا عليهم من الجوع ولم يبق فيها إلا أناس قليلون ويروىٰ أن البعض أكل القطط والكلاب وجثث الموتىٰ وهم لا يعرفونها باعها عليهم بعض المجرمين. فمن الذين بقو في المدينة وصبروا علىٰ لأوائها وشدتها الشيخ عمر حمدان فكان الرجل المجاهد في سبيل مساعدة الناس أثناء الحصار ولم تكن الفترة القصيرة مما كان لها أثر عليه فقد تعب الشيخ كثيرًا وهزل بدنه ونحف جسمه ودب فيه الشيب وهو في مراحل الرجولة. وقد روىٰ لي أحد الرجال أن الجيش التركي فني في المدينة وأطرافها من شدة الجوع والمرض وكانت الأرزاق موجودة في المستودعات بكثرة. وكانت عودة أهل المدينة من التهجير في بداية العهد الهاشمي وروىٰ الأستاذ علي حافظ في مؤلفه عن المدينة أن عدد أهل المدينة قبل التهجير (٨٠) ألفا ولم يعد منهم سوىٰ (١٥) ألفا تقريبًا.

رحلاته العلمية

لقد كانت لشيخنا الفاضل رحلات شتىٰ لأسباب علمية فقد كان محبًا للعلم ولا يريح نفسه رغبة في التفقه في الدين فكانت لهذه الرحلات فوائد عظيمة ومزايا فريدة مما جعله يشد الرحال إلىٰ أئمة العلم ويقطع الأميال للوصول إليهم فارتحل إلىٰ الشام ثم مصر وأمضىٰ هناك ستة أشهر وكان متواضعًا يخرج في شوارع البلاد يحمل حقيبته وأقلامه ويرتدي طربوشًا صغيرًا علىٰ رأسه ويرتاد حلقات العلماء يأخذ عنهم ثم خرج من مصر فدخل المغرب ومنها إلىٰ طرابلس ومنها إلىٰ تونس حيث مسقط رأسه التي تركها صغيرًا وعاد إليها عالمًا واعيًا إلىٰ العلم ثم توجه إلىٰ الجزائر ومنها إلىٰ فاس ومراكش ودخل اليمن وحضرموت وكان الشيخ لا يدخل بلدًا إلا وبحث عن علمائها وأفاضلها يستفيد منهم فأصبح له أصدقاء وطلاب كثيرون في البلاد الإسلامية.

وكان رحمه الله محبًا للسنة النبوية الشريفة ويقدمها علىٰ أي قول مع الاعتراف للأئمة الأعلام بالفضل والتأدب وأحيانًا يترك مذهب الإمام مالك ويتبع الشافعي أو أحمد بن حنبل أو أبي حنيفة رضي الله تعالىٰ عنهم، وله مواقف كثيرة في كثير من المسائل العلمية وكان الرجل الراجح للحق وهو أحب إليه من الناس أجمعين فإذا تبين له الخطأ -في مسألة كان يتبناها- رجع عنها ودعا إلىٰ الحق بدلائله ودافع عنه.

صوته الجهوري

وعرف الشيخ عمر حمدان بصوته الجهوري حتىٰ أنه يصل صوته من مجلسه في باب العمرة إلىٰ الجالس في باب السلام الكبير بمكة المكرمة.

ومن الطرائف أنه أثناء رحلاته لمصر اختلف مع الشيخ أحمد الغماري رحمه الله في مسألة ما وكان في شوارع القاهرة فيقول الشيخ الغماري[1] كثر جدالنا وأنا أحتج عليه وأقيم له علىٰ صحة دعواي وارتفعت أصواتنا وكان جهوري الصوت ووقفنا بالطريق فلم نشعر إلا والناس من حولنا دائرون للفرجة.

عمر حمدان ومعاصريه

كان الشيخ عمر حمدان جامعًا للفضائل والفواضل ومجلسه يقصده كبار العلماء وصغار الطلاب وما بينهم، وينزل عنده في مواسم الحج كبار العلماء من العالم الإسلامي فتزدحم دارُه ويحث الناسَ علىٰ الأخذ من ضيوفه، فكم من إفادة حصلت لطلاب الحرمين الشريفين بواسطته وهذا جعل الناس يلتفون من حوله رحمه الله.

أستاذ الجيل من العلماء

كان عطوفًا علىٰ الطلاب يشجعهم ويحثهم علىٰ طلب العلم ويساعدهم بوقته النفيس وأحيانًا يعيرهم الكتب وإذا رأىٰ نبوغًا في طالب قربه ووجهه حتىٰ يصبح عالمًا، وتلاميذه كثيرون تلقو عليه الحديث رواية ودراية ومن الصعب أن يحصروا ونذكر منهم الشيخ أبو الفيض محمد ياسين الفاداني والسيد علوي مالكي والشيخ

(١) انظر: تشنيف الأسماع ص ٤٣٠.

محمد نور الكتبي الحسني والشيخ إبراهيم الختني والشيخ محمد أمين كتبي والشيخ محمد العربي التباني والشيخ أحمد الغماري والشيخ محمد نور سيف والشيخ حسن المشاط والشيخ إبراهيم فطاني والشيخ محمد حميدة والشيخ عبد الله غازي والسيد طاهر الدباغ والشيخ حسين عبد الغني والشيخ صالح القطان والشيخ خليل طيبة وغيرهم فقد كان أستاذ الجيل من العلماء بحق وأصبحت آثاره محمودة، فأهل الحجاز يحبونه حبًا جمًا وكان هو إلىٰ ما حباه الله من العلم والحديث لين الجانب لطيف المعشر يملأ المجالس التي يحضرها أنسًا ويشيع فيها السرور بما يرويه من الطرائف الأدبية الجميلة وبما يحفظه سماعًا وقراءة فلا يمل جلساؤه الاستماع إليه كل في أدب يحفظ مقامه، فهو طالب علم قبل كل شيء وبعده ومع ذلك لا يتزمت ولا يتعالىٰ وإنما يدخل إلىٰ القلوب بلين الجانب والحكمة ويمزح ولا يجرح، ويتبسط ويتبذل وهو بهذا جمع لنفسه محبة الناس ومهابتهم في آنٍ واحد.

مؤلفات الشيخ عمر حمدان

لم يتجه الشيخ عمر حمدان للتأليف لأنه جعل وقته لطلابه إلا أن له في آخر حياته ثبتًا صغيرًا اقتصر فيه علىٰ ذكر بعض شيوخه.

وقد ألف له أحد تلاميذه وهو العلامة أبي الفيض الفاداني المكي رحمه الله كتابًا أسماه.

«مطمح الوجدان في أسانيد عمر حمدان» في ثلاثة مجلدات ثم اختصر في مجلد واحد أسماه.

«إتحاف الإخوان باختصار مطمع الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان، وقد طبع المجلد طبعتين الأولىٰ في القاهرة سنة ١٣٧١هـ والثانية في دار البصائر في دمشق سنة ١٤٠٦هـ.

مكتبة الشيخ عمر حمدان

لقد كان الشيخ محبًا للقراءة وقد ذكرتُ أنه كان يضع كتبه أمامه في باب العمرة بالمسجد الحرام ويوجد أضعافها بداره فقد خلف مكتبة قيمة فيها نوادر الكتب والمخطوطات استنسخ بعضها خاصة في أسفاره ومن مكتبة شيخ الإسلام عارف

حكمت بالمدينة المنورة وقد اطلعت علىٰ المكتبة وعلىٰ فهارسها فهي من المكتبات النادرة والقيمة وهي موجودة باسمه في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ضمن المكتبات المهداة.

وفاة الشيخ عمر حمدان

هذا وقد توفي الشيخ عمر حمدان المحرسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم ٨ شوال من سنة **١٣٦٨**هـ عن سبعة وسبعين عامًا. رحم الله الشيخ عمر فقد وهب حياته كلها للعلم طالبًا ومعلمًا وواعظًا وداعيًا إلىٰ الله ودفن في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة وكانت لوفاته رنة حزن وأسىٰ في جميع أنحاء العالم الإسلامي رحمه الله تعالىٰ وأحسن جزاءه لقاء ما أسدىٰ إلىٰ العلم وأهله إنه سميع مجيب.



الشيخ عمر كردي الكوراني(١)

هو عمر بن عبد المحسن(٢) بن محمد أبو الفضل الكردي الكوراني الشافعي المدني

بيت الكوراني

بيت كريم من بيوتات المدينة العريقة في المجد، والشهيرة في العلم، فبيت الكوراني من بيوتات المدينة الثابتة القدم، أصلهم العلامة الفهامة الملا إبراهيم بن حسن شهاب الدين الكردي الشهرزوري الكوراني، وكوران أحد قبائل الأكراد بشهرزور، وهذه القبائل عرفت بالقوة والشجاعة، قدم المدينة المنورة سنة **١٠٦٣**هـ مهاجرًا، وأستوطنها وبها أنتشرت ذريته،فعقبه من ثلاثة ابناء ابا الحسن، ومحمد سعيد، وعبد السميع الشهير بمحمد أبي الطاهر، ظهر من أعقابهم الكثير من العلماء والفضلاء والمحدثين علىٰ مر القرون والحقيقة أنني لم أطلع علىٰ كتب التراجم المتداولة إلا ووجدت تراجم لعلماء العائلة الكريمة والمحدثين، ولست أول من يكتب عنهم، إنما هي دالت التاريخ وتدوينه بين المؤرخين، ولا تزال هذه العائلة

---

(١) مجلة المنهل سنة ١٣٨٢هـ مقال للأستاذ ضياء الدين رجب، قضاة المدينة ١/ ٧٨ ترجمة ١٩.

(٢) كان امامًا وخطيبًا توفي سنة ١٣٣٧هـ.

موجودة بالمدينة المنورة حتىٰ اليوم مع اختلاف ألقابها، فلقب الكردي كثير فيها وذلك نسبة لبلاد الكرد، فالعائلة كانت تعرف ببيت الكوراني الكردي، وتفرَّعت شجرة هذا البيت إلىٰ ثلاثة فروع باقية حتىٰ اليوم، هي: آل الكردي، وآل أبو الطَّاهر، وآل طاهر.

ولو بقيت «الكوراني» لكان أفضل والقصد في ذلك ليميزهم عن غيرهم من طائفة الأكراد الكبيرة في المدينة المنورة، ومن فرع الشيخ عمر الكوراني المترجم له، أدركت الشيخ عبد المحسن بن عبد الحفيظ كردي رَحِمَهُ اللَّهُ كان رجلًا صالحًا وبينه وبين الأشراف آل الكتبي صداقة عريقة حميمة، وهو من نسل الشيخ محمد سعيد بن ملا إبراهيم الكوراني، وفرعين آخرين من هذه العائلة احتفظوا بلقب طاهر، وأبو الطاهر نسبة لجدهم الشيخ أبو الطاهر بن ملا إبراهيم الكوراني، ومنهم الشيخ مصطفىٰ بن حسين بن أحمد[1] أبو الطاهر رَحِمَهُ اللَّهُ وله ذرية في المدينة اليوم يعرفون ببيت أبو الطاهر، ومنهم من يعرف ببيت طاهر ومنهم الشيخ هاشم بن عبد القادر بن عبد الله طاهر، وليس كل بيت طاهر في المدينة منهم فهناك عدة بيوتات تعرف ببيت طاهر منهم بيت طاهر قدم جدهم محمد طاهر بن إبراهيم بن محمد بن الطاهر من بلاد المغرب أدركت منهم السيد عبد القادر بن حسن بن محمدطاهر رَحِمَهُ اللَّهُ كان رئيس للبلدية بالمدينة المنورة وقد التقيته زارني وزودني بمشجرتهم والتي تنتهي إلىٰ الشرفاء الادارسة، وهناك عائلة أخرىٰ كذلك قدم جدهم من المغرب كان منهم الوجيه رجل الأعمال السيد عبد الهادي بن حسن طاهر رَحِمَهُ اللَّهُ من خبيري النفط والغاز، وكذلك هو من الشرفاء الإدارسة، وقد ذكرت ذلك للتفريق بينهما حتىٰ لا يختلط الأمر وقد فصلت ذلك بتوسع في قرميتي عن المدنيين وبيوتاتهم.

نواصل الحديث عن بيت الكوراني

قال الأنصاري في تحفته[2]: بيت ملا إبراهيم الكردي «وهو بيت كبير بالفضل شهير وكان أحق بالتقديم في حرف الألف لا في حرف الميم أصلهم العلامة الفهامة

(١) الأفندي أحمد أبو الطاهر توفي ١٢٩٢هـ.

(٢) تحفة المحبين ٤٥٦.

الملا إبراهيم بن حسن شهاب الدين الكردي الشهرزوري الكوراني وترجمته مشهورة قدم المدينة المنورة في حدود سنة **١٠٦٣**هـ.

قال الحجار في مختصره(١): بيت ملا إبراهيم الكوراني الكردي: قدم المدينة المنورة في عام ألف وثلاثةٍ وستين، وأولاده الأكراد بيت محمد طاهر.

قال الزيدان في عهوده(٢): بيت متقادم.

الشيخ ملا إبراهيم الكوراني الكردي(٣)

رأس البيت

صاحب السند العالي

هو الملا إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي، الشهرزوري الكوراني، برهان الدين المحقق المجتهد، صاحب العلوم الكثيرة والتصانيف المتكاثرة، العَلَم البارق، والعلاّمة العالم ذي الفضل والفضائل، من طبق صيته الآفاق وبلغ علمه الإسناد الذي انتهىٰ إليه السند العالي، وتجاوزت مؤلفاته المائة مؤلف، مولده سنة **١٠٢٥**هـ بشهران من أعمال شهرزور بجبال الكرد.

نشأ نشأة صالحة، فأفنىٰ شبابه في الدين والعلم، وبدأ ينهل من بحار العلوم الواسعة بحفظ القرآن علىٰ يد والده، ثم ارتحل بعد ذلك إلىٰ بغداد، ثم إلىٰ الشام ثم دمشق، ومكث بها فترة من الزمن، وفي هذه الفترة تلقىٰ -رَحِمَهُ اللهُ- الحديث- علىٰ يد أفاضل العلماء في دمشق.

وبعد ذلك ارتحل إلىٰ مصر، حيث الجامع الأزهر الشريف، وأقام هناك فترة من الزمن، حيث أخذ علىٰ يد علماء الأزهر الشريف، وفي عام **١٠٦٣**هـ هاجر الشيخ الملا إبراهيم إلىٰ المدينة المنورة، وكان يبلغ من العمر **٣٣** عامًا وهو عالم، وعندما

---

(١) مختصر القرمية ٧٢.

(٢) ذكريات العهود الثلاثة ١٦٥.

(٣) عقد الجواهر والدرر ٣٨٤، البدر الطالع ١/ ١١-١٢، سلك الدرر ١/ ٥، عجائب الآثار ١/ ١١٧، هدية العارفين ١/ ٣٥، موسوعة أعلام المغرب (نشر المثاني) ١٧٨٧، الأعلام ١/ ٣٥، فوائد الإرتحال ٣/ ٥٤ ترجمة ٦٥٠.

وصل إليها لازم الشيخ أحمد القشاشي وتربىٰ به وزوجه بنته وأقامه خليفة بعده،عرف بين الناس بعلمه، وشاع ذكره، وعرفت مكانته فنصب للتدريس وعقد دروسه في الحديث، وأصبحت حلقته بالمسجد النبوي الشريف من الحلقات التي يتسابق إليها طالبو العلم ومريدوه، فقد درس علىٰ يده كثير من العلماء الأجلاء، فقد كان الشيخ محدثا برهانا محققا ومدققا، فبدأ يأتي إليه الطلاب من جميع الأقطار، واشتهر مدرسا للحديث قرابة أربعين عامًا.

وقد عرف الشيخ ملا إبراهيم بمذهبه الشافعي، فكان من فقهاء الشافعية حيث كان يعطي بعض الفتاوىٰ لبعض السائلين، وكان طيلة وقته لا يفارق المسجد النبوي الشريف

ومن الطبيعي أن يكون لهذا العلامة المحقق مؤلفات تتداول بين أبناء الزمان فقد، تجاوزت مؤلفاته المئة مؤلف، وأذكر منها:

١- إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف.

٢- شرح الأندلسية للقصيري.

٣- تكميل التعريف لكتاب في التصريف.

٤- شرح العوامل الجرجانية.

٥- جواب العتيد لمسألة واجب ومسألة التقليد.

٦- النبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس.

٧- ضياء المصباح في شرح بهجة الأرواح.

٨- سؤالات عن قول: «تقبل الله والمصافحة بعد الصلوات».

٩- المتمة لمسألة المهمة وذيلها.

١٠- القول الجلي قول الإمام زين العابدين بن علي.

١١- بيان البيان في المقولات والميزان.

١٢- تحقيق التوفيق بين كلام أهل الكلام وأهل الطريق.

١٣- قصد السبيل إلىٰ توحيد الحق الوكيل.

١٤- الجواب المشكور علىٰ السؤال المنظور.

١٥- شرح العقيدة الصحيحة.

١٦- إشراق الشمس بتعريب الكلمات الخمس.

١٧- بلغة المسير إلىٰ توحيد العلي الكبير.

١٨- عجالة ذوي الانتباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله.

١٩- أنباء الأنباء علىٰ تحقيق أعراف لا إله إلا الله.

٢٠- جوابات الفراوية في المسائل الجاوية الجهرية.

٢١- العجالة فيما كتب محمد القلعي سؤاله.

٢٢- القول المبين في مسألة التكرين.

٢٣- إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام.

٢٤- الإلماع المحيط بتحقيق الكسب بين الإفراط والتفريط.

٢٥- إتحاف التركي بشرح التحفة المرسلة إلىٰ النبي.

٢٦- مسلك الأبرار إلىٰ أحاديث النبي المختار.

٢٧- مسلك السداد إلىٰ مسألة خلف أفعاد العباد.

٢٨- المسلك الجلي في حكم شطح الجلي.

٢٩- حسن الأوبة في حكم ضرب النبوية.

٣٠- مسلك الاعتدال إلىٰ آية خلق الأفعال.

٣١- إتحاف الخلف بعقيدة السلف.

٣٢- الأمم لإيقاظ الهمم. وفهرسته هذه أكبر فهارس الملا إبراهيم وأمتعها وأكثرها فرائد حديثية وكلامية وصوفية وتاريخية، ساق فيها كثيرًا من أوائل الكتب الحديثية، وعنها أخذ من ألّف في الأوائل، وانتخب فيها فوائد من بعض الكتب، وحرر القول في كثير من الأحاديث والنكت المهمة، وبالجملة فهو ثبت ممتع للغاية في نحو عشر كراريس[١].

---

(١) فهرس الفهارس ١/١٦٦.

وقد علم عن وجود بعض المؤلفات بمكتبة السيد عيدروس الحبشي بحضرموت، وهي تبعا للمؤلفات:

٣٣- التعريف بتحقيق التأليف.

٣٤- جلاء الأنظار بتحرير الجبر والاختيار.

٣٥- لوامع الآل في الأربعين العوال.

وغير ذلك من الكتب النافعة، فرحمة الله عليه، وقد عرف عنه أنه يجيد اللغة التركية والفارسية، وقد عرف الشيخ الكوراني بعلمه وجعل سيرته تذكر إلىٰ يومنا هذا، فقد قل عدم ذكره في الكتب.

وبعد هذه الحياة المليئة بخير الأعمال الصالحة نقول لأحد سلفنا الصالح: وداعًا، وكان ذلك في يوم الأربعاء بعد العصر الموافق (١٨) ربيع الثاني من سنة (١١٠١هـ)، فقد فقدت المدينة المنورة أحد علمائها الأجلاء، ولكن قدرة الله، ودفن بالبقيع، فرحمة الله عليه.

وقد ترك الشيخ بعده ذرية صالحة، سارت علىٰ نهجه الصالح،وعملت بالعلم فقد برز من ذريته الصالحة منهم:

الشيخ محمَّد أبو الطَّاهر بن إبراهيم الكوراني[1]

العلامة المحقق المشهور

هو عبد السميع[2] محمَّد أبو الطَّاهر بن إبراهيم بن حَسَن المدني الشَّهير بالكوراني. وُلِد بالمدينة المنوَّرة في ١١ رجب سنة ١٠٨١هـ، وقَرَأ علىٰ والده، ودرس علىٰ عدد من **العُلَماء**، ومنهم: السَيِّد محمَّد بن عبد الرَّسول البَرَزنجي، وحَسَن بن علي العجيمي، ومحدِّث الحِجَاز محمَّد بن محمَّد بن سليمان المغربي، والجمال

(١) تحفة المحبين ٤٥٩، سلك الدرر ٤/ ٢٧، تراجم أعيان المدينة المنورة ١٠٤ترجمة ٧٦فهرس الفهارس، الأعلام ٥/ ٣٠٥.

(٢) الصحيح ما أثبتناه أن أسمه عبد السميع ولكنه لم يعرف إلا بكنيته محمد أبو الطاهر، فهرس الفهارس ٣/ ٤٩٦، اليانع الجني ١٩-٢١، فتح الجليل ٣٧٤.

عبد الله ابن سالم البصري، والشِّهاب أحمد بن محمَّد النَّخلي. واشتغل **بالتَّدريس**. وتولَّىٰ إفتاء السَّادة الشَّافعيَّة بالمدينة المنوَّرة، وكان كثير النسخ بيده حتىٰ قيل إنه أكمل بيده نحو السبعين مجلدًا في النفس اليمانيوله من المؤلَّفات: **اختصار شرح شواهد الرضيِّ للبغداديِّ**، وله فتاوىٰ علىٰ مسائل فقهيَّة سُئِل عنها من بلاد اليمن. وكانت وفاته في **٩** رمضان سنة **١١٤٥**هـ.

الشيخ إبراهيم بن محمد أبي الطاهر الكوراني(١)

الشيخ المحدث الهمام

وُلِد في **٢٨** من شهر شوال سنة **١١١٤**هـ، ونشأ في طلب العِلْم، ودَرَّسَ بالمسجد النَّبوي الشَّريف، ومسجد قباء، وفي بيته علىٰ طريقة والده وجَدِّهِ. وكان كريمًا سخيًّا لا يكاد يمنع أحَدُا من عاريَّة كتاب أو نحاس أو فراش أو غير ذلك مما ينتفع به النَّاس. وتوفِّي سنة **١١٨٨**هـ.

الشيخ محمد سعيد بن إبراهيم بن محمد أبي الطاهر الكوراني(٢)

صاحب الأسناد البارع

ولد بالمدينة المنورة في **٢٢** شعبان سنة **١١٣٤**هـ، المدني الشافعي الشيخ الفاضل الصالح النبيل البارع، وبها نشأ وحفظ القرآن وطلب العلم وأخذ عن أبيه والشيخ عبد الرحمن الجامي والشيخ محمود الجامي والفقيه محمد بن سليمان الكردي وكان رجلًا متكلمًا تصدر للتدريس بالروضة المطهرة بعد أبيه فكان صنو أبيه، ولم يزل علىٰ حاله حتىٰ استشهد في جبل سلع في **١٩**شعبان **١١٩٦**هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) تحفة المحبين ٤٦٠، تراجم أعيان المدينة المنورة ١٠٥ ترجمة ٧٧.

(٢) تحفة المحبين ٤٥٧، سلك الدرر ٤/ ٢٧-٢٨، تراجم أعيان المدينة المنورة ١٠٦ترجمة ٧٨، الأعلام ٥/ ٣٠٤.

الشيخ محمد أبو الطيب بن أبي الحسن الكوراني(١)

شيخ العهد المدني

المولود بالمدينة سنة في ٨ رمضان سنة ١٠٩٨هـ المدني الشافعي الشيخ الفاضل العالم الكامل حفظ القرآن العظيم، وقرأ علىٰ عمه الشيخ أبي الطاهر وحصل منه علىٰ اجازة عامة من جده المنلا إبراهيم الكوراني لما أجاز أحفاده الكبار والصغار وكان رجلًا مباركًا متكلمًا صار شيخًا للعهد في المدينة في سنة ١١٣٢هـ، ثم أخرج منها مضطرًا في الفتنة المشهورة في ذلك العهد إلىٰ الشام وسكنها قرابة اثنين وعشرين عامًا، ثم صدر الفرمان بعودته إلىٰ المدينة المنورة سنة ١١٦٠هـ حتىٰ وفاته المنية في ٥/ ٥/ ١١٦٨هـ.

الشيخ أحمد أبو الفتوح بن الشيخ محمد سعيد الكوراني(٢)

الشيخ الصالح الفاضل

المولود بالمدينة المنورة في ٩ شوال سنة ١٠٩٢هـ، بها نشأ، وأخذ عن والده، وعمه الشيخ أبي الطاهر وغيرهما، وحاز علىٰ الأجازة العامة من جده الملا إبراهيم، كان رجلًا صالحًا، ولم يزل علىٰ حاله حتىٰ توفي بالمدينة سنة ١١٦١هـ.

الشيخ عبد الحفيظ بن عبد المحسن الكردي(٣)

وارث البيت وبقيته في العلم

المولود سنة ١٣١١هـ، والذي تلقىٰ العلم علىٰ جهابذة المسجد النبوي، ثم أصبح من الأئمة والخطباء فيه، ثم مدرسًا به ثم قاضيًا للمدينة في العهد العثماني ثم قاضيًا

(١) تحفة المحبين ٤٥٧، سلك الدرر٤/ ٢٨، تراجم أعيان المدينة المنورة ١٠٧ ترجمة ٧٩.

(٢) تراجم أعيان المدينة المنورة ١٠٨ ترجمة ٨٠.

(٣) ترجمة زودني بها إبنه الشيخ عبالمحسن كردي، الجواهر الحسان ٢/ ٦٨٠ترجمة رقم ٣٠٩، قضاة المدينة ١/ ٧٩ ترجمة ٢٠.

بجدة في العهد السعودي، ثم نائبًا لقاضي المدينة الشيخ الشريف محمد نور الكتبي الحسني في المستعجلة إلىٰ أن توفاه الله في يوم ٢٠/ ٤/ سنة ١٣٧٠هـ رحمه الله تعالىٰ وأسكنه فسيح جناته.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن آل الكوراني ونعود ونواصل الحديث الشيخ عمر الكردي الكوراني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولد بالمدينة المنورة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مربوع القامة، عظيم الهامة، أبيض اللون، أدعج العينين، أقنىٰ الأنف، منبسط الصدر، كث اللحية، يرتدي الزي المدني القح[1]: الجبة الفضفاضة والعمامة المهندمة.

أما عن صفاته وأخلاقه فيقول عنه الأستاذ ضياء الدين رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: عين من عيون المدينة، وفارس من فرسان العلم والأدب المبجلين فيها، فيه سمت العلماء ووقار الفضلاء، ذكي، لماح، شاعر أصالة وصدقًا، ومتضلع في العلوم، لقب بقاضي المدينة وشاعرها ومفتيها، والحقيقة أن المطلع علىٰ صورة الشيخ عمر يجد بها الهيبة والوقار والاعتزاز بالنفس دون الغرور والكبر.

تعليم الكردي

قلنا في المقدمة إن هذه العائلة توارثت العلم كابرًا عن كابر، فعندما بلغ الشيخ عمر سن التعليم أدخله والده الكتّاب كأقرانه لحفظ القرآن الكريم، فحفظه وجوّده مع حفظه لبعض المتون، ثم بدأ بدراسة بعض العلوم علىٰ يد والده، ثم علىٰ يد خاله العلاَّمة الشيخ مأمون بري مفتي المدينة، ثم بدأ يطوف بحلقات العلم في المسجد النبوي فالتحق بحلقة العلاّمة الشيخ عبد الجليل برادة، ودرس عليه نفائس الكتب الدينية والأدبية مثل الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وآداب القالي وديوان الحماسة

(١) مجلة المنهل سنة ١٣٨٢هـ مقال للأستاذ ضياء الدين رجب.

(٢) مجلة المنهل سنة ١٣٨٢هـ مقال للأستاذ ضياء الدين رجب.

وديوان المتنبي ومقامات الحريري ثم درس عليه الحديث والفقه والتوحيد والصرف والمعاني والبيان.

ثم التحق بحلقة العلاّمة الجليل ألفا هاشم الفوتي، ودرس عليه الحديث وشيئًا من التفسير وبعض فنون التراجم، ثم التحق بحلقة العلاّمة الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي ودرس عليه كثيرًا من العلوم، ثم التحق بحلقة الشيخ أمين الحلواني في الروضة الشريفة ودرس عليه بعض العلوم الشرعية، ثم التحق بعد ذلك بحلقة العلاّمة الشيخ جعفر البرزنجي مفتي الشافعية في مدينة خير البرية ودرس عليه الفقه الشافعي، ثم درس علىٰ يد الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي بعض العلوم الدينية، وأخذ كذلك رواية الحديث علىٰ يد العلاّمة الشيخ فالح الظاهري، كما درس كذلك علىٰ يد العلامة الشيخ علي بن ظاهر الوتري، وفي الحقيقة كان الشيخ الكردي ذلك الطالب المجتهد الذي يستمع إلىٰ الدروس من شيوخه ولا يهدأ له بال حتىٰ يفهم جميع ما حدثوه به، فيناقشهم حتىٰ يصل إلىٰ مراده، وكان لا يدرس علىٰ شيخ إلا ويأخذ إجازته، وعندما علموا بمكانته أمروه بالجلوس والتدريس في المسجد النبوي الشريف ليفيد الطالبين.

دروسه بالمسجد النبوي

لقد تصدر الشيخ عمر كردي للتدريس في المسجد النبوي الشريف وهو ابن العشرين من العمر، فعقد للعلم وأهله سوقًا فريدة يأتي فيها بكل نفيس، فالتف طلاب العلم حوله لما لمسوا فيه من الحكمة والبراعة، فقد كان الشيخ الكردي عالمًا متضلعًا ماهرًا بارعًا بحق في جميع العلوم والمعارف وهبه الله تعالىٰ الذكاء والنباهة، وهذا مما يستنتجه القارئ لسيرته الطيبة.

الكردي قاضي المدينة[1]

ولقد كان القضاء في العهد الهاشمي سجالًا بينه وبين العالم الحنفي التقي الشيخ أحمد كماخي، ولم تكن المنافسة بينهما لتحمل أحدهما علىٰ أن يحقد علىٰ الآخر،

(١) قضاة المدينة ١/ ٧٨ ترجمة ١٩.

أو يوغر صدره عليه، بل كانا صديقين وظلاً كذلك إلىٰ أن رحلا إلىٰ بارئهما، وكانت ترتفع أسهم الشيخ الكردي بوثاقة صلته وشرف انتسابه الخاص للملك حسين رحمه الله، كما يقوىٰ مركز الشيخ الكماخي بنسبته لأمير المدينة الشريف علي بن الحسين، وإنه لخيط دقيق ناعم يزحم الموقف بينهما وبين ولاتهما زحمًا عجيبًا، وإنها لمنافسة شريفة لطيفة علىٰ هذا المركز بين الشيخين، يعزل هذا ويولي ذاك في لمح البصر، وناهيك بما يوجده هذا الصراع من عنعنات وعصبيات بين مؤيدين وناقمين لا يعدو تنافس العلماء بلا خصومة ولا أذىٰ.

ومن تلك المواقف ذلك الموقف الذي قويت فيه شوكة الشيخ الكماخي بالشريف علي حين عزل الشيخ عمر كردي من قضاء المدينة وولي الشيخ الكماخي، وفي نفس الوقت عزل الشيخ عبد الحفيظ كردي من قضاء المستعجلة وولي مكانه الشيخ محمود عبد الجواد، كما عزل الشيخ صالح كردي الشقيق الأصغر له من رئاسة ديوان الإمارة حيث وضع معاونه الشيخ إسماعيل حفظي رحمه الله، ثلاثة أوامر عزل في يوم واحد عن ثلاثة مراكز دقيقة لأشقة ثلاثة، وهذه هي طوالع الملوك كما يقولون، أمر عجيب جعل أهل المدينة في حيرة من أمرهم، ويأتي هنا صولجان الشعر ومجد الأدب الذي انفرد به الشيخ عمر كردي عن منافسة الكماخي، فالكردي فقيه شاعر، والكماخي فقيه عالم، نعم من هنا تأتي الفرصة للكردي، فيطلب الملك حسين الشيخ الكردي إلىٰ الطائف ويتأهب الشيخ عمر للغزو وقنص الفرصة، فيعد قصيدة من النوع الذي يستهوي ذوق الملك ويداعب خياله العريض في الخلافة الإسلامية، ويلامس أوتار قلبه فيطلع إليه ويخرج عليه بتلك القصيدة التي يقول في مطلعها:

هي الدنيا قد اتسعت ولكن … لشاوك تسع أزهارها اتساعًا

فتلعب النشوة برأس الملك، نشوة المُلك السلطان، فيغيب الملك ثم يحضر وبيده «درج» من «الأنفوري» الممتاز ويقول: هيا يامولانا «سوي» جبة، ويلقبه بقاضي المدينة بكل بساطة وسهولة ثم يقول له: «هيا وكل من تشاء حتىٰ تصل» وهنا يشحذ الشيخ سنانه ويرجو توكيل أخيه الشيخ عبد الحفيظ في تسلم المحكمة من الشيخ الكماخي، كما يرجو تبديل رئيس الكتاب محمد رشيدي لأنه كان من غير أنصاره،

ورئيس الكُتّاب في ذلك الحين صاحب شأن، ويرشح الشيخ محمود أحمد الفيض أبادي رئيسًا للكُتّاب وكانت هذه الحادثة نهاية ذلك التنافس الشريف حول خدمة هذا البلد الطاهر.

الكردي خطيب المدينة

لقد اطلعت بنفسي علىٰ دفتر الأئمة والخطباء ورأيت أسماء الذين تصدروا للإمامة والخطابة في المسجد النبوي الشريف وكان منها اسم الشيخ عمر كردي وأنه من الخطباء الرئيسيين الذين استمروا زمنًا طويلًا فيه من غير انقطاع.

يقول الأستاذ ضياء الدين رجب عنه وعن مواقفه الخطابية علىٰ منبر رسول الله ﷺ: «إنه كان خطيبًا مفوهًا كانت تدوي بنبراته جوانب المسجد النبوي العظيم في أسلوب رائع من الأساليب الحاملة لراية التجديد في عصره، ذلك الأسلوب النقاد البحاث الموجه توجيهًا تتدرج به المناسبات ويتدرج بها نصحًا وإرشادًا صريحين نصوحين، لأنه يرىٰ في الخطابة أداة من أدوات الإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي ولم يكن خطيبًا تقليديًا، ولم تكن الخطابة عنده وظيفة وراثية شريفة فحسب، ولكنه من الأئمة والخطباء المعدودين في المدينة المنورة» انتهىٰ.

فقد شهدت المدينة له مواقف اشترك فيها مع كبار الخطباء الوافدين إلىٰ المدينة المنورة في كثير من المناسبات ونشر الكثير منها في جريدة «القبلة» ولا ننسىٰ مجلسه الشهير الذي كان رمزًا من رموز الأدب ومعْلَمًا من معالم التراث، وهو المجلس الذي كان هو منارته الشامخة، حيث يتألق بصفوة المدينة وخيرة رجالاتها، وكان يتحدث فيه حديثًا مستفيضًا فيه أطراف من الحكمة وطرائف من الأدب، ولا شك أن يأتي بأسلوبه المشتمل علىٰ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر الجميلة والحكم المأثورة والأساليب البلاغية بجانب القصص والحكايات؛ ويناقش في ذلك المجلس أحوال البلاد ويتفقد فيه شؤون المدينة وشؤون أهلها، وهو حديث مما لا شك فيه الأدب الرفيع حليته، والخلق الأصيل زينته والمحبة أساسه.

وكان يكرم من يأتي مجلسه ويعنىٰ به، فيقف للداخل إلىٰ مجلسه وقوف التكريم

والحب وهذه صفات الكرام والأفاضل.

ويحضر مجلسه كثيرٌ من الأدباء والعلماء منهم:

- الشيخ عبد الحق بن رفاقت علي.
- الشيخ إبراهيم الأسكوبي.
- الشيخ محمد العمري.
- الشيخ أحمد البرزنجي.
- الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي.
- الشيخ إبراهيم بري.

وغيرهم من الصفوة الخيرة.

الكردي شاعر الأصالة والصدق

يعد الشيخ الكردي شاعرًا مبدعًا وفي مقدمة الشعراء المدنيين أو الحجازيين، فلعله مارس نظم الشعر هواية أو حب في سن مبكرة وهذه هي عبقرية الرجال تظهر في بواكير العمر، فقد كان بين أبناء جيله فارسًا من فرسان المجد والأدب فأنتج من القصائد ما يستحق الثناء، فاطلع علىٰ روائع كتب الشعر والأدب قديمها وحديثها، ودانت له مفردات اللغة حتىٰ أصبح شاعرًا مرموقًا يحتل مكانه بين شعراء المدينة وكبار شعراء الحجاز، وأكاد أجزم في العالم الإسلامي كله، وقد لقب بشاعر الشريف حسين فالقليل الذي حصلت عليه في بحثي يدل علىٰ أصالة وصدق جمعت بين جزالة اللفظ وسهولة المعنىٰ.

وأود قبل كل شيء أن أذكر أن ما استطعت الحصول عليه من شعر الشيخ الكردي رَحِمَهُ اللهُ لا يدل دلالة كاملة علىٰ شاعريته ولكنه يعطي القارئ صورة عن هذه الشاعرية التي لا تطفئ القلة ولا تبل الصدأ ولكنها في كل الأحوال خير من لا شيء.

والذي سأنشره وجدته في بطون الكتب والتي نشرها بعض الذين عاصروه.

وأعود وأكرر القول إن الذي سأورده لا يدل الدلالة الكاملة علىٰ شاعريته فإني أعلم أن له من القصائد الجياد الكثير الذي هو أقدر بالتقويم والذي يصول ويجول فيه

الشيخ عمر ويطارح الشعراء ويطارحونه من معاصريه كالبرادة والعثماني والأسكوبي والداغستاني والعشقي والرصافي والزهاوي والشبيي وغيرهم من شعراء زمانه، ويدس فيه نشيده ونشيجه وهيمنات نفسه من غزل وشعر مناسبات.

وبعد، فهذه النماذج ولا أقول المختارات التي استطعت الحصول عليها من شعر شاعر الأصالة والصدق الشيخ عمر كردي.

وهذه القصيدة في ولادة سيد الخلق ﷺ قال الشيخ عمر ونظمها في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٠هـ:

ولادةُ خير الخلقِ، ليلتها الغَرَّا ... هي العيد للإسلام، فاهنأ بها دهرا
وجدد بها في كل عامٍ مظاهرًا ... تعين علىٰ التاريخ من شرفٍ ذكرًا
وحي ربوع الدينِ فيها، وأحيها ... بِسَرْدِكَ أسمىٰ سيرةٍ حازت الفخرا
وهم واجتلِ من نورها نير الهدىٰ ... يلوح علىٰ الآفاق بالسنة الغرَّا
ونضَّد علىٰ الأجياد منها قلائدا ... تحلت بوصف المصطفىٰ فعلت فخرا
أيا ليلة الميلادِ عادَ بِكِ الهَنا ... علىٰ أمة الإسلام تُهدي لنا البشرىٰ
ووافىٰ ربيعُ جمالك زاهيًا ... بأبهج نورٍ فاق في حسنه الزهرا
يصور فيك الفكر أشرف مولدٍ ... لأشرف مولودٍ يفوق الورىٰ طرًّا
محمد أسمىٰ الرسل من جاء رحمه ... إلىٰ الناس حتىٰ عمّم الفضل والبِرا
محمد هذا شافع الخلق في غدٍ ... محمدٌ هذا من محا الشرك والكفرا
محمد سامي المعجزات ومن به ... من المسجد الأقصىٰ المهيمن قد أسرىٰ
ونال من القرب الذي لن يناله ... سواه عطاءً، بها أوجب الحمد والشكرا
فحقٌّ علىٰ الإسلام يبدي ابتهاجه ... بليلة ميلاد الشفيع أبي الزهرا
أيا أمة قد أصبحت خير أمة ... بطه المرجىٰ، فاذكري فضله الدهرا
به خصك المولىٰ عن الغير فاسعدي ... وفيه انهضي بالدين والشرف الأحرىٰ

فبشرىٰ لمن قد ناله حسن هدية ... وفاز به دنيا، وعز به أخرىٰ
وأحرز بالتوفيق إحياء سنةٍ ... ينال بها منه الشفاعة والبشرىٰ
وأسعده المولىٰ فزار مسلمًا ... وفاز بردٍ من سلامٍ قدرا
وحاز علىٰ سامي الجوار، محافظًا ... لحسن أتباع فيه يغتنم الأجرا

❀ ❀ ❀

إلهي بمن أرسلته منك رحمة ... لنا كفِّر الآثام وامحُ به الوزرا
وجدد لهذا الدين تالد مجده ... وأعلِ له شأوًا يبيد العدا قهرا
وأصلح شؤون المسلمين مهيئًا ... لهم سبلًا يغدو العسير بها يسرا
وباللطف فاجمع ما تفرق منهم ... لدائرة الإرشاد، واحكم به الأمرا
وأيد ولاة الأمر واقرن فعالهم ... بحسن نجاحٍ يحفظ البر والبحرا

* وله قصيدة طويلة في ختم القرآن الكريم:

هو الذكر فاسعد في تلاوته الدهرا ... وفي روضة المختار فاغنم به الأجرا
تفتح أبواب الرِّضىٰ بافتتاحه ... وفي ختمه ترىٰ المراحم والبشرىٰ
تجلىٰ به المولىٰ لأفضل مرسل ... وأودعه ما شاء مما به أحرىٰ
وأعيا به بعد التحدي معارضًا ... وأبقاه طول الدهر معجزة كبرىٰ
وحفظًا له اختار القلوب مصاحفا ... ويسره حفظًا به شرح الصدرا
حوىٰ جمل الإعجاز من كل مفزع ... لطيف به الألباب لا برحت حيرىٰ
ترىٰ كل عصر بالبلاغة طافحًا ... فما استطاع يقفوا من أساليبه الصدرا
كتاب به الرحمن خصّ نبيه ... وأعطاه فيه ما يكون لنا ذخرا
محاشاه يرضىٰ يدخل النار واحد ... وأن لا به يجتاز موقفه الوعرا
لسنته الزهراء أوضح سنة ... وهذا كتاب الله ما بيننا يقرا

هنيئًا لتاليه هنيئًا لسامع ... بنيل ثواب لم يزل يانعًا نضرا
ولا سيما في روضة بين منبر ... وحجرة خير المرسلين أبي الزهرا
ولا سيما في شهر صوم بفضله ... أتانا صريح النصّ أعظم به شهرا
فبشرىٰ لمن وفاه صومًا علىٰ التقىٰ ... وقام به حقًّا وأوسعه بِراَ
وأحيا لياليه الإحياء سنة ... بسامي هداها نغنم الفوز في الأخرىٰ
أيا جيرة المختار إن لشهركم ... رحيلًا به يطوي المراحل والمسرىٰ
وما هو إلا الضيف يذكر ما رأىٰ ... ويا نعم قوم عنهم طابت الذكرىٰ
وفازوا بليلات بقين لعهده ... وما فات منه أدركوا عندها الأجرا
ولاذوا بجاه لا يرد، وإنه ... لأعظم جاه عند من يجبر الكسرا
هو المصطفىٰ هذا المشفع في غد ... محمد خير الرسل أعظمهم قدرا

❊ ❊ ❊

إلهي وإن كنا أسأنا فإننا ... عبيد وأنت الرب فاقبل لنا العذرا
فكل قصور جنب عفوك لم يكن ... بشئ يسمىٰ، أو نروم له ذكرا
ففك أسارىٰ بالذنوب تكبلت ... وعنها أزل بالعفو ما أثقل الظهرا
علىٰ وجل تبكي بباب مشفع ... تودع شهر الصوم خاضعة ذُعرا
فتفضلك ملجاها وطه شفيعها ... فأعتق لها الأعناق، وأطلق لها أسرىٰ
ويا برُّ فاقبل من عبيد صيامهم ... كذلك صلاةً رتلوا طيها الذكرىٰ
ومُنَّ كما وفقتنا لختامه ... بحسن قبول نستمد به اليُسرىٰ
وأرسل علىٰ أعداء دينك عاصف ... يدمرها برًا وينسفها بحرًا
وأشعل عليهم نار بطشك وابقها ... تهب عليهم كلما استعرت شرًا
وما بينهم هذا الخلاف فهب لنا ... به الفوز واجعل في عواقبه الخيرا

و«سلطاننا سامي الرشاد محمد» أدمه عظيم الملك واقرن به النصرا
وأبق لنا شيخًا علىٰ حرم التقىٰ «سعيدًا» به عمق سواه به أحرىٰ
كذا حسن الأفعال أسمىٰ محافظ لواء معاليه حوىٰ العز والفخرا
وعلّ شؤون المسلمين وضمهم لحسن وفاق يحسم الشرَّ والضيرا
ووفق رجال الحل والعقد للذي يعود بعز الدين والسنة الغرا
وعم جميع الحاضرين برحمة تديم عليهم من مواهبك السترا
وأجز رسول الله عنا وأعطه وسيلته في كل منقبة كبرىٰ
بأزكىٰ صلاةٍ مع سلام شذاهما تضوع مسكًا طاب في طيبة نشرًا
وآل وأصحاب في رضاك وحبه لقد بذلوا الأرواح واجتهدوا طرًا
مدىٰ الدهر ما يتلو كتابك قائل هو الذكر فاسعد في تلاوته الدهرا

* * *

* وله بعض القصائد والتشطيرات نستعرض منها: قال مضمنًا لبيتي الفاضل المرحوم الشيخ عمر أفندي الكردي سنة ١٣٢٦هـ:

طوق الدجىٰ قد تفشىٰ الصبح في فلق أم بدر تم بدا في ظلمة الغسق
إني لدرّاك مغنىٰ حسن طلعته كُفّوا فقد لاح لي في المنظر الأنق
لا تحسبوا ما تبدىٰ فوق عارضه عذاره إن كسا بعضًا من الشفق
بل إنما أعين العشاق حين رنت كتبن في خده سطرًا من الحدق

وقال بالشام سنة ١٣٣٧هـ مشطرًا أحد أبيات شعراء المدينة.

دنوت وقد أبدىٰ منه الكرىٰ ما أبدىٰ فبددت سجف الليل أقتطف الوردا
وقد ضمني عند الصباح معانقًا فقبلته في الحذ تسعين أو إحدىٰ
وأبصرت في خديه نارًا وخضرة وتفاحة أخطأ في عضها العدا

وريحان روض بالعقيق قد انتشىٰ   فما أملح المرعىٰ وما أعذب الوِردا
تلهب ماء الخد أو سال جمره   هي الراح إلا أنها مزجت شهدا

- وفي سنة **١٣٣٩**هـ قال مشطرًا لأحدهم:

في صدرها كوكبًا در كأنهما   حقان من فضة بالمسك
والخال ينبيك أن الوجنتين هما   ركنان لم يدنسا من لمس
صانتهما بستور من غدائرها   عن كف ملتمس أو ثغر
حتىٰ استحلا دم العشاق واعتصما   فالناس في الحل، والركنان في الحرم

خروجه من الحجاز

وفي عام **١٣٤٤**هـ وحينما حضر الملك عبد العزيز طيب الله ثراه إلىٰ المدينة المنورة قابله الشيخ الكردي هو وأعيان المدينة وطلب منه السماح بالخروج من الحجاز فأذن له الملك عبد العزيز بذلك.

وكان ذلك لولائه وحسن وفائه لولاته الهاشميين فقد نزح حيث نزحوا وفارق الوطن، لا كرهًا في الولاة القادمين، ولكنه تشبث بعاطفة الود للسالفين وتلك هي الخلال التي يكبرها الملك الراحل عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في الأوفياء فيحرص عليهم لأن من حَرِص علىٰ صديقه ووليِّه فهو حري بأن يحرص تاليه، وتلك سجية الكبراء وعقيدة العظماء ومبدأ الشرفاء، وقد عبر عن هذا المبدأ العريق في بيتين يقول فيهما:

أراني أسوس الخل لا عن مؤمل   ولكني أحمي حماه عن الأذىٰ
فإن شاع عنه الغدر أصبح كسبه   وأصبح كسبي في البرية «حبذا»

فنزح الشيخ عمر إلىٰ العراق ومكث بها حتىٰ أدركته المنية هناك، وله هناك مواقف عديدة لا نعلم هل هي محفوظة أم لا.

ديوانه وآثاره

كلما أردت أن أكتب عن عَلم من أعلام المدينة المنورة وتعرضت لسيرته وجئت لأستعرض شيئًا من شعره أجد صدمة قوية لعدم توفر شعره أو ديوانه وهذا ما حدث لي مع الشيخ الكردي، وإني أعلم أن للشيخ الكردي ديوان شعر كبير يقدر له إن طبع أن يقع في ثلاث مجلدات وقد أخبرني بذلك العم محسن كردي حفظه الله ابن أخي الشيخ عمر كردي المترجم له وقال: إن الديوان كان موجودًا، ولكن الشيخ ضياء الدين رجب ﵀ وهو ابن أخت الشيخ عمر طلب الديوان منه، وقال إنه سوف يطبعه، وقد مضىٰ علىٰ هذا الحديث مدة طويلة وانتقل الشيخ ضياء الدين إلىٰ رحمة الله والديوان لم يطبع، والخلاصة من هذا الحديث أننا نتمنىٰ أن يكون الديوان رهن قماطرة مخطوطًا ضمن آثار الشيخ رجب أو أنه ﵀ أعطاه لأحد أحفاد صاحبه الكردي، ولا يكون قد فقد فهنا نقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وليس الأمر مقتصرًا علىٰ هذا الديوان وحسب فإن ثمة آثارًا للشيخ عمر من كتب وخطب -أيضًا- تنتظر من يخرجها من عالم المخطوطات أو مجلة القبلة والتي نشر بها الكثير من ذلك لتظهر إلىٰ النور ليفيد منها الجيل ويعرف بها أصالة ماضيه ويعزز مكانته في نفسه ويبنىٰ عليها جديده.

وفاة الكردي

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعطاء والمفعمة بالأعمال الجليلة النافعة انتقل عالِم المدينة وشاعرها وقاضيها الشيخ عمر كردي الكوراني إلىٰ رحمة الله تعالىٰ وكانت وفاته في بغداد بعيدًا عن أهله وذويه وعارفي فضله، وعن مدينته ومسقط رأسه، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة **١٣٥١** من الهجرة النبوية الشريفة، رحم الله الشيخ عمر وغفر له فلقد كان من أعلام القضاء والشعراء ليس في المدينة والحجاز فحسب وإنما في بلاد العرب جميعًا.



الشيخ فالح الظاهري[١]

هو محمد فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري المهنوي.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في واسط من نواحي المدينة المنورة في السابع من رجب الفرد الحرام عام **١٢٥٨**هـ، وأصل المترجم له من عرب الظواهر إحدىٰ قبائل الحجاز، وقد اطلعت علىٰ مخطوطة ترفع نسبهم إلىٰ سيدنا الحسين بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والله أعلم.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] قمحي اللون، مدور الوجه، خفيف اللحية، أشهل العينين، مربوع القامة إلىٰ القصر أقرب، له وجه تظهر عليه السمات العربية.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسع الإدراك، مشتغلًا بالعلم، طيب النفس، كبير الهمة، متواضعًا لله، فيه زهد عن الدنيا، محبًا لطلاب العلم، كثير العبادة، ملازمًا للجماعة وتلاوة القرآن، لا يمنع سائلًا، كثير الرحلات، حلو الحديث، أسانيده عالية، بلغ صيته الآفاق.

---

(١) الأعلام (٦/ ٣٢٦)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٤٦، ١١/ ١١٤-١١٥)، وفهرس الفهارس (٢/ ٨٩٥-٨٩٨) ومعجم المطبوعات (ص: ١٤٣٣)، والدر الفريد (ص: ١١٤)، وبرقة العربية (ص: ١٥٠)، وتحفة الإخوان (ص: ٣٥)، ورياض الجنة (٢/ ١٣١-١٣٤)، وفهرس التيمورية (٣/ ٢٢٤)، والتكملة (٢/ ٨١٥)، فيض الملك ٢/ ١٢٨٦ ترجمة ١٠٧٧.

(٢) نقلا عن مقالة الأستاذ محمد سعيد دفتردار بجريدة المدينة.

نشأته ودخوله المدينة

كان والد الشيخ الظاهري يتعاطىٰ مهنة «الفلتية» وهي معاملة الواردين من البادية إلىٰ المدينة، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يسكن في حوش مناع وكان علىٰ جانب من الصلاح والتقوىٰ، وكان حريصًا علىٰ تعليم ابنه، فعندما بلغ الشيخ فالح سن التعليم أرسله والده إلىٰ زاوية السنوسي برابغ، وهناك حفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ العلوم، وهذا يدل علىٰ أن بادية الشيخ قريبة من مدينة رابغ، وفي **٢٥** ذي القعدة سنة **١٢٦٨**هـ[1] انتقل إلىٰ المدينة المنورة وشد علىٰ ساعده، فأخذ العلوم عن كبار علماء المسجد النبوي الشريف، وفي المدينة المنورة التقىٰ بأستاذه العلاّمة العارف بالله الإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي نزيل واجه جفنوني وكان حينئذ قد استظهر بعض المنظومات في العلوم، ومن ذلك الوقت لازمه حضرًا وسفرًا سبع سنوات وحج معه ثلاث مرات وأخذ عنه رواية ودراية وسمع عليه الكثير كالموطأ والكتب الستة ونصف سنن ابن ماجه وسمع عليه الحديث المسلسل بالأولية والعيد وقراءة سورة الصف والضيافة علىٰ الأسودين وتلقىٰ منه الأوراد وألبسه المخرق وصافحه وشابكه ولقنه، قال المترجم له: قال لنا الشيخ في أواخر أمرنا معه:

أجـزتـكـم مـرويـنـا كـلـه ومـا سـيـؤثـر عـنـا راجـيًـا لـدعـائـي

وممن درس علىٰ يديه وأخذ عنه مدة طويلة المعمر أبا موسىٰ عمر الياصلي، ودرس الشعر علىٰ يد الشيخ أبي الحلم عبد الرحيم بن أحمد الزموري البرقي، وأخذ عن الشيخ حمد الظاهر الفاتي، وفي عام **١٢٦٩**هـ التقىٰ بأبي الحسن علي الحسن بن عبد الحق القوصي وأجاز إجازة عامة، ومن شيوخه في المدينة المنورة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي صاحب اليانع الجني، ومن شيوخه السيد عبد الرحمن الأهدل اليمني وأجازه إجازة عامة.

وقد رحل الشيخ الظاهري إلىٰ بلاد شتىٰ ودخل مصر مرارًا أولها سنة **١٢٧١**هـ وآخرها سنة **١٣١٣**هـ وهناك درس علىٰ يد علماء الأزهر، فمن شيوخه هناك: الشيخ

(١) حسن الوفا لإخوان الصفا، ثبت الشيخ الظاهري ص (٨٣).

عليش والشيخ العدوي، ومسند دمياط الشيخ الشمس محمد الشريف بن عوض الدمياطي.

لقد درس الشيخ الظاهري علىٰ يد علماء أعلام فنال من العلوم القسط الوفير، وأخذ الإجازات الضخام، فأصبح إمامًا شهيرًا حافظًا كبيرًا، ومشاركًا في كثير من العلوم، متبحرًا في علم الحديث وفقه معاني الآثار، عاملًا بالحديث قولًا واعتقادًا، ريانًا من العلوم الأدبية واللغوية، صوفيًا حسن الاعتقاد، فبذلك أصبح عالم المدينة ومحدثها ومسندها، وبقية ذوي الإسناد العالي فيها.

دروسه بالأستانة وعودته إلى المدينة

وفي عهد السلطان العثماني عبد الحميد رَحِمَهُ اللَّهُ، دخل الشيخ الظاهري الأستانة سنة **١٣٠٩**هـ وعين بأمر من السلطان مدرسًا بالقصر السلطاني لقراءة الحديث الشريف، ولكنه ضاق من حياة القصور وما فيها من ترف ونعيم وهذا يخالف ما ألفه الشيخ من حياة الانطلاق والحرية التي ربي عليها في بادية الحجاز، فما زال يتوسط لدىٰ شيخ الإسلام والسيد أحمد أسعد حتىٰ أعفي من التدريس هناك، وعاد إلىٰ المدينة يحمل مرسومًا «فرمان» بتدريس علوم الحديث في المسجد النبوي الشريف وخصص له السلطان جزاه الله خيرًا مرتبًا يصل إليه، كما أمر له بمقدار من الحنطة يصرف له سنويًا من الخيرات التي تعم البلاد.

دخوله المدينة

وعندما وصل الشيخ فالح إلىٰ المدينة أوائل عام **١٣١٤**هـ أقام له الشيخ عبد الجليل برادة[1] حفلًا كريمًا ودعا إليه بعض علماء المدينة وأعيانها وهنأ بسلامة الوصول بهذه القطعة الشعرية الجميلة:

يوم لطيبة من أيام ماضيها ... لما حدا بورود البشر حاديها

قد فوه السعد والإقبال مرتجلًا قدوم ... بعودة العالم النحرير تنويها

---

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

يُمْنٍ علىٰ دار الرسول بدا ... بفالح الظاهري الفذ يرضيها
وروضة المصطفىٰ طابت وما برحت ... تضوع من نفحات العلم زاكيها
راو الحديث أبو اليسر الذي نضحت ... أقلامه بحديث المصطفىٰ فيها
تباشرت حلقات العلم مذ علمت ... بمقدم الشيخ قاصيها ودانيها
لم تلهه متع الدنيا وسؤددها ... عن واجبات لوجه الله يعطيها
أبىٰ علىٰ نفسه النعماء ضافية ... يجدها في قصور الملك حاويها
وطيب العيش لا يحلو لذي ولع ... فالعلم خير من الدنيا وما فيها
لا سيما مأرز الإيمان إن لها ... في كل نفس جمالًا في مغانيها

❁ ❁ ❁

أهلا بمقدومك الميمون طالعه ... قد طالعتنا بك الآمال دانيها
نزلت كالغيث لما انهل وابله ... علىٰ المدينة حتىٰ سال واديها
إليك طلاب علم الشرع قد ظمئوا ... قم يا مهنا بسجل العلم ساقيها
وامنح نوادينا ما شئت من ملح ... من القريض فأنت اليوم راويها
ذكراك كانت حديث الناس مذ قدمو ... أيامك الغر لا غابت معانيها
والحمد لله حمدًا لا كفاء له ... زلت في حلل النعمىٰ وضافيها

فأجابه الشيخ فالح ارتجالًا بما يأتي:

ماذا أقول ورب القول شاديها ... ضيافة جمعت أرواح شاديها
ملكت كل معاني الشعر مانحبست ... عني موارده من ذا بدانيها
عبد الجليل وهذا الفضل مجتمع ... بردتيك إذا ما شئت تسديها
الشعر فاعتاضت قوافيه ... وقد أطاعك وفق القول عاصيها
فلست أزعم أني شاعر أبدًا ... لكن شعري بنعمىٰ لآنت موليها

مكارم منك لا أستطيع أنكرها وقد تقصيت عذري من تساميها
شعري سلكت به نهجًا يحتمني فوق الذي حاولت نفس مراميها
فاصفح إذا كان قولي دون مكرمة من مكرم بك لو أني أدانيها
وليصفح الجمع عني حين أشكرهم ومن عذري أن جفت مراعيها
لازال للفضل أهلًا أنت مالكه تتيه في حلل النعمىٰ وضافيها
وندوة أنت بالتبيان شاعرها يأوي إليها من السادات عاليها
حبي لطيبة حب ليس يعدله حب القصور ولا الدنيا وما فيها
فلست أبغي بها دار السعادة إذ كل السعادة في أكناف واديها
هذا اعترافي بما أوليتني مننًا يضيق طريق بياني عن معانيها

دروسه بالمسجد النبوي:

وعندما استقر الشيخ الظاهري بالمدينة المنورة هرع إليه طلاب العلم والتفوا حوله وآثروه علىٰ غيره لأن علمه وصيته قد بلغ الآفاق، فدرس بالمسجد النبوي الشريف، وكانت حلقته من أكبر الحلقات فيه يقصدها كبار طلاب العلم وصغارهم، ولا يمكن حصر عدد تلاميذه فقد كان طلاب العلم يأتونه من مشارق الأرض ومغاربها لأنه كان صاحب السند العالي في ذلك الوقت فهو مسند المدينة ومحدثها الفرد؛ فتلاميذه كثر تلقو عنه الحديث رواية ودراية نذكر منهم الشيخ إبراهيم بري[١] والشيخ أحمد مرشد والشيخ زين بري والشيخ أحمد بساطي[٢] والشيخ زكي برزنجي[٣] والشيخ محمد العمري والشيخ حسن الدفتردار والشيخ أحمد كايد والشيخ عبد الحي أبو خضير والشيخ عمر بري[٤] والشيخ عمر حمدان[٥] والشيخ خليفة بن حمد النبهاني والشيخ

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.
(٢) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.
(٣) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.
(٤) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.
(٥) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

محمد عبد الباقي الأيوبي اللكنوي[١] والشيخ عبد القادر الشلبي[٢] والشيخ عباس رضوان والشيخ عبد الحفيظ الفاسي وغيرهم.

مؤلفات الشيخ الظاهري

* حواش علىٰ صحيح البخاري وموطأ مالك في عدة أسفار.
* منظومة في مصطلح الحديث وشرحها.
* أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي، طبع سنة **١٣٣١**هـ بالمطبعة الحسينية بمصر في **٥٨٢** صفحة.
* صحائف العامل بالشرع الكامل، مطبوع بمصر أيضًا، في **٤٢** صحيفة.
* شيم البارق من ديم المهارق.
* حسن الوفا لإخوان الصفا. مطبوع
* ديوان شعر.
* تعليقات علىٰ المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. مطبوع.

وفاة الشيخ فالح الظاهري

وبعد حياة مليئة بالجهاد في سبيل خدمة الدين والعلم أذنت روح الشيخ فالح الظاهري بالرحيل، إلىٰ بارئها عن عمر يناهز السبعين عامًا قضاها في التدريس وبث العلم، وكانت وفاته في الثامن من شوال سنة **١٣٢٨**هـ ودفن في بقيع الغرقد.

رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين.

---

(١) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.

(٢) انظر ترجمته في صفحات كتابنا.



كامل بن محمد المهدي المغربي(١)

سيدي كامل

هو كامل بن محمد المهدي المغربي، وقيل محمد الكامل، صوفي مدني شهير، احد صلحاء المدينة في القرن الرابع عشر، لم يعرفه الناس الا بسيدي كامل وهي شهرته.

حديث عن المدينة والتصوف فيها

لم انسىٰ منذ طفولتي حديث الذكريات عن المدينة القديمة داخل السور وخارجها واهلها حديثًا حفظته في ذاكرتي الىٰ اليوم كالضباب من معمرين قد ادركتهم وقد رحلوا عنا اليوم وهم بأذن الله في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، واكثر ما اتذكره حديث جدتي لإمي الجدة ملكة بنت حمزه متروك بنت المدينة السيدة الكبارة بمحرمتها ومدورتها وزيها المدني المتكامل والذي اراه أمامي راي العين، وقد اشتقت له مع دخول الامركه الغربية حتىٰ علىٰ ملابسنا، فضلا عن ضياع طباعنا ولغتنا ومصطلاحاتنا، فسبحان الله اين صرنا وكيف كنا، ففي حديث الجدة تتعرف علىٰ

(١) علي محمد الحسون: مقال بجريدة البلاد بتاريخ الأحد ٧/٨/ ٢٠١١م، رواية المؤرخ المعمر عبد الله فرج الزامل، رواية شيخنا الشريف حسين بن عبد الإله الحياري أحد شيوخ أشراف الحجاز، رواية المؤرخ أحمد مرشد.

المدينة المنورة واهلها واحواشها وازقتها ومنه تعرف البيت المدني، ففي الحديث العامي والذي يروىٰ عن طريق القصه وليس ضمن منهج دراسي معقد، تجد فيه المنفعة والبساطه، حديث خلا من التكلف في العبارات والاصطلاحات المعقدة، ولكنه كان مليئا بالخلق والحكمة والموعظة الحسنة. احاديث وذكريات ملتقطه من افواه بركتنا الذين رحلوا عنا حديث اراه في ساعة الضحىٰ من كل يوم في مجلس رجال المدينة واسواقها، والحديث نفسه تجده في بيوتات المدينة بين نساءها يجمعهم الافطار والشاهي المديني بنكهاته المتعددة، تجمعهم قلوب خلت من الضغينة حديثًا دافعه معنوي خلا منه الدافع المادي، حديث خلا من الفراغ واكتمل بالادب والحكمة والحنكة، وجلهم قد رحل وحمدت الله علىٰ لقياهم، فابنائنا اليوم لم يحظوا بذلك،

أقول: عرفت في حديثهم الحجاز وتاريخه وقدسيته، فالحرمين الشريفين دار الهجرة للكثير من المسلمين والذين وصلوا الىٰ مكة المكرمة والمدينة المنورة يعلمون ويتعلمون، وصلوا علماء ومهاجرين وطلاب علم وأخذاو ينهلوا من علماء الحرمين الشريفين الذين توارثوا العلم كابرًا عن كابر، فكانت بيوتهم تزج بالقرآن والذكر، علماء وخطباء ومؤذنين وأولياء وصلحاء وحرفين وعامة الناس، اناسًا لم يعرفوا الا حب المدينة ولم يشتغلوا الا بالعبادة وطلب قوت اليوم. ماضي من الذكريات اصبح في صفحات مطوية رحل برحيل اهله وهذه دالت الايام وما زال التاريخ سجلًا علىٰ قرطاس او الذاكرة يروي الذكريات، فمرورًا بالدروس النبوية وحلقاتها والمدارس المدنية وجلواتها والزوايا الصوفية وخلواتها نقف عند تلك الزوايا الصوفية والحجاز بيت قديما للتصوف لاسيما المدينة فقد ارتبط التصوف بأهل الصفة في المسجد النبوي الشريف، ومن الزوايا التي كانت بالمدينة[١] زاوية ابن علوان، وكانت في حارة ذروان، زاوية الدسوقي، كانت في زقاق الطيار، زاوية الرفاعي كانت في زقاق البدور، زاوية السنوسي كانت في العنبرية بالمناخة، ومقرها مسجد الكاتبية الذي ازيل في عام **١٤٣٢**هـ، زاوية السعدية، كانت بالساحة، زاوية السمان، وهي بالدار المقابلة لباب النساء، زاوية سيدي أحمد البدوي وكانت تجاه باب الرحمة، زاوية سيدي

(١) علي بن موسىٰ: رسائل في تاريخ المدينة ص٥٣.

عبد القادرالجيلاني وكانت في سقيفة الأمير، زاوية شيخ المولوية كانت بالساحة، زاوية الشيخ الصاوي وكانت في حارة الأغوات في زقاق المواليد، زاوية القشاشي كانت في زقاق القشاشي بمحلة الطيار،زاوية الشيخ الجنيد في حارة ديار العشرة بالقرب من دار سيدنا أبي ايوب الانصاري، وهناك المعروف مبرك ناقة النبي عليه الصلاة والسلام،وكانت هناك زوايا صغيرة متفرقة حول المسجد النبوي الشريف، وقد ازيلت وهدمت كل هذه الزوايا فلم يبقىٰ سوىٰ ذكراها فالله المستعان.

هذه دهلزة تاريخية استعين بها لأكتب عن رجلًا من رجالات المدينة ومتصوفيها الذي لمع اسمه في القرن الرابع عشر الهجري عرفه الرجال والنساء والصبيان، هذا النوع من الرجال النادرين اليوم، واصبحوا في حديث الذكريات، وقد لا يتقبلهم البعض بعد العولمه، رغم علمي ويقيني بعدم انقطاعهم علىٰ مر الازمان الدراويش علىٰ قول العامة والمجاذيب عند اهل التصوف.

قال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

قال النبي ﷺ[١]: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللَّهِ لأَبَرَّهُ**».

قال البغوي في شرح السنة[٢]: قال معاذ بن جبل: لا يبلغ عبد ذرىٰ الإيمان حتىٰ تكون الضعة أحب إليه من الشرف، وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر، ويكون من أحب ومن أبغض عنده في الحق سواء.

وقال النووي في المنهاج[٣]: الْأَشْعَث: الْمُلَبَّد الشَّعْر الْمُغَبَّر غَيْر مَدْهُون وَلَا مُرَجَّل. وقال أيضًا: مَدْفُوع بِالْأَبْوَابِ: أَيْ لَا قَدْر لَهُ عِنْد النَّاس فَهُمْ يَدْفَعُونَهُ عَنْ أَبْوَابهمْ، وَيَطْرُدُونَهُ عَنْهُمْ اِحْتِقَارًا لَهُ.

قال القاضي عياض[٤]: لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللَّه لَأَبَرَّهُ: أىٰ لفضله، ومنزلته عند الله أنه يجيب رغبته ودعاءه، ولا يخيب أمله وبره لرجائه وعزيمته فىٰ رغبته لربه.

---

(١) مسلم النيسابوري: الصحيح، ٤/ ٤٠٤، حديث٢٦٢٢.

(٢) البغوي: شرح السنة، ٧/ ٣٠٧، حديث٣٩٦٤.

(٣) القاضي عياض: اكمال المعلم، ٨/ ١٠٣.

(٤) النووي المنهاج شرح صحيح مسلم ١٨/ حديث ٧١١٩.

مولده ونسبه

ولد بالمدينة المنورة سنة١٣٠٣هـ بعدما هاجر والده من الجزائر إليها، وأخبرني الثقات أنه شريفُ حسني من ولد الحسن المثنىٰ بن الحسن بن علي عليه السلام، هاجر اجداده الىٰ بلاد المغرب، ثم عاد والده الىٰ الحجاز مجاورا وكان من اهل الادب وله مع اهل المدينة مساجلات وجلسات ادبيه.

حليته

كان طويل القامة، نحيف الجسم، قمحي اللون اطلق لحيته وشاربه علىٰ غير تهذيب، لا يلبس علىٰ راسه عمامه يغطي رأسه بالطاقية، لا يعرفه الناس الا بثيابه الرثة وطول شعره وطول اظافره، وذلك الكوت الذي لطالما لبسه في الصيف والشتاء، وعرف بسرعة خطواته علىٰ غير انتظام فلا يمشي مستقيمًا انما يمشي تارة الىٰ اليمين وتارة الىٰ الشمال، كان صوته جهوريًا، سريع الكلام لاتفهم منه الا ما اراد ان يفهمك هو، لسانه لا يفتر عن قراءة القران وترديد الاوراد.

دراسته

حفظ سيدي كامل القران الكريم، ودرس العلم علىٰ مشايخ ذلك العصر بالمسجد النبوي الشريف والزوايا، فالتحق بحلقة القطب الصوفي الشهير الشيخ احمد الشمس الشنقيطي ودرس عليه تفسير الجلالين، وكان في بداية أمره يعلم الصبيان القران الكريم، ثم درس علوم التصوف في زاوية الدسوقي بزقاق الطيار، فواظب علىٰ القصد في حضور الخلوات واشتد زهده في طلب العلم، ودخل في اطوار التصوف، مالكي المذهب، شاذلي الطريقة، فانقطع للعبادة حتىٰ انجذب، والجذب عند اهل التصوف ان هناك اناس مستورون الحال مجهولون الحقيقه لهم سمتهم الخاص وسلوكهم المعروف وهم المشهورون باسم المجاذيب او الدراويش والناس يختلفون فىٰ امرهم بين مصدق لهم وراض عنهم ومنكر لشأنهم ساخط عليهم، وهؤلاء المجاذيب مقسمون علىٰ احوال ليس امرهم واحد، لهم أطوار منهم من له حالات دائمه كسيدي كامل، ومنهم من حاله متغير له اوقات مختلفه كالمواسم، ومنهم من حاله محدود.

اقول: والأصلح أن ندعهم وشأنهم والا نعترض طريقهم او نعاديهم فهم لا يقترفون اثما ولا يأتون منكرا ولنترك امرهم لله وحده فهو العليم بالظواهر والبواطن

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام[1]: الله خبأ ثلاثه في ثلاثه: رضاه في طاعته وسخطه في معصيته وخبا اولياءه في خلقه.

أقول: فان لله في خلقه شئون فأرض الله لا تخلو من عباده الصالحين فيٰ كل زمان والواجب علىٰ كل مسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم فأن سوء الظن بالناس مما يوجب سوء الخاتمه والعياذ بالله، لقد اصبح الناس يحتقرون وينبذون امثال هؤلاء الرجال، فتواروا عن مجتمعنا وانقطعوا علىٰ انفسهم.

ولعل حلقة كبيرة جدًا مفقودة من حياة سيدي كامل لا يعلمها أحد فالرجل قد أنجذب، ولم يكن سيدي كامل حالة نادرة بالمدينة او العالم بل ان الصالحين والدراويش كانوا موجودين في المدينة المنورة، وهم الىٰ يومنا هذا في كثير من انحاء العالم الا ما خلا من المحتالين الذين التصقوا بهم وشوهوا حقيقة أمرهم.

مشاهير صلحاء المدينة في القرن الرابع عشر

المدينة المنورة كانت ولا تخلو ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهذا سيدي عاكف بباب المجيدي ومواقفه الشهيرة بالمدينة مع اهلها، وهذا السيد حامد بافقيه وكراماته مع اهل المدينة بالساحة والتي يرويها معاصريه، وهذا السيد حامد كاتب وقصصه بحوش الجمال وبباب السلام والمجيدي شهيره، والذي اوقف العقرب بكلمة تمره فقتلها وعرف بالسيد تمره، وسيدي الرشيدي إلىٰ عهدًا قريب ليس ببعيد، وغيرهم ممن كشفت لهم الحجب إلا ان الحظوة والشهرة عند أهل الخطوة كانت لسيدي كامل والذي كان اشهرهم في مواقفه.

حياته وزهده

لقد كان سيدي كامل يسكن في بداية امره في زقاق الطيار ثم انتقل بعد ذلك الىٰ حوش التاجوري، ويصف معاصروه، ان بيته كان خلف مسجد سيدنا عثمان المقام

(١) البصائر والذخائر، ٤/ ١٣٣.

اليوم، فلا تراه الا بالنهار سواحٍ يجول المدينة بين حاراتها واسواقها وازقتها، لا تراه الا في الاماكن الا اكتظ بها الناس يترقب ويتحسس، وكانه جاء متيقنن لحدوث امر، عرف عنه جلوسه علىٰ سور البقيع وسؤال المارة بجادة الطريق فيجيب بجوابهم إلىٰ من في البقيع ملتفتًا إلىٰ القبور، لقد عرف سيدي كامل بزهده وكراماته، فلم يعرف عن هذا الرجل الا الصدق والأمانة ولم يجمع المال يومًا قط فلا يقبل الصدقة ولا الزكاة، ولم يكن موظفًا ولا يُعرف مصدر رزقه والمال الذي في جعبته ليس له فلا تجد مالًا إلا وزعه علىٰ المحتاجين والمساكين ولا يبيت هذا الرجل وفي بيته شي من المال أو الطعام، وقد عرف حبه لكسرات الخبز فكان اذا اكل جزءًا من الخبز اعطىٰ الجزء الاخر لاحد الرجال أو الاطفال وقال له كل بالبركة، ولا يأخذ المال من أي شخص إنما يأخذه من أشخاص دون أشخاص ولا يعطي الخبز لاي شخص كذلك.

شيء من عجائبه

يروي معاصروه من أهل المدينة من رجال ونساء عن أحواله من الغرائب والعجائب، منها: أنه كان يدخل بعض البيوت بدون استئذان أحيانًا في عفوية ظاهرة ويقتل عقرب أو يطرد داب. ومنها أنه ذات مرة طرق أحد الابواب وبإلحاح شديد عندها فتحت سيدة البيت (الشراعة) وهو يقول: أعطني قدر الملوخية، ذهبت السيدة الىٰ زوجها وهي ترتجف قائلة له هذا سيدي كامل يطلب قدر الملوخية، وهو كيف عرف أني قد طبخت ملوخيه، قام الرجل بكل قناعة حاملًا قدر الملوخية وقدمه له: فما كان منه إلا ان سكب القدر بجانب الباب ليفاجأ الرجل بتلك العقرب داخل القدر.

ومن قصصه أن لقيه رجل في أحد الأزقة، قال له: ابرم البرمه، دار الرجل حول نفسه قال له خلاص جاء اذهب ولا يهمك، فوصل الرجل الىٰ بيته فوجد ان زوجته قد وضعت حملها وأنجبت مولودًا.

قصص وقصص وأحداث عن هذا الرجل مما يظن البعض أنها من المبالغة والتكرار والخيال، إلا أن الشواهد الواقعية التي شاهدها ويشهد بها معاصريه هي التي

ايقن منها الناس انه من أهل الله وأحبابه، وانه ولي من الأولياء مكشوف عنه الحجاب وأنه رجل حظىٰ بالبركة.

اقول: لم يختلف أهل المدينة آنذاك علىٰ ولايته وبركته، فلم يزل سيدي كامل لغز لبعض من عاصره، أو من سمع عنه.

ومن أشهر أقوال سيدي كامل: (اذا التصق سور الحرم بالبقيع فانتظروا الساعة).

وفاته

ولم يزل هذا حاله حتىٰ اتىٰ امر الله ليستجيب له فغاب سيدي كامل عن إحياء المدينة وشوارعها وحاراتها وازقتها لم يغيبه المرض ولا السفر بل غيبه الموت، وبموته فقدت المدينة أحد اخر اولياءها الصالحين الظاهرين، فكانت وفاته سنة ١٣٨٤هـ عن عمر يناهز الواحد والثمانين، عن غير عقب فلم يخلف ذريه ولا مال بل خلف سيرة عطره.



الشيخ محمد الأمين الشنقيطي(١)

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد الجكني الشنقيطي المدني، ولد سنة **١٣٢٥**هـ في ماء يسمىٰ (تنبه) من أعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمىٰ شنقيط، وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن، وشنقيط اسم لقرية من أعمال (اطار) في أقصىٰ موريتانيا في الشمال الغربي.

كان الشيخ الشنقيطي ﵀ طويل القامة، معتدل البنية، أسمر اللون، كثّ اللحية، خفيف الشارب، يرتدي العمّة فوق رأسه ويلبس السديرة فوق الثوب.

عُرف عنه الذكاء واللباقة في الحديث مجتهدا في طلب العلم وقورا، فيه هيبة العلماء طيب السمعة، واسع الاطلاع، منطقه حسنٌ في المجادلة الحسنة، وبرع في القرآن الكريم، فأصبح نادرة عصره وفريد دهره.

نشأ الشيخ الشنقيطي يتيما، فقد توفي والده وهو صغير السن، وكان وقتها يحفظ جزء عمّ من القرآن الكريم، وترك له والده ثروة من الحيوان والمال، فكفله أحد أخواله، فأحسن تربيته، وأحسن معاملته، حتىٰ أصبح عالما.

---

(١) علماء مفكرون عرفتهم ١٧١-١٩١، ترجمة الشيخ عطية محمد سالم المطبوعة في ملحق كتاب اضواء البيان الجزء التاسع، الجواهر الحسان ٢/٧٠٣-٧٠٥ ترجمة رقم ٣١٦.

تعليمه في بلاده

حفظ الشيخ الشنقيطي القرآن الكريم في بيت أخواله علىٰ يد خاله عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم الشنقيطي، وكان عمره آنذاك عشر سنوات، فدرس المصحف العثماني (مصحف الأم) ثم جوده علىٰ قراءة نافع برواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق، وقالون من رواية أبي نشيط علىٰ ابن خاله الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المختار وأخذ عنه سندا بذلك إلىٰ النبي ﷺ، وعمره ست عشرة سنة، ثم تعمق في علم القرآن من معرفة رسم المصحف ونوعية كتاباته موصولا أو مفصولا، وما رسم في المد أو بدون وجود حرف المد، ومن المشهور عندهم في هذا رجز (محمد بن بوجه) المشهور المعروف بالبحر، تعرض فيه لكل كلمة جاءت في القرآن الكريم مرة واحدة أو مرتين أو ثلاث مرات أو سبعا وعشرين مرة، أي: من الكلمات المشتبه فيها، وأفرد لكل عدد فصلا وهذا دراسة لا توجد اليوم وهي المهام العلمية لحفظها لرسم القرآن من التغيير والتبديل، وفي تلك الفترة درس الشيخ الشنقيطي بعض المختصرات في فقه مالك كرجز الشيخ (ابن عاشر) وتعمق في المجال الأدبي علىٰ زوجة خاله، والدة ابن خاله المتقدم ذكره، ثم أخذ عنها مبادئ النحو (الأجرومية) ومسائل ودروسا في معرفة أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية المباركة ونظم الغزوات الإسلامية لأحمد البدوي الشنقيطي وهو يزيد علىٰ خمس مائة بيت وشروحها لابن أخت المؤلف المعروف (بحمّاد).

ثم نَظْمٌ بعد ذلك وهو يعد من الأمور الصعبة يتكون الآلاف ثم أخذ بشروحه علىٰ المذكور آنفا، ويتميز هذا علىٰ خصوص العدنانيين، أخذ الشنقيطي يطرق أبواب العلم من كل ناحية فلا يكاد يفوته باب ولا مسألة إلا وسأل عنها، فتفرعت دراسته في علوم القرآن الكريم، والسيرة النبوية المباركة والأدب والتاريخ، وكلها درسها في دار أخواله العامرة الذاخرة، وهذا يوضح أن الشيخ نشأ في أسرة كريمة مجتهدة في العلم فكان أخواله وأبناؤهم وزوجاتهم هم المدرسة الأولىٰ لشيخنا.

ثم بدأ الشيخ بعد ذلك يحتك بعلماء العصر في تلك البلاد، فأول ما أخذ الفقه

المالكي وهو المذهب السائد في البلاد وأخذ منه (مختصر خليل) فدرسه علىٰ الشيخ الفقيه محمد بن صالح إلىٰ قسم العبادات، ثم درس علىٰ نفس الشيخ النصف من (ألفية ابن مالك) ثم أخذ بقية العلوم المتعددة علىٰ علماء مختلفين في تلك البلاد، كلهم من الجكنيين الأفاضل وهم ليسوا بالقليل، درس عليهم ونال منهم الاجازة العلمية، فمن مشايخه:

١- الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن الأفرم.

٢- الشيخ الفاضل أحمد الأفرم بن محمد المختار.

٣- الشيخ العلامة أحمد بن عمر.

٤- الفقيه محمد بن نعمة بن زيدان.

٥- العلامة المتبحر في الفنون أحمد خال بن آده.

وقد أخذ عن هؤلاء العلماء الكثير من العلوم في مقدمتها النحو والصرف والأصول والبلاغة وبعض كتب التفسير والحديث أما المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصل عليها عن طريق الاطلاع في الكتب والمراجع وتعتبر طُرق التعليم في تلك الحقبة صعبة لأهل البوادي فالطلاب يبحثون عن المشايخ في كل مكان، فإذا علموا مكانهم توافدوا عليهم.

ومن الأشياء الجميلة أنه لا يحق للطالب أن يجمع بين فنين في آن واحد، بل يكمل الأول ثم يبدأ بالثاني، ولعل ما أتيح للشيخ الشينقيطي لم يُتح لغيره من أبناء ذلك العصر، فبعد تلقيه العلم الوافر في بيت أخواله أخذ الشيخ الشنقيطي الإجازة من العلماء في بث العلم والعمل علىٰ اعداد الأجيال القادمة، فأذنوا له وهم واثقون كل الثقة بما سيكون للشيخ من صولات وجولات في مجال العلم والتعليم.

دروسه في بلاده

بدأ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بالتدريس في بلاده فشاع ذكره بين الطلاب فكثر قاصدوه، من التلاميذ الجكنيين، لما يتمتع به من أسلوب جميل في التدريس.

وتلك الفترة كانت الظروف تحتم عليه أن يدرس لقلة العلماء في بعض المناطق،

فكن أهل هذه المناطق يأتون إليه ليتتلمذو عليه ويستفتوه فقد كان مرجعا للفتاوىٰ في بلاده.

أحكام قضائية عجيبة

عرف الشيخ الشنقطي بتفقهه في كثير من الأمور الدينية والقضائية، فرغب المشايخ بتعيينه قاضيا في بلده فسار علىٰ سيرة حسنة طوال أيامه في القضاء متحليا بالحكمة والنزاهة، وكان إذا إتىٰ إليه الطرفان استكتبهما رغبتهما في التقاضي إليه وقبولهما ما يقضي به من يستكتب المدعي دعواه ويكتب جواب المدعىٰ عليه أسفل كتابة الدعوىٰ ويكتب الحكم مع الدعوىٰ والاجابة ويقول لهما: اذهبا بهما إلىٰ من شئتما من المشايخ أو الحكام فيذهبان إلىٰ المشايخ فلا يأتي أحدهما قضية قضاها إلا صدقوا عليها وأما الحكما فلا تصلهم قضية حكم فيها إلا أنفذوا حكمه حالا.

ومن أحكامه أنه كان يقضي في كل شيء إلا في الدماء والحدود، فكان لهما قضاة خاصون، وكان الحاكم الفرنسي في البلاد يقضي بالقصاص في القتل بعد محاكمة ومرافعة واسعة النطاق وبعد تمحيص القضية وإنهاء المرافعة وبعد صدور الحكم يعرض الحكم علىٰ عالمين من علماء البلاد ليصادقا عليه، ويسمىٰ هذان العالمان لجنة الدماء فلا ينفذ الحكم إلا إذا صادقا عليه وكان الشيخ الشنقيطي أحد أعضاء هذه اللللجنة.

فقد كان في بلاده عالي القدر، عظيم الشأن وكان أيضا موضع ثقة أهلها وحكامها ومحكوميها.

هجرته «رحلته إلى بيت الله الحرام»

كانت في نية الشيخ الشنقيطي الخروج لأداء فريضة الحج والعودة إلىٰ بلاده، وقد ألف كتابا يتحدث عن الأماكن التي نزل بها وأسماه «رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام» ذكر رحمه الله بعد خطبة الكتاب الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] وكانت مقدمته.

«أما بعد فليكن في علم ناظره أنَّا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلىٰ بيت الله الحرام،

ثم إلىٰ مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة والأحكام وأخبار البلاد والرجال، وما تجول فيه الأدباء من المجال، والغرض الأكبر من ذلك تقييد ما أجبنا عليه عن كل سؤال علمي سُئلنا عنه في جميع رحلتنا.

وكان يوم خروج الشنقيطي لسبع مضين من جمادىٰ الآخرة من سنة **١٣٦٧**هـ يصحبه التلاميذ فأوول ما نزل في قرية تسمىٰ «كيفه» وهناك التقىٰ بأقاربه من الجكنيين وسألوه عن مسألتين فأجابهما، ثم رتحل هو ومن معه من قرية «كيفه» في العشاء وقد ودعهم أهلها بكل حزن، وذهب معهم يوصلهم الرئيس محمد بن عثمان متوجهين إلىٰ قرية «تامشكط» فمروا في طريقهم بوادي «ام الخز» ونزلوا عند حي من قبيلة الأقلال اسمخ «حلة أهل الطالب جدة» فأحسنوا إلىٰ الشيخ وأكرموه وأعلو نزله، وتقابل مع مفتي الحي الشيخ محمد خال بن أحمد نوح وتناقشا في بعض الأسئلة ثم غادره متوجها إلىٰ «تامشكط» فوصل إليها عند صلاة المغرب فنزلوا علىٰ الشيخ أحمد بن العربي رئيس أهل جدة بن خليفة من قبيلة الأقلال ثم تقابل مع قاضي «تامشكط» الشيخ المحفوظ بن الغوث والقاضي محمد الأمين بن الشيخ أحمد، فدار الحديث بينهم حول مسألتين فحلها.

ثم توجهوا من قرية «تامشكط» قبيل غروب الشمس وقد ودعهم كثير من الأعيان والأفاضل في تلك القرية.

فساروا وهم علىٰ الجمال متوجهين إلىٰ قرية «العيون» والتي بها عيون الماء المتعددة في سفوح الجبال فساروا في الطريق ليال ونزولوا علىٰ قاضيها فأكرمهم وأحسن نزلهم وسألهم في مسألة فأجاب الشيخ الشنقيطي رحمه الله.

وفي شهر رجب من نفس العام ارتجل من قرية العيون متوجها إلىٰ قرية «تنبدقة» نزلوا في معية القاضي فاستقبلهم خير استقبال وبها دارت بينه وبين شيوخها مذاكرات كثيرة فأجابهم خير الإجابات.

وفي آخر شهر رجب وفي العشاء ارتحل من القرية المذكورة هو ومن معه وقد ودعهم كثير من أهل تلك القرية ووالشيوخ متوجها إلىٰ قرية «النعمة» وعندما وصل إلىٰ القرية المذكورة نزل عند تاجر من بني عمه يدعىٰ سالم ابن الطيب فاجتمع تجار القرية واجتمع اهل القرية وكلهم من الجكنيين وجمعوا له هدايا سنيّة ومكث الشيخ ومن معه

في تلك القرية إحدىٰ عشرة ليلة واجتمعوا بكثير من الفضلاء ومن ضمن من إلتقو بهم أديب اسمه محمد المختار بن محمد فال بن بابه العلوي فسأل الشيخ عن أيام العرب وأشعارهم ومدح الأدباء ونوادرهم وهناك أصلح الشيخ كثيرا من المفاهيم الخاطئة فجزاه الله خيرا؛ وفي العاشر من شعبان ارتحل الشيخ الشنقيطي ومن معه من القرية المسماة «النعمة» متوجهين إلىٰ المحل المسمىٰ «بمكو» وقد باعوا جمالهم وركبوا سيارة، وقبل وصولهم إلىٰ بلد «بمكو: باتوا في قرية تسمىٰ «النوارة» وكانوا لا يعرفون أحدا هناك غير الشاعر إبراهيم بن بابه ابن الشيخ وتوجهوا من «النوراة» بعد صلاة العصر فحبسهم المطر في قرية صغيرة، وفي الليلة الثالثة من آخر الليل وصلوا بالسيارة إلىٰ البلدة المسماة «بمكو» فنزل الشيخ الشنقيطي ومن معه عن تاجر عالي الأخلاق اسمه أحمد بن الطالب الأمين وهو من أصدقاء الشيخ وتلامذه فأكرمهم وأهدىٰ لهم ثيابا ودفع لهم أجرة السيارة إلىٰ بلد «مبتىٰ» وركب معهم التاجر المذكور وتوجهوا إلىٰ «مبتي» ولكنهم عندما حان آخر الليل باتوا في قرية اسمها «سيكثو» وباتوا الليلة الثانية في قرية اسمها «صن» ومروا في طريقهم بقرىٰ صغيرة أهلها ضعفاء يزرعون الذرة واللوز فلم ينزلوا فيها وعند الظهر وصلوا بالسيارة إلىٰ قرية «مبتي» فنزلوا عند أحد التجار، وباتوا عندهم ليلتين ثم حملوهم بالبريد الفرنسي المتوجه إلىٰ قرية «فاوه» فمروا أولا علىٰ قرية اسمها «رويته» وأخرىٰ اسمها «همبري» وبينها وبين «فاوه» نهر وعندما دخلوا «فاوه» وكانت في وقت الضحىٰ نزلوا عند تاجر من الجكنيين من أقرباء الشيخ فمكثوا في تلك القرية أسبوعا وأكرمهم أهلها وتوافد كثير من أهل «فاوه» علىٰ الشيخ الشنقيطي يستفتونه في بعض الأمور فيجيبهم؛ فتوجهوا من قرية «فاوة» إلىٰ بلد اسمه «انيامي» وهي عاصمة النيجر، فذهبوا إلىٰ البريد الفرنسي فجاءهم المطر في الليلة الأولىٰ فحبسوا ووصلوا إلىٰ «انيامي» في الضحىٰ بعد الليلة الثانية فنزل الشيخ ومن معه عند تاجر اسمه الحاج الكيدي توره الذي أكرمهم وأحسن نزلهم فكان فرحا بقدومهم واستضافهم طيلة شهر رمضان وقد استهل وهم عنده ووعدهم بأن ينقلهم بالطائرة إلىٰ جدة ولكنهم أصروا علىٰ البر في الوقت الحاضر فودعهم وحملهم في البريد الفرنسي إلىٰ قرية «مرادي» فمر الشيخ في طريقه بقريتين: الأولىٰ هي «مداوا»

والثانية لم يعرف اسمها، وفي العاشر من رمضان وقبل صلاة المغرب وصل إلىٰ «مرادي» فنزل الشيخ ومن معه في بيت أحد الرجال وأكرمهم وسافر الشيخ ومن معه من القرية المذكورة إلىٰ بلد اسمها «كنو» فمر بطريقه علىٰ مركز فرنسي للحدود بين النيجر الفرنسي والنيجر الانكليزي وبات ومن معه في بلد اسمه «كتنة» وفي اليوم الثاني عادر الشيه ومن معه «كتنة» متوجهين إلىٰ «كنو» فنزلوا عند رجل من الأخيار يتحلىٰ بالأدب اسمه حمد الأمين الشريف، وفي صباح اليوم الثاني توجه الشيخ ومن معه بالقطار إلىٰ قرية تسمىٰ «جص» ووصلوا إليها بالقطار وباتوا ليلة واحدة وتوجهوا إلىٰ بلد يسمىٰ «يروي مادفري» ولما وصلوا إليها في الليل نزلوا عند تاجر يسمىٰ عبد المحمود وبعد ليلتين توجهوا بالسيارة إلىٰ بلدة اسمها «فور لمي» وفي الطريق نزل مطرٌ فتعطلت السيارة وحاول صاحبها إصلاحها فلما أصلحها سارت قليلا وتعطلت ثانية وبات الشيخ ومن معه في تلط المنطقة وفي الصباح ركبوا سيارة أخرىٰ كانت مارة فسار بها حتىٰ آخر النهار ووصلوا قرية تسمىٰ «كمبارو» وفي الصباح توجهوا إلىٰ بلدة اسمها «كسرىٰ» فباتوا فيها ليلتهم وفي الصباح توجهوا ووصلوا إلىٰ «فورلمي» فنزلوا عند رئيس المركز ورحب بهم واستقبلهم استقبالا حافلا وأكرمهم وأحسن إليهم ودعاهم للمبيت ولكنهم ساروا واتفقوا مع صاحب سيارة بأن يذهبوا إلىٰ بلد «الابيض» وفي تلك الفترة أغلق الفرنسيون الطريق المعمور إلىٰ قرية «آتيه» فذهب صاحب السيارة إلىٰ قرية اسمها «بحر غزال» وأقاموا بها ليلة وفي صباح الغد توجهوا إلىٰ «آتيه» سالكين طريقا غير معبد وكانت مشقة علىٰ السيارة فنزلوا بوادي به أشجار ومياه والفلفل الأحمر فوصلوا في اليوم الثالث إلىٰ «آه» فنزلوا عند رجل عربي ليلة واحدة وفي الضحىٰ قصدوا قرية اسمها «أم حجر» وعندما وصلوا القرية المذكورة توجهوا منها علىٰ الفور إلىٰ «أبشه» فأقاموا بها ليلة وفي آخر النهار توجهوا إلىٰ قرية اسمها «آدرة» في الحدود بين تشاد الفرنسية والسودان المصري فأم الشيخ ومن معه ليلتين وقصدوا قرية اسمها «الجنينة» في حدود السودان من جهة الغرب فأقاموا في «الجنينة» عدة ليالٍ في كرم وضيافة يأتيهم الناس هناك بالنادي الذي يتذاكرون فيه ويسألون الشيخ الشنقيطي فيجيبهم.

وفي شوال توجهوا منها إلىٰ «الفاشر» والأمطار في ذلك الوقت كثيرة فوصلوا إلىٰ محطة صغيرة اسمها «كبكابية» وتوجهوا إلىٰ قرية «الأبيض» فأقاموا هناك ليلتين ثم ركبوا القطار متوجهين إلىٰ الخرطوم ومروا بقرىٰ عديدة، واستراح القطار عند قرية تسمىٰ «وادي مدني» ثم واصل القطار السير فوصلوا إلىٰ الخرطوم أول النهار ونزلوا عند رجل اسمه عبد الباقي واجتمعوا بعلماء السودان أمثال الشيخ إبراهيم يعقوب المدرس في «أم درمان» وهناك سأل الناسُ الشيخَ عدة أسئلة فأجابهم وبدؤوا يتوافدون علىٰ الشيخ ليفتيهم في كثير من الأمور، وعندما عقدوا العزم علىٰ السفر من أم درمان تقابلوا مع رجل فاضل كريم يدعىٰ محمد صالح الشنقيطي الذي قطع لهم تذاكر القطار وكان شهر ذي القعدة قد هل عليهم فتوجهوا نحو «سواكن» وباتوا بقربها ووصلوا إليها في اليوم الثاني فنزلوا في خيم الحجاج المبنية وأخذت منهم الجوازات لختمها لدخول الحجاز وكانت الأبواب والطرق مزدحمة فاخذوا الجوازات والتذاكر بعد تسليم الرسوم المررة ثم مكثوا في محل النظر في صحة الحجاج ثلاثة أيام وبعدها ركبوا السفينة متوجهين إلىٰ جدة.

وعندما وصلوا إليها نزل الشيخ ومن معه في بيت لال الجمجوم معموم لأهل شنقيط ولم يتقابلوا مع احد من أهل جدة سوىٰ رجل سوداني يعمل في شركة اسمه أحمد بكري وأحسن إليهم وحملهم إلىٰ مكة المكرمة بواسطة رجل موظف في إدارة الحج اسمه سامي كتبي فركبوا محرمين بعد صلاة المغرب حتىٰ وصلوا مكة المكرمةن ثم توجهوا إلىٰ «منىٰ» يوم التروية وفي «عرفة» إلتقىٰ الشيخ بالأميرين: تركي السديري أمير أبها، وخالد السديري أمير تبوك، فأكرماهم وأحسنا إليهم وتذاكر الشيخ معهم مذاكرة أدبية وعندما عادوا إيٰل مكة المكرمة دعاهم العالم الشهير علوي عباس مالكي يومين متفرقين للغداء عندهن فأكرمهم وأحسن إليهم وعندما أتموا طواف الوداع سافروا إلىٰ جدة وأقاموا بالبيت المذكور آنفا ليلة واحدة، وتوجهوا مع رجل فاضضل إلىٰ المدينة بالسيارة وتوقفوا في «ذهبان» وواصلوا السير فمرا ب «تول» وواصلوا السير فوصلوا إلىٰ بلدة «رابغ» ثم وقفوا بين جبال كثيرة وأخذوا قسطا من الراحة وفي الصباح واصلوا طريقهم إلىٰ المدينة وواصلوا السير بالسيارة حتىٰ الضحىٰ فإذا هم

بمحطة «المسيجيد» وتوقفوا بها وصلوا الظهر والعصر وهم في الطريق وبالقرب من ميقات ذي الحليفة أي في (آبار علي) عطلت السيارة وعادت، فاستمرت بالسير حتىٰ وصلوا إلىٰ المناخة في المدينة وقد غلقت أبواب المسجد النبوي الشريف بعد صلاة العشاء وفي اليوم الثاني ذهبوا إلىٰ المسجد النبوي الشريف ودخل الشيخ ومن معه من باب الرحمة وهنا تكون انتهت الرحلة.

أقول إن هذه الرحلة تعد من الرحلات الفريدة النادرة فهي رحلة مليئة بالأحداث والعجائب، فقد كانت رحلة علمية أفادت الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وهو كذلك أفاد الكثير فما أن دخل بلدة إلا وأفتىٰ فيها وهذا ما اختصرته من الرحلة، فإني لم أذكر الأسئلة التي سئل عنها الشيخ ولا الأجوبة التي أجاب بها لأن ذلك يحتاج إلىٰ مؤلف آخر، وليس الغرض من هذه الترجمة شرح الأسئلة أو الأجوبة بل غرضها هو ترجمة لحياة هذا العلامة الفاضل.

وهذا وقد دون الشيخ كل كبيرة وصغيرة حدثت له أو معه في رحلته.

بقاؤه ودروسه بالمسجد النبوي

لم تكن نية الشيخ الشنقيطي الجلوس بالحجاز والاستيطان بها ولكن من تهيء له الفرصة ويتركها.

فمن خلال زياراته للمدينة المنورة بدأ يشتهر الشيخ بين أهلها ويشيع كره بين العلماء من خلال دروسه وفي تلك الفترة فقدت المدينة أحد علمائها الأفاضل: الشيخ محمد الطيب الأنصاري فأخذ الشيخ الشنقيطي مكانه للتدريس وكأن الأمور تسير بمواقيت، وتعد حلقته من كبار الحلقات بالمسجد النبوي الشريف، فقد ختم بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن الكريم وتفسيره مرتين.

أعماله في خدمة العلم

كانت للشيخ مكانة عالية بين الناس لعلمه الواسع وبلغ صيت علمه إلىٰ أنحاء المملكة كلها بل أكثر من ذلك فقط اختير للتدريس في المعهد العلمي بالرياض لتدريس علوم التفسير والأصول وفي الاجازات ياتي إلىٰ المدينة المنورة.

وفي الرياض عوض دروسه بالمسجد النبوي بدروسٍ أخرىٰ في أحد مساجد الرياض، ودروسه التي في منزله الذي كان أشبه ما يكون بمدرسة تغص بطلاب العلم ورجال الدين بعد صلاة العصر من كل يوم.

وفي عام **١٣٨٦**هـ افتتح معهد القضاء العالي بالرياض برئاسة الشيخ عبد الرزاق عفيفي فكان الشنقيطي عضوا بارزًا في دعم هذا المعهد وذلك بذهابه لإلقاء المحاضرات المطلوبة في التفسير والأصول.

ولم يقتصر نشاطه داخل المملكة بل خارجها ففي عام **١٣٨٥**هـ سافر إلىٰ عشر دول إسلامية للدعوة في سبيل الله، فبدأ رحلته بالسودان وانتهىٰ بموريتانيا.

جهوده في الجامعة الإسلامية

في عام **١٣٨١**هـ صدر الأمر السامي الكريم بإفتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بمختلف أقسامها لتقوم الجامعة الإسلامية بإخراج الدعاة للعلم الإسلامي من مختلف الجنسيات.

فعندما تم تشكيل المدرسين بالجامعة، اختير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مدرسا بها فهو بذلك يعد من أوائل المدرسين بالجامعة وكان دائما ينظر بعين العقل إلىٰ التحسين والتعديل وبشارك برأيه السديد حتىٰ أصبح عضوا في مجلس الجامعة.

الشنقيطي ودوره في الرابطة

عين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، خدم بكل إخلاص وله الكثير من المواقف الإنسانية العظيمة.

الشنقيطي عضوا بهيئة كبار العلماء

أُنشئ مجلس هيئة كبار العلماء بامر ملكي رقم **١/١٣٨** وتاريخ **٨/ ٧/ ١٣٩١**هـ فقد صدر الأمر الكريم بتعيين المشايخ التالية أسماؤهم أعضاء هيئة كبار العلماء:

الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ عبد الله بن حميد، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الشيخ سليمان بن عبيد، الشيخ صالح بن غصون، الشيخ محضار بن

عقيل، الشيخ محمد الحركان، الشيخ عبد العزيز بن صالح، الشيخ محمد بن جبير، الشيخ عبد الله الغديان، الشيخ عبد الله بن منيع، الشيخ رائد بن خنين، الشيخ عبد المجيد حسن الجبرتي، الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ.

تلاميذ الشيخ الشنقيطي

للشيخ تلاميذ كثيرون لا يمكن احصاؤهم فقد درس في بلاده وفي المسجد النبوي والرياض وبالجامعة الإسلامية وغير ذلك ونذكر منهم:

الشيخ عبد العزيز بن باز، الشيخ حماد الأنصارين الشيخ عطية محمد سالم، الشيخ بكر أبو زيد، الشيخ أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي، الشيخ الدكتور محمد ولد سيدي ولد الحبيب، الشيخ صالح اللحيدان، الشيخ عبد الله بن غديان، الشيخ محمد الخضر بن الناجي بن ضيف الله الجكني، والشيخ الدكتر عبد العزيز بن عبد الفتاح قاري، والشيخ عبد المحسن العباد، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الشيخ الدكتور عبد الله بن أحمد قادري، وأبناء الشيخ أيضا تتلمذوا علىٰ يده وأكثر طلابه ذو مراكز عالية الآن وهم من العلماء.

مؤلفات الشيخ الشنقيطي

لم يكن الشيخ من ذوي المؤلفات العديدة ولكنه صنف مصنفات قيمة أغنت المكتبات الإسلامية بقيمتها فهي تنقسم إلىٰ قسمين منها في بلاده ومنها صنفه في مدينة المختتار عليه أفضل الصلاة والسلام/

١- خالص الجمان. وهو في أنساب العرب.

٢- أرجوزة في فقه مالك خاصة بالعقود من البيوع والرهون.

٣- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز.

٤- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

٥- مذكرة أصول الفقه علىٰ روضة الناظر.

٦- آدب البحث والمناظرة.

٧- رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام.

٨- شرح علىٰ مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود.

٩- شرح علىٰ سلم الأخضري في المنطق.

١٠- ألفية في المنطق.

١١- نظم في الفرائض.

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

وهو آخر مؤلفاته بل أفضلها أخرج منه ستة مجلدات حيث وصل به إلىٰ جزء «قد سمع» وهذا المؤلف فسّر به القرآن الكريم، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ جانب كبير من سعة الاطلاع وهبه الله تعالىٰ الذكاء والنباهة فه عالمٌ متضلعٌ متمكنٌ ماهرٌ بارع بالأخص في التفسير؛ وللأسف أن انتهاء أجله لم يمكنه من إكمال مؤلفه العظيم، فإنه لم يترك في لك المؤلف صغيرة ولا كبيرة إلا جمع لها الأدلة منن مظان الوحي.

إنه جهد تنوء به العصبة أولوا القوة، ولكن الشنقيطي قام به وجيدا فردا .. وما بقي منه أكمله تلميذه الشيخ عطية محمد سالم.

وهناك العديد من المحاضرات التي ألقعا ونشرت في رسائل مستقلة مثل:

١- منهج التشريع الإسلامي وحكمته.

٢- المصالح المرسلة.

٣- اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا؛ وقد ألقاها في المسجد النبوي أمام محمد الخامس ملك المغرب.

٤- منهج ودراست لآيات الأسماء والصفات.

٥- المثل العليا في الإسلام.

٦- حول شبهة الرقيق.

٧- رسالة في حكم الصلاة في الطائرة

وفاة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

وفي يوم الحج الأكبر كان اليخ الشنقيطي يسعىٰ في الشوط الأول علىٰ قدميه وعندما انتهىٰ منه أخذت له عربة، فحصل له ضيق في التنفس من ذلك الشوط الذي سعاها علىٰ قدميه مما أدىٰ إلىٰ تعبه فوافته المنية يوم السابع عشر من ذي الحجة من عام **١٣٩٣** من الهجرة النبوية المباركة في ضحوة يوم الخميس وصلي عليه بالمسجد الحرام ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة.

وفي يوم السبت ليلة الأحد أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي الشريف بعد صلاة العشاء فقد طانت لوفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ رنة حزن في قلوب كثير من الناس.

الشيخ محمد الكردي[١]

فقيه الديار الحجازية

هو محمد بن سليمان الكردي.

طائفة الأكراد بالمدينة المنورة

طائفة كبيرة في المدينة المنورة يعرفون بالأكراد ومفردهم كردي بفتح الكاف، وهم كثيرون، واهل اقدام وشجاعة، ونشأ فيهم علماء أعلام فلقب الكردي كثير بالمدينة المنورة، وذلك نسبة لبلاد الكرد أو جبل الكرد في دمشق، وهم بيوتات متعددة، وليس كل الأكراد في المدينة بيت واحد أو عائلة واحدة، أو أنهم من جنس واحد طائفة جمعهم اللقب وأختلفوا في النسب وتلك سنة الله في خلقه، والحقيقة أن هجرة الأكراد إلىٰ المدينة ليست حديثة العهد بل أن الأكراد ثابتوا القدم بنزوحهم إلىٰ المدينة المنورة، وهجرتهم متعددة علىٰ مر الأزمان، وفي المدينة المنورة أرض الكردي نسبة لأحد الأكراد، وفي الحقيقة أن الكتابة عن تأريخ الأكراد بالمدينة ذو شجون فقد برز منهم العلماء والمؤذنين والفضلاء والأعيان وتقلدوا الكثير منهم مناصب علية تعليمية وعسكرية في عهد الدولة العثمانية.

قال إبن دريد في جمهرته[٢]: الكُرْد: أبو هذا الجيل الذين يسمَّون بالأكراد؛ زعم النسّابون أنه كُرْد بن عمرو بن عامر بن صعصعة. وأنشدوا بيتًا ولا أدري ما صحّته وهو:

لعَمْرُك ما الأكرادُ أبناءَ فارسٍ ولكنه كُرْدُ بنُ عمرو بن عامرِ

---

(١) سلك الدرر ٤: ١١١ والفكر السامي ٤: ١٨٢ وثبت ابن عابدين: ٤٢٠ والنفس اليماني: ٢٢٨ ومعجم سركيس: ١١٥٥ وبروكلمان ٢: ٥١١، الأعلام ٦/ ١٥٢، السر المصون ١٥٦، فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط)، عثمان الوائلي: اصفىٰ الموارد ٨٥، ٨٦، البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣٤٢، فهرست الخديوية ٣: ٢٢٤، ٢٢٥، اسعد طلس الكشاف ٢٤٣، فهرس الازهرية ٢: ٥٢٣، فهرس التيمورية ٢: ١٩٧، ٣٩٥، ٣: ٢٥٦، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ١٢٩، ٢٥٧، ٣٤٥، ٤٢٣، ٤٥٦، ٦١٧، ٢: ١١٣، ١٥٧، ١٦٨، ٢٠٤، ٣٦٧، ٥٤٣.

(٢) جمهرة اللغة لإبن دريد ٢/ ١٠٠.

قال ابن الكلبي[١]: كُرْد بن عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء.

قال أبو اليقظان[٢]: كُرْد بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وقال المسعوديُّ[٣]: ومن الناس مَن يَزعم أَن الأَكراد من ولَد رَبيعةَ بنِ نزارٍ، ومنهم مَن يزعم أَنهم من وَلَدِ مُضَرَ بنِ نِزارٍ، ومنهم من زعم أَنهم من ولد كُرْدِ بن كَنْعَانَ بن كُوش بن حام، والظاهر أَن يكونوا من نَسْلِ سامٍ، كالفُرْسِ، لما مَرَّ من الأَصْل، وهم طوائف شَتَّىٰ، والمعروف منهم السورانية والكورانية والعمادية والحكارية والمحمودية والبختية والبشوية والجوبية والزرزائية والمهرانية والهارونية واللرية، إِلىٰ غير ذالك من القبائل التي لا تُحْصَىٰ كَثْرَةً، وبلادهم أَرضُ الفارِس وعراقُ العَجَم والأَذربيجان والإِربل والمَوْصِل.

قال ابن خلدون في تأريخه[٤]: أن الأيوبيون ومنهم صلاح الدين الأيوبي ينسبون إلىٰ أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشر بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحسين بن الحرث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف الحميري . . انتهىٰ قوله . . وصلاح الدين الأيوبي كردي.

قال الزبيدي في تاجه[٥]: وقد أَلَّفَ في نَسَب الأَكْرَادِ فاضلُ عصرِه العلاَّمَةُ محمّد أَفندي الكُرْدِيّ، وذكر فيه أَقوالًا مختلِفَةً بعضُها مُصادِمٌ للبَعْضِ، وخَبَطَ فيه خَبْطَ عَشْوَاءَ، ورَجَّح فيه أَنه كُرْد بن كَنْعَانَ بن كوش بن حام بن نوح، وهم قبائلُ كثيرةٌ، ولاكنهم يَرجِعُون إِلىٰ أَربعةِ قبائلَ: السوران والكوران والكلهر واللّر، ثم إِنّهم يتشَعَّبون إِلىٰ شُعوبٍ وبُطونٍ وقَبَائلَ كثيرةٍ لا تُحْصَىٰ، مُتغايِرَةٌ أَلسِنتهم وأَحوالُهم.

قال إبن شاكر[٦]: أَمَّا الأَكرادُ فقال ابنُ دُرَيدٍ في الجمهرة: الكُرْدُ أَبو هاذا الجِيلِ

(١) جمهرة اللغة لإبن دريد ٢/ ١٠٠.
(٢) جمهرة اللغة لإبن دريد ٢/ ١٠٠.
(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢ ص١٢٢- ١٢٣)، و(تنبيه الاشراف، ص ٩٤-٩٥).
(٤) تاريخ إبن خلدون ٥/ ٢٧٨.
(٥) تاج العروس مادة كرد.
(٦) مناهج الفكر ومباهج العبر ٤٣٤.

الذين يُسمَّوْنَ بِالأَكراد، فزعمَ أَبو اليَقظانِ أَنَّه كُرْدُ بن عمرِو بن عامر (بن: ربيعةَ بنِ عامر) بن صَعْصَعَةَ.

قال الأنصاري في تحفته[١]: «بيت الكردي». نسبة إلىٰ «الكرد» الشهير، وهو جبل كبير، وإليه ينتسب كثير بالمدينة المنورة.

قال الحجار في مختصره[٢]: بيت الكردي وهم كثيرون بالمدينة المنورة، منهم وأشهرهم: يوسف الكردي ورد المدينة المنورة في عام ألف.

أقول: وبيوتات الأكراد في المدينة عائلات اشتهرت بالفضل والعلم والدين، حيث برز منهم الكثير من العلماء، وقد فصلنا عنهم في قرميتنا عن المدنيين ومن أشهر بيوتات الأكراد الشيخ يوسف الكردي نائب الأئمة الشافعية في الحضرة النبوية، قدم المدينة المنورة سنة **١١٢٠**هـ، وكان رجلًا فاضلًا عالمًا عاملًا وكان يدرس في المسجد النبوي، وغالب تدريسه في فقه الشافعية، وأعقب من الأولاد: محمدًا وعبيدًا وإسماعيل وسليمان وله ذرية منتشرة، ومن بيوتات الأكراد بيت الكردي المؤذنين بالمسجد النبوي الشريف قدم جدهم الياس بن عثمان الكردي قدم المدينة **١١٧٢**هـ، وكان من مدرسي الروضة الشريفة وأصبح نائب الأئمة الشافعية، وله ذرية تتبعهم الحجار بقوله: «**ومنهم الريِّس الكردي**»[٣]، ومن ذريته أبو بكر كردي مؤقت باش[٤] سنة **١٣٢٩**هـ، ولا زالت هذه الأسرة موجودة حتىٰ اليوم كما أخبرني أحد افرادها، وكانت هناك أسرة الشيخ فيض الله الكردي قدم المدينة المنورة سنة **١١٧٠**هـ، وذكر الحجار في قرميته أنقراضهم[٥] والله العالم، ومن الأكراد في المدينة بيت خليل كردي وكان ضابطًا في الجيش التركي، وأبنه المربي الفاضل الشيخ عبد الفتاح كردي، والأكراد أسر كثيرة متعددة الإلقاب وغالبهم يعرفون بالكردي.

---

(١) تحفة المحبين ٤٠٧.

(٢) مختصر القرمية ٦٧.

(٣) مختصر القرمية ٦٧.

(٤) مخطوطة المؤذنين جعفر هاشم ١.

(٥) مختصر القرمية ٦٧.

أسرة المترجم له

وحديثنا عن أسرة المترجم فهم من أشهر البيوتات الثابتة القدم، بل أنها اقدمها هجرة، وقد وقع الكثير في أن أول من قدم منهم المترجم له الشيخ محمد بن سليمان الكردي، والصحيح عندي أن اول من قدم والده الشيخ سليمان الكردي قدم المدينة المنورة في سنة ١١١٥هـ، وكان رجلًا مباركًا صالحًا، قدم المدينة المنورة مهاجرًا من بلاد الشام من جبل الكرد، وأستوطنها، وكان يتردد بينها وبين بلاد الشام، وفي المدينة المنورة كان معلمًا للصبيان في رباط السبيل، وأشتهر بين قراءها المجودين للقرآن الكريم حتىٰ توفي، وأعقب من الأولاد: محمدًا المترجم له والمولود في دمشق، وأحمد، وإبراهيم.

قال الأنصاري في تحفته[١]: ومنهم الشيخ سليمان الكردي معلم الصبيان القرآن في رباط السبيل، قدم المدينة المنورة في سنة ١١١٥هـ، وكان رجلًا مباركًا صالحًا، وتوفي وأعقب من الأولاد: محمدًا وأحمد وإبراهيم.

إلىٰ أن قال: فأما محمد[٢] المزبور فمولده سنة ١١٢٦هـ، ونشأ نشأة صالحة، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بطلب العلوم من منطوق ومفهوم فبرع في الفقه حتىٰ صار لا نظير له في فقه الشافعية، وكان رجلًا من أكمل الكمل وعالمًا فاضلًا، وشاع ذكره في الأقطار جميعًا فبلغ خبره إلىٰ شيخ الإسلام بالروم، فولاه إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة، وكتب له رؤوسًا فوصلت إليه في سنة ١١٨٩هـ، ولم يسبق لأحد من الشافعية قبله أن يتولىٰ هذا المنصب إلا من صاحب مكة المكرمة، ولم يغير حاله ولا لباسه، وتوفي سنة ١١٩٤، وله أولاد منهم: عبد الله وحمزة وعبد الرحمن، وكلهم موجودون اهـ.

أقول: ومن ترجمة الأنصاري يثبت لنا وجود البيت قبل ولادة الشيخ محمد المترجم له، وبفضل الله، فقد وفقنا الله لإثبات ذلك، أما عن نسلهم وبقيتهم فإن

---

(١) تحفة المحبين ٤٠٨.

(٢) المقصود المترجم له.

عائلته معروفة اليوم في المدينة المنورة وهم فهم بيت كبير العدد والفروع فضلاء الإخلاق، وقد إدركت منهم العم الفاضل الشيخ نعيم بن ماجد كردي ﵀ الرجل الكريم ذو القلب الطيب والروح المرحة، وقد أمدني بكثير من المعلومات عن حياة جده الشيخ محمد سليمان الكردي، وذكر ليّ أنهم أكبر فروع الأكراد في المدينة المنورة، وهو الظاهر عندي، ومنهم اليوم الشيخ طلعت كردي، والشيخ هشام كردي، والشيخ سعد كردي وغيرهم ولهم ذراري بارك الله فيهم ومتعهم بالصحة والعافية.

نكتفي بهذا القدر بالحديث عن الأكراد بالمدينة المنورة، والتحقيق في أسرة المترجم له ونعود ونواصل الحديث عن فقيه الديار الحجازية الشيخ محمد بن سليمان الكردي.

مولده

ولد الشيخ الكردي بدمشق[1] أثناء وجود والده فيها فقد ذكر الأنصاري أنها سنة ١١٢٦هـ.

نشأته

ولد الشيخ بدمشق، وبعد ذلك حمل إلىٰ المدينة المنورة، وهو ابن سنة، فنشأ نشأة صالحة مباركة. حفظ القرآن الكريم، وبدأ يشتغل بطلب العلوم من بحاره العميقة، ودرس علىٰ كبار العلماء من الشافعية، وأخذ عن أفاضل العلماء، كالشيخ سعيد سنبل ووالده الشيخ سليمان والشيخ يوسف الكردي، والشيخ أحمد الجوهري والقطب مصطفىٰ البكري وغيرهم والسفر إلىٰ خارج الحجاز، والتعرف علىٰ كثير من العلماء في ذلك العصر ومنها رحلته إلىٰ دمشق قاصدًا إلىٰ بلاد الروم عام **١١٧٢**هـ.

وروىٰ عن مصطفىٰ البكري، والشمس محمد الدمياطي، والشهاب احمد الجوهري، ويروي عن أبي طاهر الكوراني، وحامد بن عمر العلوي، ومحمد سعيد

(١) وقد وقع الخلاف في سنة ولادته فقيل سنة ١١٢٥هـ علىٰ ما بخط الفلاني، وقيل سنة ١١٢٧هـ علىٰ ما في ثبت ابن عابدين والصحيح ما أثبتناه، كما جاء عند الأنصاري

سنبل، وعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وغيرهم نروي ما له من طريق الحافظ مرتضىٰ والوجيه الأهدل وصالح بن محمد الفلاني، وشاكر والشمس الكزبري وغيرهم عنه.

ورویٰ عنه إلىٰ الوجيه الكزبري إبنه عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه المذكور وهو كما في مسلسل بالمعبدين.

قال المرادي في السلك[1]: الشيخ الامام العلامة الفقيه خاتمة الفقهاء بالديار الحجازية المتضلع من سائر العلوم النقلية والعقلية.

الكردي فقيه الديار الحجازية

وقد تتلمذ علىٰ يده كثير من طالبي العلم، وأخذ عنه الكثير، ورویٰ عنه الكثير فقد كان مدرسا بالمسجد النبوي الشريف، وكان حلقته تمتلئ بمحبي العلم والاطلاع، وقد تميز أنه كان يأتي طلاب له من جميع الأقطار، ويدرسون علىٰ يده ويتعلمون العلم بأحسن الطرق وأفضل الأساليب، وبأزهىٰ وأنقىٰ المعاني، وقد عرف عنه أنه كان فقيه الديار الحجازية، كما عرف عنه بحبه هذا البلد الطيب وخدمتها، وكان لا يريد أن يبارحها إلا في حالتين: إما لحج أو لعمرة، وإما لطلب العلم، أو البحث في الأمور الدينية التي علىٰ مذهب الشافعي.

الكردي شيخ فقهاء الشافعية بالحجاز

لقد عرف رَحِمَهُ الله بعلمه الواسع والمطلع، في سائر العلوم النقلية والعقلية، وقد برز رَحِمَهُ الله، في الفقه الشافعي، وكان لا يوجد من يمثله في عصره، ولما علم بخبره إلىٰ شيخ الإسلام بالروم، استصدر له فرمان سلطاني بتوليته إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة، وكتب له كثير من الرؤساء، فلم يسبق لأحد من الشافعية قبله أن يتولىٰ هذا المنصب إلا من مكة المكرمة، وقد اشتهر رئيسًا ومفتيًا للشافعية إلىٰ أن توفي، وكان يذهب بالفتاوىٰ إلىٰ عدد من البلدان ليصل إلىٰ حلها، وقد كان ذا قدرة قوية في الحفظ، وكان ذا خط جميل، حتىٰ حينما وصل إلىٰ سن متقدم من العمر رَحِمَهُ الله.

---

(١) سلك الدرر ٤: ١١١، ١١٢.

رسالته إلىٰ تلميذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١]

وممن درس عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقرأ عليه بالمدينة المنورة الشيخ محمد بن سلميان الكردي، وقد أختلف الشيخ الكردي مع تلميذه، وعاب عليه أسلوب دعوته، فكتب له رسالة قال فيها: يا ابن عبد الوهاب، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، فإني أنصحك لله تعالىٰ أن تكف لسانك عن المؤمنين، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دن الله فعرفه الصواب، وأذكر هل الأدلة علىٰ أنه لا تأثير لغير الله تعالىٰ، فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلىٰ تكفير السواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلىٰ من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾. وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

أقول: وقد اجتهد بعض القوم بأستبعاد أن يكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ أخذ العلم عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي بقولهم أن المراجع النجدية المعتمدة كابن غنام وابن بشر ونحوهما لم تذكر ذلك، وزعموا إنما تفرد بذلك السيد أحمد بن زيني دحلان في تاريخه[٢]، ورغم أن الثابت عن الشيخ الكردي له أجوبة خطية في مخالفة ومعارضة ما قرره أئمة الدعوة السلفية، وله في ذلك (مسائل وأجوبة وردود علىٰ الخوارج -خ)[٣]، كما أن الشيخ الكردي كتب تقريظًا لرسالة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، مؤيدًا له في ذلك، ومادحًا لرسالة سليمان ضد الدعوة السلفية.

---

(١) (مصباح الأنام)، ص٨١، رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي علىٰ مختصر «بافضل» في الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ﷺ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، تأليف محمد بشير السهسوانىٰ ص١٢ - ١٤.

(٢) دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص (٤٣)، و(عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للعبود ص (١٠٢-١٠٣).

(٣) صورة خطية عن معهد المخطوطات، وطبعت ضمن فتاواه في مصر ١٣٥٧هـ.

مكتبته

وقد عرف عنه حبه للتزود من العلم والقراءة، وقد ولع رحمه الله بجمع الكتب، فكانت توجد عنده مكتبة ضخمة، وقد بلغ أن هذه الكتب يوجد جزء منها في «مدينة تريم» بحضرموت، وجزء آخر في «سيؤن» بحضرموت أيضًا، كما عرف عنها أنها توجد بها مخطوطات يصل عمرها إلىٰ ثمان مئة عام وأكثر.

مؤلفاته

لقد كان لهذا العالم الجليل والعلامة الفقيه مؤلفات تروي عقول قرائها، وتشبع أذهانهم بأسلوب ذكي، فقد ألف كتبا كثيرة ونذكر منها:

١- الحواشي المدنية علىٰ شرح ابن حجر - مجلدان.
٢- الفتاوىٰ.
٣- جالية الهم والتوان عن الساعي لقضاء حوائج الإنسان.
٤- أربعون حديثًا.
٥- فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأجير.
٦- شرح فرائض التحفة.
٧- عقود الدرر في مصطلحات تحفة ابن حجر.
٨- حاشية علىٰ شرح الغاية للخطيب.
٩- الفوائد المدنية فيمن يفتىٰ بقوله من أئمة الشافعية.
١٠- فتح الفتاح في شروط الحج.
١١- كاشف اللثام عن حكم التجرد قبل الميقات بالإحرام.
١٢- الثغر البسام عن معاني الصور التي يزوج فيها الحكام.
١٣- زهر الربىٰ في بيان أحكام الربا.
١٤- الدرة البهية في جواب الأسئلة الجارية.
١٥- الانتباه في تعجيل الصلاة.

١٦- كشف المروط عما للوضوء من الشروط.

وفاته

وبعد هذه السيرة المليئة بخير الأعمال وأفضلها، ودع العالم الإسلامي فقيه الديار الحجازية إلىٰ جوار رب كريم، وكان ذلك في يوم **١٦** من شهر ربيع الأول **١١٩٤**هـ، ودفن في بقيع الغرقد.

الشيخ محمد بن صادق السعيدي

نائب قاضي المدينة المالكي(١)

هو محمد بن صادق السعيدي العقبي، العلامة القاضي مفتي المالكية في مدينة خير البرية.

مولده

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في بلدة سيدي عقبة من أعمال الجزائر في السابع من ذي الحجة سنة ١٢٨٩هـ.

بيت صادق

بيت صادق السعيدي العقبي أول من قدم منهم المدينة والد المترجم له العلامة الشيخ صادق السعيدي العقبي الجزائري سنة ١٣٠٥هـ، مصطحبًا معه ابنه الأكبر الشيخ محمد المترجم له، وبها تصدر الشيخ صادق للتدريس في المسجد النبوي الشريف، وأصبح أحد علماء الحرمين الشريفين، وفي المدينة أدركته المنية في ١٩ ذي الحجة لعام ١٣٠٩هـ، ودفن في البقيع، وأعقب الشيخ صادق ثلاثة رجال وهم: محمد الكبير المترجم له، وأحمد، ومحمد الصغير، وبنتًا واحدة، فأما محمد الكبير، فأعقب: علي، وأسعد، وعاصم، وعصام مات صغيرًا، وأما أحمد فأعقب: محمد، وعدة بنات، وأما محمد الصغير، فأعقب: أبو الهدىٰ مات عن غير عقب، ويعرفون في المدينة اليوم ببيت صادق وبعضهم بآل التعريف وقد أدركت منهم الشيخ المعمّر

(١) ترجمة خطية زودني بها الشيخ علي بن الشيخ محمد الصادق حفظه الله، المدينة المنورة في التاريخ عبد السلام هاشم حافظ ص١٧٢، التاريخ الشامل للمدينة المنورة عبد الباسط بدر ٣/ ١٧٨، فصول من تاريخ المدينة علي حافظ ص٣٥٨، صور وذكريات عثمان حافظ ص٧٨، صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة ياسين الخياري ص١٦٩، موسوعة تاريخ المدينة المنورة عبد الله فرج الزامل ص١٠٨، موسوعة إسبار العلماء المتخصصين ٣/ ١٠١٢، المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز محمد صالح البليهشي ص١١٠، ٢٨١.

علي أبن المترجم له، وفي المدينة عدة أسر مدنية تحمل لقب صادق، منهم بيت صادق العقبي الصيرفي، وبيت صادق عطية خضر وغيرهم.

دارسته

نعود لشيخنا محمد، الذي بدء دارسته في الجزائر في إحدىٰ المعاهد الإسلامية الكبرىٰ، وأكثر ما تعلم علي يد والده المذكور آنفًا ،فحفظ القرآن الكريم حتىٰ أتمه، ثم شرح الله صدره للعلم وأنكب عليه فبدأ يتلقىٰ مبادیٰء العلوم في بعض العقائد والنحو والصرف والفقه، ثم قرأ مختصر العلامة خليل في فقه المالكية بشرح الدردير، والرسالة للقيرواني، وسيرة إبن هشام المعروفة، وقطعًا لابأس بها من أشعار الصحابة، وديوان النابغة والمعلقات السبع كل ذلك في الأدب، ومال ميله علىٰ كتب الصحاح والسنن، وقرأ منها من استطاع، ثم قرأ ألفية إبن مالك بشرح إبن عقيل، ودروسًا في سلم الأخضري، وعني وركز علىٰ المذ هب المالكي، فكان نابغة فيه، وعكف علىٰ موطأ الإمام مالك بشروحه، وبعض من ألفيته بشرح الأشموني، فقد قرأ كتبًا كبيرة مثل موطأ الإمام مالك وصحيح مسلم، وطبقات المالكية لإبن فرحون وغيرها من الكتب كطبقات الشافعية، وطبقات الحنفية، وطبقات الحنابلة، حتىٰ حصل علىٰ الإجازة من العلماء في الجزائر في نشر العلم وبثه.

دروسه في المسجد النبوي الشريف

بعد وصوله مع والده إلىٰ المدينة، لم تمضي فترة طويلة حتىٰ تعرف طلاب العلم علىٰ هذان العالمان الأب والابن، فأخذ والد المترجم الشيخ صادق مكانه في المسجد يدرس العلوم وابنه العالم هو مقرؤه إلىٰ أن توفي الأب، ثم جاء من بعده ابنه الشيخ محمد وأضاف اسمه إلىٰ قائمة علماء الحرمين الشريفين، وعقد حلقته في المسجد النبوي الشريف، فأخذ يدرس بعض علوم اللغة العربية والفقة المالكي، وطلاب العلم يلتفون من حوله في درسه القيم المكتظ بطلبة العلم وصوته الجهوري، يردد بالصدا بين سواري المسجد العظيم، فدّرس وأفاد وانتفع به العباد.

الصادق قاضي المدينة ومفتيها

وعندما حل العهد السعودي ودخل الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وبأمر من الشيخ عبد الله بن بليهد رئيس القضاة آنذاك، تم تعين الشيخ محمد صادق نائبًا لقاضي المدينة ومفتيًا للمالكية، وذلك بتاريخ ٢٩رمضان ١٣٤٤هـ(١).

محمد صادق شاعرًا

وكان الشيخ محمد صادق شاعرًا مادحًا، وامتاز شعره بالمدح والثناء، وكانت كتابته نثريه، ونثره أكثر من شعره، إلا أنه قبل وفاته قام بحرق جميع القصائد التي كتبها، والذي عثرت عليه من نثره كلمة ألقها أمام الملك عبد العزيز مزينة ببعض الأبيات في إحدىٰ رحلاته مع الوفد المدني الذي كان مغادرًا المدينة للسلام علىٰ الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان الشيخ عضوًا أساسيًا في ذلك الوفد.

وفاته

وعندما أذنت ساعة الموت توفاه الله عَزَّ وَجَلَّ في يوم السبت التاسع والعشرون من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٩هـ، بعد حياة حافلة بالعطاء والجهاد والعدل بين الناس ونشر العلم بين الطلاب، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة وأحسن الله عمله وجعل جنة الخلد مسكنه.

---

(١) وقد زودني ابنه المعمر الشيخ علي صادق اطال الله في عمره المولود سنة ١٣٣٨هـ بصورة من قرار التعين وهو محفوظ في أرشيف خزانتي.



الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري اللكنوي[(١)]

هو محمد عبد الباقي بن ملا علي بن ملا محمد معين بن محمد مبين الأنصاري اللكنوي الحنفي المدني.

ولد في يوم الأحد الثامن عشر من رجب سنة **١٢٨٦** من الهجرة النبوية المباركة بمدينة «لكنو» وهي إحدىٰ مدن الهند مشهورة بكثرة العلماء والمحدثين وتوفي والده وهو في سن الرابعة من عمره ولكن الله كلأه بعنايته فكفله شقيقه الأكبر إبراهيم.

وتعد أسرته من الأسر الهندية المشهورة بالعلم والفضل وكثرت المحدثين فمن هذه العائلة العلامة محمد عبد الحليم اللكنوي صاحب التصانيف النافعة والمتوفىٰ سنة **١٢٨٥**هـ ومن هذه الأسرة ابن عم المترجم له المحدث المسند الشهير عبد الحي اللكنوي المولود سنة **١٢٦٤**هـ العالم بالحديث والتراجم ويعد من فقهاء الحنفية وجده العلامة ملا معين شارح سلم الثبوت في الأصول والسلم في المنطق، فهو من سلالة علم أبًا عن جد.

وقد وصفه لي من عرفوه بأنه معتدل الجسم، مستدير الوجه، أسمر اللون، واسع

---

(١) البحر العميق ١/ ٢٦٢-٢٦٤، تشنيف الأسماع ٢/ ٤٢٣، الدليل المشر ١١٨، فهرس الفهارس ١/ ١٨١، قرة العين ١/ ٢٢٤، الكواكب الدراري ٢٤٦.

العينين، خفيف الشارب، كث اللحية، يرتدي العمامة علىٰ رأسه دائمًا والجبة في بعض الأحيان.

نشأ الشيخ اللكنوي في دار أخيه وفي كنف والدته حيث شرح الله صدره لحفظ كتاب الله وهو في السادسة من عمره وفرغ من حفظه وتجويده وهو في الحادية عشرة.

تعليمه بالهند

بعد أن أنهىٰ حفظ كتاب الله التحق بإحدىٰ المدارس ودرس بها بعض المبادئ وأخذ فنون الحساب والمساحة والجبر والمقابلة والنحو والصرف علىٰ ابن خالته وابن عمه علامة الهند عبد الحي اللكنوي المتوفىٰ سنة **١٣٠٤**هـ ثم قرأ العلوم العربية والدينية والعقلية علىٰ بعض العلماء فقام بحفظ المتون ثم قرأ علىٰ الشيخ الفاضل حفيظ الله البندوي وبعد ذلك علىٰ الشيخ عين القضاة بن محمد وزير الحيدر أبادي ثم قرأ الكتب الستة والفقه الحنفي وغيرها من العلوم علىٰ الشيخ فضل الله بن نعمة الله والشيخ محمد نعيم بن عبد الحكيم النظامي وقرأ بعض كتب المطولات علىٰ الشيخ عبد الرزاق اللكنوي وقرأ عليه الموطأ والصحاح الستة ومشكاة المصابيح وتعلم منه طريقة الفتوىٰ وقد تأثر الشيخ اللكنوي بالشيخ عبد الرزاق كثيرًا فسلك طريقه وتعلم منه الكثير، واعتنىٰ رحمه الله باستجازة مشايخه إجازة عامة ومعينة فيما قرأ عليهم ثم أجازوه بالتدريس فدرس وانتفع به العباد في المعقول والمنقول ببلدته واستمر سنوات عديدة.

هجرته الأولى إلى الحجاز

وفي عام **١٣٠٨**هـ رحل إلىٰ الحجاز قاصدًا الحج والزيارة وفي الحجاز التقىٰ ببعض علماء الحرمين الأفذاذ وأجازوه عامة ومنهم الشيخ المفتي عباس بن صديق المكي، والعلامة الشيخ عبد الله بن حسن المكي، والعلامة أحمد أبو الخير ميرداد الحنفي، والشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري، والشيخ محمد الحريري، وقرأ الشاطبية علىٰ الشيخ عبد الله المكي وجود القرآن بالقراءات العشر علىٰ الشيخ المقرئ حبيب الرحمن الكاظمي وبعد ذلك عاد إلىٰ بلدته وبقي فترة من الزمن يدرس في مدارسها الإسلامية العظيمة الكبرىٰ.

عرف الشيخ اللكنوي بالعلم الواسع وتربىٰ تربية ثقافية قوية وبالأخص في الناحية الدينية.

هجرته الثانية إلى الحجاز

ذكرتُ سابقًا أنه عاد إلىٰ الهند واستأنف دروسه وبعد خمسة أعوام وفي عام **١٣١٣**هـ رحل الشيخ اللكنوي إلىٰ الحجاز مرة ثانية والتقىٰ بجملة من العلماء الأفاضل وتتلمذ علىٰ أيديهم فأجازوه إجازة عامة منهم الشهاب العلامة المؤرخ أحمد الحضراوي والفقيه أحمد الميرغني الشهير بالمحجوب وتحمل المسلسلات بأعمالها القولية والفعلية عن الشيخ صالح السناري وقرأ بعض العلوم علىٰ الشيخ محمد سعيد بابصيل رَحِمَهُ اللهُ، وعاد إلىٰ الهند وقد أجازوه كثير من العلماء وأعلو شأنه أكثر، وكثر طلابه وكبرت حلقته وتعددت أوقاتها لتمكنه من المسائل العلمية وأسلوبه الذكي في التدريس.

هجرته الثالثة والأخيرة إلى الحجاز

وبعد عودته استمر علىٰ حاله من التدريس وإفادة طلابه سلوكًا وأخلاقًا وبعد أن استقىٰ العلم من المنابع الصافية رحل إلىٰ بغداد حيث تلقىٰ كثيرًا من العلوم عن بعض علمائها الأفاضل، واستمر في الهند ما يقارب عشرة سنوات ولكن نفسه تاقت إلىٰ مجاورة الرسول ﷺ فقرر الهجرة الأبدية إلىٰ المدينة المنورة وكان ذلك سنة **١٣٢٢**هـ وأجازه الشيخ محمد أمين رضوان والشيخ فالح الظاهري والشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي والشيخ الشمس الشنقيطي والشيخ السلفي عبد الله القدومي ونال من كل هؤلاء العلماء الأفذاذ علما وافرًا وإجازات عالية لم ينلها أحدٌ من قبله.

دروسه بالمسجد النبوي

عندما استقر الشيخ اللكنوي بالمدينة المنورة جلس وتصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف، فأتىٰ بكل نفيس وعقد سوقًا رائجة للعلم زود طلابه ببضاعة رابحة وتوسع في الرواية وأخذ يلقي دروسه في الحديث وسائر العلوم الأخرىٰ وقد كبرت

حلقته رويدًا رويدًا حتىٰ أصبحت من أكبر الحلقات بالمسجد النبوي ولكن ظروفًا طارئة أوقفته عن مواصلة التدريس بالمسجد النبوي وهي مرضه وكبر سنه فاقتصر علىٰ التدريس في منزله.

اللكنوي والمدرسة النظامية

وعندما استقر الشيخ اللكنوي في المدينة المنورة، وفي حدود عام ١٣٢٤هـ افتتح مدرسته الشهيرة في منزله بحوش فواز وأطلق عليها «المدرسة النظامية» وكان يدرس فيها العلوم كلها وقد أنفق عليها من ماله الخاص رغبة في إخراج جيل مثقف إلا أن المدرسة لم تشتهر علىٰ مستوىٰ الحجاز ولم يعرفها إلا أهل المدينة ولا يذكرها إلا الذين شاهدوها ولم يذكرها المؤرخون ضمن مدارس المدينة المنورة ولعل السبب يعود في ذلك إلىٰ قلة طلابها.

ولكني أقول إنه صرح علمي شامخ وبالتأكيد أفاد الكثير فإن فكرة تأسيس المدرسة يؤجر عليها المؤسس خير الجزاء ولعله لم يجد من يمد له العون فظل وحيدًا يدعمها إلىٰ آخر يوم في حياته وبوفاته أغلقت المدرسة بعد أن تخرج منها عدة أجيال من أهل المدينة المنورة والوافدين عليها من أنحاء العالم الإسلامي فجزاه الله خيرًا علىٰ عمله الجليل.

خروجه من المدينة

ولما أعلنت الحرب العظمىٰ[1] أجبر الشيخ اللكنوي علىٰ الترحال من المدينة فقصد دمشق ومكث بها ما يقارب ثلاث سنوات وهناك تعرف علىٰ بعض العلماء وأخذ يجالسهم ويروي عنهم المسلسل برواية الدمشقيين وروىٰ المسلسلات برواية الصوالحة والحنابلة وعندما عاد توقف عن التدريس في المسجد النبوي وكانت هذه الرحلة سبب مرض الشيخ وتعبه وضعف نظره.

---

(١) انظر ما كتبناه في ترجمة الشيخ عمر حمدان.

تلاميذه بالحجاز

انتفع به جم غفير من العلماء وروىٰ عنه علماء في شتىٰ الأقطار الإسلامية فهو من كبار مسندي زمانه ولم يكن في المدينة عالم يشبهه في هذا الشأن فمن تلاميذه والذين روىٰ عنه الشيخ إبراهيم الختني المقرب إليه الشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ عبد الحفيظ الفاسي والشيخ محسن المساوي والشيخ أحمد الصديق الغماري وأخويه عبد الله وعبد العزيز والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن المشاط والشيخ علوي مالكي والشيخ أبو بكر الحبشي والشيخ محمد الحافظ النجاتي والشيخ محمد سعيد دفتردار والشيخ صالح إدريس الكلنتاني والشيخ مختار بن عثمان مخدوم.

علاقته بالعلماء

حفل المسجد النبوي في تلك الفترة بفطاحلة العلماء الأخيار وجميعهم كانوا يعملون في سبيل رفعة هذا الدين الحنيف فالشيخ اللكنوي حسب ما روي لي أنه كان محبوبًا من العلماء والطلاب وعامة الناس فجميعهم يسألونه ويسترشدونه في كل كبيرة وصغيرة فمن أصدقائه:

- الشيخ عبد الرؤوف عبد الباقي المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ عباس رضوان المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ محمد العائش المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ ملا سفر الكولابي المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ عبد الحي أبو خضير المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ ألفا هاشم الفوتي المدرس بالمسجد النبوي.

مؤلفات الشيخ اللكنوي

لقد عمل الشيخ اللكنوي بتأليف الكتب طوال حياته فقد صنف أكثر من ثلاثين مصنفًا في المعقول والمنقول منها:

١- العقود المتلألئة في الأسانيد العالية.

٢- الإسعاد بالإسناد.
٣- المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة.
٤- نشر الغوالي في الأحاديث المسلسلة.
٥- إغنام الأنام بحكم سماع الصوفية الكرام.
٦- كشف رين الريب عن مسألة الغيب.
٧- إظهار الحق في بيعة مولانا عبد الحق.
٨- المنح المدنية في مذهب الصوفية.
٩- تحفة الأماجد بحكم صلاة الجنازة في المساجد.
١٠- الحقيقة في العقيقة.
١١- إزالة الغطاء عن حكم كتابة النساء.
١٢- آيات الكبرىٰ في المعراج والإسراء.
١٣- تحفة الخطباء من خطب النبي ﷺ والخلفاء.
١٤- تسهيل الميزان وبداية الميزان في المنطق.
١٥- خير العمل تراجم فرانكي محل[(١)].
١٦- بركة الباري في سلالة جدنا ملا حافظ الأنصاري.
١٧- رسالة في مناقب الأولياء الخمس.
١٨- شرح رسالة طاش كبرىٰ زادة في الأدب.
١٩- توضيح الصرف وميزان الصرف.

وغيرها من التصانيف المفيدة النافعة -والله أعلم- طبع منها شيء والباقي لم يطبع فقد أفاد رحمه الله المكتبة الإسلامية بمؤلفاته.

---

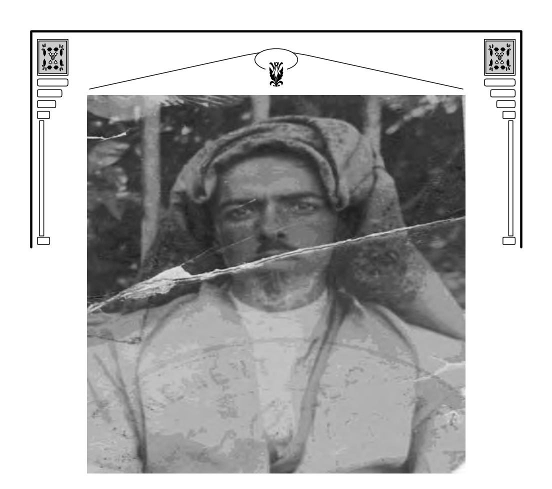
(١) والنسبة إليها (فرنكي محلي) وهي محلة في مدينة لكنو بناها تاجر فرنسي لنفسه فلما تركها ورجع إلىٰ وطنه أصبحت ملكا للحكومة، ومنحها الملك أورانك زيب عالمكير لأولاد قطب الدين الشهيد لما قتله أهل سهالي ١٠٥هـ، وهي من أعظم قلع العلم في الولاية الشمالية، تخرج فيها عدد كبير من العلماء والفضلاء. انظر: الإمام عبد الحي اللكنوي علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء (٦١ إلىٰ ٦٤) بتصرف.

مكتبته الموقوفة

خلّف الشيخ اللكنوي من بعده مكتبة كبيرة تحتوي علىٰ كثير من الكتب والمخطوطات النادرة وحلىٰ الكتب الخاصة به بتعليقات جميلة تدل علىٰ إطلاعه الواسع وله حب في فرز الكتب وترتيبها في أماكنها بشكل جميل وقد أوقف بيته علىٰ أهل بلدته الوافدين لزيارة المدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام ولم يخلف الشيخ ذرية أبدًا وأوقف المكتبة الموجودة في منزله علىٰ طلاب العلم مشترطًا عليهم إبقاءها في منزله وقد حدثني أحد أقربائه الذين في المدينة أن مكتبته حملها أحد أقربائه إلىٰ الهند، فرحمة الله عليه كان حتىٰ بعد وفاته يبتغي فعل الخير.

وفاة الشيخ اللكنوي

وفي آخر حياته ظهر عليه أثر الجهد الذي قام به في حياته وبلغ الكتاب أجله ففاضت روحه إلىٰ بارئها في الرابع من ربيع الأول سنة **١٣٦٤**هـ ودفن في بقيع الغرقد وفقدت المدينة بموته عالمًا من علمائها الصالحين فرحمة الله عليه.



الشيخ محمد العلي التركي[١]

هو محمد بن علي بن محمد بن منصور بن عبد الله التركي العالِم الجليل الفقيه الورع الزاهد الصوفي[٢] الحنبلي.

ولد الشيخ التركي في مدينة عنيزة عام ١٢٩٩هـ[٣]- وتربىٰ علىٰ يد والده تربية حسنة.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ دمث الأخلاق، لا يحب المظهر والشهرة، مربوع القامة نحيفًا جدًا، أبيض اللون مشربًا بالصفرة، دقيق الساقين خفيف الشعر لم يغير بياضه، وسيمًا طلق الوجه، حلو المفاكهة، له نكت حسان، وآية في التواضع وحسن الخلق، حجيجًا في الجدل، أحدودب ظهره وتقوس بعد أن أرهقته الشيخوخة، صار يجعل معه عكازًا، كما ضعف بصره في آخر عمره، وكان مرجعًا في تعبير الرؤيا[٤].

---

(١) ترجمة خطية زودني بها ابنه الشيخ علي بن محمد علي التركي.

(٢) رحلة عمر ٤٨٧.

(٣) قضاة المدينة١/ ١٠٥ترجمة٣٤، ذكر البسام في علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٩٠٤): أنه ولد سنة (١٣٠١هـ).

(٤) روضة الناظرين عن مآثر نجد وحوادث السنين (٢/ ٣٠٦).

نشأته وتعليمه ورحلاته

لقد نشأ الشيخ التركي نشأة مباركة، وقد توفي أبوه في معركة المليداء الشهيرة سنة ١٣٠٨هـ، فبدأ بقراءة القرآن وحفظه وتجويده، ثم حفظه بعد ذلك عن ظهر قلب.

وفي عام ١٣١٣هـ وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره سافر إلىٰ مكة المكرمة واشتغل هو وأخوه إبراهيم بالتجارة ما بين مكة وجدة، وكان يرتاد وطنه في كل عام؛ وقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين التجارة والعلم فعكف علىٰ طلب العلوم بكل جد واجتهاد.

قال المرداد في رحلته في حديثه عن الخلوات الصوفية(١): من تلك الخلوات كانت تقع بالركن الغربي خلوة الشيخ محمد علي بن تركي، ومعه خاله الشيخ عبد الله الضرير، ومعهما غلام لم يكن يتجاوز الحلم، هذه الخلوة التي تقع بهذا الركن الغربي كانت من ذوات القبتين، وكانت واسعة جدًا وأمامها حديقة ذات رياحين ونرجس وورد، وتتوسطها شجرة خروع ويقوم بسقيها وتنظيفها بواب الرباط.

ففي جمادىٰ الآخرة من سنة ١٣٣٥هـ التحق بالمدرسة الصولتية ودرس بها وتزود من علومها القيمة ثم طاف بحلقات المسجد الحرام التي كانت تغص بها رحاب المسجد، فقرأ في التفسير والحديث والفقه والعلوم العربية حتىٰ أدرك في ذلك كله لا سيما الفقه فقد برع فيه، وقبل ذلك قرأ في بلده عنيزة حينما كان يحضر دروس الشيخ عبد الرحمن آل سعدي فأراد منه مناقشة في الفقه ترتفع عن مستوىٰ الطلاب الحاضرين فصار يقرأ في شرح المغني وحده في بيته ويذهب إلىٰ الشيخ عبد الرحمن كل يوم ثلاثاء ليتناقشان فيما أشكل عليه أثناء مطالعته للكتاب.

ومن مشايخه الشيخ العلامة الفاضل أبو بكر خوقير، والشيخ أحمد بن عيسىٰ، والشيخ صالح بافضل، ومفتي الشافعية في مكة الشيخ عبد الله الزواوي، وسيبويه عصره الشيخ محمد علي المالكي، والشيخ عبد الله أبو الخيور، والعلامة الفاضل عبد الرحمن الدهان، والشيخ المحدث شعيب الدكالي.

ومن شيوخه في عنيزة الشيخ عبد الرحمن آل سعدي: قرأ عليه الفقه. والشيخ

---

(١) رحلة عمر ٤٨٧.

صالح القاضي، كما قرأ علىٰ الشيخ محمد العبد الكريم بن شبل والشيخ عبد الله عايض.

وفي ١٦ شوال سنة ١٣٣٧هـ خرج من المدرسة الصولتية وسافر إلىٰ جدة ومنها عن طريق الباخرة إلىٰ الهند وهناك قرأ علىٰ علماء الحديث في دلهي وبومبي وحيدر أباد وزار كلكتا ثم عاد عن طريق الخليج العربي فزار العراق، ثم رجع إلىٰ المدينة المنورة علىٰ منورها أفضل الصلاة والسلام وأقام بها مدة من الزمن قرأ فيها علىٰ علماء الحديث وجدّ في الطلب وثابر عليه، وفي عام ١٣٤٠هـ قام برحلة إلىٰ مصر وفلسطين، وقضىٰ شهر رمضان تلك السنة في القدس -حرره الله من العدوان اليهودي- وألقىٰ دروسًا في المسجد الأقصىٰ في عهد ممثلها أمين الحسيني.

ويقول البسام مؤلف كتاب علماء نجد[١]: وأخبرني عمي محمد الصالح البسام أن أمين الحسيني كان يستمع إلىٰ دروسه وقال أنه لم يجلس علىٰ هذا الكرسي بعد الشيخ محمد عبده أحسن، من المترجم له. وفي نفس تلك الرحلة زار الشام ودخل دار الشطية بدمشق واتصل بعلمائها وكان يحب البحث والنقاش في مسائل العلم وقد عاد إلىٰ جدة عن طريق البحر.

وفي عام ١٣٥٧هـ سافر إلىٰ الرياض ومنها إلىٰ الأحساء والقطيف وباقي إمارات الخليج التي لم يزرها في رحلته الأولىٰ، وكانت قراءاته علىٰ علماء الحجاز ونجد في الفقه وأصوله وفي الحديث والتفسير وأكب علىٰ مطالعة كتب الأصحاب حتىٰ نبغ في الفقه والحديث وتضلع منه، فله الباع الواسع فيه مع مصطلحه، وبعد هذا القسط الوافر من العلم والبحث أكب علىٰ نشر العلم وبثه.

هجرة الأسر النجدية إلىٰ المدينة النبوية

كان لإهل نجد كغيرهم من الشعوب الهجرة إلىٰ المدينة المنورة، وتعد هجرة الإسر النجدية قديمة، وهذه الهجرات كانت إما للمجاورة أوطلب العلم أو للتجارة وقد أدركنا في الصغر سوق بنواحي الحرم يعرف بسوق الشروق بباب المصري، وقد أنشاء

(١) علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٩٠٤).

هذا السوق التجار النجديين الذين كانوا يتعاطون بيع العبیٰ العربية، وقد ذكر الأنصاري في تحفته[١] عدة أسر كان لها هجرة للمدينة المنورة ثابتة القدم ومنهم علماء ومؤذنون ووجهاء ومنهم بيت الحنبلي نسبة إلىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وإليه ينتسب كثير بالمدينة المنورة وأصلهم من نجد، وكانوا يسكنون زقاق الحنابلة بجوار المسجد النبوي الشريف، ومن هذه البيوتات بيت الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلي الشرقي والذين عرفوا بعد ذلك بيت الفرضي لان جدهم كان عالمًا بالفرائض، ومنهم محمد «الملقب» نزيل الكرام الحنبلي النجدي والذي عرفت ذريته بعد ذلك ببيت النعمان وتولت الأسرتين الفرضي والنعمان شرف مهنة الاذان والرياسة في المسجد النبوي الشريف إما بيت الفرضي فلا يوجد احد منهم اليوم بالمدينة، إما بيت النعمان لا زالوا بارك الله فيهم وهم من أشهر المؤذنين حتىٰ يومنا هذا، ومن الأسر النجدية **القديمة بيت رشيدي، وبيت سويرح، وبيت شريفه، ومن الأسر النجدية التي نزحت إلىٰ المدينة في اوائل القرن الثالث عشر عدة أسر كالصويغ، الخريجي، الحركان، القاضي، الدغيثر، الميمان، الصهيل، الزغيبي، وأن كانت هذه الهجرات ازدادت مع بداية العهد السعودي وسوف نذكر منهم البعض لا الحصر كالآطرم، الحجام، الخربوش، العقيل، العامر الرميح، البسام، الزاحم، الصالح، الخيال، المحيميد، الدخيل، دخيل الشايع، الحصين، التركي، الحميد، الجربوع، جربوع القفاري، البلاع، المزيد، الخطاف، الهويمل، الصغّير، الضبيب، المعتاز، الخريصي، النملة، السلوم، ، الفوزان، الصانع، الوقيصي، الجاسر، الخليفي، العواجي، الدعجان، الزبير، الشرفان، مدالله الشرقي، ونويصر الحريقي، القريان، المنيع الخليوي، الغفيلي، الحسين، المطوع، الجبهان، الحسن، الحسيني.**

هجرته إلى الحجاز

لقد انطلق الشيخ التركي يطلب العلم وهو يافع السن فهاجر من بلدته إلىٰ الحجاز يطلب العلم ويأخذه من منابعه الصافية ممن كان في الحجاز فبرع في العلوم الدينية

(١) تحفة المحبين ص٣١٢.

والدنيوية، وكان له الباع الواسع في الفقه والحديث والتفسير وله الباع أيضًا في الأدب والتاريخ والسير والمغازي ودواوين الشعراء وكان يحفظ ديوان أبي الطيب المتنبي وطرفًا من ديوان أبي تمام، ويستشهد بهما في دروسه.

دروسه بالحرمين الشريفين

وقد تصدر في أول حياته مدرسًا بالمسجد الحرام فكان يتكلم بجرأة شديدة فمنع من التدريس فيه ورحل إلىٰ المدينة وبقي مدرسًا في بيته وفي المسجد النبوي الشريف ولشدة جرأته منع من التدريس أيضًا في المسجد النبوي الشريف، ولما افتتح المعهد العلمي في الرياض بمحرم عام واحد وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مدرسًا فيه فاعتذر عن ذلك واعتبر أن طلبه هذا هو سماحًا له بالتدريس بالمسجد النبوي فعقد للعلم وأهله دروسًا عظيمة، وكان الشيخ يجلس ومعه مروحة من السعف يروّح بها علىٰ نفسه أثناء التدريس والطلبة من حوله، فدرس البخاري، وكان في ليلة الجمعة يدرّس ابن الجوزي في الوعظ، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يبحث ويناقش ولكنه جدلي والجدل منه ممدوح كقول الله تعالىٰ ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥] وهو علىٰ ذلك يسير، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ صدوق اللسان ورعًا لا يأكل ممن له وظيفة، حتىٰ أن رزقه من بيت المال مقابل عمله يقول: «لا أريده إلا من أجرة البريد».

أعماله وآثاره

* تولىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ القضاء بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٥هـ حتىٰ نهاية عام ١٣٤٦هـ.

* عين رَحِمَهُ اللَّهُ عام ١٣٤٦هـ مساعدًا لرئيس القضاة في مكة المكرمة وبطلبه أعفي منها عام ١٣٤٨هـ.

* عين مدرسًا بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة بالقسم العالي.

* طُلب للتدريس في المعهد العلمي في الرياض فاعتذر عن ذلك.

* ظهر له رد علىٰ عبد القادر الإسكندراني مشترك.

* كان حينما يذهب إلىٰ عنيزة يلقي درسًا في مسجد العقيلية.

* له ردود علىٰ المنحرفين ونصائح ورسائل، وكان يعظ الملوك والأمراء ولمواعظه وقْع في القلوب.

تلاميذه

لقد درس الشيخ التركي بالحرمين الشريفين، وقد خلف تلامذةً من بعده نشروا العلم، فمن أشهر تلاميذه الشيخ محمد منصور خطاب، والشيخ عبيد الله كردي، والشيخ سليمان الصنيع، والشيخ محمد بن سيف اليماني، والشيخ عبد العزيز البسام، والشيخ عبد الله الفهيد، والشيخ عبد العزيز الفريج، وكافة طلبة مدرسة العلوم الشرعية يعتبرون من تلامذته . . . وغيرهم من أولي العلم والفضل.

مواقفه

ذكر زيارة العلامة المحدث الشيخ محمود ياسين للشيخ ابن تركي.

قال الشيخ محمود ياسين في رحلته[1]: «في ثامن أيامنا في المدينة المنورة الثلاثاء ٧ ربيع الآخر **١٣٥٩**هـ أدينا ولله الحمد المصلاة الفجر بالروضة مع الإمام الأول.

ومكثنا نقرأ ما تيسر لنا حتىٰ صلينا الضحىٰ ثم رافقنا الإخوان لزيارة الشيخ ابن تركي وقد كان هذا الرجل يجاهر في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم وقد كان إنكاره علىٰ رئيس مجلس القضاة في مكة المكرمة حينما ركل رجلًا في المسجد ليجلس في مجلسه سببًا لإقالته من وظيفته ثم أوذي ثانية حيث منع من التدريس وثالثة وضع تحت المراقبة ومع ذلك بقي صابرًا لأنه يرىٰ أن في عنقه ديْنًا لابد من إيفائه ثم إنه يكرر القول بأن الحكام هم المؤاخذون والمسؤولون عن تأخر المسلمين وفشوا الجهل فيهم. وأضاف إلىٰ ذلك قوله: «نحن لا نقصد حكومة معينة إذ لا غاية لنا في ذلك وإنما نتحدث عن حكام المسلمين بعامة».

---

(١) الرحلة إلى المدينة ص٩٠٤-٩٠٧.

وقد أنكر أشد الإنكار شرب الدخان وحلق اللحية والتصوير ولو غير مجسم ولو كان شمسيًا وعلىٰ ورقة.

قال وللحنابلة قول بجواز النصف ومع هذا فقد طلب إليه أن يصوَّر فأبىٰ، وكل هذا مما يوافق مذاهبنا والله المستعان علىٰ ما يصفون.

وفاة العالم الصالح

وبعد حياة مليئة بالأعمال الصالحة وقول الحق مرض الشيخ في المدينة المنورة ولازمه المرض نحو سنة، فانقطع في بيته ومازالت صحته في تأخر حتىٰ صعدت روحه إلىٰ بارئها في صباح يوم الجمعة المبارك الموافق ٢٠/٦/ ١٣٨٠هـ وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة في المسجد النبوي الشريف، وشيعت جنازته في موكب حافل، وبكيت عليه العيون وتأثرت النفوس، فقد كان الرجل محبوبًا من جميع الطبقات. وقد صليّ عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.



محمد بن محمد سعيد دفتردار(١)

رجالي أعلام المدينة

هو محمد بن محمد سعيد(٢) بن يحي بن محمد سعيد بن عمر بن علي بن عبد الرحمن دفتردار(٣)

لفتة تاريخية

أقول: يظن الكثير من الناس أن محمدسعيد هو اسم مركب لعلمنا لكن الصحيح ان اسمه محمد واسم ابيه محمد سعيد.

مولده

ولد الدفتردار بالمدينة المنورة في ١٠/ ذوالقعدةسنة **١٣٢٢**هـ وعندما بلغ الثامنة إلتحق بكتاب السنبلية الشهير وحفظ القرآن الكريم وبه أتمه وجوّده بالجزرية سنة **١٣٣٢**هـ، وصلىٰ به التراويح بالمسجد النبوي سنة **١٣٣٣**هـ، أي وعمره عشر سنوات وهذه كانت عادة أهل وأسر الحجاز بعد إتمام ختم القرآن يصلي الحافظ التراويح

---

(١) مجلة المنهل ٧ تقسيم ٥٨٣-٥٨٤ عبد القدوس الأنصاري، المنهل ٣٣ تقسيم ٧٨٧-٧٨٩ سنة ١٣٩٢هـ عبد الحق نقشبندي.

(٢) ورد اسمه ضمن قائمة الائمة والخطباء بالمسجد النبوي الشريف توفي سنة ١٣٥٨هـ.

(٣) انظر تفاصيل بيت الدفترار المدنيين في ترجمة جد المترجم له في صفحات كتابنا.

ويحتفل به ذويه والعلماء ويوزعون في يوم التختيم الحلوىٰ والهدايا بتلك المناسبة فرحمة الله علىٰ تلك الايام.

نشأته وحياته

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولىٰ وحاصر فخري باشا المدينة وأجلىٰ أهلها إلىٰ الشام والأناضول كانت أسرة المترجم له ضمن من هاجر إلىٰ دمشق، فالتحق الشيخ محمد بمدرسة الصنائع ثم أنتقلت أسرته إلىٰ لبنان واستقرت في بيروت، فدرس هناك بعض العلوم العربية والدينية، ثم أن أخاه هاشم قرر الرحيل إلىٰ مصر والإلتحاق بجامعة الأزهر، وبالفعل إلتحق وتخرج وعاد إلىٰ لبنان وعمل مدرسًا بمدارسها وواعظًا في جوامع بيروت، فقرر المترجم له السفر إلىٰ القاهرة والتحق بجامعة الأزهر سنة **١٣٤٨**هـ، ومكث هنالك قرابة العشر سنوات ودرس علىٰ الطريقة النظامية إبتدائي وثانوي وقسم عالي في كلية اللغة العربية وتخرج حاصلًا علىٰ الشهادة العالمية سنة **١٣٥٩**هـ وحصل علىٰ أجازة التدريس العام.

الدفتردار معتمد المعارف

عاد الشيخ الدفتردار إلىٰ المدينة بعد غياب دام أكثر من ربع قرن، فعمل مدرسا في كثير من المدارس وكان له دور كبير في إثراء الحركة التعليمية بالمدينة المنورة، فقد أسس في المدينة المنورة وضواحيها وملحقاتها ما يقرب من **٣٠**مدرسة، وعندما راىٰ المسؤلين همته وإخلاصه في العمل صدر أمر بتعيينه معتمدًا للمعارف نظرًا لجهوده المبذولة، كما اسند إليه إدارة المدرسة الثانوية التىٰ كان تأسيسها علىٰ يديه، ثم أسس المعهد السعودي بالمدينة والقسم الداخلي وكل هذه المدارس والمعاهد والاقسام كانت تحت إدارته وتوجيهه فأصبح رائد الحركة التعلمية الحديثة بالمدينة

الدفتردار من رواد الأدب الحجازي

لقد عج الحجاز في تلك الفترة بالأدباء وجيل المدرسة الحديثة الجامعة بين التقليد والعصر الحديث فالدفتردار من أدباء الحجاز وشعرائه المخضرمين، فقد اهتم بتاريخ الأدب العربي، وأعاد كتابته بلغة عصره حيث أنه تميز بمنهجه القويم الذي سار علىٰ نهجه الكثير من الأدباء المدنيين من بعده، جمع بين مدرسة الحجاز القديمة وعصر

التجديد الحديث ضمن التيارات الأدبية المتنوعة والتىٰ تستقر في منطقة الحجاز فكل الأدباء والشعراء باختلاف منهجهم يتأثرون بعوامل الأدب الحجازي حيث العراقة واختلاف الحضارات مع مرور الدول علىٰ مدىٰ الأزمنه فالدفتردار أديب حجازي أصيل عاش طفولته بالحجاز وشاعرمخضرم تاثر بهجرته إلىٰ عدة مناطق مما جعل له إجادة نثريه فهو من أوائل القصصين، ولا شك أن لهذا الرجل وجيل الرواد المدنيين من جيله كان لهم الدور الكبير في تأسيس أسرة الوادي المبارك، والتي كانت لنادي المدينة الادبي فيما بعد.

والحقيقة أن الرجل لم يكرم من بين أولئك الجيل فقد كان بسيطًا في مسلكه وملبسه ونجد أن النوادي الأدبية وكثير من الجهات المتخصصة وبالأخص وزراة الإعلام قد تجاهلت ابناء المدينة المنورة رغم بروز المدنيين عن غيرهم فسبحان الله ما الحكمة من ذلك.

الدفتردار رِجالي المدينة

لقد تميز الدفتردار بكتابة التراجم بأسلوب رائع، وقل في ذلك الزمان أن تجد رجل يكتب مثل ما كان يكتب الدفتردار، لقد تميز بمصادقية ما كتب فهو يصور لك حياة المترجم له بواقعية فيجعلك تعيش معه وكأنك عشت معه فلا يدخل في أساطير الرجال أو الزعماء ولا يبالغ في المدح والثناء بل إنه يعطي كل ذي حق حقه، اضف إلىٰ سلاسة الأسلوب وعدم استخدام الألفاظ المعقدة فلا تجد التعقيد أو الالتواء، وقد أعتنىٰ عناية خاصه بكل من كتب عنهم ولم يكن يهتم بمشاهير الرجال فحسب،بل إنه يكتب عن أولئك المغمورين ويكشف لنا عن سيرهم وقد انقطع باب التراجم من حيث التأليف من القرن الثاني عشر الهجري، وإن كان هناك من كتب فإما من بين مخطوط لم يرىٰ النور أو مسودات موروثه في ايدي المدنيين في مكتباتهم الخاصة، إلا أن الدفتردار الرجالي المميز قد استحضر الكثير من التراجم ولم يختص بوقت معين، وكأنه علىٰ حسب اطلاعي اختار من القرن العاشر حتىٰ الرابع عشر فكانت تراجمه لعلماء وأدباء وأعيان المدينة المنورة لم يذكر غير محاسنهم وسكت عن أخطائهم أو هفواتهم.

بين الدافتردار رجالي المدينة ورجالي مكة عمر عبد الجبار(١)

فلم نجد في الحجاز من كتب مثل ما كتب الدفتردار غير ان المكيين قد اهتموا بثراث رجالهم فنجد الرجالي المكي عمرعبدالجبار كتب بمدرسة مخالفه عن الدفتردار وكانت تراجمه بشكل تقليدي وهذا ليس عيب، إلا أن فن كتابة السير والتراجم يكون حافزًا للأجيال القادمة كلما كتب بأسلوب شيق وقد نشر عبد الجبار ما كتب باسم سير وتراجم بمسمىٰ جميل في كتابه (دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام) ثم أصدر الكتاب بعدة طبعات منقحه بأسم (سير وتراجم من رجال القرن الرابع عشرالهجري) ولعل الكتاب يعد موسوعة للقاصي والداني بالرغم من صغره إلا أنه استوفي الكثير من العلماء المكيين لاسيما أنه راىٰ النور فلم يكن في طي المخطوط أو الموروث، وهذا من باب الشيء بالشيء يذكر، ومما لاشك فيه أن الدفتردار هو موسوعة رجالية مدنية لتراجم الراحلين وقد استكتب من لحق بهم في حياته، وقد كشفت رساله كتبها الدفتردار إلىٰ السيد الأديب علي حافظ يطلب منه ترجمته ورسالة أخري من رفيق دربه الاستاذ عبد الحق نقشبندي تعنىٰ نفس الامر، إلا أن الرسالة الدفتردارية كما ذكرها الاستاذ عبد القدوس الأنصاري تنص علىٰ ما يلي: إن المدة التي أستغرقت تأليف كتابي أعلام المدينة المنورة «هي **٣٠**عاما» ثم عدد اسماء المترجم لهم فيه، وقد أحصيتهم فكان مجموعهم نحو **٣٢٠** أديبا وعالمًا وشاعرا ومرجعا.

أقول: وقد نُشر بعض هذه التراجم في جريدة المدينة ومجلة المنهل وعدد ما نشر تقريبًا نيف وخمسين ترجمة، والحقيقة أني عندما أردت الكتابة عن علماء وأعلام المدينة، بعد انقطاع هذا الباب بوفاة الدفتردار لم يكن أمامي إلا ثلاثة مراجع هامة: وهي إدراك المعمرين، واخذ المعلومات الشفهية من ذوي المترجم لهم، ومقالات الدفتردار، فكم من بيت ذهبت إليهم وقالوا لا نعلم إلا ماكتبه الدفتردار فينا، وهذا يدل علىٰ أن الرجل عني بالأمر خير عناية، فكنت عيالٍ عليه، والأمر الذي حيرني

---

(١) عمر عبد الجبار (١٣١٨- ١٣٩١هـ) مؤرخ أديب حجازي مكي التحق بالمدرسة العسكرية في عهد الشريف الحسين وتخرج ضابطًا أول تقلد عدة مناصب وأسس مدرسة الزهراء بمكة له إسهامات أدبية كبيرة ورحلات إلى بلد شتى، أخرج كتابه سير وتراجم وكان تحفة في تراجم علماء مكة في القرن الرابع العشر الهجري.

طوال هذه السنوات هو عدم ظهور تلك الموسوعة وأستغرابي لماذا لم يهتم ابناء الاسرة الدفتردارية بنشر تراث والدهم رحمه الله، وقد حدثني الاستاذ عبد الرحمن بن محمد دفتردار في زيارتي له منذ زمن بعيد ان الموسوعة موجوده وستطبع وعلمت قبل ذلك اجتهاد الحافظين علىٰ وعثمان والأنصاري والنقشبندي وسعيهما لأظهارها، ولكن لم يحالفهم التوفيق.

أقول لم أجد مبررًا مقناعًا لاخفائها في الدولايب أو الخزائن طيلة أكثر من ثلاثين عاما!، فالله أسال إن يسخر أبنائه الكرام ويقيضهم لنشر هذا التراث كي يكون في القريب العاجل بين أيدي الناس.

مؤلفاته

لقد أصدر الدفتردار عدة كتب حال حياته وسوف أذكر بعضها فيما

(تاريخ الادب العربي)

(قصة الافندي)روايه

(ذخائرالمدينة المنورة في اسمائها وفضائلها واعية زيارة اثارها الشريفة)مخطوط

(قصة المجيدي الضائع)روايه

(الحاجة فلحه)روايه

(محاضرات دينية)

(مذكرات من تاريخ العرب قبل الاسلام)

(نصوص مختارة)

(أعلام المدينة المنورة) مخطوط

وفاته

لقد عاش الدفتردار حياة كريمة يحب العلم والأدب وكانت اسهامته في مجالي التعليم والفكر ظاهرة، وهو علىٰ حاله في منزله البسيط بمحلة باب المجيدي من بين كتابة التاريخ والتأليف والعبادة وأداء الصلوات، حتىٰ وافته المنية في يوم السبت الموافق **٢٩**/ربيع الاول **١٣٩٢**هـ ودفن في بقيع الغرقد في موكب حافل اشترك فيه العلماء والوجهاء والأعيان ورثاه الأدباء والشعراء فكان فقيدًا للعلم والأدب.



الشيخ محمد المختار الشنقيطي

هو محمد المختار بن محمد سيد الأمين بن حبيب الله بن أحمد بن مزيد الجكني الشنقيطي المدني، وقبيلته الجكنية تعد من أكبر وأشهر القبائل في بلاد شنقيط.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة **١٣٣٧**هـ في مكان يعرف بالشقيق على مقربة من مدينة الرشيد في بلاد شنقيط والمعروفة باسم موريتانيا[١] كان رَحِمَهُ اللَّهُ طويل القامة، نحيف الجسم، أسمر اللون، واسع العينين، أقنى الأنف، خفيف اللحية، عريض الجبهة، يرتدي الجبة والعمة[٢] وهذا زي العلماء في ذلك العصر.

أما عن صفاته وأخلاقه فقد حدثني بها الناس الكثير من معاصريه وتلاميذه فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ دمث الأخلاق، متواضعًا، هادئ الحديث، واسع الإطلاع، عطوفًا، رحيمًا، راجح العقل، اشتهر بالعفة والنزاهة، أحبه الناس والتفوا حوله فكان مفتي زمانه وعصره.

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص (٢٥٢).

(٢) حدثني عن أوصافه والدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

نشأته وتعليمه

إن الحديث عن أسرته وعشيرته يحتاج إلىٰ صفحات عديدة فهو من بيت علم معروف ومشهور فجده المختار كان عالم زمانه وله آثارٌ علميةٌ ضخمة منها ألفية مشهورة بمثابة ألفية ابن مالك عند علمائها، إلىٰ تآليف كثيرة وآثار نافعة كان بها مضرب المثل في إقليم شنقيط[١].

أما والده فقد كان رئيسًا لآل مزيد وشيخًا لهم يرجعون إليه في أمورهم ويقدمون قوله الصائب[٢].

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الوسط أثره علىٰ ذلك الطفل فنشأ محبًا للعلم، وطلبه صغيرًا فأقبل علىٰ حفظ كتاب الله علىٰ يد والدته فحفظ منه أجزاءً عديدة لكنها توفيت قبل أن يتمه فواصل الجهد علىٰ يد والده حتىٰ أتم حفظ الثلاثين جزءًا ثم شرع في قراءة ودراسة رسم المصحف وضبطه وما يتعلق بذلك من علوم القرآن وفنونه علىٰ علماء أجلاء نذكر منهم الشيخ محمد سالم بن عبد الجليل والشيخ محمد بن محمود بن الحبيب حتىٰ نال فيه علمًا وفيرًا.

ثم اشتغل بعلوم النحو والصرف، والفقه وأصوله علىٰ يد شيخه الشيخ أحمد بن مود والذي كان له الأثر البارز واليد الطولىٰ في ظهوره وبراعته في شتىٰ العلوم[٣].

هجرته إلى الحجاز

وقد كان لقراءته سيرة النبي ﷺ ذلك الأثر الكبير في تشوقه لمجاورة المدينة المنورة بلد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومأرز الإيمان فكان محبًا لها حبًا لا يوصف يحث الناس علىٰ البقاء فيها وعدم الخروج منها، فخرج من بلاده وعمره آنذاك تسعة عشر عامًا قاصدًا البقاع الطاهرة في المحرم مطلع عام ١٣٥٦هـ[٤] فنزل

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص (٢٥٢).

(٢) مصاب جلل: مقال نايف الدعيس/ جريدة المدينة.

(٣) المصدرنفسه.

(٤) المصدر نفسه.

بمكة المكرمة وأدىٰ مناسك العمرة ثم توجه إلىٰ المدينة المنورة ليتشرف بزيارة سيد البشر النبي الأمي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه والسلام علىٰ صاحبيه رضوان الله عليهم.

تعليمه بالحجاز

وفي المدينة المنورة شمر عن ساعديه وبدأ في طلب العلم فالتحق بحلقة الشيخ عمر السالك ولازمه وقرأ عليه التفسير والنحو والتصريف ثم درس علىٰ يد الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الحسن وقرأ عليه الفقه والحديث والسيرة النبوية وعندما اقترب موعد الحج عزم علىٰ الحج ماشيًا، ففي غرة شوال خرج من المدينة المنورة ووصل إلىٰ مكة في الثامن عشر من نفس الشهر وبعد أن أدىٰ فريضة الحج تعب الشيخ فأصابه مرض ألزمه الفراش عدة أشهر، وفي مكة المكرمة قضىٰ أربع سنوات يطلب العلم علىٰ يد علماء المسجد الحرام حيث درس أولًا علىٰ يد العلاّمة الشيخ محمد العربي التباني حيث سمع منه موطأ الإمام مالك وسنن النسائي وأبي داود، ثم لازم العلامة محمد تكر الأفريقي نزيل مكة وانتفع به كثيرًا ثم سمع الصحيحين والسنن علىٰ يد الشيخ حسن المشاط وأجازه فيهما ثم درس علىٰ يد السيد محمد أمين كتبي والذي سمع منه بعض صحيح مسلم؛ ولقد اشتهر الشيخ الشنقيطي بين شيوخه بحسن الفهم وأخذ العلوم بأوفر نصيب وأعلىٰ قدر فقد كان بارعًا في العلم مجتهدًا في طلبه انصرف يتزود بزاد العلوم والمعرفة وهو يافع السن فنال من العلم أوسعه.

دروسه في المسجد النبوي

وعندما عاد إلىٰ المدينة المنورة أخذ مكانه للتدريس في المسجد النبوي فعقد للعلم سوقًا فريدًا بضاعته التدريسية نادرة فدرس وأفاد وانتفع به العباد والتف طلاب العلم حوله وآثروه علىٰ غيره لما لمسوا فيه من حكمة وموعظة حسنة فكانت حلقته بين باب الرحمة وخوخة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يدرس في المسجد بعد كل فرض فنًا من فنون العلم فكان درسه بعد الفجر في تفسير كتاب الله وبعد الظهر في صحيح البخاري، وبعد العصر مغني المحتاج في فقه الشافعية وبعد صلاة المغرب موطأ

الإمام مالك وبعد العشاء صحيح مسلم خمس حلقات كل حلقة تفيض بالطلاب وكان رحمه الله في الحفظ يفيض في الحديث دون ملل أو كلل فرمىٰ بسهمه في كل فن فهو بارع متمكن بحق في جميع العلوم، وقد درس في المسجد النبوي صحيح البخاري بشرحه وختمه خمس مرات.

ودرس صحيح مسلم وختمه أربع مرات، ودرس الموطأ وختمه أربع مرات ودرس السيرة النبوية لابن هشام ثلاث مرات ودرس الرسالة في الفقه المالكي وأنهاها مرتين والبداية والنهاية لابن كثير في التاريخ مرة واحدة وسنن النسائي مرتين وجامع الترمذي مرة واحدة وكان الشيخ الشنقيطي يتميز بصبر وجلد غريبين حيث إنه حتىٰ في رمضان يصلي الفجر في المسجد النبوي الشريف ولا يخرج منه إلا بعد أن يفطر وكان مع أنه صائم لا يترك التدريس فيدرِّس بعد الظهر وبعد العصر ثم يذهب إلىٰ داره بعد المغرب ليعود ويصلي العشاء.

دروسه وإمامته بمسجد قباء

وقد كان الشيخ الشنقيطي الخطيب المفوه لمسجد قباء وقد شهد له المنبر تلك المواقف الحازمة فكان يجعل القلوب تقشعر من خشية الله ويحرك أوتارها ويجعل العيون تفيض من الدمع.

وكان رحمه الله مخصصًا يومين من أيام الأسبوع يوم الاثنين والخميس للتدريس في مسجد قباء يدرِّس أمور الفقه والقراءة والكتابة ولمجلسه في قباء رواده وملازموه.

الشنقيطي بمدرسة الفلاح

في عام ١٣٦٦هـ انتقل الشيخ محمد المختار الشنقيطي للتدريس بمدرسة الفلاح بجدة بطلب من القائمين عليها وكان رحمه الله طيلة بقائه في جدة يدرِّس دروسًا عامة في مسجد عكاشة فدرَّس كثيرًا من العلوم كالتفسير ورياض الصالحين، ومكث هناك قرابة أربع سنوات يأتي المدينة في الإجازات ويمارس تدريسه بالمسجد النبوي الشريف.

أعماله

وعندما طبق صيته أرجاء البلد طلب منه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ التدريس في المعهد العلمي بالرياض وكان آنذاك عام **١٣٧١**هـ فمكث مدرسًا لمدة ست سنوات.

وفي عام **١٣٧٨**هـ صدر قرار بتعينه مدرسًا بدار الحديث واستمر بها حتىٰ عام **١٣٨٢**هـ حيث طلب بعد ذلك للتدريس في الجامعة الإسلامية، واستمر بها حتىٰ عام **١٤٠٣**هـ وكان يدرس في أغلب كلياتها وله بها نشاطات كثيرة وأفضال عظيمة وتوقف عن التدريس إذ أن صحته لم تمكنه من الاستمرار في العمل ولتجاوزه سن التقاعد.

تلاميذه

كان الشيخ الشنقيطي عطوفًا علىٰ طلابه يشجعهم علىٰ طلب العلم ويساعدهم بقدر ما أمكن فكان مدرسًا وهب حياته كلها للعلم وطلابه وداره أيضًا كانت تغص برجال العلم والدين وطلابه وكان وقته الضيق كله لخدمة العلم فكانت الفتوىٰ والأسئلة تأتيه من جميع أنحاء العالم الإسلامي فيجيب عليها. وهنا آن لنا أن نذكر بعض الذين تتلمذوا علىٰ يديه:

ومن تلاميذه أيضًا الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ راشد بن حنين والشيخ عبد الله الزاحم والشيخ علي مشرف والشيخ عطية محمد سالم والشيخ عبد المحسن آل الشيخ والدكتور محيي الدين كيال ومن قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والدكتور أبو عبد الملك بن ناصر البر وابنيه الدكتور عبد الله والأستاذ محمد وهما صنوا أبيهما في العلم والفضل وقد أنجب عبد الرحمن وأحمد وأبو بكر وأربع من البنات رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة وبارك في عقبه.

مكتبته العلمية

للشيخ الشنقيطي مكتبة قيمة تجمع شتات العلوم فقد كان مطلعًا يعكف علىٰ القراءة لا يملها وأظن أنه أوقف مكتبته لطلاب العلم.

آثاره العلمية

ليس شرطًا أن يكون العالِم هو مَنْ يؤلف تلك المؤلفات الضخام لكن العلماء يختلفون من بعضهم لبعض فمنهم مَنْ يهب نفسه لملء المكتبة الإسلامية بالمؤلفات القيمة ومنهم من يقوم بوهب نفسه لطلاب العلم وغرس الثمار في أوساط العباد وشيخنا المختار من هذا النوع ورغم ذلك إلا أنه ترك بعض الآثار العلمية والتي لم تطبع بعد وهي رسائل نذكر منها:

الجواب الواضح المبين في حكم التضحية عن الغير من الأحياء والميتين(١).

تأليفه القيم

ومن أهم آثاره العلمية شرحه لسنن النسائي وذلك عندما رأىٰ بقاءها دون شرح بخلاف سائر كتب السنن القديمة والحديثة . . . إنه جهد عظيم تنوء به العصبة قام به الشيخ فردًا وحيدًا حتىٰ أتمه بكل دقة وتحقيق، جعله الله في ميزان حسناته يوم القيامة.

وفاة الشيخ الشنقيطي

وعندما بلغ الكتاب أجله صعدت روح الشيخ محمد المختار الشنقيطي إلىٰ بارئها في يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء **٢٩** من جمادىٰ الأولىٰ عام **١٤٠٥** من الهجرة النبوية المباركة.

فقد كان عالِمًا من علماء المدينة الفطاحلة، مجاهدًا بقلمه ولسانه، وداعيًا إلىٰ الله علىٰ بصيرة . . . رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعة وأسكنه جناته ودار مغفرته ورضوانه.

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم ص (٢٥٨) وقال فيه: «وقد كتبها جوابا عن استفتاءات وردت إليه بشأن الأضحية عن الموتىٰ، ويلاحظ من الصيغة التي عنونها بها، نزعته رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ المحافظة علىٰ طرائق المتأخرين في أساليب التعبير، وهي النزعة التي رافقته في كل تصرفاته دون استثناء». انتهىٰ.



الداعية المدني

السيد محمد مكي بن حسين بن عبد الله بافقيه(١)

السادة الأشراف آل باعلوي

قبل الخوض في ترجم السيد محمد مكي، سوف اذكر نبذة مبسطة عن السادة آل باعلوي أو بني علوي، فهم قبيلة شهيرة عظيمة تنحدر منهم اسر كثيرة من بينهم أسرة بافقية التي سنتكلم عنها، والسادة باعلوي يرجعون في نسبهم إلىٰ: السيد علوي بن عبيد الله بن احمد المهاجر بن عيسىٰ بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ونذكر منهم علىٰ سبيل المثال لا علىٰ سبيل الحصر: آل باعقيل، وأل بلفقية، وآل البيتي، وآل الجفري ومنهم آل الصافي، وآل جمل الليل، وآل الجنيد، وآل الحبشي بكسر الحاء المهملة، وآل الحداد، وآل الحامد، وآل السقاف،، وآل سميط، وأل الشاطري، وآل شهاب، وآل طاهر، وآل الشيخ أبوبكر، العيدروس، وآل بكرية، وآل أبي نمي، وآل مرزق، وآل خرد، وآل البيض، وآل الشلي،وآل الحيد، وآل مشيخ،

(١) ترجمة خطية زودني بها حفيده السيد هاشم بافقيه، مخطوط دفتر الأئمة والخطباء بالمدينة المنورة، من أعلام المدينة المنورة محمد سعيد دفتردار جريدة المدينة.

وآل فدعق، وآل العطاس، وآل الكاف، وآل الهدار، وآل المحضار، وآل المشهور، ، وآل طاهر، وآل مديحج، وآل يحيىٰ.

أقول: وآل باعلوي أنسابهم محفوظة في سجلات ومراجع مثبتة، ولهم أوقاف خاصة بهم، وينتشرون في بلاد العالم الإسلامي فمبدأهم الحجاز، وجلهم في حضرموت، وجاوىٰ، والهند وبخارىٰ، وأفريقيا، ، وغير ذلك، وقد فصلنا في أنسابهم وأعقابهم إلىٰ وقتنا الحاضر في شرحنا للأصول.

أسرته

أسرة السادة آل بافقيه، من أحد فروع السادة آل باعلوي وقد أشتهرت هذه الأسرة بالعلم والفضل، وهي من الأسر المعروفة في المدينة المنورة ولهم عراقة بمدينة خير الورىٰ صلىٰ الله عليه وآل وسلم، وجدهم الجامع، هو: السيد عبد الله بن حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد فقيه بن عمر بن بن علي بن محمد فقيه بن عبد الرحمن بن علي بن أبوبكر السكران بن عبد الرحمن السقاف بن محمد مولىٰ الدويلة بن علي بن علوي بن محمد الفقيه بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي.

ومن أحد أعلامها:

السيد علوي بن أحمد بن عبد الله بافقيه

ولد في المدينة سنة **١٢٦٣**هـ، وحفظ كتاب الله، ثم شمر ساعديه ولبس لباس الجد والأجتهاد، فأخذ ينهل العلم من أهله، فدرس علىٰ علامة عصره العلامة السيد أحمد زيني دحلان صاحب كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، عند قدومه للمدينة سنة١٢٧٨هـ، فدرس عليه شرح الأجرومية، كما تلقىٰ عنه مبأدىٰ الفقه الشافعي، ثم واظب علىٰ حضور حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، فأخذ عن الشيخ الحبيب محمد بن حسين الحبشي، والشيخ المعمر البركة عمر بن محمد الجفري، حتىٰ تمكن ونال الإجازات.

علوي بافقيه أمامًا ومفتيًا

عين السيد علوي أمامًا للمحراب الشافعي، ثم نصب مفتيًا للشافعية، وتولىٰ نقابة الأشراف بالمدينة المنورة، وكانت لهذه الوظائف مكانتها وشأنها، علىٰ عهد العثمانيين.

الجهاد في سبيل الله

وحينما اعلنت الحكومة العثمانية الحرب علىٰ الحلفاء، وانضمت إلىٰ الألمان والنمسا، وأعلن شيخ الأسلام الجهاد المقدس للمتطوعين وجمع التبرعات، وكان مقصد الأتراك مهاجمة القطر المصري عن طريق اقتحام قناة السويس، وأخذوا ينشرون الدعاية في الحجاز للمتطوعين وأخذا في جمع التبرعات، وقام علماء المسجد النبوي الشريف يلقون الدروس والمواعظ في فضل الجهاد، وفضيلته بالنفس والمال،فتحمس الناس أيما تحمس فجهادوا بالأنفس والأموال، حتىٰ النساء كن يتبرعن بحليهين، وتبرع الكثير من الفلاحين بنتاج بساتينهم من التمر، كل ذلك والسيد علوي هو لسان هذه الدعوة، وأخرج كم هائلًا من ماله، ثم خرج مجاهدًا هو وأولاده، واقتدىٰ به الكثير من علماء المدينة، وأعيانها وشبابها، ومجاوريها، وكان خروجهم في مشهد عظيم، حيث خرجوا من المسجد النبوي إلىٰ محطة السكة الحديد الحجازية، تزاحم فيه الناس، وتواكبت فيه جنود الأتراك، بهؤلاء المجاهدين، وخرجوا علىٰ فرقتين، الفرقة الأولىٰ: ذهبت إلىٰ القدس، ومنها إلىٰ العريش، وصحبوا من هناك الحملة علىٰ الجمال التي كان الأتراك ابتاعوها من أهل الحجاز، لتكون في مقدمة الحملة، ولكن هؤلاء ذهبوا، ولم يعد منهم أحد، حيث لم يكونوا علىٰ تدريب تام، ولاعدة كافية، وأما السيد علوي وأولاده، فذهبوا إلىٰ من عمان إلىٰ القدس بحفاوة لامثيل لها، وأخذت الصحف التركية والسورية والفسطينية تنشر نبأخروج نقيب أشراف المدينة ومفتيها وإمام مسجدها، وأطلقت حوله الدعايات المحفزة للمجاهدين لتثبيت أقدامهم.

وفاة السيد علوي بافقيه

كان السيد علوي آنذاك في السبعين من عمره فأعتراه التوعك في القدس، وبقىٰ مدة

سقيمًا فيها، حتىٰ وافاه الأجل المحتوم، وهو علىٰ نية الجهاد في سبيله، وكانت وفاته ﵀ في ليلة الجمعة الموافقة السابع من شهر صفر الخير لسنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وألف، وقد وقع نعيه علىٰ أهل القدس حكومة وشعبًا وقعًا مؤلمًا، فكان يوم دفنه يوم مشهودًا،شيعته البلدة بأتمها، وعطلت الأعمال، وغلقت الحوانيت، وشيعه القادة والعلماء والأعيان، صلوا عليه في المسجد الأقصىٰ، ودفن في مقبرة نبي الله داود ﵇.

السيد محمد مكي بافقيه

وهو أصل الترجمة، ولد ﵀ في المدينة المنورة بدار والده حسين بافقيه (المتوفي سنة ١٣١٤هـ) بمحلة الساحة القريبة من المسجد النبوي الشريف، وذلك في يوم الرابع عشر من شهر رجب لسنه ألف ومائتين وخمسة وثمانون، من الهجرة النبوية الشريفة.

وصفه

كان رحمه جميل المطلع أبيض اللون، متوسط القامة، عريض الجبهة، كث اللحية،وكان يرتدي الجبة الفضفاضة، والعمامة البيضاء، وهذا زي العلماء في ذلك العصر.

نشأته وتعليمه

نشا ﵀ نشأة دينية، حيث قام والده علىٰ تحفيظه كتاب الله، فحفظة، وأتم بعض القراءات، فدرس في كتاب الشيخ إبراهيم الطرودي، ثم طاف بحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، وكانت همته عالية في طلب العلم، وأخذ يلتقىٰ العلوم من مشايخ الحرم النبوي، فقرأ صحيح البخاري، ومسلم، ومشكاة المصابيح، ودرس علوم اللغة العربية، وأتقناها أيما أتقان فبرع فيها،فأخذ ينهل من علوم الأدب كالكامل لأبن المبرد، وديوان الحماسة، وغيرها، ثم درس الفقة والتفسير، وعلىٰ أثرها نال الإجازات، فعرض عليه التدريس في المسجد النبوي الشريف إلا أنه اعتذر، وفضل العمل في خدمة الحجيج.

الأدلاء في مدينة سيد الكونين

اصل كلمة الأدلاء هي جمع لكلمة دليل، والدليل: هي مهمة وراثية للأسر المدنية

العريقة، وكل دليل له حجاج من بلدان معينة، فيقوم الدليل بخدمة الحاج ويتكفل بتجهيز السكن، ومساعدته في كافة أموره، والأهتمام به حتىٰ يعود إلىٰ بلده سالمًا غانمًا، وكان الناس في الحجاز يسمون القائمين في المدينة إما دليل أي دليل الحجاج في فترة أقامتهم أو المزور نسبة إلىٰ الزيارة، إما في مكة المكرمة فيعرف بالمطوف، فكان السيد محمد مكي يقوم بتزوير الحجاج بالمسجد النبوي، ويذهب معهم ويعرفهم بالمآثر النبوية الشريفة، ويبين لهم الزيارة الشرعية الصحيحة، فيقوم بدور العالم الفقيه، وقد كونت هذه المهنة الشريفة للسيد مكي علاقات مع القادمين من خارج البلاد من حجاج الهند، وكثر محبيه وتلاميذه،، فأصبح علمًا معروفًا، لاتنقطع مراسلاته معهم، وكان ﵀ يقيم الجلسات والدروس، ويحضرها الكثير من تلاميذه ومحبيه، ويحيون ليلهم بقراءة القرآن والسيرة النبوية الشريف.

البافقيه داعية

تلقىٰ السيد محمد مكي الكثير من الدعوات من أهل الهند لألقاء الدورس، والأجتماع بهم، فبلىٰ الدعوة رغم تعلقه الشديد بالمدينة وعدم رغبته الخروج منها ولو ليوم واحد، إلا أنه بعد أصرارهم سافر إلىٰ بلاد الهند وعقد الدورس والندوات وتعرف علىٰ أحوالهم، فهو أبن الحجاز وتلميذ الحرمين الشريفين، العارف بدينة الناشر له بالطريقة الصحيحة السليمة من البدع والخرافات، وسوف يظل أهل الحجاز، علىٰ هذا منهج بإذن الله.

البافقيه ناظر وقف السادة آل باعلوي

تولىٰ السيد محمد مكي في عام ١٣٥٨هـ، نظارة وقف السادة آل باعلوي، وظل ناظرًا حتىٰ اخر حياته.

وفاته

وبعد هذه السيرة الحسنة لذلك الرجل الصالح، انتقل السيد محمد مكي إلىٰ جوار ربه في عام ١٣٦٨هـ، ودفن في البقيع، وكان عمره آنذاك ٨٣ عام، ﵀ رحمة واسعة، واسكنه الفردوس الأعلىٰ.



محمد نور الكُتُبيّ الحَسَنيّ(١)

الشريف الحجازي ذو النجم الساطع

فارس من فرسان العلم في الحجاز، وعلم من أعلام القضاء فيه، قاضي عصره، وفريد دهره، العلامة الفقيه اللوذعي الأبجل.

هو محمّد نور بن العلاّمة المُحدِّث محمّد إبراهيم بن محمّد عبد الله الحَسَنيّ بن نور محمّد بن عيسىٰ بن عليّ بن الحَسَن بن محمّد بن الشّريف عبد الله الدّاخل بن محمّد بن موسىٰ بن إبراهيم بن عبد الله بن محمّد بن عيسىٰ بن عليّ بن الحَسَن بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن أحمد بن عليّ بن صائم بن إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله بن إسماعيل بن سليمان بن

(١) قضاة المدينة المنورة -عبدالله الزاحم: ١/ ١١١-١١٢-قضاة مكة المكرمة: للمعلمي/اكمال الحذيفي والنقيب، ٢/١٧٦. تاريخ عمارة المسجد الحرام - حسين بإسلامة: ص٢٣٤- إتمام الاعلام: نزار أباظة: ص٤١٨ -المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز: الشريف عبد الله العبدلي: ص١٨٣- وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم: يوسف الصَبحي: ص٤١٧- مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر- عبد الرحمن المزيني: ص ١٧٨- أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه: عبد الله الزهراني: ص ١١٥- موسوعة أسبار للعماء والمتخصصين في الشريعة الاسلاميه: ص١١٢٧- لمحات من الماضي: الشيخ عبد الله خياط، ص. ٤٣ - صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة: ياسين الخياري: ص٩٠.

موسىٰ بن أحمد بن عبد الله أبي الكِرام بن داود الأمير بن أحمد المِسْوَر بن عبد الله الشيخ الصالح ابن موسىٰ الجَوْن بن عبد الله المحض بن الحَسَن المُثنّىٰ بن الحَسَن السّبط بن عليّ ابن أبي طالب عليهما السّلام، وابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ[1].

الأشراف الكُتُبيّة

ذؤابة قبيلة أشراف الحجاز الأحمديون

الأشراف الكُتُبيّة، بيت من البيوتات الشهيرة بالنسب العريقة بالحسب، وينعتهم أهل الحجاز بـ«الكُتُبيّ وبعضهم بدون آل التعريف» بفرعيهما المكي الأصيل وفرعهما المدني الكبير، وما دمنا في حديث الكُتُبيّة فليس كل الكُتُبيّة منهم فالكثير علىٰ مستوىٰ العالم الإسلامي بشكل عام يحملون لقب الكُتُبيّ، وحديثنا عن أهل الحجاز ولقب الكُتُبيّ فالكُتُبيّة فالحجاز أسر عديدة تألفوا في اللقب وأختلفوا في النسب، وقد فصلنا فيهم في صفحات هذا الكتاب، إما الأشراف الكُتُبيّة أسرة المترجم له ويعرفون بالكُتُبيّ، وهم البقية الباقية من قبيلة الأشراف الأحمديون في الحجاز اليوم، حاضرة جلهم يسكنون مكة، والمدينة، وجدة، كرماء فضلاء جمعوا بين شرف العلم وشرف النسب، نبغ فيهم الائمة والعلماء والأدباء، والنسابة، وهم ذؤابة قبيلة أشراف الحجاز الأحمديون، المنتهي نسبها إلىٰ: الشريف أحمد المِسْوَر إبن عبد الله الشيخ الصالح

---

(١) الفخري في أنساب الطالبيين: ص٩٢- الشجرة المباركة في أنساب الطالبيين: ص١٣ -الأصيلي في أنساب الطالبيين: ص٩٤- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص١٢١- الجامع لصلة الأرحام: النسابة الشريف أحمد وفقي: ص: - -تحفة لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب- تحقيق: النسابة السيد مهدي الرجائي: ص٩٩-١٠١- تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبد الله وأبي طالب - تحقيقنا: ص٢٥-٢٦المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ: الشريف إيهاب الكتبي: ص١٩١-١٩٤- اللباب شرح صحاح الأعقاب: نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ - الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية: النسابة السيد حسين الزرباطي: ص٣٣٥-جهد المقلين: عبد الله السادة وعارف عبد الغني-ج٢/ ٩٤١-موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

ابن موسىٰ الجَوْن بن عبد الله المحض بن الحَسَن المُثنّىٰ بن الحَسَن المُجتبىٰ السّبط بن عليّ ابن أبي طالب عليهما السّلام. ورأسهم جدهم الجامع: الشريف محمد إبراهيم (الكُتُبيّ) إبن محمّد عبد الله الحَسَنيّ كسلفه ابن نور محمّد ابن عيسىٰ بن عليّ بن الحَسَن بن محمّد بن الشريف عبد الله الداخل ابن محمّد بن موسىٰ بن إبراهيم بن عبد الله بن محمّد بن عيسىٰ بن عليّ بن الحَسَن بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد ابن إبراهيم بن الشريف محمّد بن أحمد بن عليّ الحَسَني.

الشريف محمّد بن أحمد بن علي الحَسَني الطّالبي(١)

هو الشريف محمّد بن أحمد بن عليّ بن صائم بن إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل بن محمّد بن عبد الله بن إسماعيل بن سليمان بن موسىٰ بن عبد الله أبي الكِرام بن داود الأمير بن أحمد المِسْوَر الحَسَني، أبو إبراهيم المسوري نسبةً إلىٰ جَدِّه أحمد المسور. مولده ومنشأه الحجاز، ومن بيت الإمارة والحكم فيه، فقد كان جدّه الأعلىٰ داود أميراً بينبُع.

ولظروف السياسية في ذلك العصر، وفي سنة ٥٩٨هـ، قرّر الشريف محمّد الخروج من الحجاز إلىٰ العراق، وهي السنة التي تمكن فيها قتادة بن إدريس من ينبع، حيث استقرّ به المُقام، وانتشرت أعقابه وذراريه في العراق والهند وبلاد فارس، وفي العراق استقر بها، كان مقدم صاحب هيبة وشرف، كانت وفاته في واسط العراق في أوائل القرن السابع، وأعقب ثلاثة رجال، هم: الحسن، وعبد الله، وإبراهيم.

ومن عقب ولده إبراهيم: الشريف عبد الله الشهير بـ(الداخل) إبن محمّد بن موسىٰ بن إبراهيم بن عبد الله بن محمّد بن عيسىٰ بن عليّ بن الحَسَن بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن محمد المذكور.

---

(١) تحفة لب اللباب ٩٩-١٠١؛ مناهل الضرب ٢٢٩؛ الآصيلي٩٤؛ المعقبون ١/ ١٩٦، اللباب شرح صحاح الأعقاب: نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ - الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية: النسابة السيد حسين الزرباطي: ص٣٣٥-جهد المقلين: عبد الله السادة وعارف عبد الغني-ج٢/ ٩٤١-موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

الشّريف عبد الله الدّاخل بن محمّد بن موسى الحَسَني(١)

الشريف العليّ القدر، ذو السؤدد الظاهر، والفضل الباهر، مولده بأرض الحجاز، وبها نشأ فكان من أبرز فرسانها الطالبيين، وفي فتنة الشريف سالم بن حسين البركاتي الحادثة من بداية عام ١١١٠ه بينه وبين أبناء عمومته النمويون علىٰ الشرافة والرئاسة بمكة المكرمة والتي أضطرت الكثير من الأشراف للخروج من نواحي الحجاز مع الشريف سالم المذكور، فكان الشريف عبد الله المترجم له ممن نزحوا إلىٰ العراق وأستوطنوا منطقة المدحتيّة من أرض بابل تحت اسم عشيرة الشُرفة (الأشراف الحسنية)، وبعد فترة قصيرة من الزمن قام أحد الأشراف ويدعىٰ الشريف حمود البركاتي بقتل متصرف الحلة لانه لم يعطي أي شي من الدولة العثمانية، فأعتبرت الدولة العثمانية ذلك شقًا عصا الطاعة علىٰ الدولة، فجهزت حملة عسكرية لحرب عشيرة السادة الأشراف الذين لم يكن لهم متحالفين من عشائر أخرىٰ لقصر مدة وجودهم في العراق، فقررت العشيرة النزوح من هذه المنطقة إلىٰ مناطق أخرىٰ فتفرقوا في البلدان، فمنهم من رجع إلىٰ الحجاز، ومنهم من أستوطن مع عشائر أخرىٰ طلبًا للحماية، وأكثرهم استوطنوا أرض الحويزة غربي ايران، ودخل الشريف عبد الله المترجم له بلاد الهند سنة ١١١٤هـ بإبنه محمد واستقر بها(٢)، وهو أول من دخل من قبيلة الأشراف الأحمديون بلاد الهند، فعرف بعبدالله الداخل، كان عالمًا داعية، استقرّ به المقام في بلدة سلطان بور فعظم شأنه وعُرِف فضله، فدانت له المنطقة ومن حولها من القرىٰ، أسلم جماعة منهم علىٰ يديه، كانت وفاته في أواسط القرن الثاني عشر ببلاد الهند، إلا أن هناك بعض الروايات والتي تشير إلىٰ وفاته بالمدينة المنورة

---

(١) تحفة لب اللباب ٩٩-١٠١؛ مناهل الضرب ٢٢٩؛ الأصيلي ٩٤؛ المعقبون ١٩٦/١؛ محمد نبيل القوتلي٢١١.الشجرة المباركة ٢٥، اللباب شرح صحاح الأعقاب: نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ١١٢٩/٢ - الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية: النسابة السيد حسين الزرباطي: ص٣٣٥-جهد المقلين: عبد الله السادة وعارف عبد الغني-ج ٩٤١/٢- موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

(٢) وثيقة مخطوطة موجودة لدي النسابة السيد عامر بن موسىٰ البركاتي الحسني.

وأنه دفن في البقيع، والثابت أن ذُرِّيته انتشرت في الهند وبارك الله فيها.

ومن عقب ولده محمد: العلامة المحدث الشريف عيسىٰ بن عليّ بن الحَسَن بن محمّد بن الشريف عبد الله الداخل المذكور.

الشريف عيسى بن علي الحَسَني(١)

العلاّمة الزاهد، وُلِدَ رَحِمَهُ اللهُ في أواخر القرن الثاني عشر الهجريّ ببلدة سُلطان بور التابعة لمحافظة فيض آباد بالهند، وقد نشأ المُترجَم له في بيت علمٍ وفضل، وتعلّم علىٰ يد كبار العلماء في ذلك العصر بالهند، حتّىٰ تمكّن وأصبح يتمتّع بالعلم الذي لا يُبارىٰ، فمنذ نعومة أظفاره سار علىٰ نهج أجداده في نشر العلم والدعوة، فقام هو بدوره في بناء المساجد في منطقة سُلطان بور وما حولها من القرىٰ، وكان علىٰ منهاج آبائه وأجداده في العلم والتُّقىٰ والزُّهد والجود، إلىٰ أدركته المنيّة، ودفن في البلد التي دفن فيها أبوه وجدّه رضوان الله عليهم، وله بها ذُرِّيَّة منتشرة، من عقب إبنه الشريف نور محمد الآتي ترجمته:

الشّريف نور محمّد بن عيسى الحَسَني(٢)

العلاّمة البحر الهُمام، السيّد الإمام، حُجّة الله بين الأنام، المُحَدّث الكبير الشّهير

(١) تحفة لب اللباب ٩٩-١٠١؛ مناهل الضرب ٢٢٩؛ الأصيلي ٩٤؛ المعقبون ١/١٩٦؛ محمد نبيل القوتلي٢١١.الشجرة المباركة ٢٥، اللباب شرح صحاح الأعقاب: نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ - الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية: النسابة السيد حسين الزرباطي:ص٣٣٥-جهد المقلين: عبد الله السادة وعارف عبد الغني-ج٢/ ٩٤١-موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان:ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

(٢) تحفة لب اللباب ٩٩-١٠١؛ مناهل الضرب ٢٢٩؛ الأصيلي ٩٤؛ المعقبون ١/١٩٦؛ محمد نبيل القوتلي٢١١.الشجرة المباركة ٢٥، اللباب شرح صحاح الأعقاب: نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ - الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية: النسابة السيد حسين الزرباطي:ص٣٣٥-جهد المقلين: عبد الله السادة وعارف عبد الغني-ج٢/ ٩٤١-موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان:ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

بـ(سُلطان بور)، فخر السادات الحَسَنيّة في عصره، وُلِدَ الشريف نورمحمّد في بلدة سُلطان بور وتعلّم بها، فقد نشأ في بيت علمٍ كبير وبالفضل شهير، مُدبَّج الجوانب بالعلماء الأسلاف، فأخذ العلم والمعرفة عن فحول العلماء وأساتذة الزوراء، وفي مقدّمتهم والده الشريف عيسىٰ، وعمّه الشريف محمّد بن عليّ الحَسَنيّ وغيرهم من العلماء، حتّىٰ برز بين أقرانه في بلاد الهند من أبناء السادات هناك والذين كان لهم الوضع المميّز بين طوائف الهنود المسلمة، وكانوا لهم الاحترام والتقدير بين سلاطين الهند. وقد انتهىٰ إليه علم الحديث في زمانه، فقد كان أعلم أهل زمانه في الحديث وروايته، وكان ﵁ وعن آبائه سيّدًا جليل القدر، مفسّرًا، شيخًا لبني تلك المنطقة ورئيسًا لهم يزوره الطلاّب والعلماء والسلاطين من مشارق الأرض ومغاربها. وله مؤلّفات في تفسير القرآن وغيره، وقد اتّخذ هو وذُرّيته بلدة أطكولي ضلع بالهند سكنًا لهم، وفي أطكولي ضلع غلب عليه مُسمّىٰ الشريف نور محمّد سُلطان بور لانتقاله من بلدة سُلطان بور وتعد الأسباب الأساسية لإنتقاله هو الإضطهاد القائم علىٰ المسلمين من قبل الأنجليز، وإثارة الطائفية، وفي أطكولي ضلع انتهت إليه الرياسة والسيادة حتّىٰ توفَّاه الله عن عقب بها، وقد عاش تسعين سنة ودفن بها بعد حياة حافلةٍ بالعطاء والجهاد في الدعوة إلىٰ الحقّ، فقد كان نورمحمّد الحَسَنيّ من الرِّجال القلائل في عصره رحمه الله تعالىٰ.

وأعقب من ولديه الشريف محمد عبد الله ـ(خدابخش)، والشريف مخدوم ولكلهما ذرية:

الشريف محمد عبد الله (خدا بخش) بن نورمحمد الحسني

ولد الشريف محمد عبد الله في في حدود عام ١٢٤٠هـ، كان أحد العلماء العرب في بلاد الهند وقد عاصر ﵀ الكثير من الأحداث التي وقعت في البلاد، وقد عانت البلاد وخاصة المسلمين في تلك الفترة الظلم والأضطهاد، فاستمر الإنجليز في غرورهم وفظاظتهم، وقد عانىٰ الكثير ممن عاش تلك الفترة عدم الإستقرار بل أن النجاة من الطغيان الإستعماري والذي سبب الكثير من القلاقل والفتن يعد مسألة نادرة فالكثير قد قتلوا واعدموا ظلمًا وكان ذلك من الأسباب الرئيسية في اندلاع الثورات

والعصيان، وقد عاصر الشريف محمد عبد الله الفتنة العظيمة ببلاد الهند سنة ١٢٧٣هـ[١]، والتي حدثت بها المجابهات بين المسلمين والإحتلال الأنجليزي، وفقدت كثير من الأسر ابناءها وتشتت، وتغيرت الهوية في البلاد، بل أنه كان تشتيت الأسر وتهجيرهم من مناطقهم كان أهم خطة الأحتلال الأنجليزي لتمزيق لحمتهم، ففقد الاب ابنه، والأخ اخاه وإبن عمه، وأستطاع المستعمر السيطرة عل كثير من المناطق والقرىٰ، وعَمِلوا علىٰ إثارة النزعات الطائفيَّة، كما أثاروا النَّعَرَات القوميَّة، ودَعَوْا إلىٰ القوميَّة الهنديَّة، ليَلْتَقِي تحت رَايَتِها الهندوس والمسلمون بعيدِينَ عن الدِّينِ، وخاصَّة الإسلام، وتم التركيز علىٰ الأسر المسلمة والتهييج عليهم وإضعافهم بنهب ممتلكاتهم، وأستهدف رجال الدين وحرق كتب العلماء ومؤلفاتهم، ومصادرة مكتباتهم، وفقدت هذه الأسر العربيةمن الطالبيين والبكريين والعمريين والعثمانيين والإنصار القاطنة أرض الهند أوراقها ووثائقها النسبية من حيث أنهم كانوا في مقدمة المسلمين الذين تعرضوا للأعتقال والتعذيب وذلك لمكانتهم في مجتمعهم الإسلامي ومكانة ذويهم في الفتاوىٰ والدعوة إلىٰ الله، فتفرقوا في الإمصار، وممن تفرق جمعهم الأسرة الحسنية المترجم لها فألقي الغطاء علىٰ خيمة نسبهم الشريف، فغاب ذكرهم وانقطع خبر ذويهم في تلك الديار، إلا أن الباري ﷻ أبىٰ إلا ان يتدلىٰ فرع الشريف محمد عبد الله من هذه الشجرة المباركة.

وقد أعقب الشريف محمد عبد الله (خدا بخش) إبن نور محمد الحسني أربعة ابناء، هم: الشريف محمد إبراهيم (الكُتُبيّ)، والشريف محمد إسماعيل المولود في ١٢٧٧هـ، والشريف عبد الرحمن، والشريف عبد الرحيم، ونظرًا لما آلت إليه البلاد في تلك الفترة، وعدم استقرار الأمن آنذاك، فقد سمح لهم والدهم بالخروج خوفًا من المطالبة بدمهم فكان أول من سمح له بالخروج إبنه الأكبر الشريف محمد إبراهيم جد الأشراف الكُتُبيّة ورأسهم بالعودة إلىٰ الحجاز آيبًا موطن آباءه ليجدد العهد في موطنهم الأصلي.

---

(١) نزهة الخواطر ٨ تقسيم ١١٧٦، تاريخ الإسلام في الهند ص٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٣ بتصرف.

كيف دون المؤرخين خروج الأشراف الكتبية من الحجاز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ خير الأنام وعلىٰ آله الأطهار وصحبه الأخيار، الحمدلله الذي جعل حفظ النسب من خصائص هذه الأمة، وقيض أقوامًا يعتنون بضبط الأنساب وتنقيتها، وبه يعرف الأصل من الفرع، والمفتعل من العريق، وبه توصل الأرحام، وتحفظ الحقوق الشرعية بما حث به الدين، وتتعارف الشعوب والقبائل.

قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الأخبار: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»[١]، لا سيما النسب المتصل به ﷺ، وأمره ﷺ واجب علىٰ قدر الاستطاعة، فيجب علىٰ من اتصل حبله بهذا النسب أن يخبر عنه مَن لا يعرفه، ولا يكتمه عن من يسأله عنه لأنه لا يلزم من ذلك الخروج والتبري فيصير ملعونًا لقوله ﷺ «**من ادعىٰ إلىٰ غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**»[٢].

قال النسابة العبيدلي في العمدة[٣]: «إن محمد بن أحمد بن علي بن صائم بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن سليمان بن موسىٰ[٤] بن أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فعقب محمد إبراهيم وعقب

(١) أخرجه أحمد (٨٨٥٥) والحاكم في المستدرك (٧٢٨٤) والطبراني في الأوسط (٨٣٠٨) وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٦٦) ومسلم (٦٣) من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة.

(٣) عمدة الطالبيين (مخطوط): العبيدلي - تحفة لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب- تحقيق: النسابة السيد مهدي الرجائي: ص٩٩-١٠١- تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبد الله وأبي طالب - تحقيقنا: ص٢٥-٢٦المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ: الشريف إيهاب الكتبي: ص١٩١-١٩٤- اللباب شرح صحاح الأعقاب: النسابة السيد نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ١١٢٩/٢ --موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

(٤) الصحيح (موسىٰ بن عبد الله بن داود بن أحمد) هو الذي أثبتناه بعد مراجعة كتب الأنساب، وتأييد مشايخنا النسابة.

الحسن وعقب عبد الله وعقب محمد وعقب الحسن وعقب علي وعقب زيد وعقب علي وعقب عيسىٰ وعقب محمد وعقب عبد الله وسليمان وعقب عبد الله إبراهيم وعقب محمد وعقب عبد الله وهم من سلسلة عبد الله بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط».

وقد رجح المؤرخون خروج أبناء الحسن المثنىٰ من مدينة ينبع من منطقة العلقمية[١] في قلب الحجاز والله أعلم من أين خرج أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب جد آل الكُتُبيّ الحَسَنيّ، فالأرجح أنه خرج من منطقة العلقمية فانتشر أبناؤه في الهند وفلسطين والمغرب وبلاد ما وراء النهر وظلوا يترددون علىٰ الحجاز بلدهم ما بين الحين والآخر.

وقال العبيدلي أيضًا في كتابه عمدة الطالبين[٢] إن عبد الله بن الحسن بن موسىٰ بن إبراهيم بن محمد قدم إلىٰ سلطان بور سنة ١١٤هـ[٣] هاربًا بابنه محمد وآله من المطالبة بدمه إلىٰ الهند، وعقب هناك محمد وعيسىٰ، والثاني هو جد آل الكُتُبيّ، فعقب عيسىٰ نور محمد وأحمد سليمان[٤] وجميعهم يلقبون بـ«سلطان بور»؛ وقد غلب مسمىٰ سلطان بور علىٰ نور محمد وعقبه الذين اتخذوا بلدة «أطكولي ضلع» -من أعمال الهند- سكنًا لهم، وقد عقب نور محمد سلطان بور ولدان هما محمد عبد الله المعروف بخدابخش هناك والذي منه آل الكُتُبيّ الحَسَنيّ، ومخدوم أخوه.

فأما محمد عبد الله: فقد عقب محمد إبراهيم ومحمد إسماعيل وعبد الرحمن وعبد الرحيم، بينما نجد هناك كُتُبيّة ينتسبون إلىٰ إدريس وغير ذلك[٥]؛ أما آل الكُتُبيّ والذين من سلالتهم الشيخ محمد نور صاحب الترجمة هم الذين ينتسبون إلىٰ نور محمد المنتزح جدهم إلىٰ الهند سنة ١١١٤هـ.

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٠٥.
(٢) مصدر سابق.
(٣) الصحيح بعد التحقيق والمراجعة يكون دخول الشريف عبد الله بن محمد هو سنة ١١١٤هـ، انظر المصدر السابق.
(٤) مصدر سابق.
(٥) انظر ماكتبناه حول لقب الكتبي في الحجاز في كتابنا هذا وكتابنا الشريف محمد إبراهيم الكتبي سيرة وتاريخ: ص٣١.

قال النسابة العبيدلي: عقب عيسىٰ نور محمد وولدان آخران هما أحمد وسليمان، أحدهما هاجر إلىٰ كشمير وكثر عقبه هناك، والآخر سليمان في مدينة رحيم خان وقد كثر عقبه وذريته في رحيم خان وبتان وبشاور وكشمير، إلا أن عقب نور محمد سلطان بور بن عيسىٰ هو الذي ثبت في «أطكولي ضلع»، وقد استقر في مكة المكرمة بعض نسله[١].

قال صاحب تحفة الأعيان[٢] المهتم بتتبع ما تناسل من أبناء الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب: انتزح من أولاد موسىٰ أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط وسكن الهند، فسكن عبد الله بن الحسن بن موسىٰ سلطان بور وتكاثر عقبه فيها حتىٰ جاء بنور محمد سلطان بور بن عيسىٰ بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن موسىٰ بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن صائم بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن سليمان بن موسىٰ[٣] بن أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٤].

قال رامز شكر في تحفته: إن عبد الله بن محمد بن موسىٰ الجد الرابع لنور محمد سلطان بور بن عيسىٰ بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله، هو عبد الله بن محمد بن موسىٰ ولد في الهند من عقب محمد بن موسىٰ، وكان رضي الله عنه وعن آبائه الطاهرين صاحب زهد وورع وتقوىٰ وله مريدين من سائر أقطار الأرض يتلقون علىٰ يديه العلوم

---

(١) مشجرة الشريف محمد إبراهيم الكتبي المحفوظة في خزانتنا، مصدر سابق.

(٢) تحفة الأعيان (مخطوط): لرامز شكر: مؤرخ من رجال القرن الثالث عشر، ينقل عنه الفرج في الكثير من كتبه.

(٣) الصحيح)موسىٰ بن عبد الله بن داود بن أحمد)، كما أثبتناه.

(٤) تحفة الأعيان (مخطوط) - الجذور (مخطوط): عبد الله فرج الزامل ورقه ١٠٠، ٩٢ - عمدة الطالبيين(مخطوط): العبيدلي - تحفة لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب- تحقيق: النسابة السيد مهدي الرجائي: ص٩٩-١٠١- تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبد الله وأبي طالب - تحقيقنا: ص٢٥-٢٦المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ: الشريف إيهاب الكتبي: ص١٩١-١٩٤- اللباب شرح صحاح الأعقاب: النسابة السيد نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ --موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة ..

اللدنية والدينية وكان في العلم بحرًا وفي التقوىٰ علمًا اتخذ من بلدة حيدر أباد قبل انتزاحه من بتوا وكيرلا : مقرًا تقدم له الهدايا والعطايا من شاهات إقليم الهند والسند وبشاور وذلك لشرف نسبه فقد كانت داره غاصة بطلاب العلم والمعرفة والمنفعة وكان علىٰ جلال قدره وبُعد شهرته التي طبقت آفاق آسيا وأفريقيا ومدن زنجبار والسواحل الذين غصت بهم ساحات داره هناك والذي ما برح هو وخدمه وعبيده يتلقاهم بابتسامته الرحيمة متجاوبًا معهم وقد عقد له مجلسًا بعد كل عصر في داره وكان يزوره الملوك والرؤساء من الشرق والغرب ويحضر إليه الأعيان محملين بالسيوف المذهبة والأشياء الثمينة ويقدمونها له كل ذلك تبركًا بالله ثم بنسبه الشريف.

قال صاحب الجذور[(١)]: لقد كان الشريف جد آل الكُتُبيّ في سلطان بور الآمر الناهي صاحب أطيان وعبيد وحشم، وقد دانت له قرىٰ المنطقة وناسها، يتمتع بالعلم الذي لا يبارىٰ، وكان ورعًا زاهدًا ذا ديانة وأمانة ولهذا ولشرف نسبه أحبه أبناء تلك الناحية.

وعقب ابنه الشريف نور محمد الذي سار علىٰ نهج جدوده وبنىٰ المساجد وقام بشرح القرآن هو نفسه لأنه كان علىٰ جانب من العلم وأصول الحديث، وكان صاحبًا للشيخ عبد السلام بن شمس الدين بن عبد العزيز بن نور الحق بن الشيخ عبد القادر الجيلي، وقد لازمه وأخذ عنه درود اكسير أعظم لسيدنا الغوث الأعظم والتي منها: بسم الله الرحمن الرحيم، ونحمده ونصلي علىٰ رسوله الكريم، اللهم صل علىٰ سيدنا محمد صلاة تقبل بها دعاءنا . . . إلخ.

وقد عاش الشريف نور محمد الحسني تسعين سنة وعقب محمد عبد الله الذي عقب أربعة أولاد؛ وثبت أن الأشراف من آل الكُتُبيّ الموجودين بمكة المكرمة هم من عقب الشريف نور محمد سلطان بور الحسني[(٢)].

---

(١) مخطوط الجذور لعبدالله فرج الزامل: نسابة اخباري مدني معّمر شاعر،لطيف المعشر، له معرفة بعلوم شتىٰ – طالعت عنده الكثير من المخطوطات الخاصة بانساب أشراف الحجاز وقبائله، طعن البعض في صحتها وظهر لي سلامتها، والله العالم.

(٢) الجذور فيمن تحدر من البدور(مخطوط): عبدالله فرج الزامل: ورقه ١٠٠، ٩٢.

قال المقدسي[١]: له باع طويل في تفسير القرآن والحديث وقد اطلعت في ترحالي علىٰ مخطوطة له «**حكمة البيان في تفسير القرآن**» لنور محمد سلطان بور الحسني وبعض مخطوطات في الحديث وكان صاحب أطيان وعبيد وحشم وقصور غنّاء أنزلني في أحدها وهو علىٰ جانب عظيم من الورع والفقه والتقىٰ لم أشهد في رحلتي أعظم منه خلقًا وناسًا وكرمًا مثل الشريف نور محمد في أطكولي ضلع[٢].

قال الشيخ عبد السلام القناوي من صعيد مصر: سمعت عن الشريف نور محمد بن عيسىٰ الحسني في أطكولي ضلع بأنه أعلم أهل زمانه في الحديث وروايته والتاريخ وبلاغته والبيان وعلمه، وقد شددت إليه الرحال واستضافني في أطكولي ضلع في الهند فرأيت بحرًا لا يبلغ غبته وكان ﷺ كريمًا مكثتُ عنده شهرا أنساني أهلي وعدت وأنا مزودٌ بكل ثمين وغالٍ من العلوم اللدنية ومن متاع الدنيا[٣].

قال ابن بكار[٤] **في مخطوطه**[٥] **والعبيدلي**[٦] **في نسبته وصاحب التحفة الإشبيلي**[٧]: إن الشريف نور محمد بن عيسىٰ بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن موسىٰ بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عيسىٰ بن علي بن الحسن بن أحمد بن علي بن صائم بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن

---

(١) أبي عبدالله المقدسي من رجال القرن الرابع عشر، ذكره الفرج في مخطوطاته.

(٢) الجذور (مخطوط)، وصور وسطور (مخطوط): عبد الله فرج الزامل: ورقه ٢٧٤-٢٧٧ -عمدة الطالبيين (مخطوط): العبيدلي- تحفة لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب- تحقيق: النسابة السيد مهدي الرجائي: ص٩٩-١٠١- تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبد الله وأبي طالب- تحقيقنا: ص٢٥-٢٦ المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ: الشريف إيهاب الكتبي: ص١٩١-١٩٤- اللباب شرح صحاح الأعقاب: النسابة السيد نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ --موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) محمد بن عبد الله القرشي اشتهر بابن بكار، من رجال القرن الرابع عشر.ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور.

(٥) الطالبيين في الأمصار مخطوط لابن بكار.ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور.

(٦) عمدة الطالبيين: النسابة العبيدلي من رجال القرن الثالث عشر..ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور.

(٧) تحفة ابي عبد الله الأشبيلي، ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور.

عبد الله بن سليمان بن موسىٰ[١]بن أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هم كما قال العبيدلي من أبناء الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط، وهم أبناء نور محمد سلطان بور، وما تعاقب من نسله في مكة المكرمة من أبناء محمد إبراهيم، الكُتُبيّ، وكانت شجرة آبائهم رضي الله عنهم تنتهي إلىٰ النسب الشريف بلا مراء كما ذكر صاحب التحفة[٢].

تتبع المؤرخين أهمال ذكر الشريف أحمد بن عبد الله

لقد ذكر محمد بن عبد الله النسابة بن بكار المتوفىٰ عام ١٣٠٠هـ، والعبيدلي المتوفىٰ عام ١٢٩٥هـ أن مؤرخ مكة المكرمة صاحب الجامع اللطيف مولانا جمال الدين بن محمد جار الله بن ظهيرة، لم ينوه عن من انتزح إلىٰ بلاد الهند من أبناء الحسن المثنىٰ، واقتصر علىٰ إيراد نسب القتادية من أبناء قتادة بن إدريس الذي حكم مكة المكرمة بعد إخراجه للهواشم وذلك لقربه منهم وأغفل ذكر أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون، والذي سكن أولاده سلطان بور بالهند هربًا من مطاردة الأمويين لهم، ولم يسرد المؤرخون جميعا المنتزحون إلىٰ خارج الحجاز وذلك لبعدهم عن من هاجر[٣].

هجرات بنو الشريف أحمد بن عبد الله

وكانت أولىٰ هجرتهم في عام ١١٤هـ[٤] في عهد الدولة الأموية ثم علىٰ عهد الدولة العباسية علىٰ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور.

---

(١) الصحيح (موسىٰ بن عبد الله بن داود بن أحمد) اوهو الذي اثبتناه بعد مراجعة كتب الأنساب ووثائق الخزانة، وتأييد مشايخنا النسابة.

(٢) تحفة ابي عبد الله الأشبيلي..ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور.

(٣) الطالبيين في الأمصار مخطوط لابن بكار، ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور، عمدة الطالبيين: النسابة العبيدلي من رجال القرن الثالث عشر..ذكره الفرج في الجذور، وصور وسطور.

(٤) خروج وهجرة أهل البيت كان مبدأئه كما ذكرت كتب الحوادث والتاريخ في القرن النبوي وأول من خرج منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والأرجح ان يكون خروجهم وهجرتهم قبل مقتل زيد بن علي بن الحسين المقتول في سنة ١٢٢هـ في عهد خلافة هشام بن عبد الملك، الذي حكم في الفترة (١٠٥-١٢٥هـ) فالخبر فيه موافقة لخروج آل أبي طالب، والله العالم.

وفي عام ١١٩٧هـ[١] حضر جدهم الشريف عيسىٰ وكان يرغب في الاستقرار بمكة المكرمة ولكنه لم يستطع لظروف لا نعلمها.

وفي عام ١٢٨٩هـ[٢] حضر جدهم الشريف نور محمد بن عيسىٰ الحسني ومكث في الحجاز عدة سنوات ثم عاد لمواصلة المسيرة في نشر العلم إلىٰ أن توفاه الله هناك.

كلهم كانوا يرون أن في أعناقهم أمانة لابد لهم من أدائها وهي نشر الإسلام في بلاد الهند وقد كفوا ووفوا رحمهم الله جميعًا رحمة الأبرار.

حتىٰ جاء إلىٰ مكة المكرمة الشريف محمد إبراهيم بن محمد عبد الله الحسني واستقر بها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وعنده كثر عقبهم الشريف.

أما صاحب كتاب الكوثر الجامع المقدسي المتوفىٰ سنة ١٣٠١هـ وابن بكار والإشبيلي أبو عبد الله، ورامز شكر الحسيني المتوفىٰ سنة ١٢٩٥هـ أعطوا ووفوا وقد فصلت مخطوطاتهم من انتزح ومن توالد هناك ومن هاجر إلىٰ مكة المكرمة من أبناء الحسن المثنىٰ، والمراد عقب الشريف نور محمد سلطان بور لأن بعضهم قد عاصرهم فكتب عنهم[٣].

وقال المقدسي من أبناء الحسن المثنىٰ في الهند نور محمد سلطان بور[٤]:

أما ابن بكار فكان يتصدىٰ للحجيج والزوار في كل عام ويسأل الوافدين من الهند وبلاد خراسان وماوراء النهر، وكان لا يضع في مخطوطة ممن نقل عنهم إلا بعد استشهادات الثقاة من الحجيج، وقد عرف عن المقدسي الترحال، فقد ضرب أعناق الإبل وظهور الصافنات في سفراته الطويلة عبر البحار مجتازًا اليابسة حتىٰ وصل إلىٰ الهند وجاس حيدر أباد ودكن وبتوا وكيرلا ووصل إلىٰ أطكولي ضلع فقابله الشيخ نور

---

(١) ذكرنا في الطبعة السابقة حضور الشريف نور محمد سنة ٩٧٥هـ، واستدركناه في طبعتنا هذه، والراجح ما ذكرناه، والله العالم.

(٢) ذكرنا في الطبعة السابقة حضور الشريف نور محمد سنة ١١٠٩هـ، وهو وهم منا بلا شك، والراجح ما ذكرناه، والله العالم.

(٣) مخطوط الجذور لعبدالله فرج.

(٤) الكوثر الجامع للمقدسي ذكره الفرج في مخطوطتيه الجذور وصور وسطور.

محمد سلطان بور الحسني جد آل الكتبي وأكرم وفادته وأخبره أنه من أبناء الحسن المثنىٰ وقدم له النسبة وقد شهد من أبناء عمومته وأبناء تلك الناحية أن نور محمد شريفٌ حسني، ثم استقصىٰ المقدسي حقيقة ذلك من مولانا نوري إلهي بن شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن حسن الحسيني، وقد أيّد ذلك فأخذ نسخة من النسبة وانطلق من هناك إلىٰ بلاد أخرىٰ يواصل بحثه[١].

وقد أيد نسب آل الكُتُبيّ ابن بكار فيما جاء به المقدسي وزاد علىٰ ذلك رامز شكر الحسيني وأورد في مخطوطه سلسلة نسب نور محمد سلطان بور ما نصه:[٢]

إن نور محمد سلطان بور هو ابن عيسىٰ بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن موسىٰ بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عيسىٰ بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن موسىٰ[٣] بن أحمد بن عبد الله بن موسىٰ الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ.

قال العبيدلي: إن من أبناء الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط هناك في سلطان بور الشريف نور محمد وما تعاقب من نسله في مكة المكرمة من عقب محمد إبراهيم الكُتُبيّ يرجعون إلىٰ الحسن المثنىٰ بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[٤]،

---

(١) الطلائع البهية في سلالة السادة الأشراف الكتبية: للشريف إيهاب وانس الكتبي الحسني والمصادر السابقة.

(٢) الجذور (مخطوط)، وصور وسطور (مخطوط): عبد الله فرج الزامل: ورقه ٢٧٤-٢٧٧.

(٣) الصحيح (موسىٰ بن عبد الله بن داود بن أحمد) وهو الذي اثبتناه بعد مراجعة كتب الأنساب، وتأييد مشايخنا النسابة.

(٤) الفخري في أنساب الطالبيين: ص٩٢- الشجرة المباركة في أنساب الطالبيين: ص١٣- الأصيلي في أنساب الطالبيين: ص٩٤- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص١٢١- الجامع لصلة الأرحام: النسابة الشريف أحمد وفقي: ص: --تحفة لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب- تحقيق: النسابة السيد مهدي الرجائي: ص٩٩-١٠١- تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبد الله وأبي طالب - تحقيقنا: ص٢٥-٢٦المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ: الشريف إيهاب الكتبي: ص١٩١-١٩٤- اللباب شرح صحاح الأعقاب: نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- لأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ - الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطالبية: النسابة السيد حسين الزرباطي: ص٣٣٥-جهد المقلين: عبد الله السادة وعارف عبد الغني-ج٢/ ٩٤١-موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- =

فهم أشراف حسنية قح[(١)].

وبعد هذه المقدمات وما دوّن في الكتب عن أسرة الأشراف الكُتُبيّة أتقدم بالشكر إلىٰ الأستاذ الأديب النسابة العلامة الشاعر المؤرخ عبد الله فرج الزامل الخزرجي بحر الأنساب الذي أظهر لي كثيرًا من الأمور وأطلعني علىٰ نوادر المخطوطات الموجودة لديه، وقد سمح لي بالاطلاع علىٰ مؤلفه الجذور فيمن تحدّروا من البدور الحسنيين والحسينيين وقبائل الأوس والخزرج أنصار رسول الله ﷺ.

كما أتقدم إلىٰ السيد الآجل عبد الحميد بن زيني بن علوي عقيل الحسيني سليل الأفاضل شيخ نسابي الحجاز، وقد أوضح لي بمشجراته نسب جدنا فجزاه الله خيرًا علىٰ ذلك.

العلامة الشريف محمد إبراهيم الحسني الشهير بـ (الكُتُبيّ)[(٢)]

رأس الأشراف الكُتُبيّة

ولد العلامة المحدث الشريف محمد إبراهيم بن محمد عبد الله بن نور محمد الكُتُبيّ الحَسَنيّ سنة ١٢٧٥هـ وكان منذ صغره الولد المهتم بالعلم، فبيئته بيئة علم وفضل، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره سنة ١٢٨٩هـ ولوجود المصادمات والقلاقل

= عمدة الطالبيين(مخطوط): العبيدلي - تحفة لب اللباب في ذكر السادة الأنجاب- تحقيق: النسابة السيد مهدي الرجائي: ص٩٩-١٠١- تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلىٰ عبد الله وأبي طالب - تحقيقنا: ص٢٥-٢٦ المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ: الشريف إيهاب الكتبي: ص١٩١-١٩٤- اللباب شرح صحاح الأعقاب: النسابة السيد نبيل الأعرجي: ص٢٠٠-٢٠٤- الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسينية: النسابة الشريف عبد الباسط جحاف الحسني، ٢/ ١١٢٩ --موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة السيد فتحي سلطان: ص٤٣١- ووثائق الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة.

(١) الجذور (مخطوط)، وصور وسطور (مخطوط): عبد الله فرج الزامل: ورقه ٢٧٤-٢٧٧.

(٢) ضامن بن شَدقم: تحفة لب اللباب، ص ٩-١٠١؛ أحمد وفقي: الجامع لصلة الأرحام، ج٤ ص٢؛ عبد الله السّادة وعارف عبد الغني: جهد المقلين، ج٢ص٩٤٤؛ موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية، ٣/ ٩٥٩؛ ابن الطقطقي: الأصيلي، ص ٩٤؛ محمّد نبيل القوتلي: بحث مختصر في سلالة الأشراف آل الكُتُبيّ الحَسَنيّ، ص ٢١٦؛ السيّد مهدي الرجائي: المعقبون من آل أبي طالب، ج١ ص١٩٦؛ السّيد حسين الزرباطي: الوجيز في أنساب الأسر والعشائر الطّالبية، ص٢٣٥، المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ ١٩١- ١٩٣.

بين المسلمين والهنود وطمع القبائل في ثروة أهل البيت ومكانتهم وعدم الاستقرار هناك فقد سمح له والده العلامة محمد عبد الله الحسني بالسفر إلىٰ مكة المكرمة بلد آبائه وأجداده والاستقرار بها، فسافر محمد إبراهيم من بلدته وهو يافع السن شمالًا إلىٰ الأفغان وكانت الرحلات تلك الأيام مشيًا علىٰ الأقدام، وقد تبعه جمع غفير، ثم اتجه من أفغانستان إلىٰ إيران ومن إيران إلىٰ العراق واتجه إلىٰ بغداد، وكان يقطن بغداد ذرية الشيخ الكبير عبد القادر الجيلي، فتوجه الشيخ محمد إبراهيم إليهم ونزل عندهم وأصبح من مريدي علمهم وأخبرهم عن صحة نسبه وعرفوا جده الذي كان من جلساء جدهم كما ذكرنا سابقًا، وبقي هناك سنوات طويلة يأخذ العلم والمعرفة حتىٰ نال الإجازة منهم فأجازوه وسمح له بالسفر، فقرر العودة إلىٰ مكة المكرمة بلد آبائه وأجداده فوصل إليها، ومنها توجه آل المدينة المنورة لزيارة جده رسول الله ﷺ والسلام علىٰ صاحبيه، وبقي بمدينة سيد الكونين عامًا يطلب العلم علىٰ علماء المسجد النبوي الشريف، ثم عاد إلىٰ مكة المكرمة وبدأ يأخذ مكانه فعرفه أبناء عمه من الأشراف وشهدوا له بصحة نسبه وقدموه علىٰ غيره وصدروه للتدريس في المسجد الحرام وكانت حلقته في باب السلام يدرس فيها الحديث والتفسير والفقه وغير ذلك من العلوم.

وعندما تقدم به السن اعتزل التدريس وكان ذلك عام **١٣٢٥**هـ.

وقد ألف الشيخ محمد إبراهيم الكُتُبِيّ الحَسَنِيّ بعض الكتب ولكنها فقدت، ولم يقتصر دوره في التدريس في المسجد الحرام فقد كان له دور وجهد في الحركة العلمية والثقافية في منطقة الحجاز، فقد أسس رحمه الله عدة مكتبات علمية أشهرها ما كان في باب السلام والقشاشية وباب العمرة[١].

لقب الكُتُبِيّ في الحجاز

لقب الكُتُبِيّ في الحجاز يحمله عدة أسر تختلف أصوله وأنسابها، وأصل هذا اللقب أكتسبته هذه الأسر إما عن بيع الكتب اوأقتنائها او نسخها او طباعتها فالكُتُبِيّ

(١) الشريف محمد ابراهيم الكُتُبِيّ: كاتب هذه السطور ٣٢.٣١.

لقب وليس اسم وكل هذه الاسر الكُتُبيّة اشتهر أحد اجدادها بالكُتُبيّ وصارت اليه النسبه، وسأذكر الاسر التي أشتهرت بهذا اللقب في بلاد الحجاز وقد يكون هناك أسر اخرىٰ فاتني ذكرها لعدم معرفتي بها:

١- أسرة السيد محمد حسين بن محمد الحنفي السيواسي الشهير بالكُتُبيّ (١٢٠٢-١٢٨١هـ) سكن أحد اجداه مصر قادمًا من سيواس في بلاد الروم بعد خروجهم اليها من الحجاز، ونسبتهم أن أهل هذا البيت كانوا ينسخون الكتب بخطوطهم الحسنة فلقبوا بالكُتُبيّ[١]، وعقبه في مكة من ابنه محمد صالح (١٢٤٥هـ - ١٢٩٥هـ) وقد وهم صاحب النشر في اسم محمد صالح وسماه محمد والصحيح ماأثبتناه وقد أعقب السيد محمد صالح من سبعة ذكور هم محمد أمين وعبد الهادي ومحمد نور ومحمد مكي وحسن وأحمد وطاهر ومن أعقابهم السيد محمد أمين كُتُبيّ والسيد المعّمر حسن بن محمد بن عبد الهادي كُتُبيّ وزير الأوقاف الأسبق وقد أدركته وكانت بينه وبينه محبة ومودة، وغيرهم وهم سادة حسنيون يرفعون نسبهم إلىٰ أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض وهم منتشرون في مدن الحجاز.

٢- أسرة الشيخ محمد إبراهيم متولي الشهير بالكُتُبيّ نسبة لبيع (١٢٠٢هـ-١٢٩٦هـ)، ويرفعون نسبهم لجعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي عليهما السلام، منهم السيد عبد الرحمن بن حسين كُتُبيّ مازال بمكة حالًا.

٣- أسرة الشيخ المعّمر إبراهيم بن عبد الله يارشاه الكُتُبيّ الدهلوي (١٢٥١هـ-١٣٥٤هـ) الشهير باللحياني وكانت لديه مكتبة يبيع الكتب[٢]، وقد خلط البعض مؤخرًا بين هذا الرجل وبين جد الأشراف الكتبية الشريف محمد إبراهيم الكتبي الحسني وجعلهما شخصية واحدة[٣]، وقد تحققت من أمره فالمذكور هو إبراهيم بن رحمة الله

(١) نشر النور والزهر ٢/ ٤٧٧.

(٢) قرة العين ١/ ١٧، الكواكب الدراري ١/ ٨٦، تشنيف الأسماع ٢/ ٢٨٠.

(٣) زهير كُتُبي: رجال من مكة المكرمة، ج٣ ص١١٠-١١٤، المعلمي: أعلام المكيين ج١ ص٧٨٧-٧٩٠، أبو سليمان: باب السلام في المسجد الحرام ص٣٢٤.

بن عبد الله بن إبي الذبيح إسماعيل بن إسحاق بن حبيب الله شاه بن صبغة الله الشاهاني الكتبي الهندي الدهلوي[١]، وذكره الفاداني محمد إبراهيم بن عبد الله يارشاه بن يار محمد بن فضل الله الكتبي الدهلوي[٢].

٤- أسرة العلامة المحدث الشريف محمد إبراهيم بن محمد عبد الله الحسني الشهير الكُتُبيّ (١٢٧٥هـ-١٣٦٨هـ)، وهو المعني في كلامنا.

٥- أسرة العلامة النسابة المدرس بالمسجد الحرام الشيخ أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهّاب المكي الصديقي الدهلوي (١٢٨٦هـ-١٣٥٥هـ)، ويرفعون نسبهم إلىٰ أول الخلفاء الراشدين الصحابي الجليل أبي بكر الصديق ﵁، ومنهم اليوم: عبد الستار بن عبد الغني كُتُبيّ، وعبد الإله بن عبد الملك كُتُبيّ.

٦- اسرة الشيخ عبد الصمد يحيىٰ كُتُبيّ، ومنهم عبد الحميد كُتُبيّ وعبد الحفيظ، منهم رجلا الأعمال سليمان وعبد الوهّاب كتبي،أصحاب شركة الكتبي للمسامير.

٧- أسرة الشيخ قاسم الميمني الكُتُبيّ، والد الشيخ خالد كُتُبيّ الموجود في جده.

٨- اسرة الشيخ عبد الحميد كُتُبيّ، ومنهم أبنه عبد الباري كُتُبيّ.

٩- أسرة الشيخ محمد عبد المحسن يماني الشهير بالكُتُبيّ صاحب المكتبة السلفية الشهيرة بالمدينة سابقًا، له أبن أسمه أحمد مازال بالمدينة، والله العالم.

الشّريف محمّد إبراهيم والدّولة السّعودية

لم يقتصر دور الشّريف محمّد إبراهيم الكُتُبيّ علىٰ التدريس في المسجد الحرام وبيع الكتب بل كان له دور كبير في الحياة السّياسية في مكة المكرمة فهو رجل حق عرف منذ يومه الأول فقد كان علىٰ صلة وطيدة بحكام مكة وأُمرائها، وفي زمن الثّورة كان له الدور القيادي التّوعوي بين الناس خشية أن تحدث الفتنة وكان هذا الدور يقدّر له من بين ولاة الأمر والقيادات في مكة المكرمة، وعندما قامت الحرب العالمية الأولىٰ ووضعت الحرب أوزارها، واستقل الشّريف الحُسين بحكم الحِجَاز تعرّف الشّريف محمّد إبراهيم علىٰ الشّيخ عبد الله بن حَسَن آل الشّيخ والذي أصبح صديقا

---

(١) مخطوط روضة الولدان في ثبت ابن جندان ١/ ٢٥٢.

(٢) تشنيق الأسماع ٢/ ٢٨٠.

حميمًا له حيث أنه كان يجالسه في حانوته يتناولون أطراف الحديث ويتدارسون في الأمور الدينية[١]، وقد أكد لي سّيدي الشّريف يعقوب أن في مكتبة الشّريف محمّد إبراهيم تعرف الشيخ عبد الله بن حَسَن آل الشيخ علىٰ الشّريف خالد بن لؤي العبدلي وكان كلاهما يجتمعان عند الشّريف محمّد إبراهيم الكُتُبيّ في مكتبته[٢]. وبعد الاستقلال وانتهاء الثّورة وحالت الأمور إلىٰ حالها وحدث ما حدث من حكمت الله وإرادته، وفي أوائل شهر صفر سنة **١٣٤٣**هـ عسكر جنود الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل خارج مكة بالحوية[٣] من جهة الطائف ودخلت خيول رجاله حتىٰ وصلت باب السلام منادية بالأمن والأمان، فكان الشريف محمّد إبراهيم الكُتُبيّ الحَسَنيّ أحد الرجال الذين وقفوا وردّوا الخيل عن الدخول إلىٰ المسجد الحرام وذهب إلىٰ ابن عمّه وصديقه الشّريف خالد بن لؤي العَبْدَليّ والذي كان قائدًا لجيش الملك عبد العزيز آنذاك ثم أميرًا لمكة فيما بعد وتحدّث معه عن أمر الخيول وأن دخولها سوف يحدث فتنه بين الناس وتحدّث الشّريف محمّد إبراهيم مع الشّريف خالد بن لؤي بقوله: إنّك قلت أن عبد العزيز سوف يحَكم البلد وينشر الأمن والاطمئنان بها فكيف يحدث هذا وجنوده ترغب بالدخول إلىٰ المسجد الحرام بخيولهم، وذكره بقوله تعالىٰ (وجعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا)، (وأن من دخله كان آمنًا). وأن أهل مكة المكرمة لا مانع لديهم من المبايعة وأنهم سلم لمن سالمهم، فقال الشريف خالد بن لؤي: وكيف تحدث البيعة فقال الشّريف محمّد إبراهيم: سوف يكون أهل باب السلام أول المبايعين في مكة وأنا أولهم، وبالفعل أرسل الشّريف خالد جنودًا معه يمنعون الخيّالة من دخول المسجد الحرام واجتمع الشّريف محمّد إبراهيم مع أهل باب السّلام ونادوا بصوتٍ عالٍ وهو في مقدمتهم بأننا قد بايعناه بايعناه يقصدون أنهم بايعوا عبد العزيز بن عبد الرحمن ملكًا علىٰ الحِجَاز[٤].

---

(١) رواية الشريف عبد الرزاق رحمه الله حفيد المترجم له

(٢) رواية الشريف يعقوب الكتبي عميد الأشراف الكتبية.

(٣) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج٢ ص٣٣٠-٣٣٣.

(٤) قامت دارة الملك عبد العزيز بتدوين وتسجيل حلقه كاملة حول هذه القصة ضمن تاريخ التوثيق الشفوي عن تاريخ الملك عبد العزيز بالحجاز وكان ضيف الحلقة الشريف يعقوب بن محمّد إبراهيم الكُتُبي الحَسَني في يوم ١٠/٣/١٤٢٣هـ بسجل رقم ٧١١/٩ بمنزله بالمدينة المنورة دار المجتبىٰ؛ خيرالدين الزركلي: مصدر سابق، ج٢ ص٣٣٠-٣٣٣.

وكان الشيخ محمد إبراهيم الكُتُبيّ أحد أعيان مكة المكرمة وأشرافها يقضي حوائج الناس ويذهب إلىٰ الملك عبد العزيز لحل بعض الأمور رحمهما الله تعالىٰ.

وبعد هذه الحياة الحافلة بالأعمال الصالحة، وعندما بلغ الكتاب أجله فاضت روحه إلىٰ بارئها في يوم الجمعة سنة **١٣٦٨**هـ، ودفن في مقابر المعلاة وفقدت مكة بموته -يومئذ- عالمًا من علمائها الصالحين، قرن العلم بالعمل، وشيعت جنازته في موكب حافل اشترك فيه العلماء والوجهاء والأعيان وكافة الطبقات فلقد كان الرجل محبوبًا من الناس، قدوة في العلم والعمل والمعاملة، صالحًا ورعًا، يرونه أبدًا في وقار وسماحة نفس، يعرفون فيه التزامه وشدة صلته بربه رحمه الله.

وأعقب سبعة رجال، وهم: محمد نور المترجم له، وإسماعيل، وصالح، ومحمد أمين، ويعقوب، ومحمد جميل، ويوسف، ولاعقب لولديه صالح، ويوسف.

نعود ونواصل الحديث عن الشيخ محمد نور:

ولد في مكة المكرمة بحارة الشبيكة بجبل قعيقان في دار والده العلامة الشيخ الشريف محمد إبراهيم وذلك عام **١٣٢٣**هـ[١] في زمن الدولة العثمانية.

كان متوسط القامة، نحيل الجسم، عريض الجبهة، أسمر اللون، واسع العينين، كث اللحية، تلوح علىٰ وجهه علامات الذكاء والهيبة، يرتدي الغترة ولا يضع عليها عقالًا، يلبس العباءة العربية، وكان في شبابه يرتدي الجبة الفضفاضة والعمامة المكية المهندمة، ولا أعرفه إلا متوكئًا علىٰ عكاز.

وقد عرف عنه رحمه لله أنه طيب القلب، مصلح بين الناس، دمث الأخلاق، معين لأصحاب الحوائج، لاتجده في المسجد إلا مصليًّا أو تاليًا لكتاب الله، وعندما كنت أذهب إليه في صغري وأدخل عليه أجده يقرأ القرآن لا يفتر عن ذكر الله تعالىٰ[٢].

---

(١) هذا الصحيح في تأريخ ميلاده بناء علىٰ وثيقة أصلية محفوظة في خزانتنا .. وقد وهم البعض وقالوا **١٣٢٧**هـ.

(٢) قضاة المدينة المنورة -عبدالله الزاحم: ١/ ١١١-١١٢-قضاة مكة المكرمة: للمعلمي/اكمال الحذيفي والنقيب، ٢/١٧٦. تاريخ عمارة المسجد الحرام -حسين بإسلامة: ص٢٣٤-إتمام الاعلام: نزار أباظة: ص٤١٨- المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز: الشريف عبد الله العبدلي: ص١٨٣- وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم: يوسف الصَبحي: ص٤١٧- مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر- =

نشأته وتعليمه

نشأ نشأة صالحة بين البيت والمسجد الحرام، فبدأ بحفظ القرآن الكريم وتجويده علىٰ خال أمه العلامة المقرئ الشيخ عبد اللطيف قاري المدرس بالمسجد الحرام، ولم تمض فترة طويلة حتىٰ أنهىٰ حفظ كتاب الله وأتم تجويده مع حفظه لبعض القراءات.

وفي عام ١٣٣١هـ التحق بالمدرسة الصولتية وكان مقرها بالقرب من جبل الكعبة من حارة الباب وتدرج في صفوفها من المرحلة الابتدائية حتىٰ تخرج في القسم العالي فيها، ونال شهادة التخرج في آخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ[1]، ومن مشايخه في المدرسة الشيخ مشتاق أحمد الهندي والشيخ محمود زهدي والشيخ عبد الرحمن الدهان والشيخ يحيىٰ أمان، وبعد تخرجه من المدرسة المذكورة واصل تعليمه علىٰ علماء المسجد الحرام، فدرس أولا علىٰ يد والده أحد علماء المسجد الحرام أصول الفقه والحديث والتفسير ونال الإجازة منه، ثم درس علم الحديث والفقه علىٰ محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان المحرسي، وتلقىٰ علىٰ يديه الأسانيد والمسلسلات الحديثية، وقرأ عليه الكتب الستة ونال منه الإجازة، ثم التحق بعد ذلك بحلقة الشيخ عيسىٰ رواس ودرس عليه بعض العلوم الدينية حتىٰ نال عنده حظًّا وافرًا وأجازه بالتدريس، كما أجازه مشايخه الذين من قبل وشجعوه علىٰ نشر العلم وبثه.

الكُتُبيّ مدرسًّا بالمسجد الحرام

وفي عام ١٣٤٠هـ أجيز وتصدر للتدريس وعقد حلقته بالمسجد الحرام في حصوة باب العمرة حيث درس الفقه علىٰ المذاهب الأربعة، وقد درس علىٰ يديه كثير من طلاب العلم من أهل مكة المكرمة كآل فدا وآل كردي وآل القاري وغيرهم، ومن

= عبد الرحمن المزيني: ص ١٧٨-أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه: عبد الله الزهراني: ص ١١٥-موسوعة أسبار للعماء والمتخصصين في الشريعة الاسلاميه: ص١١٢٧-لمحات من الماضي: الشيخ عبد الله خياط، ص٤٣.- صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة: ياسين الخياري: ص٩٠.

(١) وثيقة تخرج من المدرسة الصولتية في ١٥ شوال ١٣٣٧هـ محفوظة في خزانتنا.

أندونيسيا وماليزيا واليمن والهند وأفريقيا، ففتح لهم قلبه الكبير بأسلوب واضح سهل يكشف الغامض بصوت خفي هادئ رزين في تواضع وورع، لا تفارقه الإبتسامة، يلتقي طلابه ومحبيه بوجه طلق وكان موعد حلقته بعد صلاة العصر من كل يوم.

الكُتُبيّ إمام المسجد الحرام

وفي زمن حكومة الأشراف كانت صلاة التراويح تصلىٰ في المسجد الحرام علىٰ المذاهب الأربعة فكل إمام يصلي بمن هو علىٰ مذهبه وكان رَحِمَهُ اللَّهُ أحد الأئمة الذين يصلّون بالناس في الأيام العادية وصلاة التراويح في شهر رمضان في الحصوة «الرملة» القريبة من باب العمرة وفي عام **١٣٤٣**هـ وفي عهد الحكومة السعودية بعد تولي الملك عبد العزيز الحكم في الحجاز إلغيت مقامات المذاهب ووحدت، فأصبح يؤم المصلين في المسجد الحرام إمام واحد، فعُين إمامًا أساسيًّا لصلاة الظهر وأحيانًا العصر[١].

أعمال الكُتُبيّ

* في عام **١٣٤٦**هـ اِلتحق برئاسة القضاء وعمل بها، وفي نفس العام عُين بترشيح من الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيسًا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، وكان مقرها ما بين باب الصفا وباب أجياد، وكان من الموظفين بهذه الإدارة الشيخ سليمان الصنيع والشيخ عبد الله خياط والشيخ محمد علي خوقير.

* وفي عام **١٣٤٩**هـ عيّن بهيئة التمييز وكانت الهيئة تنتقل في الصيف مع ديوان نائب جلالة الملك، وكان الشيخ ضمن أعضائها.

* ونظرًا لكفاءته كان ينتقل مع رئيس القضاة إلىٰ المدينة المنورة لحل بعض القضايا المتعسرة في المحاكم.

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام - حسين بإسلامة: ص٢٣٤-إتمام الاعلام: نزار أباظة: ص٤١٨- المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز: الشريف عبد الله العبدلي: ص١٨٣- وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم: يوسف الصَبحي: ص٤١٧ -مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر- عبد الرحمن المزيني: ص ١٧٨-أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه: عبد الله الزهراني: ص١١٥- موسوعة أسبار للعماء والمتخصصين في الشريعة الاسلاميه: ص١١٢٧- لمحات من الماضي: الشيخ عبد الله خياط.

* وفي عام ١٣٥٥هـ تم تشكيل مجلس المعارف في المملكة فاختير عضوًا فيه[١].

* وفي عام ١٣٥٦هـ عرض علىٰ فضيلته تولي القضاء بمدينة العلا فاعتذر عن ذلك وقبل اعتذاره.

* وفي عام ١٣٥٧هـ عُين رئيسًا لهيئة العلماء والمدرسين بالمسجد النبوي الشريف حتىٰ عام ١٣٦٤هـ.

الكُتُبيّ قاضي المدينة

وفي ربيع الأول من عام ١٣٥٧هـ رشح لتولي أمور القضاء في المدينة المنورة فوافق، وفي جمادىٰ الأولىٰ انتقل إلىٰ المدينة المنورة، وعُين رئيسًا للمحاكم الشرعية بالمدينة إلىٰ أواخر عام ١٣٦٤هـ حيث عُين فضيلته مساعدًا أول لرئيس المحاكم.

وقد حدثني من أثق بروايته عن قضاءه للمدينة بأنه كان رجلًا حكيمًا، وحدثني أيضا من أثق بروايته أن محكمة المدينة المنورة لم يأتِ إليها قاضٍ بارع مثله فقد عمل بها سنوات يحكّم بها شرع الله ولا تأخذه في الحق لومة لائم.

وفي عام ١٣٧٣هـ وحينما حضر صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سعود، قدم طلبًا بإحالته إلىٰ التقاعد فصدر الأمر الكريم بالموافقة علىٰ طلبه وبالراتب الكامل إكرامًا لجهوده القضائية.

الكُتُبيّ مدرسًا بالمسجد النبوي

وفي عام ١٣٥٧هـ وعندما عُين رئيسًا للمحاكم الشرعية بالمدينة فقد عقد حلقة صغيرة بجوار خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في المسجد النبوي يدرس فيها العقائد والفقه، ولكنه لم يستمر طويلًا في التدريس وذلك لانشغاله بأمور القضاء[٢].

* وفي عام ١٣٧٣هـ انتخب عضوًا من أعضاء المجلس الإداري بالمدينة المنورة.

---

(١) انظر جريدة البلاد (٢٠٢) في ٢٩ محرم ١٣٥٥هـ، والمصدر السابق.

(٢) انظر صور من الحياة الإجتماعية في المدينة المنورة من بداية القرن الرابع عشر الهجري حتىٰ العقد الثامن منه/ ياسين الخياري.

* وفي عام ١٣٧٧هـ وكان رئيس العدل في ذلك الوقت الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ فعمد إلىٰ الكُتُبيّ تولي قضاء مدينة القطيف، وعندما عرض الأمر علىٰ مقام جلالة الملك فيصل طيب الله ثراه كتب المعاملة «إن الشيخ محمد نور الكُتُبيّ قد خدم الدولة بالحرمين الشريفين فهل نأتي في آخر حياته وكبر سنه ونكافئه بالترحال من الحرمين، فإن كان ولا بد فيعين في الحرمين فجزاه الله علىٰ ما فعله خيرًا».

وبعد مضي شهر من ذلك صدر الأمر السامي الكريم بتعيين الشيخ الكُتُبيّ مستشارًا شرعيًّا لإدارة الأوقاف في المدينة المنورة.

أحكامه القضائية لا تنقض

ولقد تميز بالبراعة في أحكامه القضائية فقد اشتهر بالصلح بين الناس ورد الحقوق لأصحابها، ومما عرف عنه أنه لم ينقض له حكم قط، وبلغني أنه جاءه خطاب شكر يتضمن معناه أنه لولا أن النظام يطلب الأحكام من القضاء لهيئة تمييز الأحكام لكان ليس من الواجب علىٰ الشيخ محمد نور إرسال أحكامه للمصادقة عليها، وحتىٰ بعد إحالته إلىٰ التقاعد كان موظفو المحكمة يأتون إليه ويطلبون المساعدة في بعض القضايا فيرشدهم إلىٰ الصواب.

وله في المدينة المنورة مواقف لا تنسىٰ، نذكر منها نماذج: ذلك الخصام الذي دب بين رجلين من أعيان المدينة وكان من ذلك احضار شهود زور والتشهير بالشاهد والخصام بالشتم والسباب ولولا حضور بعض الناس لتماسكا، وذلك بسبب إرث.

فكان عمل الشيخ الكُتُبيّ أنه قبل يوم الجمعة بعث إلىٰ الرجل الأول في القضية ودعاه لتناول طعام الغذاء في بيته بعد صلاة الجمعة كما دعا الطرف الثاني في القضية لتناول طعام الغذاء في اليوم نفسه، ودعا الشيخ الكُتُبيّ بعض أعيان المدينة كذلك وبعد صلاة الجمعة وصل الطرف الثاني وجلس في مجلس الشيخ، وفي أثناء جلوسهم أتىٰ الطرف الأول ودخل، فقام كل مَنْ في المجلس لمصافحته والترحيب به، وابتدأ يصافح من اليمين وكان الطرف الثاني في الوسط فاضطر الأول لمصافحته خجلًا من الحضور، فقال الشيخ محمد نور كتبي هذه المصافحة لا تكفي وعلىٰ كل واحد منكما

تقبيل رأس الآخر، وأي حق لك يا صاحب الدعوىٰ فهو عندي، وبعد تناول الطعام خرج المتداعيين وأيديهما في أيدي بعض، وأصبحت حكاية صلحهما حديث الناس، فليس من المعقول أن يتصافيا بعد الخصام الطويل الذي دار بينهما.

وفي اليوم الثاني الذي هو موعد جلستهما لدىٰ القاضي الشيخ الكُتُبيّ حضرا وقال الطرف الأول: اِشهد يا شيخ ويا جميع مَنْ حضر أن المبلغ الذي تحكم به علىٰ الطرف الثاني لا يدخل منه شيء إلىٰ جيبي وأنه كله صدقة لوجه الله تعالىٰ.

* ومن مواقفه الإصلاحية تلك القصة التي حصلت بين قبيلة جهينة وبني محمد في الميليح بحضور وكيل أمير المدينة المنورة الشيخ عبد الله السديري حيث طلعا إلىٰ الميليح ومكثوا هناك ثلاثة أيام وقد كان قبلها كادت أن تثور البندقية بينهما، فذهب الشيخ محمد نور وجمع شيخا القبيلتين ووزع الأراضي علىٰ أهل كل منطقة بحدودها فكان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في عدم اشتعال البندقية بين القبيلتين.

وله كثير من المواقف لا يتسع المجال لذكرها فجزاه الله خيرا وجعل هذه الأعمال بإذن الله في ميزان حسناته يوم القيامة.

قال الأديب المدني الوجيه سعود الحجام(١): ذلك الرجل الذي يعد علمًا من اعلام المدينة النبوية، فهو أحد قضاة المحكمة الشرعية بها، عرف بجنوحه للسلم في كل ما يعرض عليه من قضايا، فكم من قضية لعوائل كريمة تتعلق بطلاق أو خلافات زوجيه قد تفضي إليه تراه يجري الإتصالات ببعض رجالات المدينة من الذين عرفوا بحبهم لفعل الخير بأن يصلحوا ذات بينهم، فمتىٰ ما تحقق له ما أراد سرله غاية السرور، وهو كذلك بالنسبة لقضايا الحقوق الخاصة كالديون والمواريث وغيرها، فإن له بصمات لاتمحىٰ في قضايا بين أخوة وذوي رحم يكون لشيخنا الكتبي فيها دورًا فاعلًا كي لاتصل الأمور بها إلىٰ أحكام شرعية فتراه يلملم شعث خلافهم ويحاول جاهدًا علىٰ ان لايكون لذلك الخلاف إي رواسب نفسية قد تؤثر علىٰ علاقاتهم الأسرية.

---

(١) مقال بجريدة المدينة ملحق الأربعاء بعنوان حارة التاجوري سنة ١٤١٩هـ.

مؤلفات الشريف الكتبي

لم يكن من أصحاب المصنفات الكثيرة لأنه قد وهب حياته كلها لخدمة الناس والحكم بما يرضي الله ﷻ ولكنه رغم ذلك له مؤلفٌ ضخمٌ ألّفه عندما تولىٰ الملك عبد العزيز طيب الله ثراه الحكم في الحجاز ووحدت المذاهب وقتها، وهو كتاب عن الحج والعمرة علىٰ المذاهب الأربعة اختار له اسم: «**النخبة المعتبرة من مناسك الحج علىٰ المذاهب الأربعة**».

وقد طبع الكتاب في المملكة المصرية آنذاك علىٰ نفقته وسنة طبعه عام **١٣٤٧**هـ.

كما أن له مؤلفات أخرىٰ بدأ بتأليفها عام **١٣٥٥**هـ وفقدت أثناء انتقاله للمدينة المنورة والله أعلم بمصيرها.

مكتبة الكُتُبيّ(١)

أما عن مكتبة فقد ترك مكتبة كبيرة تزخر بكثير من المخطوطات والكتب القديمة النادرة جمعها منذ صغره ونقلها معه من مكة المكرمة إلىٰ المدينة المنورة حينما استقر بها وهي الآن موجودة تحت اسمه في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة.

وفاة الشريف الكُتُبيّ

وفي يوم **٢٢** شوال عام **١٤٠٢**هـ فجع الحجاز بوفاة الشيخ الشريف محمد نور الكُتُبيّ الحسني حيث وافته المنية بالمدينة المنورة ودفن في بقيع الغرقد بمشهد حافل شاركت فيه الجموع الكثيرة وواسىٰ في وفاته رجال الدولة وكبار العلماء وأعيان البلاد تغمده الله برحمته الواسعة فقد أفنىٰ حياته في سبيل رفعة هذا الدين الحنيف، وكان نمطًا فريدًا من الرجال استطاع بعلمه وفضله أن يكون مصدر فخار لحقبة طويلة من الزمن للحجاز كله وليس هذا بالأمر السهل أو القليل الأثر، فمثل هؤلاء الرجال يعدون من مفاخر الأمم.

---

(١) مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر- عبد الرحمن المزيني: ص ١٧٨.

الشيخ محمد هاشم الفوتي[١]

هو محمد هاشم بن أحمد الفوتي المالكي المدني الشهير بألفا هاشم[٢].

ولد ألفا هاشم عام **١٢٨٣**هـ ببلدة «حلوار» من بلاد فلاته في الصحراء الكبرىٰ بإفريقيا.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ طويل القامة، عريض الجبهة، واسع العينين، عظيم الأنف، خفيف اللحية، يرتدي عمامة بيضاء مهندمة، وعباءة سوداء وهو زي العلماء في ذلك العصر.

عندما أردت أن أكتب عن الشيخ ألفا هاشم بحثت كثيرًا عن ترجمة وافية له ولكن لم أجد إلا القليل فهو عالم بمعنىٰ الكلمة بلغ صيته الآفاق الإسلامية فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ دمث الأخلاق، غزير العلم، واسع الإطلاع، شديد الحفظ، لا تأخذه في الحق لومة لائم، لقب بشيخ مشايخ أهل العصر.

نشأته وتعليمه

منذ صغره كان الطفل الأديب الذي يحب مجالسة العلماء ومناقشتهم فاهتم به والده وأنشأه نشأة صالحة، فهو من بيت علم وفضل ودين وله مكانة عالية بإفريقيا، فبدأ شيخنا الفاضل ينهل من بحار العلوم العذبة علىٰ يد أعمامه وأخواله وعلماء بلاده والبلاد المجاورة وكان أبواه يساعدانه علىٰ ذلك ويمدانه بالمال ليروه عالمًا.

فحفظ القرآن المجيد علىٰ رواية ورش وبلغ من العلم مبلغًا عظيمًا ومكانًا كريمًا وأصبح عالمًا منذ صغره مرجعًا لأهله ومواطنيه في التدريس والفتوىٰ.

فتصدر للتدريس وهو يافع السن فكان العالم الجليل الذي يعطي العلم بكل الأساليب الجميلة في بلاده وبين أقرانه.

---

(١) ترجمة الدفتردار، الاعلام، الجواهر الحسان ٢/ ٤٩٤ترجمة رقم ١٦٢.

(٢) وكلمة ألفا بمعنىٰ الشيخ أو العالم باللغة الفوتية.

هجرته إلى الحجاز

ولما غزا الفرنسيون بلاده سنة **١٣٢٠**هـ وتصدىٰ لهم في بداية الأمر ولكنه اضطر مكرهًا لمغادرة بلاده التي نشأ وترعرع فيها وتوجه إلىٰ الحجاز حاجًا قاصدًا بيت الله الحرام وكانت الرحلات في تلك الحقبة من الزمن صعبة إما مشيًا علىٰ الأقدام أو ركوبًا علىٰ الدواب فوصل إلىٰ مكة المكرمة عام **١٣٢٢**هـ وأدىٰ فريضة الحج وبها تعرف علىٰ جماعة من العلماء أكرموه وأحسنوا نزله وعرفوا مكانته من العلم وقدر الله له زيارة سيد الكونين ﷺ ثم عاد إلىٰ مكة المكرمة وتصدر للتدريس في المسجد الحرام حتىٰ نهاية عام **١٣٢٦**هـ حيث عاد الشيخ إلىٰ المدينة وجاور بها وبدأ يعرف بين أهلها ويشتهر بين طلابها.

دروسه العلمية

لم تمض فترة طويلة حتىٰ أصبح الشيخ ألفا هاشم أحد علماء المسجد النبوي الشريف وعقد حلقته بجانب الشيخ إبراهيم بري والشيخ حميدة الطيب والشيخ محمد العمري والشيخ عبد الفتاح أبو خضير والشيخ محمد الطيب الأنصاري.

فتصدر التدريس عام **١٣٢٥**هـ وكانت حلقته تعقد بعد صلاة المغرب من كل يوم خلف المكبرية من الجهة اليسرىٰ قرب الروضة الشريفة بجانب حلقة الشيخ محمد الطيب الأنصاري والشيخ عبد الفتاح أبو خضير وكان الشيخ الفاهاشم عالمًا متضلعًا متمكنًا ماهرًا بارعًا بحق في جميع العلوم والمعارف خاصة في الفقه وأصوله والحديث والبلاغة والنحو والتفسير وغيرها من العلوم الهامة - فهو علىٰ جانب كبير من سعة الإطلاع موسوعي وقد وهبه الله تعالىٰ الذكاء والنباهة والحذاقة والفطانة.

وكانت حلقته تمتلئ بكثير من الطلاب المدنيين والمهاجرين وله حلقة أخرىٰ تعقد في بيته بعد صلاة العصر أو العشاء فيؤمها طالبوا العلم ليأخذوا منها، فكان بيته مفتوحًا لكل طالب علم في أمور دينه الحنيف.

وكم حدثت بواسطته الفائدة لكثير من طلاب العلم الإسلامي عن طريق الإجازة.

الشيخ ألفا هاشم عضو مجلس الشورى

عين الشيخ ألفا هاشم عضو مجلس الشورىٰ وكان نظام المجلس يقضي أن تمثل كل مدينة أو أكثر في المجلس وكان يتم اختيار العضو بالانتخاب وأول من مثل المدينة المنورة هو الشيخ سعود دشيشة الرجل المحنك وعين الشيخ ألفا هاشم من ضمن العلماء التي ترجع إليهم الدولة في أمورها الشرعية وكان الملك عبد العزيز يأخذ بفتواه دائمًا ويقدمها علىٰ الفتاوىٰ الأخرىٰ فالرجل شيخ مشايخ العصر وكانت له مكانة كبيرة في نفس الملك عبد العزيز.

الشيخ ألفا هاشم والفتوى

لقد برع واشتهر في المدينة المنورة فكان من علمائها الأفاضل متضلعًا في المذاهب الأربعة وخاصة في المذهب المالكي ويتميز ألفا هاشم بسعة الإطلاع وغزارة الحفظ فإذا أتته الفتوىٰ فإنه يقول لأحد طلابه: افتح الكتاب كذا صفحة كذا في السطر رقم كذا واقرأ فإذا هي إجابة السائل.

وكانت تأتيه الفتاوىٰ والأسئلة من شتىٰ البلاد الإسلامية فيجيب عنها إما في وقتها وإما خلال موسم الحج من كل عام وكانت داره بحارة الأغوات تمتلئ في موسم الحج بالعلماء من العالم الإسلامي، ويأتيه دائما علماء إفريقيا ليلتقوا به ويحصلوا منه بفائدة.

تلاميذ ألفا هاشم

إن من الصعب علينا أن نحصي تلاميذ هذا العالم الفاضل فهم يعدون بالألوف فمنهم في إفريقيا ومنهم في المدينة المنورة ومنهم من الأقطار الإسلامية الأخرىٰ، فتذكر منهم علىٰ سبيل المثال وهذا ما استطعت أن أتحصل عليه من الأسماء الشيخ سعيد بن صديق الفوتي المدرس بالمسجد النبوي الشريف المتوفىٰ سنة **١٣٥٣**هـ والشيخ العلامة المتفنن عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي المدرس بالمسجد النبوي الشريف المتوفىٰ سنة **١٣٧٧**هـ والأستاذ الأديب المرحوم محمد حسين زيدان والشيخ

عمر عادل التركي مؤسس مدرسة النجاح بالمدينة المنورة وهو علىٰ قيد الحياة والشيخ حسن المشاط المدرس بالمسجد الحرام المتوفىٰ سنة ١٣٩٩هـ والشيخ حسين باسلامه المكي المتوفىٰ سنة ١٣٥٩هـ والشيخ محمد السالك بن الخرش المتوفىٰ سنة ١٤٠٨هـ والشيخ سيدي أحمد بن أدة وغيرهم.

شخصية محبوبة

لقد عاش الشيخ ألفا هاشم في زمن كانت تنعم فيه المدينة النبوية ببحور من العلم والعلماء فقد كانوا يجتمعون علىٰ الاجتهاد والتفقه في هذا الدين الحنيف ويعتبر ألفا هاشم أحد هؤلاء البحور.

فهو شخصية مبوبة جعلت الناس يلتفون حوله لطيب قلبه فكان محبًا للعلم وطلابه وخادميه فمن أصدقائه:

- الشيخ إبراهيم بري مفتي المدينة وقاضيها.
- الشيخ حميدة الطيب المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ أحمد بساطي المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ المعمر حسن الشاعر شيخ القراء بالمدينة المنورة.
- الشيخ عبد الرؤوف عبد الباقي المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ محمد العائش المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ محمد الطيب الأنصاري المدرس بالمسجد النبوي.
- الشيخ ملا سفر الكولابي المدرس بالمسجد النبوي.

وغيرهم من علماء المسجد النبوي الشريف فرحمة الله عليهم جميعًا.

قصص لألفا هاشم

ذكر الأستاذ محمد سعيد دفتردار(١) قصة تدل علىٰ عفة الشيخ وهي أن أحد الأثرياء

---

(١) في ترجمته للشيخ ألفا هاشم هذه القصة في جريدة المدينة بعددها الصادر للشيخ محمد سعيد دفتردار في ٢٨/ ١١/ ١٣٧٨هـ.

الأتراك جاء إلىٰ المدينة المنورة وكان يعطي كل عالم منديلًا به «مائة ريال مجيدي» فعندما وصل إلىٰ الشيخ الفاهاشم وهو بين تلاميذه قدم له المنديل فاعتذر الشيخ عن القبول بأنه لا حاجة له بالمال فسأله الرجل الثري عن السبب فقال: إنه لا يأخذ الزكاة ولا الصدقة فقال له: إن هذه المنحة من زكاة مالي ولكن سأعطيكها كهدية تساعد بها تلاميذك فعندما اتضح الأمر في نظر الشيخ علىٰ أنها هدية أخذها ووزعها فورًا علىٰ التلاميذ فسر الرجل الثري بأسلوب الشيخ ألفا هاشم وعزة نفسه.

الزيدان وذكرياته مع ألفا هاشم

قرأت في كتاب العهود الثلاثة[1] للأستاذ محمد حسين زيدان رَحِمَهُ اللَّهُ قصة جميلة يقول فيها الزيدان: (كنت في رواق باب الرحمة قبل صلاة المغرب، وساعة الآذان فإذا الشيخ الألفاهاشم يقف علىٰ رأسي «زيدان قم» وأخذ بيدي لأسير بجانبه إلىٰ الروضة الشريفة وتعال شوف الناس تصل بالخبر إلىٰ والد الزيدان.

الشيخ ألفا هاشم ومعه ولد يصلي في الروضة أكبروا ذلك وكبر الأصدقاء وبعد صلاة المغرب: بسط الشيخ المحفظة فأخرج الدواة وقلم البوص وورقة مسطرة أمسكت بالقلم وأخذ يملي علي هكذا: «يا زيدان يامن يزينه العلم يزدان . . . يازيدان إن المفرد العلم مزيدان له مثنىٰ زيد لقد دانا . . . يازيدان أضفتك إلىٰ نفسي لأنك محبوبي من العلم دان» وسبب ذلك أن أساتذة الزيدان اختلفوا في إعراب اسم الزيدان فحقق ألفا هاشم أعرابه أعراب المفرد لا إعراب المثنىٰ: ويكمل الزيدان حديثه قائلًا كان الشيخ ألفا هاشم يلقي دروسه في الضحىٰ وفي شهر رمضان وقفت أستمع وأنا ذاهب إلىٰ المدرس وإذا هو يفسر قوله تعالىٰ: «وللآخرة خير لك من الأولىٰ» القىٰ التفسير المجمع عليه الآخرة يوم القيامة . . . . والأولىٰ الحياة الدنيا ثم أردف ذلك وبلهجته المالية الإفريقية قائلًا «وقال بعضهم الآخرة «المدينة» خير لك من الأولىٰ «مكة» وانصرفت ألقيها بهجته الضاد ظاء حتىٰ قلت: إفريقي مغربي يحافظ علىٰ مذهب مالك وهو بعد مديني يحب مدينته رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) صفحة ٤٨-٤٩.

مؤلفات ومكتبة ألفا هاشم

لقد صنف الشيخ ألفا هاشم كتبًا كثيرة ونافعة متنوعة في كثير من العلوم مثل الفقه والحديث وكانت هذه المؤلفات موجودة عند أحد تلاميذه فعندما توفي الشيخ ألفا هاشم جاء أحد الرجال الأفاضل من مكة المكرمة إلىٰ المدينة المنورة وهو الشيخ علي كتبي وبحث عن تلك المؤلفات حتىٰ وجدها عند ذلك التلميذ فتسلمها منه ليطبعها علىٰ حسابه الخاص بمصر ولكن المنية وافت الشيخ علي في القاهرة قبل تهيئها للطبع وبوفاة هذا الرجل فقدت تلك المؤلفات وجهل مصيرها إلىٰ يومنا هذا فيا حسرة علىٰ هذه المؤلفات النافعة التي كانت ستملئ بها المكتبات الإسلامية وينتفع بها.

وله مؤلف مشترك مع السيد شطا المكي اسمه: رسالة في حكمة أوراق النقود وقد طبع في المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

وقد جمع الشيخ ألفا هاشم مكتبة قيمة تحوي علىٰ نفائس الكتب والمخطوطات النادرة وبعد وفاته نقلت هذه المكتبة إلىٰ إحدىٰ الأربطة ثم بيعت الكتب والمخطوطات وبذلك تكون فقدت المكتبة وسبب ذلك أن الشيخ لم يرزق بولد يحمل اسمه ويحافظ علىٰ ما أثراه وإنما رزق ببنات لم يستطيعوا المحافظة علىٰ آثار والدهم لصغر سنهم حين وفاته.

قصة وفاة الشيخ ألفا هاشم رحمه الله

وفي آخر حياته دب فيه المرض فأصبح لا يستطيع الخروج من البيت وحينما يأتي إليه الأطباء يقول:

ماذا يبغي الحكماء مني وقد دنا من السبعين سني

وفي يوم وفاته جاء رجلان من ينبع إلىٰ دار الشيخ ألفا هاشم يسألانه عن فتاوىٰ فسمعها منهم وقال لخادمه: افتح الكتاب كذا صفحة كذا وافت لهم فحدث وأفتاهم وخرج الرجلان من عنده مسرورين وبعد خروجهما بدقائق خرج الخادم يقول: إن الشيخ فارق الحياة وكان ذلك عام ١٣٤٩هـ وكانت لوفاته رنة حزن في المدينة المنورة وخرجت المدينة علىٰ بكرة أبيها لتشيعه وعلىٰ رأسهم أمير المدينة المنورة فرحمة الله

عليه فقد كان الرجل محبوبًا لكل الطبقات.

وصيته قبل وفاته

لقد أوصىٰ من حوله قبل وفاته بعدة ايام وهو علىٰ فراش الموت قال: إذا مت وذهبتم بي إلىٰ المسجد النبوي الشريف وصليتم عليّ فلا ترفعوني علىٰ أعناقكم ولا تمروا بي أمام قبر الرسول ﷺ بل اذهبوا بي إلىٰ جهة المنبر ثم إلىٰ باب جبريل.

بكاء أمير المدينة علىٰ ألفا هاشم

حدثني الأستاذ عمر عادل التركي -رحمه الله تعالىٰ- أنه رأىٰ يوم وفاة الشخ ألفا هاشم أمير المدينة المنورة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم في المسجد النبوي الشريف وهو يبكي ويقول ماتت المدينة اليوم، ماتت المدينة اليوم.

رحمك الله يا شيخنا الفاضل وأسكنك فسيح جناته وجعلك في منزلة مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أقول هذا ما استطعت الحصول عليه في ترجمة الشيخ ألفا هاشم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والحق أقل إنني لم أوفه حقه، فهو أحق من هذه السطور بكثير.

ما كتب عن الشيخ ألفا هاشم

كنت طلبتُ من الأستاذ عمر عادل التركي أحد تلاميذ الشيخ ألفا هاشم أن يكتب لي ما يعرفه عن الشيخ، فكتب لي هذه السطور، ووضعتها كما أعطانيه إياها.

ذكر مع العالم الجليل ألفا هاشم رحمة الله عليه

في عام **١٣٤٧**هـ هاجرت من تركيا إلىٰ المدينة المنورة وكان عمري **٣١** سنة أصبت بمرض عجيب، هو أن حصل دود الشريطي وكانت تسقط مني أوصال صغار جدا، وطبعا أنا حنفي المذهب تنقض الوضوء ولم أستطع دخول الحرم الشريف ماذا أعمل؟ فسألت العلماء، قالوا لا يمكن، يعتبر صاحب عذر لأن وقت خروج أوصال الدود غير معلومة أحيانا يوما كاملا لا يوجد، وأحيانا في اليوم مرات عديدة، فذهبت إلىٰ العالم الجليل ألفا هاشم رحمة الله عليه فقال لي: ادخل الحرم وصل مع الإمام لأن

الإمام مالك يقول: إنما ينتقض الوضوء بما خرج من السبيلين عادة، وهذه الحالة ليست بعادة؛ فبدأت أصلي ثم استعملت أدوية فزال مني هذا المرض والحمد لله.

ثم عزمتُ الشيخ الفاضل ألفا هاشم إلىٰ داري لإكرامه والشكر له، لهذه الفتوىٰ فلما دخل بيتنا وخلع عباءته رأيت علىٰ ظهر العباءة نقشا علىٰ شكل الصليب، وأخبرته وقال هذه جاءت هدية لي من إفريقيا، وأراد أن يشق العباءة فأخذتها منه وأعطيتها لوالدتي وهي فكت الشكل الصليبي وعملت محله نقشا جميلا، وفرح الشيخ ودعىٰ لنا.

وبعد ذلك بدأت أوظب مجلسه كل يوم لأستفيد من علمه ثم مرض الشيخ وكنا نزوره إلىٰ أن توفي فرحمة الله عليه.

الأستاذ المربي

عمر عادل التركي

مؤسس مدرسة النجاح.



محمود بن علي شويل[(١)]

هو محمود بن علي بن عبد الرحمن بن محمد شويل

بيت شويل

بيت شويل أصلهم من صعيد مصر المحروسة من بلدة أبي تيج التابعة لمديرية أسيوط وأول من قدم منهم إلىٰ الحجاز مهاجرًا الشيخ علي بن عبد الرحمن بن محمد شويل سنة **١٣٠٢**هـ، وكان عالمًا فقيهًا، وبيت شويل عائلة كبيرة مشهورة بالعلم والفضل، ولها مكانة عالية في أبي تيج وسط عدد كبير من العلماء والفقهاء بالمنطقة منهم أسرة محمد محمود باشا رئيس الوزراء المصري، وأسرة عمرو وآل الريدي، إلا أن الشيخ علي هاجر وترك هذا الحسب من أجل أن يكون قريبًا من بيت الله الحرام، ومسجد نبيه الشريف عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) نثر الدررفي تذييل نظم الدرر١/ ٦٨، ماذا في الحجاز ٣٦، الأعلام ٤/ ١٧٤، ماذا في الحجازلأحمد محمد جمال ٣٧ ومحمد حسن عواد، في جريدة البلاد السعودية ٢١/ ٦/ ١٣٧٣ هـ، والازهرية ٧/ ١٩١، قضاة المدينة ١/ ١٠٤ ترجمة ٣٣، الجواهر الحسان ٢/ ٤٨٥، من أعلام المدينة المنورة ترجمة٣١في جريدة المدينة ٣/ ١٢/ ٨/ ١٣٧٩هـ.

ويذكر الشيخ محمود[١]: أنهم من نسل السيد موسىٰ أبو العمران أخو القطب الصوفي السيد إبراهيم الدسوقي دفين دسوق بالديار المصرية.

قال الدفتردار[٢]: أسرة آل شويل من أعرق أسر بلدة أبي تيج وأشرافها.

أقول: وقد أعقب الشيخ علي شويل ذرية بالمدينة من رجال ونساء وكل آل شويل من نسله ومنهم علي بن محمود شويل وله ذرية منهم صديقنا طيب الذكر الأستاذ محمد بن علي شويل من منسوبي وزارة الأعلام، وله اخوة كرام، ومن آل شويل العم الوجيه الشيخ عبد الحميد بن محمود شويل من حفظة كتاب الله، وكان مديرًا للتشريفات الملكية بمطار جدة وقد أدركته وكانت بيني وبينه مودة كبيرة وكان يتردد علىٰ المدينة المنورة في رمضان ويبقىٰ بها العشر الأواخر وفي المدينة المنورة، لهذا الرجل الكثير من المواقف التي ادين له فيها بالفضل ولا املك له غلا الدعاء بأن يتغمده الله بواسع رحمته ويسكنه الفسيح من الجنان أنه سميع مجيب وله ذرية تسكن جدة، وما دومنا في حديث أسرة شويل، فأنه هناك أسرة أخرىٰ مدنية تعرف ببيت شويل وهم بيت محمد بن حسين شويل نسبة لخؤلته من آل شويل، كان رئيس ديوان الشريف أحمد بن منصور الكريمي[٣]، وهم أسرة فاضلة من الأسر المدنية التي يشار إليها بطيب الذكر واعقب من الابناء علي، وحسن، وحسين، وجميل، وعبد العزيز ولهم ذرية اليوم بالمدينة المنورة، جدة.

هذه دهلزة تأريخية عن بيت شويل نواصل بعدها الحديث عن المترجم له:

مولده

ولد الشيخ محمود **٢٧** رجب **١٣٠٢**هـ، في المدينة المنورة[٤]، حيث أن والده

(١) ترجمة مخطوطة بخط يده جامعة الرياض برقم١١٢٣.

(٢) من أعلام المدينة المنورة ترجمة٣١في جريدة المدينة ٣/ ١٢/ ٨/ ١٣٧٩هـ.

(٣) ذكريات العهود الثلاثة١١٢.

(٤) كنت ترجمة في جريدة المدينة لحياة الشيخ محمود شويل وذكرت أن الشيخ محمود ولد في بلدة أبي تيج وكان أعتمادي علىٰ ما كتبه شيخنا الدفتردار إلا انني بعد التحقيق وبما اطلعت عليه من ترجمة الشيخ محمود بخط يده أنه مولده كان في الحجاز بالمدينة المنورة.

هاجر من بلدته، وكان الشيخ محمود في بطن أمه فكان أول مولود يولد لوالده.

تعليمه

بدأ الشيخ محمود في سن مبكر من عمره بتعلم القرآن الكريم علىٰ يد والده، وبدأت بشائر الخير تظهر عليه، حيث وفقه الله بحفظ الآجرومية، ثم ألفية ابن مالك، ورسالة الدردير، ثم الجوهر المكنون.

وقد ساعد اتصال الشيخ شويل بعلماء الحجاز، والعالم الإسلامي، علىٰ النهل من العلوم الدينية الواسعة، التي كانت تشهدها حلقات المسجد النبوي الشريف.

في عام **١٣٢٠**هـ، اتصل بواحد من أشهر علماء الحجاز مسند العصر الشيخ فالح الظاهري فاستفاد من علمه، وأخذ عنه الكثير من العلوم والإجازات.

في عام **١٣٢٢**هـ اتصل بالعلامة المحدث السيد محمد الكتاني شيخ الطريقة الكتانية وقرأ علىٰ يده الحديث، وقد ربطته علاقة قوية معه وقد رحل إليه في المغرب باستمرار يطلب منه العلم، ومن العلماء الذين حضر حلقاتهم وأخذ عنهم الشيخ حبيب الرحمن الكاظمي، والشيخ ابراهيم الأسكوبي، والشيخ عمر حمدان وغيرهم.

شويل مدرسًا بالمسجد النبوي

وفي عام **١٣٤٠**هـ اختير اسم الشيخ محمود عالمًا من علماء المسجد النبوي الشريف، وعقد حلقته ضمن حلقات المسجد، وكانت من كبار الحلقات التي تزخر بالطلاب من جميع الأقطار الأسلامية، وقد تتلمذ علىٰ يده كثير من العلماء الأجلاء.

شويل قاضي بمحكمة المدينة

وفي عام **١٣٤٣**هـ، وحينما حكم الملك عبد العزيز الحجاز، واستقر الوضع في أرجاء البلاد، وفي شهر رمضان المبارك من تلك السنة، أمر الملك عبد العزيز بتشكيل محكمة شرعية كبرىٰ بالمدينة المنورة، فاختير هو رئيسًا للقضاة وأمين للفتوىٰ بالمدينة المنورة، ونائب القاضي مفتي المالكية الشيخ محمد صادق العقبي، قاضي المدينة المنورة ومفتي الحنفية الشيخ إبراهيم بري، نائب القاضي ومفتي الشافعية السيد زكي

برزنجي، وكيل مفتي الحنابلة ونائب القاضي الشيخ حميدة بن الطيب[١]، واستمر الشيخ محمود لمدة عام في منصبه ثم قدم استقالته وقبلت، وعاد إلىٰ التدريس في المسجد النبوي الشريف، وكانت توجد هيئة تدريس رسمية للمسجد النبوي الشريف كان هو أحد أعضائها.

وبعد فترة اختير الشيخ شويل من قبل أمير المدينة المنورة عبد العزيز بن إبراهيم مدرسًا واعظا بمجلسه الخاص، فلقب بمدرس الإمارة.

شويل رحالة داعية مدني

وللشيخ رحلات كثيرة جميعها في سبيل الله، ففي عام (١٣٥٧هـ) رحل إلىٰ الهند برفقة صديقه المرحوم الأستاذ محمد حسين زيدان، وهي رحلة دعوة قام بها الشيخ لتعليم مبادئ الأسلام هناك واللغة العربية، وكانت مدتها ستة أشهر.

ومن القصص التي يذكرها الأستاذ الزيدان[٢] خلال رحلته معه علىٰ الباخرة إلىٰ الهند، التي امتدت لستة شهور، كان فيها مشغولا بالعبادة من صلاة وصيام، وكان يختم القرآن الكريم في صلاة الليل في مدة قدرها ستة أيام، وكان مكانه في أعلىٰ الباخرة، وكان الوحيد الذي لا يصيبه دوار.

ويشير المؤرخ الزيدان إلىٰ حادثة حدثت معه أثناء الرحلة، وذلك عندما جاء الشيخ شويل، وأشار له إلىٰ كسوف الشمس، فنهض رَحِمَهُ اللهُ ودعا المسلمين الموجودين بالباخرة، وأخذ يصلي بهم صلاة الكسوف بالبقرة وآل عمران، فما أقواه علىٰ العبادة.

ومن رحلاته أنه سافر إلىٰ مصر، حيث مسقط رأسه التي غادرها وهو طفل، وعاد إليها زائرا داعيًا عالمًا.

شويل وسفر برلك

عندما قامت الحرب العالمية الأولىٰ **١٣٣٤**هـ، كان الشيخ واحدًا من العلماء

---

(١) جريدة أم القرىٰ (ع٦٩، ص: ١، ١٣٤٤هـ).

(٢) جريدة البلاد عدد ٩٣٣ في ١٨ رمضان ١٣٨١هـ مقال تمر وجمر للمؤرخ محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة ٣٧.

الأفاضل الذين أبعدهم فخري باشا من الحجاز متهمًا بأنه من الحزب لثورة الحسين، حيث ذهبوا إلىٰ تركيا، وبقي بها فترة ثم انتقل إلىٰ الروم، ثم الأستانة والأناضول.

وبعد عام ونصف العام انتدب الشيخ شويل من قبل الخديوي في مهمة إلىٰ مكة المكرمة، وكان ذلك في عام **١٣٣٧**هـ، فنزل علىٰ الشريف الحسينقائد الثورة العربية الكبرىٰ فأكرمه وأحسن نزله، وأرسل جميع وزرائه لزيارته، وخصه بتناول الطعام عنده في قصره، وفي نهاية العام انتهت المهمة، فعاد إلىٰ الأستانة، ومعه الجواب إلىٰ الخديوي، فمكث إلىٰ عام **١٣٤٠**هـ، ثم عاد إلىٰ المدينة المنورة البلد التي أحبها،ودرس في مسجدها الكبير.

شويل الصحفي المدني العجوز

ويعتبر الشيخ محمود شويل من المحبين للصحافة، وكان من أبرز صحفين عصره، وله مشاركة سياسية كثيرة، حيث يعد أقدم صحفي بالمدينة المنورة، وله مشاركات عديدة في الصحف، وكانت علىٰ مستوىٰ العالم الإسلامي، وكان ﵀ يوقع في أخر مقالته بـ«**الصحفي المدني العجوز**».

شويل ودوره في تأسيس جريدة المدينة

وكان يكتب في المبادئ الإسلامية تحت عنوان (من محاسن الأسلام)، ويعتبر أيضا من المؤسسين لجريدة المدينة؛ إذ كان بحكم صداقته للسيد عثمان حافظ، فأقرضهما بعض المال الذي كان بحوزته، وكان قدره تسعين جنيها، سبق له أن وضعها أمانة عند صديقه الشيخ العالم محمد نصيف، وعندما احتاجها السيد عثمان حافظ، قام بسحب المبلغ من المرحوم الشيخ محمد نصيف أفندي.

كما كان للشيخ شويل مساجلات بينه وبين شكيب أرسلان حول الحديث النبوي الشريف، وصحة ما رواه البخاري، وهي تفصح عن علم الشيخ القدير وتفقهه.

ونظرا لمكانة الشيخ بين أهل الحجاز، فقد اختير وبترشيح من أهل المدينة المنورة ليكون أحد أعضاء المؤتمر الوطني، ومعه بعض الأفاضل.

شويل فلاح مدني

وكان الشيخ شويل من محبي الفلاحة، الأمر الذي جعله يشرف علىٰ أرضه بنفسه ويرعاها.

مؤلفاته

وللشيخ محمود شويل مؤلفات تكشف عن علمه، فقد ساهم في جمع الحديث، وغيره من العلوم، ومن مؤلفاته وهي الموجودة بمكتبة الشيخ عارف حكمت ومكتبته الخاصة، وقد اطلعت عليها وأقتنيتها وهي:

١- منزلة الحديث من الدين.

٢- القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة.

٣- القول السديد في قمع الحرازي الصنديد. والمؤلف الثالث هو دفاع عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

مكتبته

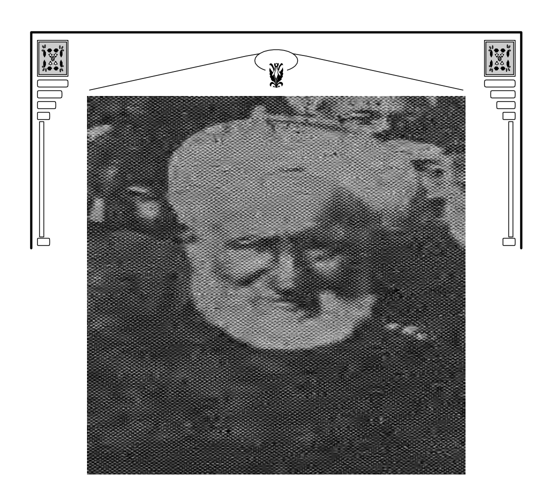
وقد ترك الشيخ وراءه مكتبة تعتبر ثروة علمية كبيرة، جمعت شتىٰ العلوم؛ إذ تحتوي علىٰ مئات الكتب، وهي موجودة الآن بمكتبة الحرم المكي، وقد قام ابنه العم الفاضل الوجيه عبد الحميد شويل رَحِمَهُ اللَّهُ بإهدائها إلىٰ مكتبة الحرم، فجزاه الله خيرًا علىٰ ما فعل.

شويل يتجرد من جميع المناصب

وفي عام ١٣٥٨هـ، طلب الشيخ محمود شويل من جلالة الملك عبد العزيز إعفاءه من جميع الوظائف المسندة إليه، فصدر الأمر الكريم بذلك، وقد أراد الشيخ شويل البقاء في مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام، وكان حسب ما ذكر لي أهل الفضل والعلم أنهم كانوا لا يرونه في المسجد الحرام، إلا راكعًا ساجدًا، وكان حريص أن يأتي إلىٰ المدينة المنورة في شهر رمضان المبارك ويصوم بها، وقد عرف عنه الكرم، فكان عندما يأتيه أحد لا يتركه إلا إذا أخذه إلىٰ منزله، وأحسن نزله.

وفاة الشيخ محمود شويل

لقد أفنىٰ رحلة طويلة في سبيل العلم، وخدمة الدين والدفاع عنه، فجاءت خاتمته في يوم الجمعة المبارك الموافق (٢٠/ ٦/ ١٣٧٢هـ)، حيث شيعت جنازته ضمن موكب كبير، حضره عدد من رجال الدولة وأعيانها، ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة، وعزا أهله وبنوه ولي العهد وكبار العلماء والوجهاء من داخل البلاد وخارجها، ونعته الصحف، فرحمة الله عليه.



الشيخ يحي دفتردار[١]

هو يحي بن محمد سعيد بن عمر بن علي بن عبد الرحمن دفتردار الحنفي المدني.

بيت الدفتردار

تعد اسرة الدفترداري أو الدفتردار أوعلىٰ لفظ المدنيين الدفتدار من الأسر العريقة من حيث العلم والفضل وهي ثابتة القدم في المدينة ولقد ترجم المرادي والجبرتي والحموي والأنصاري وغيرهم لبعض آل الدفتردار المدنيين ونعتوهم بالعلم والفضل والأدب وكمال الدين وسعة الثروة والفضل، قبل الخوض في شخصية الشيخ يحيىٰ دفتردار يجدر بنا الحديث عن آل الدفتردار واهتمامهم بالعلم والأدب، فقد توارثوا خطابة المسجد النبوي الشريف وفراشة السلاطين العثمانيين منذ زمن بعيد.

قال الأنصاري في تحفته[٢]: بيت الدفتردار «ي». أصلهم العلامة الفاضل علي أفندي بن عبد الرحمن الرومي المجاور الصالح الفالح، قدم المدينة المنورة في حدود سنة ١١٤٠.

---

(١) أعلام المدينة المنورة لحفيد المترجم الشيخ محمد سعيد دفتردار.

(٢) تحفة المحبين ٢٢٦.

قال المرادي في السلك[١]: علي بن عبد الرحمن الإسلامبولي الأصل والمولد الحنفي، الشهير بالدفترداري، الشيخ الفاضل العالم الكامل البارع.

قال الحجار في مختصره[٢]: بيت الدافتدار: أصلهم علي أفندي بن عبد الرحمن الرومي، المجاور من أتيك دفتدار، من رجال الدولة العثمانية، ورد المدينة المنورة في عام ألف ومئةٍ وأربعين.

والدفترداري: نسبة فارسية بتركيب تركي يشبه رئيس الديوان وهو من أعلىٰ مناصب الدولة.

وذكر الرجالي المدني الشهير الشيخ محمد بن محمد سعيد دفتردار في ترجمة جده يحي أن جد الاسرة (حسن باشا الدفتردار قانة باق) من أصل بلقاني هاجر إلىٰ حماة ومنها إلىٰ المدينة المنورة في عام ١١٠٠هـ.

اقول: إلا أني وجدت في كتاب ذكريات طيبة[٣] للأديب المدني هاشم بن محمدسعيد دفتردار ما ينص علىٰ أن أسرة الدفتردار يعود نسبها إلىٰ الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأنه كانت لديهم نسبة أثرية نفيسة أحتفظوا بها اجدادهم في شتىٰ هجراتهم، وأنه احترقت في مكتبة جده المترحم له بمنزله الذي كان في العنبرية اثناء غيابه عن المدينة مدة الحرب العالمية الأولىٰ، وهذا أمر ليس بغريب فأهل البيت وابناء الصحابة قد تفرقوا في البلاد لحكمة إلهيه ارادها الله لينشروا هذا الدين الحنيف.

الشيخ علي بن عبد الرحمن الدفترداري[٤]

رأس البيت الدافترداري

علي بن عبد الرحمن الاسلامبولي الأصل والمولد الحنفي الشهير بالدفترداري الشيخ الفاضل العالم الكامل البارع قدم المدينة ١١٤٠هـ وجاور بها وأخذ في طلب العلم فقرأ علىٰ الشيخ محمد حياه السندي والشيخ محمد بن الطيب الفاسي نزيل

---

(١) سلك الدرر ٣/ ٢١٦-٢١٧.

(٢) مختصر القرمية ٤٢.

(٣) ذكريات طيبة ١٩٧.

(٤) سلك الدرر ٣/ ٢١٦-٢١٧، تراجم أعين المدينة المنورة ٨٥ ترجمة رقم ٥٩.

المدينة ومحمد أفندي الشرواني وغيرهم ونبل وفضل وأعطىٰ الجوار حقه وكان ممن سلم المسلمون من يده ولسانه يعفو عمن ظلمه ويصل من حرمه ولا يقابل أحدًا بما يكره ويوجد من يظلم الضعفاء، ولازم خدمة الفراشة بالمسجد الشريف النبوي بكرة وعشية وكان له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية وله مجموعة بخطه قال الأنصاري(١) وكان شريكنا في طلب العلوم وبرع في المنطوق منها والمفهوم، وكان صاحب ثروة وحسن الخط والحظ، وله أخلاق رضية وكمالات مرضية وهمة علية. وتوفي بالمدينة في **٢٩** محرم سنة **١١٨٣**هـ(٢).

وأعقب من الأولاد: محمدا وأبا بكر وعمر الآتي ترجمته:

الشيخ عمر بن علي بن عبد الرحمن دفتردار(٣)

بقية البيت الدفترداري

ولد بالمدينة سنة **١١٥٧**ه، وبها نشأ وطلب العلم، قرأ علىٰ أبيه والشيخ علب أفندي الشرواني والشيخ مصطفىٰ الرحمتي والشيخ محي الدين مغلباي، ثم صار امامًا في المسجد النبوي الشريف، كان حسن الخط نسخ بخطه «الدر المختار» في جزئين، ولم يزل علىٰ حاله إلىٰ أن توفي يالمدينة سنة **١١٩٤**هـ ودفن في البقيع.

اقول: وقد نص الأنصاري علىٰ تعقيب جميع أولاد علي أفندي الدفترداري، وهم: أبو بكر، ومحمد، وعمر، إلا أنه لانعرف اليوم إلا عقب ابنه عمر المتوفي سنة **١١٩٤**هـ، وجميع آل الدفترار الموجودن بالمدينة اليوم من عقبه.

---

(١) تحفة المحبين ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) ذكر الأنصاري أن وفاته سنة ١١٨٤هـ والصحيح ما اثبتناه.

(٣) تراجم أعيان المدينة المنورة ٨٦ترجمة٦٠، مخطوط تحفة الدهر ١٧٧.

الشيخ محمد سعيد بن عمر دفتردار(١)

قاضي الجنود «الينكاشارية»

الإمام الخطيب

محمد سعيد بن عمر بن علي بن عبد الرحمن دفتردار، ولد في مطلع القرن الثالث عشر الهجري وقد جمع بين فضيلتين العلم والجهاد فحفظ القرآن الكريم في المدينة المنورة علىٰ يد أحد العلماء، ثم أخذ يدرس علىٰ يد علماء المسجد النبوي وعلىٰ يد والده مبادئ العلوم الدينية والعربية ثم درس علىٰ المحدث المسند الشيخ العلامة محمد عابد السندي وصحبه معه إلىٰ زبيد فدرس هناك مدة من الزمن ثم توجه منها إلىٰ السودان فالقاهرة فطلب العلم بالجامع الأزهر وتخرج فيه ثم عاد إلىٰ المدينة المنورة وأضاف اسمه إلىٰ قائمة علماء المسجد النبوي وتصدر للتدريس في الروضة الشريفة وعين خطيبًا علىٰ المنبر النبوي في وظيفة والده.

ثم عينه الوزير رجب باشا قاضيًا للجنود «الينكاشارية» مدة من الزمن ثم انتدبه للوعظ والحث علىٰ الجهاد مع الحملة العثمانية في حدود النمسا.

وفي عام **١٢٥٩**هـ ذهب إلىٰ حدود «ترستا» وأصيب بشظية قنبلة تعطلت منها يده ورجله فعاد إلىٰ المدينة المنورة مقعدًا ومكث ما يقارب أربع سنوات فيها حيث وافاه الأجل المحتوم عام **١٢٦٣**هـ رحمه الله تعالىٰ.

وبعد هذه الدهلزة التاريخية نعود في حديثنا عن مترجمنا الشيخ يحي دفتردار:

ولد بالمدينة المنورة عام **١٢٦٣**هـ وقد توفي والده وهو رضيع فعنيت أمه بتربيته، وقد نشأ الشيخ نشأة صالحة.

كان رحمه الله عريض الجبهة، أبيض اللون، له عينان دقيقتان، عظيم الأنف، كث

(١) من أعلام المدينة مقال للدافتردار جريدة المدينة.

اللحية، مربوع القامة، يرتدي الجبة والعمة المدنية ويتوكأ علىٰ عصا من اللوز لها رأس معكوف.

عرف عنه طيب القلب، حسن النية، مصلحًا بين الناس، ذا شخصية ووجاهة، شيخ الخطباء بالمسجد النبوي الشريف.

تعليم الشيخ يحيى دفتردار

سبق أن قلنا إنه قد توفي والد الشيخ يحيىٰ وهو رضيع فكفلته أمه فعندما بلغ سن التعليم حفظ القرآن الكريم وجوده علىٰ يد أحد العلماء.

ثم طاف بحلقات المسجد النبوي الشريف يطلب العلم علىٰ يد علمائه وقد نال حظًا وافرًا من علوم عصره في الدين واللغة العربية والخط وبعض العلوم الرياضية وقد كان الرجل يحب العلم مجتهدًا في طلبه.

وفي عام ١٢٨١هـ حضر إلىٰ المدينة المنورة أخوه الأكبر عمر بك دفتردار وقدر الله للشيخ يحيىٰ أن يحج مع أخيه وبعد ذلك يصحبه إلىٰ الأستانة ليتم دراسته هناك. ولكن الشيخ يحيىٰ كان متوقعًا عدم موافقة والدته علىٰ سفره لأنها لم تتركه يومًا واحدًا في حياتها فدبر الشيخ يحيىٰ طريقة لهذه الرحلة وهي أن يخرج مع أخيه مودعًا ومن ثم يواصلان السفر إلىٰ الشام فتركيا وقد ترك لأمه جوابا عند أحد الأصدقاء ليسلمه لها بعد يومين من سفره ويخبرها أنه سيعود بعد عام.

وبالفعل سافر ووصل إلىٰ الأستانة وهناك التحق الشيخ يحيىٰ بالمدارس الحديثة ومكث في رعاية الوزير أحمد راغب باشا فجد واجتهد وتعلم فنون شتىٰ فقد تعلم اللغة التركية والفارسية وألم بشيء من اللغة الفرنسية ودرس علمي التاريخ والجغرافيا والعلوم الرياضية ونال الشهادات العالية.

عودته إلى المدينة

وبعد أن أخذ من العلم ما أخذ عاد إلىٰ المدينة المنورة وتصدر للتدريس في المسجد النبوي وأخذ مكانه في الروضة الشريفة المباركة ليعيد مجد آبائه وأجداده فعقد للعلم سوقًا فريدًا العلم بضاعته والطلاب مكسبه ودرس وأفاد وانتفع به العباد

وما لبث فترة من الزمن إلا وشاع صيته في البلاد وعرفه المسؤولون في الدولة فعين بأمر عثماني محتسبا للمدينة ورئيس أدلاء المسجد النبوي الشريف في آن واحد وقام بالعمل خير مقام.

وفي عهد الدولة العثمانية العظمىٰ عين الشيخ في مناصب عديدة ومن أهمها أنه نال رتبة «قاضي إزمير» وهي من أكبر رتب ومناصب الدولة الدينية في العهد المذكور.

شيخ الأئمة والخطباء بالمسجد النبوي

وفي عهد الدولة العثمانية تولىٰ الشيخ يحيىٰ مشيخة الأئمة والخطباء في المسجد النبوي الشريف واستمر علىٰ هذه الوظيفة حتىٰ وفاته فكان الخطيب المفوه الفصيح الذي إذا خطب علىٰ المنبر النبوي الشريف حرك أوتار القلوب من خشية الله وجعل الدموع تفيض غزارة من عيون المؤمنين يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة والشواهد المنتقاة من عيون الأدب وملح التاريخ وطرائف الأمثال والحكم يحاضر ويخطب ارتجالًا بصوت جهوري مجلجل واضح النبرات سلس العبارات صحيح مخارج الحروف كل ذلك يفهمه العامي ولا ينكره المتعلم.

ولقد شهدت له المدينة مواقف اشترك فيها كبار العظماء والخطباء والوافدون للمدينة المنورة في كثير من المناسبات والمؤتمرات.

وله خطب دخلت التاريخ تمثل المراحل المختلفة في جيله الذي عاشه.

وهو رَحِمَهُ اللهُ خطيب في المسجد النبوي وخطيب في شتىٰ المواقف خطيب في ناديه، أعني مجلسه الذي كان يعقده في داره والذي يتألف من صفوة المدينة وخيرة رجالاتها.

وعند قيام الحرب العالمية الأولىٰ خرج الشيخ مع من خرج إلىٰ الشام وهناك ألقىٰ خطبة قيمة في أحد مساجد الصالحية يعظ أهل المدينة

المهاجرين معه ويذكرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتىٰ يعودوا إليه فيرد الله غربتهم ويفرج كربتهم.

وكان في تركيا يخطب ويحاضر في المساجد باللغة العربية ثم يثني بتفسير الآيات

وشرح الأحاديث الشريفة باللغة التركية. هكذا وصفه المؤرخون في خطبه.

وفي اليوم الثالث من شعبان عام ١٣٢٦هـ افتتح السلطان عبد الحميد العثماني رحمه الله سكة حديد الحجاز وحضر كبار وزراء الدولة وعظماؤها وقد ألقىٰ الشيخ يحيىٰ دفتردار كبير الخطباء خطبة الافتتاح، بأمر من السلطان.

وفي آخر الخطبة رفع الشيخ يديه ودعا للسلطان والذين ساعدوه بجزيل المثوبة من المولىٰ الكريم.

الدفتردار وسجن الطائف[1]

عين الأتراك العثمانيون حوالي عام ١٣٢٤هـ علي باشا مرمحين «محافظًا» حاكمًا علىٰ المدينة وكان الرجل شديد الغطرسة والاستبداد.

فأنف أهل المدينة منه وضايقهم استبداده وغطرسته وقد فرض علىٰ أهل المدينة ضرائب فقاموا عليه في المناخة وقد تزعم هذه الحركة السيد

أنور عشقي وكان محتسبًا للمدينة وأطلقوا علىٰ مرمحين الرصاص فهرب منهم إلىٰ عشة المحتسب واختبأ هناك ثم انسحب إلىٰ بيته بالحرس

وفي[2] اليوم الثاني غادر المدينة وأرسلت بعد الحكومة حسن حسني باشا.

وأراد المشاغبون أن يمثلوا دور مرمحين مع عثمان فريد فأبرق إلىٰ السلطان فبعث هيئة للتحقيق والمحاكمة وأرسل خمسة وعشرين جنديا فلما حضرت المحاكمة والتحقيق من قبل الهيئة فأدانت أربعين رجلًا من المدينة من أعيانها وعلمائها وكان من بينهم الشيخ يحيىٰ دفتردار وأدانت أربعين ضابطًا من ضباط الأتراك فأمر السلطان عبد الحميد بإبعادهم إلىٰ الطائف مصفدين بالحديد وأخرجوهم من المدينة علىٰ حالة سيئة فظيعة وسار بهم الجند المحافظون إلىٰ جدة فقابلهم أهل جدة بالحفاوة والإكرام وقدموا لهم مساعدات مالية وغيرها ورجوا والي مكة أن يفك عنهم أغلالهم فقبل رجاءهم ورجاه الشريف عون الرفيق الذي استاء لهذا الحادث ثم ذهبوا بهم إلىٰ

(١) انظر كتاب ذكريات طيبة للأستاذ هشام دفتردار ص ١٩٧.

(٢) نقلا عن مقالة الشيخ محمد سعيد دفتردار في ترجمة السيد أنور عشقي في جريدة المدينة المنورة.

الطائف وسجنوهم في قلعتها وكانت تسمىٰ «قلعة مدىٰ» وأخذ الشريف عون الرفيق يتشفع لهم عند السلطان فلم يقبل شفاعته فيهم لأنه قد أخذ عنهم فكرة سيئة وهي أنهم يريدون إسقاط الخلافة العثمانية وإسنادها للعرب ولكل ذلك بسبب ما قاله عثمان فريد املأ صدر السلطان وتوفي الشريف عون ولا يزال هؤلاء المدنيون في سجنهم الذي مكثوا فيه ثمانية عشر شهرًا.

ولما أراد الله لهم الخلاص هيأ لهم رجلًا من ثوار الأرمن وضع قنبلة كبيرة بباب مسجد السلطان في السراي وأثناء خروجه من صلاة الجمعة فانطلقت القنبلة وقتلت خلقًا من المصلين تطايرت جثثهم وتناثرت أشلائهم وكان من بين المصابين رجل من المدينة اسمه «نجيب حماد» أصيب بشظية صغيرة في كتفه وقتل سائق عربة السلطان ونجا السلطان عبد الحميد بأعجوبة وأبدىٰ شجاعة فائقة حيث ساق عربته بنفسه وذهب إلىٰ السراي مصطحبًا معه شيخ الإسلام ولما استقر بهم الجلوس في بهو الاستقبال عرض شيخ الإسلام علىٰ الخليفة أن يقدم شكرًا لله علىٰ نجاته فكان هذا الشكر هو إطلاق سراح أهل المدينة المسجونين في قلعة الطائف وردهم إلىٰ بلادهم بالمنح وأمر بأن تصرف لهم جميع مرتباتهم ومخصصاتهم التي كانت حجزت عنهم وعن أسرهم مدة سجنهم وعادوا إلىٰ المدينة مكرمين وقوبلوا فيها بالحفاوة والترحيب وكان ذلك عام ١٣٢٧هـ تقريبًا.

أسماء المسجونين

السيد أنور عشقي، الشيخ يحيىٰ دفتردار، الشيخ عبد القادر بري، الشيخ زين بري، الشيخ محمد دشيشة، الشيخ حسين براده، المفتي الشيخ عثمان داغستاني، الشيخ محمد حمودة، الشيخ طاهر سنبل، الشيخ عيد بنا، الشيخ قاسم طيار، السيد محمد عطاس، الشيخ منصور زللي، السيد حسين عامر، السيد علي حبشي، الشيخ محمد حلابة، الشيخ حسن حلابة، الشيخ درويش كردي، عبد الرحمن باشا إلياس، الشيخ ياسين كابلي، الشيخ عثمان أبو الطاهر، الشيخ أحمد حمودة، الشيخ حسن جمل الليل، السيد حسين جمل الليل، الشيخ محمد زاهد، الشيخ عبد الرحمن كشميري،

الشيخ عبد الرءوف كردي، الشيخ عثمان عفان، الشيخ أمين درندي، الشيخ عبد القادر أدهم، الشيخ أحمد أبو الجود، واثنان من أغوات الحرم.

خروجه من المدينة

وعندما قامت الحرب العالمية الأولىٰ عام ١٣٣٤هـ كان الشيخ يحيىٰ من جملة الذين أبعدهم فخري باشا إبعادًا سياسيًا عقب ثورة الشريف الحسين علىٰ الأتراك وكان عدد المبعدين يقارب المائة من علماء المدينة وأعيانها وكانوا يأخذونهم بالظنة أو بكلام المرجفين باتصالهم بالشريف أو انتمائهم لحزب مؤيد له.

من الحادثتين السابقتين يؤكد لنا أن الشيخ يحيىٰ كان رجلًا لا يعرف في الحق لومة لائم لأنه لا يقبل الضيم لنفسه ولا علىٰ بلده ويجابه الحكام ويريهم أخطاءهم.

وقد أصيب ﵀ بعدة نكبات في حياته فقد غرقت به الباخرة في البحر الأحمر وغرقت جميع تجارته التي اجتلبها من مصر فنجا من الغرق بأعجوبة.

وقد كان الرجل يحب التجارة ويستورد بضائعه من أنحاء العالم الإسلامي رحمه الله تعالىٰ من رجل مكافح.

الدفتردار شاعر الأحداث

وكان ﵀ يقول الشعر ولكن شعره لا يعد من النوع الجيد إلا ما قاله في السياسة أو عبر ذلك ولعله يرتجل الشعر ارتجالًا فقد عثرت علىٰ مقطوعة قصيرة من شعره مدح بها الخديوي عباس حينما زار المدينة عن طريق خط حديد الحجاز وكان هو عضو استقباله في محطة تبوك أو مدائن صالح فاستقبله بخطبة وقصيدة مطلعها:

تناديك عن شوق منائر طابة ... ويدعوك ذاك المنبر المأثور

نحي بمرآك المنور غرة ... يطالعنا منها منىٰ وسرور

يراح علينا فضل سيبك بالفتىٰ ... فنمتنع النعماه وهي بحور

★ ديوان خطبة الخطي

وفي أثناء خروجه من المدينة المنورة وقت الحرب العالمية الأولىٰ احترقت داره

التي تقع في العنبرية عند غيابه أثناء الحرب وحرقت مكتبته القيمة وديوان الخطب وحين رجوعه لم يأسف لحرق منزله بقدر ما أسف علىٰ فقد ديوان خطبه الخطي ومكتبته القيمة.

وفاته

وفي آخر حياته مرض فجيء إليه بالطبيب وأخذ يسأله عن أعراض مرضه فقابله بهذه القطعة الشعرية التي تدل علىٰ أنه شعر بدنو أجله حيث يقول:

هل للمنية طلب أيها الآسي	الموت حب بأوصالي فعطلها
لم يبق إلا لساني ضمن إحساسي	الناس مذ خلقوا والموت غايتهم
فلا تغالطني إلىٰ من الناس	أباؤنا خلفونا بعد ما رحلوا
ونحن إثر سراهم غير جلاس	تضلعوا من كؤوس الموت فاخترموا
وإنني شارب من ذلك الكاس	تفرقوا بددًا شتىٰ قبورهم
طواهم الترب بعد الجود والبأس	إني سئمت من الدنيا وعيشتها
يأسًا وإن علاقاتي بها يأسىٰ	أستغفر الله مما قد جنيت بها
آتيك يارب في فقري وإفلاسي	ما خالط الشرك قلبي أنت مالكه

مذ عذت باسمك من جهلي ووسواسي

ولقد توفي بعد قوله هذه القصيدة بيومين حيث عقد لسانه بعدها عن الكلام وكانت وفاته أواخر عام ١٣٤٥هـ عن عمر يناهز الثانية والثمانين وقد صلي عليه بالمسجد النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد - رحمه الله تعالىٰ.



الشريف يعقوب بن محمد إبراهيم الكُتُبيّ[(١)]

كبير أشراف الحجاز الأحمديون

هو الشريف يعقوب بن محمّد إبراهيم بن محمّد عبد الله الكُتُبي الحَسَني.

ينتهي نسبه للأشراف الكتبية ذؤابة قبيلة أشراف الحجاز الأحمديون، المنتهي نسبها إلىٰ: السيد أحمد المِسْوَر بن عبد الله الشيخ الصالح ابن موسىٰ الجَوْن بن عبد الله المحض بن الحَسَن المُثنّىٰ بن الحَسَن المُجتبىٰ السّبط بن عليّ ابن أبي طالب عليهما السّلام.

مولده

ولد رحمة الله في مكة المكرمة يوم الخميس الثامن من شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٤٣هـ، ونشأ في بيت علم وفضل فوالده أحد مدرسي المسجد الحرام، وأخيه

(١) المعقبون من آل أبي طالب، ١/ ١٩٦، عبد الباسط حجاف: الأطلس الوافي للأنساب والوسوم الحسنية والحسنية، ص١١٣٢، محمد سليمان الطيب: موسوعة رجالات وأعلام، ص ٢٩٢، ٢٩١، موسوعة أنساب آل البيت النبوي: النسابة فتحي سلطان، ٢/ ٤٣١، إيهاب الكُتُبي: المنتقىٰ في أعقاب الحسن المجتبىٰ، ص ١٨٩، ١٩٦، الشريف محمد إبراهيم سيرة وتاريخ، ص ١٩، ٢٤.

الشريف محمد نور أحد أئمة ومدرسي المسجد الحرام، فأخذ عنهما شي من العلوم والآداب.

دارسته وأعماله

بدأ دراسته في مكة المكرمة في المدارس الحكومية التي أنشأتها الدولة السعودية في بداية عهدها، ثم التحق بمعهد تحضير البعثات آنذاك وتخرج منه، وعمل مدرس بالمدرسة الفخرية لمدة عام، ثم رشح من قبل وزارة المالية للعمل في مدينة الخرج، فعُيّن كاتبًا بمكتب وزير المالية برئاسة الأديب محمّد حسين زيدان رحمه الله، وفي عام **١٣٦٥**هـ التحق بمدرسة الشرطة بمكة وتخرج منها، ثم تدرج في الحياة العسكرية، حتىٰ أصبح مديرًا للشرطة لعدة مناطق في المملكة، ووصل إلىٰ رتبة عقيد، وفي عام **١٣٩١**هـ تم إحالته إلىٰ التقاعد، وذلك بناءًا علىٰ طلبه، وتفرّغ بعد ذلك للعمل المدني، فعُيّن مديرًا لمدرسة تعليم قيادة السيارات بالمدينة حتّىٰ عام **١٤٢٠**هـ، ومن أعماله رحمه الله الإشراف والمصادقة علىٰ مشجّر الأسرة المسمّىٰ: الشجرة النامية.

حليته

كان رحمه الله أسمر شديد السمرة، رقيق البشرة، ربعة إلىٰ الطول ما هو، حسن الوجه، بعيد ما بين المنكبين، في عينيه لين، طويل الفكرة، يلبس الغترة البيضاء والعقال، ويرتدي العباءة العربية في بعض الأحيان.

عميد الأشراف الكُتُبيَّة وكبير أشراف الحجاز الأحمديون

ونظرًا لمكانته وحكمته وحنكته وتميزه رحمه الله، فقد امتاز بآرائه السياسية المتميزة، وبمعرفته بأنساب وأخبار الأسر والعوائل تقلد عمادة الأشراف الكتبية وكبير أشراف الحجاز الأحمديون في وقته، وكان محل تقديرهم لما تمتع به.

الأشراف الأحمديون أو الأحمديين: وهم أبناء أحمد المسور بن عبدالله بن موسىٰ الجَوْن ابن عبدالله المحض بن الحَسَن المثنىٰ بن الحَسَن المجتبىٰ بن علىٰ بن أبي طالب عليهم السلام، وكانت لهم قديمًا إمرة بالحِجَاز ونواحيه وعلىٰ الأخص ينبع، وانتشروا في الحِجَاز واليمن والعراق والشام والهند وبلاد فارس.

قال الأعرجي في مناهله[١]: (وآل أحمد المسور بن عبد الله ذوو عدد ورئاسة في جلد وكياسة وسيادة وسياسة).

قال ابن عنبة في عمدته[٢]: (وهم عدد كثير أهل رياسة وسيادة).

وأعقب أحمد المِسْوَر ثلاثة رجال، هم: محمّد الأصغر وصالح وداود، وصالح بن أحمد المِسْوَر أقلهم عقبًا، أُمّه فاطمة بنت إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد النفس الزكية، كان له عقب من ابنه الوحيد موسىٰ،

قال الشريف العمري النسابة في مجديه[٣]: (وكان منهم بالموصل شيخ حجازي يقال له الحَسَن بن ميمون الأحمدي).

وينقسم الأحمديون إلىٰ طبقتين مميزتين:

الأولىٰ: الأشراف المحمّدية: أبناء محمّد الأصغر بن أحمد المِسْوَر بن عبد الله وهو السّيد الشجاع منازله منازل أبيه (الفَرَع)[٤] والذي يعرف بفرع المِسْوَر وهو مبتدئ إمرتُهم وقد قُتِل محمّد بفرع المِسْوَر علىٰ يدي غلمانه وصلىٰ عليه بعض الأعراب[٥]، وفي بنيه إمرة بالحِجَاز ونواحيه وهو فروع رئيسية منتشرة ببادية الحجاز.

الأمراء العمقيون: أبناء علي العمقي بن محمّد الأصغر بن أحمد المِسْوَر، ونسبتهم إلىٰ العمق بفتح العين المهملة وسكون الميم وقاف في آخره وهو أول من نسب إليها، وهو اسم موضع من بلاد مزينة الرّسول وهي مرحلة في البادية علىٰ طريق الحاج، وبنوه بطن من بني الحَسَن يقال لهم العموق والعمقيون أو العمقيين،

قال ابن فندق في لبابه[٦]: «له من الأولاد من أمراء الحجاز».

الأمراء بني الكشيش: وهم أبناء جعفر المترف بن محمّد الأصغر بن أحمد المسور.

---

(١) مناهل الضرب ٢٢١.

(٢) عمدة الطالب ١٢٠.

(٣) المجدي ٥٢.

(٤) الفَرَع بالفتحتين من أودية الأشعر قرب سويقة وهو فرع المِسْوَر بن إبراهيم الزّهري، بينها ومثعر مرحلة من المدينة.

(٥) لباب الأنساب، ج١ ص٤٣٠؛ أبو الفرج الأصفهاني: مصدر سابق، ص٧٠٧؛ العُمري: مصدر سابق، ص٥٢

(٦) لباب الأنساب ١/ ٢٨١.

الأمراء آل يحي السّراج: وهم أبناء يحي بن محمّد الأصغر بن أحمد المِسْوَر، ويقال له السراج بتخفيف الراء وكسر السين وقيل إن غلمانه قتلوه[١].

وهم منتشرون بالحِجَاز وأمهم حُسينية وفيهم أُمراء[٢]، ومنهم أحمد الأمير السّراج بن يحي السّراج وأخوه محمّد الصّعلوك فارس بني حَسَن[٣]، ولم نعرف لهم بقية في الحجاز في زمننا والله اعلم.

الثانية: الأشراف الدّاودية وهم أبناء داود بن أحمد المِسْوَر الآتي ترجمته في محلّها من هذا الكتاب. وقد انتشرت الأمارة في عقبه وهم فروع كثيرة ولهم إمرة متعددة في ينبع متوارثة

قال العلاّمة النسّابة أبي الحَسَن عليّ البيهقيّ الشهير بابن فندق: «الداوديّة منتسبون إلىٰ السّيد داود، وهو الذي هلك في البحر، وهو ابن أحمد بن عبد الله السّويقيّ بن موسىٰ الجَوْن. والداوديّة رهط جليل ولهم أعقاب من أُمَراء الحِجاز وأجلاّء اليمن وهم يفتخرون بذلك[٤]».

ومنهم **الكِرَاميون والمتارفة**، ومن بقية الكِرَاميون الدّاوديين في الحِجَاز الشّرفاء آل الكُتُبيّ الحَسَنيّ، أبناء الشّريف محمّد إبراهيم الكُتُبيّ الحَسَنيّ. وقد أعقب سبعة رجال وبقيته في خمسة منتشرون في الحجاز، وهم: قاضي المدينة ومفتيها الشّريف محمّد نور وعقبه بالمدينة المنورة، الشّريف إسماعيل وعقبه بجده، والشّريف محمّد أمين وهو أقل إخوته عقبًا فعقبه من ولد واحد وهو بجده، والشّريف يعقوب المترجم له وذريته اليوم بالمدينة المنورة، والشّريف محمّد جميل وعقبه بجِدّة ومكة المكرمة. والشّريف يوسف مات دارجًا والشّريف صالح مات ولم يعقب[٥].

قال النسابة الأعرجي في مناهله: وموسىٰ بن عبد الله بنوه بطن من بني الحسن)،

---

(١) لباب الأنساب ١/ ٢٦٥.

(٢) الفخري ٩٢، المجدي٥٦.

(٣) الشجرة المباركة٢٦.

(٤) لباب الأنساب ١/ ٢٥٣.

(٥) المعقبون من آل أبي طالب، ١/ ١٩٦.

وعلق النسابة المحقق المعاصر السيد مهدي الرّجائي بقوله: منهم جملة من شرفاء المدينة حالا وفيهم علماء ونسابون[١].

قال عنة النسابة المعاصر السّيد مهدي الرجائي في كتابه المعقبون[٢]: أمّا الشريف يعقوب بن محمّد إبراهيم بن محمّد عبد الله، فكان عميد الأشراف آل الكُتُبي الحَسَني وكبيرهم، وصاحب الرأي والكلمة فيهم، رأيته وزرته مرارًا في المدينة المنورة، وكان متصفًا بالصفات الجميلة ومكارم الأخلاق.

منازل الأشراف الأحمديون

وللأشراف الأحمديون منازل انتقلوا بها كان للشريف يعقوب معرفة تامة بها، وقد التقط منه الكثير من الأخبار عن المنازل ومن سكن بها أصول أهلها.

سويقة المدينة

أشهر منازل بني الحسن

سويقة المدينة: سويقة الثائرة: تصغير ساق، بضم السين المهملة، وفتح الواو، وسكون الياء، وفتح القاف، والعامة ينطقونها: بالكسر، موضع إلىٰ الغرب من المدينة علىٰ نحو خمسين كيلًا. وهي عين عذبة كان بها منازل، كثيرة الماء والنخل، وهي الآن جافة خربة، من أودية الأشعر، وعلىٰ نحو كيلو ونصف من السيّآلة، ناحية اليمين علىٰ طريق مكة القديم، بين الفريش والروحاء، اسفل حزرة، الموقع المندثر لسويقة معروف وتم تحديده وهي تقع في الشمال الغربي للفريش وتبعد عنها قرابة ١٥ كيلو متر.

(١) الشجرة المباركة ٢٥؛ مناهل الضرب ٢٢٩.

(٢) المعقبون من آل أبي طالب، ١/ ١٩٦.

الفَـرَع

فَرَع المِسْوَر

الفَرَع بالفتحتين: من أودية الأشعر قرب سويقة بينها وبين مثغر علىٰ نحو (٨٠) كيلًا من المدينة، دائري الشكل، وهو الفاصل بين سلسلتي الأشعر والفقارة، وهو فرع المِسْوَر بن إبراهيم الزهري[١]، والفَرَع يقع في جبال قُدْس[٢]: بالضم، وسكون الدال، والعامة ينطقونه **(أقدس)** و**(أدقس)** قال عرام بالحجاز جبلان يقال لهما: القدسان، قدس الأبيض، وقدس الأسود، وهما عند وَرِقان، أما الأبيض فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها: ركوبة، وجبل شامخ ينقاد إلىٰ المتعشىٰ بين العرج والسقيا، وأما قدس الأسود فيقطع بينه وبين ورقان عقبة يقال لها: حَمت، والقدسان لمزينة.

أقول: وبالفَرَع نزل الشريف أحمد المِسْوَر إبن عبد الله السويقي إبن موسىٰ الجون الحسني، الجد الأعلىٰ للأشراف الكتبية، ولقب بالمِسْوَر لسكناه فيه[٣]، وقتل بالفَرَع ولده محمد، قال: **الأصفهاني في مقاتله**[٤]: قتله غلمانه بفرع المِسْوَر، **وزاد البيهقي في لبابه**[٥]: وصلىٰ عليه بعض الأعراب، **وقال العمري في مجديه**[٦]: ومن الأحمديين **(بنو العمقي)**، وهو علي بن محمد بن أحمد المِسْوَر إبن عبد الله السويقي إبن موسىٰ الجون، فمنهم بنو المطرفي الذين منهم مسلم بن السلمية بن إسحاق المطرفي مولده بالفَرَع، وبالفَرَع تواریٰ يحيىٰ بن عبد الله المحض وأخيه إدريس، حيث خرج يحي وإدريس من الحبشة، فقدما فرع المِسْوَر ليلًا، فأقامابه زمنًا يتشاوران

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٢٥٢)، معجم ما استعجم (٣/ ٢٧٢)، خلاصة الوفا (٢/ ٦٩٨)، الأغاني في أخبار كثير (٩/ ٣١)، بحث للشريف باسم بن يعقوب الكتبي الحسني.

(٢) المغانم المستطابة (٣/ ١٠٢٥)، خلاصة الوفا (٢/ ٧٠٤)، معجم ما استعجم (٣/ ٣٩٨).

(٣) وقد فصلنا الكلام حول لقبه في كتابنا في ترجمة الشيخ محمد نور الكتبي الحسني وفي كتابنا المسمى الشريف محمد إبراهيم الكتبي سيرة وتأريخ)

(٤) مقاتل الطالبيين ٥٥٣.

(٥) لباب الأنساب ١/ ٤٣٠.

(٦) المجدي ٥٢.

إلىٰ أين يخرجان وأي بلد يحملهم ويخفيهم وشملهم من الخوف[١]. والفَرَع اليوم مقسم إلىٰ عدة ضياع من أشهرها منطقة الدور والتي كانت تعرف قديمًا بالرس نسبة للجبل الأسود أقول والصحيح عندي أنه إحدىٰ الجبال المتصلة بالقدسين وعرفت بذلك لان الأرض ترسىٰ فيها وتنبسط من بين جبال عدة وينسب إليها الإمام القاسم الرسي وهي منازله ومنازل ابنائه السادة الرسيين، وبالرس قبر الإمام القاسم وتسعة وثلاثون قبرًا وكلهم من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇، وعرف بعد ذلك بالدور أو دور اباالقاسم، والدور: جمع دار بها مسجد صغير، وبعض المنازل المندثرة، عليها شواهد كتبت بالخط الكوفي، هي أسماء المقبورين بالمقبرة، ، إلا أنه قبل عدة سنوات قامت السلطة الدينية، بتسوير المقبرة والمنازل وغلقها، ورفعوا الشواهد، وطمسوا معالم القبور، وقاموا إلىٰ المسجد ومنعوا الصلاة فيه وسعوا في خرابه، فإلىٰ الله المشتكىٰ، ولا شك أنها تقع في قرية الفَرَع المعروف اليوم بفَرَع الردادة وليس فَرَع الردادة يشمل كل الفَرَع إنما هو أحد توابع الفَرَع، وأهله اليوم الردادة والحجلة والقراف والمهاجرة من الحوازم من بني سالم من حرب.

وهناك وادي الفُرُع[٢] بالضمتين وهي منازل نزل بها آل الرسول ﷺ، ونزل بها جمع من أولاد الحسن والحسين ﵉ ولا يعرف إلا بمضيق وادي الفُرُع، وتوابعه السوارقية، وسايه، وبرهاط، وعمق الزرع، وبالجحفة، وبالعرج، والسقيا، والأبواء، وقديد، وعسفان، وإستارة، هذا كله من عمل الفُرُع، والأصح عندي أنه بالضم، ويسمىٰ اليوم وادي الفُرُع، علىٰ الطريق بين المدينة إلىٰ مكة السريع علىٰ يمين الحاج، ، تلقاء اليتمة والأكحل، علىٰ قرابة (١٨٠) كيلًا من المدينة، وسكانه الأشراف المواسا والجعافرة الخوارية، من بني الحسين بن علي ﵇، والجعافرة الطيارية من بني جعفر الطيار، وبنو عمرو من ولد حرب ومن قراه الكبيرة: أبو ضباع، وأم العيال، والمضيق، والفقير.

---

(١) أخبار فخ لإبن سهل الرازي ١٥٨.

(٢) معجم البلدان (٤/ ٢٥٢): معجم ما أستعجم (٣/ ٢٧٢)، الروض الآنف (٣/ ١٤٣)، المغانم المستطابة (٣/ ١٠٠١)، خلاصة الوفا (٢/ ٧٠٤)، النخبة الثمينة ٥٢، منتقلة الطالبية ٢٣٠.

وما دمنا في حديث منازل الأشراف فقرية السوارقية: والتي تعرف اليوم بالسويرقية، بكسر السين، هىٰ منازل وسكنىٰ للأشراف العياسا وبها اليوم قرابة ثلاثين بيت من الأشراف آل علي العياسا، من ولد الحسين الأصغر.

العلقمية

لقد كان للحسنيين بني حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب استقرار بينبع بعد خراب سويقة المدينة ومطاردتهم بالفَرَع، فنزحوا إلىٰ ينبع وذلك وارتباطهم بينبع ونواحيها عائدٌ بما أوقفه جدهم الإمام علىٰ بن أبي طالب عليه السلام، من ضياع ويأتي ذلك علىٰ ما أكده العلماء والمؤرخون كالشافعي وابن شبة، والحميدي، وشدد ابن حزم بقوله: بأن أوقاف علي بن أبي طالب في ينبع وغيرها أشهر من الشمس.

ومرورًا بينبع وقراها وعيونها تستوقفنا البغيبغات أو البغبيه، وعين البحير، وعين أبي تيزر، وعين نولا، وعين الأراك، وغيرها مما كانت أوقاف لعلي وبنيه وكانت بأيديهم وتحت نظارتهم، فقد ذهب ابن خلدون، والقلقشندي، والعصامي، والفاسي، وابن فهد، وغيرهم: إلىٰ أن بني حسن بن حسن بفروعهم كبني حراب، وبني علي، **وبني أحمد**[1]، وبني إبراهيم، وبني موسىٰ، وبني يحيى، وبني عيسىٰ كانوا متوطنين نهر العلقمية من وادي ينبع، وكانوا ظواعن بادية، وكان للطالبيين من بني حسن، وبني حسين، وبني جعفر عصبية في أراضي الحجاز بين مكة والمدينة وينبع، ولم تكن العصبية إلا فيهم لسطوتهم في الديار الحجازية، وهم منتشرون فيها وغالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإمارتهم يبلغون الآف من الكثرة، وقد تلاشت عصبيتهم، ووجد قوم آخرون اشتغلت عصبيتهم علىٰ عصبية الطالبيين بعد تفرقهم في البلاد.

وذكر إبن خلدون والعصامي: أن ولد موسىٰ الجون الذين مر ذكرهم في بني حسن عبد الله أبو الكرم، وكان له علىٰ ما نقل نسابتهم ثلاثة من الولد: سليمان وزيد،

---

(١) قلائد الجمان ص٨٣.

وأحمد، ومنه تشعب ولده.

فأما زيد فولده اليوم بالصفراء بنهر الحسنية، **وأما أحمد فولده بالدهناء**[(١)]، وأما سليمان فكان ولده مطاعن بن عبد الكريم بن موسىٰ بن عيسىٰ بن سليمان بن الله أبي الكرم، وكان لمطاعن إدريس وثعلب.

ومن أشهر منازل بني حسن بن حسن: عين العلقمية أو نهر العلقمية فيما أثبته المؤرخون وأصحاب المسالك وتقع في قلب الحجاز من خيوف وادي ينبع النخل من أعمال ينبع البحر، وهي قرية بساتينها كثيرة ونخيلها عظيمة وأرضها مستوية وتربتها نقية ونهرها كبير وهواها عليل، ويذكر بعض الرحالة، وكثير من العامة أن الحسن المثنىٰ جد الحسنيين له قبر بها، وقيل أنها تنسب إلىٰ علقمة بن يحي بن عبد الله بن حسن بن حسن، ولا صحة في ذلك القولين، ونرده بقولنا: لو كان قبر المثنىٰ بها لنسبت إليه.

أقول والثابت عندي أن قبره بالبقيع علىٰ أصح الروايات، ولعل المقبور بها أحد أحفاده، والله العالم.

أما نسبتها لعلقمة ففي ذلك اشتباه فهو من بني حسن بن حسن، وهو حفيد للحسن المثنىٰ فكيف ينسب الأصل للفرع، فقد شدد المؤرخون بالإجماع أنها منازل بني حسن بن حسن قديما، فقد سكنها المتقدمون من ولد الحسن المثنىٰ علىٰ علقمة المذكور، كمحمد الثائر بن موسىٰ الثاني، وداود الأمير بن أحمد المِسْوَر، وغيرهم، فكانت معروفة بالعلقمية، وهي متقدمة عن علقمة المذكور.

واسط

اختلف في أرض واسط فللعرب اثنين وعشرين واسطًا في عدة مواضع من المعمورة في الحجاز ونجد والعراق واليمامة والأندلس ومصر وفي نواحي كثيرة، ولعل واسط الحجاز لها من المكانة ما لم يعرف قدره فواسط الحجاز بين المدينة وينبع علىٰ طريق الحاج قديمًا إلىٰ مكة مرورًا بالصفراء ونهر الحسنية والواسطة والبركة

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٥٠، سمط النجوم العوالي ٢/ ٣٨٩، صبح الأعشىٰ ٤/ ٢٧٧.

وهي قائمة إلىٰ يومنا هذا.

أما واسط العراق في موضع جنوب العراق يتوسط بين الكوفة والبصرة، وهي متناولنا فمن بين كثرة واسط في البلاد كان لواسط العراق الشأن العظيم. والتي نالت قسطًا وافيًا من عناية المؤرخين والبلدانيين والآثاريين فواسط كما وصفت كثيرة الخيرات وافرة الغلاة صحيحة الهواء عذبة الماء كلها قصور وبساتين ومياه. هذا يؤكد لنا رقي زمن تأسيسها إلىٰ القرن الأول الهجري، وبقيت واسط علىٰ مر القرون منذ نشؤها ذات منزلة مرموقة وقد ازدهرت في غضون القرنيين الخامس والسادس الهجري وبلغت فيها الحضارة مبلغها، فقد نزلها من صحابة رسول الله صلىٰ الله علي واله وسلم ممن خدمه ورآه ونقل حديثه وسمع كلامه وكان من أهل واسط من روىٰ عن أولئك الصحابة رضوان الله عليهم

كل هذه الجوانب التي توافرت في أرض واسط في ظل الأمن والأمان ورغد العيش وتقدم الفكر عند أهلها جعل لهذه المدينة المكانة عند المغتربين عن مواطنهم والمضطرين عن الخروج من ديارهم للظروف السياسة والاضطهاد فأصبحت محط أنظار الخارجين فكان للأشراف الطالبيين في الحجاز نظرة إلىٰ ذلك تدعوهم بسبب ما مروا به فأرض واسط في ظل اضطهاد الطالبيين وتفرقهم في الأمصار كانت بها نقابة للطالبيين تعد من أقدم النقابات، كل هذه الجوانب استقطبت الكثير من الطالبيين، ولعلنا هنا نزيح الستار عن هذا الجانب المهم والذي يؤكد أن واسط قد احتوت الكثير من الطالبيين القادمين من الحجاز وبالأخص في القرنيين الخامس والسادس الهجري علىٰ عهد دولة بني العباس، وممن وصل إليها قادمًا من الحجاز من ينبع من ضاحية العلقمية الشريف محمد بن احمد الحسني الطالبي جد المترجم له أحد أعيان أشراف الحجاز الأحمديون وهم الطبقة الثانية من طبقات أشراف الحجاز بني الحسن، ذكره أهل النسب الثقات كالرجائي وابن جحاف وعبد الغني والصيادي وغيرهم. كان صاحب هيبة وشرف مقدم في قومه خرج من الحجاز سنة ٥٩٨هـ إلىٰ واسط واستقر بها وذلك في خلافة الناصر لدين الله العباسي وهي السنة التي حكم فيها قتادة بن إدريس

مكة، فواسط أحدىٰ منازل بني أحمد أشراف الحجاز ومحل استقرارهم لفترة زمنية.

سُلطان بور

سلطان بور أو سلطه بور بين صحة النطق عرفت بلدة سلطان بور أنها إحدىٰ منازل اشراف الحجاز الأحمديون ومعقل من معاقل الحسنيين، وسلطان بور مدينة العراقة الإسلامية حيث الرجال المخلصين والمدافعين عن الإسلام والمسلمين،لقد كان للطالبيين في سلطان بور حظوة كما كان لهم في غيرها، واقترنت بلدة سلطان بور بأشراف الحجاز الأحمديون عندما وصل إليها الشريف عبد الله بن موسىٰ الحسني الطالبي مع ابنه محمد فارًا بدمه سنة ١١١٤هـ في مطلع القرن الثاني عشر، فنعته المؤرخون الثقات وتتبعه أصحاب المسالك وسجله النسابون في جرائدهم وهو غائب عنهم فقد وصلهم خبره، وفي سلطان بور استقر له المقام فولي الصدارة بأرضها فعاش بها وأعقب الذراري، فهو أول شريف حجازي من بني أحمد يدخلها، فعرف بالشريف عبد الله الداخل لأنه دخل بلاد الهند، وبها انتهىٰ عقبه الىٰ فخرالسادات الحسنية الشريف نورمحمد بن عيسىٰ الحسني الشهير ب(سلطان بور)، وأنتشرت ذريته من الأسرة الحسنية فيها وفي بلدة أطكولي من أعمال الهند، وعمرها وهي علىٰ بعد ٢٠كم من مقاطعة سلطان بور وتسمىٰ أطكولي (ضلع سلطان بور) وبها انتهت إليه الرياسة والسيادة فيها وفي نواحيها.

والحديث عن سلطان بور سجال، فهي مدينة قديمة أثريَّة تابعة للولاية الشمالية عندما كان مقر الحكم في لكنو، وهي تبعد عنها بحوالي ٨٠كم، وهي أرض زراعية غناء وبها مياه عذبة عظيمة وأهلها علىٰ الأغلب مسلمين، وقد دمرَّها الإنجليز بالكامل في ثورة الهند، والطريق بينها وبين لكنو جميل يسرُّ المسافرين ويمرُّ بقرىٰ قائمة وبعضها مدمَّر،ومعالم وآثار عديدة ابتداءًا من جلديش بور،وحسن بور،حتىٰ نصل إلىٰ سلطان بورأكبر مدينة في المقاطعة جنوب الولاية الشمالية في اتجاه بلدة فيض أبادالمعروفة حيث كانت تتبع لهافي وقت من الزمان. حديث الطالبيين وهجراتهم وحكمة الله فهذا حال الطالبيين في الأمصار.

الشريف الكتبي من ثقات الثوثيق

وحينما أرادت دارة الملك عبد العزيز كتابة التّأريخ الشفوي لحياة الملك عبد العزيز وبداية الدولة السّعوديّة، كان الشَّريف يعقوب أحد الرّجال الذين وَثَّقوا معلومات هذا التأريخ، وتمّ ذلك بتسجيل تحت إشراف لجنة قائمة لإعداد هذا التأريخ، وذلك صباح يوم السّبت الرّابع عشر من صفر سنة ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون من الهجرة النبوية(١).

وصيته عند أقتراب دنو أجله

أوصىٰ رَحِمَهُ اللهُ أبنائه عند دنو أجله لملاقاة ربه، قائلًا: إياكم ومخالطة الأعداء الحاقدين أهل الدناءة والخيانة، اعتزلوهم وقاطعوهم فإنهم لكم حاسدين، ولعداوتكم باقين، وتمسكوا بأمركم، والنصر لكم ولو بعد حين. وقال رَحِمَهُ اللهُ لا تتركوا بلد جدّكم الرسول، لا تتركوا بلد جدكم الرسول، لا تتركوا بلد جدكم الرسول.

وفاته

كانت وفاته رحمة الله في مساء يوم الاثنين سلخ ذو الحجة لعام **١٤٢٣**هـ، في مدينة جده المصطفىٰ وقبر في بقيع الغرقد بالقرب من قبر جده الإمام الحسن بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وقبور أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

(١) خطاب شكر من دارة الملك عبد العزيز للشريف يعقوب، لمشاركته في توثيق التاريخ الشفوي لبلاد الحرمين برقم ٩/ ٧١١ وتاريخ ١٠/ ٣/ ١٤٢٣هـ.



الشيخ يوسف خشيرم[1]

الزعيم المدني

هو يوسف بن علي بن خزام بن خشيرم الشطيري الجهني

رجل أرومته من بادية الحجاز تربىٰ آبائه بين البوادي حيث عزوتهم وقبيلتهم وجذورهم، ونشأ وترعرع في المدن حيث الثقافة والحضارة وأداء الدور الإنساني، فجمع بين الخشونة من غير تفريط وبين النعومة من غير إفراط فكان زعيمًا من زعماء المدينة في الثورة العربية الكبرىٰ، وأحد أشهر رجالها المؤتمنين الذين خلدوا سيرتهم بأعمالهم المشرفة.

بيت خشيرم

يعرف المدنيين البيت الخشيرمي من البيوتات التي عرفت بطيب الذكر، وحسن السمعة، فلا نعرف هذا البيت إلا بأولئك الرجال الذين سلم أهل المدينة من لسانهم

---

(١) الثورة العربية الكبرىٰ (٣/ ٢١٨-٢٢٠). وانظر هذه الاتفاقية في: تاريخ مكة للسباعي (ص: ٦٥٦-٦٥٨)، وأمراء مكة عبر عصور الإسلام (ص: ٤٥٩-٤٦١)، وتاريخ نجد الحديث (ص: ٤٥١-٤٥٣)، وصقر الجزيرة (٤/ ٨٨٠-٨٨٣)، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ١/ ٨٤.

ويديهم، ورغم قلة هذا البيت وعدم الكثرة فيه، إلا ان الله بارك في ذويه فكانت ولاتزال سيرتهم حسنة،فهم بيت من البيوتات المدنية العريقة في الحسب والشهرة في النسب، فاللقب خشيرم والنسبة جهينية، وكيف لا يكونوا ذلك، وعراقة قبيلة جهينة القضاعية التي امتدت قراها ومدنها جنوب وشرق ينبع بين أودية وشعاب وجبال رضوىٰ الجهينية والأجرد وغيرها، فان كانت المدينة أنصارية، ونواحيها حربية، فينبع بنواحيها جهنية، سكنها الطالبية من أبناء علىٰ بن ابي طالب ﷺ، ولقبيلة جهينة الفخار برجالها الأحرار بما عرف في التاريخ منذ عهد النبوة فكان منهم الصحابة والتابعين والزعماء، ولا نعرفهم الا من الشجاعة والإقدام والصدق وطيب الصفات وقد أشتهر علىٰ السنة الناس عند ذكر جهينة المقولة الشهيرة: **(وعند جهينة الخبر اليقين)**، وهي من أكبر القبائل العربية، ولمكانتها علىٰ ساحل البحر الأحمر كان لإبراهيم باشا في حملته النظرة في التحسب لشجاعتهم فقرر احصاء عددهم في ذلك الوقت فقيل انهم اربعون الفًا، ثم ان شكيب ارسلان في رحلته اشار الىٰ انهم يزيدون عن السبعون الفًا، وجهينة القضاعية، علىٰ خلاف بين عدنانيتها وقحطنياتها،، فقال قوم عن قضاعة: هو قضاعة بن معد بن عدنان.

وقال آخرون: هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن مالك بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، قاله الكلبي في الجمهرة، وتبعه ياقوت في المقتضب، والغساني في المختصر والسويدي في السبائك.

قال السمعاني في أنسابه[1]: القضاعي: بضم القاف وفتح الضاد المعجمة وفي آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلىٰ قضاعة، ويقال: إن قضاعة هو ابن معد بن عدنان، ويقال: بل هو من حمير، ومن نسبه فيهم، قال: هو عمرو بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، ولقبه قضاعة، وقال شاعرهم في ذلك:

قضاعة بن مالك بن حمير　　　النسب المعروف غير المنكر

أقول: ولا نرىٰ الا انهم من العرب القحطانية، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحافي (الحاف) بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن مالك بن

(١) الأنساب ٥ تقسيم ٨٧.

زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم جذمين موسىٰ، ومالك، وقيل قوفة ومالك، والصحيح انهم بني موسىٰ وبني مالك والقوفة من بني موسىٰ، وبقيت ولا تزال هذه القبيلة تظهر لنا من رجالها الذين يدخلون الىٰ التاريخ بأعماله وافعالهم، ومن فروع بني موسىٰ: ذبيان، المرواين، عنمه، سنان، الحجور واحدهم الحجوري، العلاوين، نزه، الموال، السمرة، الفوايدة وواحدهم الفايدي، المشادقة، الحمدة، المحايا، الحبيشي، وهولاء كلهم بني موسىٰ.

أما بني مالك ويعرفون عند البعض بني إبراهيم ومنهم: الزوايدة، قوفه، عروة ويقال لهم العروي، بني كلب، ورفاعة، والجرسة، والصراصرة وواحدهم الصريصري، ومن فروعها: المسافرة، والشطارية وواحدهم الشطيري، والشهابين، والفقهاء، والصيادلة، والمساوية، والصيايدة وواحدهم الصيادي، وغيرهم؛ فهولاء هم بنو مالك

وقد ساد الأشراف جهينة في ينبع، وحُسب بعض الأشراف من فروعهم وعدهم البعض من أشهر فروعهم كالعيايشة، والهجارية، فكان العامة يقولون أشراف جهينة كغيرهم من بني إبراهيم ولعل الكثير يخلط بين الأشراف بنو إبراهيم والذين كان لهم أصل سلف في ينبع قديمًا وبنو إبراهيم الجهنيين أصحاب المنازل، والذين هم ثابتي القدم بينبع وتسميتهم بني إبراهيم قبل الأشراف بنو إبراهيم ضمن شيوخهم كأحمد بن حماد الشطيري احد شيوخ الشطارية، وصالح بن حامد الصريصري أحد شيوخ الصريصرية، وشيخ العروية حنيشان بن سليم، ومن مشايخهم في ينبع البحر عبد الرحمن أبو رقيبة، ومطلق المشدق.

والحقيقة ان الحديث عن جهينة ورجالها وتاريخها لا يمل ولكن لا نريد الإطالة ونبعد عن مقصدنا من الترجمة، وما دفعني لذلك هو ان شخصيتنا المترجم لها من أعلام هذه القبيلة، والحديث عن بيت خشيرم يجمع بين بادية المدينة وحاضرتها فهم علىٰ نطق عوام المدنيين: بيت خشيرم عُرْبَه بضم العين المهملة، وسكون الراء المهملة، وفتح الباء الموحدة؛ وكلمة عُرْبَه ينطقها المدنيين للعوائل العربية العريقة التي تداخلت في الحياة المدنية الحاضرة، وهم من جذور بدوية.

أقول والشطارية رهط من بني إبراهيم، ومن منازلهم قرية السويق، والشطارية أهل مشيخة وإمرة في قومهم، وهم أهل فلاحة، ولهم العديد من البساتين في ينبع النخل، وهم أعرق سكان تلك المنطقة قديمًا ولا يزالون ومنهم رجال وشخصيات بارزة من اشهرهم كالشيخ أحمد بن حماد الشطيري، والشيخ سعد الشطيري، والشيخ علي بن خزام خشيرم الشطيري والد مترجمنا وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم.

الشيخ على بن خزام خشيرم

أحد اعيان قبيلة الشطاريه من جهينة

عرف بين قومه، وكان مقدم فيهم، فهو أحد اعيان قبيلة جهينة بفخذها الشطيري، انتقل الىٰ المدينة وعرف بين أهلها، فكان من كبار مزارعين المدينة يعرفه أهل المدينة ويجتمعوا عنده من حاضرة وبادية في مزرعته الخشيرمية، والتي كانت بنواحي جبل احد بطريق سيد الشهداء سيدنا حمزة ﵁، ويصفها المؤرخ الزيدان انها من مزارع المدينة المميزة بقرب المصرع(١)، ولم يكن للشيخ علي سوىٰ ولده الشيخ يوسف المترجم له ولم يعقب الشيخ يوسف إلا أبنه الشيخ عباس المولود بالمدينة سنة **١٣١٩**هـ، والذي هاجر مع والده الىٰ العراق ثم عاد الىٰ ارض الوطن بعد صدور العفو من الملك عبد العزيز لبعض رجال الحجاز من محسوبي دولة الاشراف كالقزاز والبتاوي والكوراني وخشيرم وغيرهم(٢)، وعندما استقر الشيخ عباس بالمدينة عمل في هيئة الزراعة يشارك في عضوية انقاذ المنكوبين وتثمين العقارات، ولا يعرف أهل المدينة الشيخ عباس صنو هذا البيت الا كأسلافه من السلم وكفىٰ الاذىٰ، غاديًا ورائح بين بيته وعمله والمسجد يؤدي الصلوات، وقد اعقب الشيخ عباس عدة اولاد، هم: علي، وراكان، ونزار، وخالد، وسهل، وطلال ولهم ابناء.

إما العم علي بن عباس فأعرفه جيدًا ﵀، كان يعمل مديرًا في مطار المدينة وهو

(١) ذكريات العهود الثلاثة ص٨٨.

(٢) مصدر سابق

من اوائل المتخرجين من لندن عرفت العم علي رجلًا فاضلًا لم اعرفه إلا من تعريف والدي له ورؤيتي له في كل يوم بالمسجد النبوي الشريف في صلاة المغرب والعشاء بالقرب من الروضة الشريفة بالخوخة الصديقية يجتمع هو واشخاص اعدهم من صداقته المقربون من آل زارع وآل وعدو يذكرون الله ولا يتحدثون الا فيما ينفع الناس، ولا يخفىٰ علىٰ من يرىٰ العم علي يرىٰ قيافته وهندمته والتي تدل علىٰ أناقته، وأخوه العم راكان هو حفيد البيت وصنو ابآئه كان موظفًا بمطار المدينة وهو الآن متقاعد وبيني وبينه محبة وهو رجل لطيف المعشر حلو الحديث لا تمل حديثه بأخباره التاريخية، وقد استفدت منه كثيرًا من معلوماته عن جده الشيخ يوسف فله مني الشكر والتقدير، أقول وكل آل خشيرم الموجدين اليوم من عقب هؤلاء، والله أسال ان يبارك فيهم وفي ذراريهم.

هذه دهلزة تأريخية نواصل بعدها الحديث عن مترجمنا الزعيم المدني

مولده ونشأته

ولد الشيخ يوسف خشيرم بالمدينة المنورة في زمن الدولة العثمانية سنة **١٢٩٢**هـ، وحينما بلغ سن التعليم ألحقه والده بكتاب الشيخ ابراهيم الطرودي بالمسجد النبوي الشريف، ثم ألتحق بحلقات الدروس في المسجد النبوي الشريف فدرس بعض مبادىٰء النحو والفقه، وأدرك شيئًا من العلوم فأصبح يجيد الكتابة وله معارف في علوم شتىٰ، واتجه للعمل مع والده في ادارة شئون التجارة والزراعة والفلاحة.

وصفه

قال الكوماندر دافيد جورج هوغارث: حينما وصف أهم الشخصيات الحجازية في زمن الثورة، فقال عنه: من جهينة، ولكنه حضري يعيش في المدينة، مكتنز الجسم متوسط الطول، شكله ساميّ بدرجة مفرطة، لديه روح الفاكهة، كفؤ وعملي[1].

---

(١) الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية مج٣ -١٩١٧-١٩١٨ Hogarth, D.G. Hejaz before World War I , (Falcon- Orleander), Cambridge, 1978, pp. 54-74.

الخشيرم وتعليمه الحسابي

ادرك والده الشيخ علي بن خزام خشيرم اتجاه التعليم عند أبنه الوحيد الشيخ يوسف فعلم ان لهذا الأبن توجه سيجعل منه رجلًا مميز في زمانه، فلم يكن يعلم ان ابنه يوسف من أولئك الابناء الذين سوف يأدون دورهم ورسالتهم في المسجد بالقاء الدروس بل انه سوف يكون له مجال اخر يؤدي به رسالته في المجتمع وهي تلك النظرات الثاقبة من أولئك الاقوام، فأحضر له معلمًا خاص في منزله ليعلمه الخط والحساب لما وجد من دقة ابنه في المسائل الحسابية وبالفعل تعلم الشيخ يوسف أمور الحساب فكان من المدنيين البارزين في السوق، فقد كان يلجأ له الكثير من أبناء البادية لسؤاله في أمور التقسيم والتوزيع، فكان ﵀ يقوم بالجرد ومسك الدفاتر، ويعتبر الشيخ يوسف من أوائل من اهتم بعلم الحساب حيث ان الدولة العثمانية كانت تدير تلك الامور الحسابية في السوق عن طريق موظفيها من المحتسبين وأصحاب دفتر الخزينة، فقد كان الشيخ يوسف لا ينتسب الىٰ وظيفة رسمية بل ان صلته بأهل السوق تجعله ينظم الكثير من الامور المالية.

الخشيرم وكيلًا للخديوي

لقد برز الشيخ يوسف بين أقرانه فأشتهر بأمانته وحكمته وحنكته وكان علىٰ علاقة وطيدة بكثير من الشخصيات الخارجية، ومن أشهر من كان له صلة به الخديوي اسماعيل حاكم مصر والذي عينه وكيلًا عنه في الحجاز.

الخشيرم وصلته بالشريف الحسين

ان المتتبع للاحداث التاريخية في المدينة المنورة في أواخر العهد العثماني وظهور الاتحاديين يدرك تمامًا أنه كان هناك الكثير من الأحرار قد تذوقوا مرارة ظلم أعمال الاتحاديين واتجاه مصير البلاد بايدي ستدير البلاد لمصالحها، وهذا أمر لا يقبله الأحرار، وقد توافق الأمر عن تحرك بداية الثورة العربية بشكل سري وكان لها يوما بعد يوم مناصرين في الخفاء في كثير من أنحاء الحجاز، ولا ننسىٰ ان الدور الاقوىٰ للثورة العربية الكبرىٰ كان بالمدينة رغم ان اعلانها كان بدايتة من مكه المكرمة ونكاد

نجزم ان رجال الثورة من أبناء المدينة كان لهم الدور الاكبر في تدعيم الثورة، فقد كان الشيخ الخشيرم من أوائل المتصلين بالشريف الحسين قبل قيام الثورة وكان الشريف الحسين يثق في أمانة هذا الرجل الذي كان معروفًا بحكمته وحنكته لدي المدنيين من بادية وحاضرة، حتىٰ أصبح الخشيرم أحد الأشخاص المقربين للشريف الحسين ووكيل اعماله في المدينة المنورة ونواحيها.

الخشيرم أحد زعامة الثورة الحجازية

وعندما أعلن الشريف الحسين ثورته رسميًا وضجت جنبات الحجاز بقيام الثورة وعرف الأهالي واستوعب الاتراك والاتحاديين ان الامر ليس مجرد هتافات وانه لابد للمكبوت من أنفجار يزلزل به الارض لمن طغىٰ وتجبر وتحرك الاحرار معلنين تضامنهم مع الحسين بن علي، وقد ارتكز الحسين علىٰ اشخاص كان لهم الدور الكبير في مساندته، حيث ان أتصالهم كان قديمًا قبل أعلان الثورة ولعل هناك أشخاص لا يستطيع كل من كتب عن الثورة العربية الكبرىٰ في المدينة تجاهلهم، وهم رجال لمعة اسمائهم: كالزعيم سعود دشيشة، والشيخ القاضي عمر كردي الكوراني، والشيخ أحمد بن جميعان، والشيخ يوسف خشيرم وغيرهم، فكلًا كان له بطولته وسجاله فهذا الخشيرم بزعامته وشجاعته يصول ويجول في المدينة مترجلًا فرسه يرافق أبناء زعيم الثورة حينما قدموا الىٰ المدينة الأمراء عبد الله وعلي وفيصل وهو يصحب ركابهم وينشر فكرة ثورتهم ويسعىٰ في مهمتهم بين بادية المدينة وأشرافها الذين يميلون الىٰ الحسين.

الخشيرم وزيرًا لمالية الثورة

وعندما نشبت الثورة العربية الكبرىٰ صحب الشيخ يوسف خشيرم الأمير فيصل، لتولىٰ إدارة المالية وشؤون التموين، وهو منصب وزارة المالية التي تتولىٰ إدارة الشئون المالية من توزيع المرتبات للمتطوعين وصرف المنح والأرزاق، وصرف السلاح وتوزيع الذخيرة، حيث ان صناديق الذهب كانت ترد منزلة بالوجه تنقل للحسين عن

طريق ديوان ابنه فيصل من البوارج الانكليزية، فيقوم الخشيرم بتنظيم صرفها وتوزيعها الىٰ المتطوعين من رجال الثورة.

الخشيرم مدني أصيل صاحب نزاهة

قام الرجل بأعماله بكل نزاهة وأخلاص فقد كان همه الأكبر هو التخلص من سياسة الظلم والطغيان آنذاك، والحرص علىٰ ان تستقر البلاد تحت مظلة حكم عادل حر، فقام بعمله بكل جدارة وتفاني، ولو اراد ان يتمول من مال الثورة او يغل لترك أمولًا طائلة واستفاد كم استفاد غيره ولن يحاسبه أحد فالأمر كله بيده، إلا ان الرجل كان تقيًا يخاف الله اهلًا للامانة مثلًا للنزاهة، حافظ علىٰ كرامته ونهىٰ نفسه عن الهوىٰ ليلقىٰ ربه بقلبٍ صادقٍ امين فلم يخلف من خلفه الا السيرة الحسنة.

الخشيرم عاش كريمًا ومات غريبٍ

وعند أنتصار الثورة صاحب الملك فيصل بن الحسين الىٰ الشام ثم الىٰ العراق، وهذه صفات أهل الوفاء لا يتخلون عن أصدقائهم لآخر حياتهم، وبقي مع الملك فيصل في عهد ملكه للعراق وبقي فيها، وعاش في بغداد عيشة الكرماء من غير ترفً حتىٰ ان العفو قد اتاه للعودة الىٰ وطنه الحجاز الا انه قد تقدم به العمر فبقي حتىٰ وافاه اجله المحتوم سنة **١٣٥٢هـ**، وهو ابن ستون عامًا فقد عاش كريمًا يدافع عن وطنه ومات غريبًا عن وطنه، إلا ان غربته كانت غيابه بجسده إلا ان اثره بقي إلىٰ ما بعد وفاته الىٰ يومًا هذا، فلن ينسىٰ تاريخ هذه الأرض الطاهرة وترابها مسيرة وفداء أولئك الأحرار فرحمة الله عليه رحمة الابرار.

فهرس

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ،

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّين

مُحَمَّدٍ وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِين ، وَبَعْدُ ؛

(أعلام من أرض النبوة)

بطاقة الكتاب

الكتاب: أعلام من أرض النبوة

المؤلف: الشريف أنس بن يعقوب الكتبي الحسني

المحقق: ....

عدد الصفحات: ٦٠١

الحجم: ٧ ميجا.

الطبعة: منشورات الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٩م

نشره: الشريف باسم الكتبي

فهرسه وأعاد رفعه: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ، عَمْرُو بْنُ هَيْمَانَ بْنِ نَصْرِ الدِّينِ الْمِصْرِيُّ

رابط التحميل: ....